الألف كتاب
الثانى
٢٤٢



جرج كاشمان

لماذا تنشب الحروب؟

ترجمة : د. أحمد حمدى محمود

الجزء الأول

لماذا تنشب الحروب ؟

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

محسنة عطية

لماذا تنشب الحروب ؟

مدخل لنظريات الصراع الدولى

تأليف

جرج كاشمان

ترجمة

د. أحمد حمدى محمود

الجزء الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

WHAT CAUSES WAR

by

Greg Cashman

1993

إلى ذكرى يوم لن أنساه ..

٨ يناير ١٩٩٥ (يوم الوفاء) الذى أمضيته فى أبى صوير فى صحبة الأعزاء ضباط قوات الدفاع الجوى وقائدهم الفريق أحمد أبو طالب ..

• الفهـــرس •

مقـدمة المترجم

عندما أصدر ميخائيل جورباتشوف كتابه الشهير : «البريسترويكا» هللنا جميعا واعتبرناه اعلانا لنهاية الحرب الباردة التى لم تقل ضراوة عن الحربين العالميتين اللتين ابتلى بهما أبناء قرننا ، الذى يقترب من سنواته الأخيرة • ولعل أمثالى ممن شاركوا فيما وقع من حروب على أرض مصر ، ربما لا يعترف بها بعضنا لكونها كانت فى الأغلب على هامش الحروب الحقة الجديرة بهذا الاسم ، وان كانت قد احتوت على صـورة مصغرة لجميع المآسى والفظائع ، وبخاصة بعد أن غدت حروب القرن العشرين ـ أيا كان حجمها ـ حروبا شاملة لا يشعر خلالها أى انسان مهما نأى عن خطوط المواجهة بالأمان ، ولا تنجو فيها أية بقعة من الخراب والدمار الذى يحتاج اصلاحه الى استنفاد كل ثروات البلاد وارغامها على الاستدانة من المولين الذين جمعوا أموالهم من تجارة السلاح ، ولا يظن أنهم سيرضون عن طيب خاطر باحلال السلام فى العالم •

واتضح بعد فترة قصيرة من الزمان أن جورباتشوف كان حالما مثل أقرانه اليوتوبيين ممن أضـافوا الى تراثنا العـديد من الأسفار الحافلة بالأوهام • ولست أظن أن جورباتشوف قد ندم على ما كتب ولمبالغته فى التفاؤل ، ولأنه لم يلق بالا الى ما تخبئه الأحداث لبلاده التى كانت مصابة بتخمة مرضية ، بعد أن جمعت بين أعراق مختلفة وورثت تركة ضخمة لم تحسن استيعابها ولم شملها ، وتوهمت أن السيطرة عليها لا تحتاج الى ما هو أكثر من تشديد القبضة الحديدية وكتم الأنفاس وازهاق أرواح المعارضين • وما لبثت عورة أوروبا أن انكشف أمرها بعد أن كانت تتخفى وراء المناظر السياحية الرائعة أو بعض مبتكرات التكنولوجيا •

ولا عجب بعد كل ذلك أن يجتذبنى عنوان كتاب كاشمان : لماذا تنشب الحروب ؟ وأغلب الظن أنه أيقظنى من سباتى الفكرى والفنى الذى عشت من خلاله سنوات طويلة ، وأعادنى الى صوابى والى بدايتى الأولى عندما اقتصرت قراءاتى فى بداية الحرب العالمية الثانية على التاريخ الحربى والاستراتيجية · وربما كان عثورى على هذا الكتاب ايذانا باختتام رسالتى فى عالمى التأليف والترجمة التى طافت بى فى مجالات شتى من الفكر ، ظننت أننى أحد من يرتادون تعريفها للقارىء العربى ، ان صح أن لى قراء بالمعنى الصحيح للكلمة ·

تمهيد واقرار بالفضل

غالبا ما يكون بمقدور المراجع الأكاديمية نسبة الأصل الذى انحدرت منه هذه المراجع الى الضرورة والشعور بالاحباط ! • ويصح هذا القول عن مشروع كتابنا ، فعندما شرعت في أواخر السبعينات في تدريس موضوع أسباب الحرب ، شعرت بالاحباط لعجزى عن تجميع مادته فى مجلد واحد يضـــم مختـــارات من الكتابات الممثلة للموضوع ، وتشتمل على مختلف النظريات والدراسات التى دارت حول الحرب ، وتناسب طلبتى • فلربما استطاع المرء الاهتداء الى نصوص تحقق الهدف عن نظرية العلاقات الدولية، وان لم تزد الأجزاء المتصلة اتصالا وثيقا بنظريات الحرب عن ثلث الكتاب، اذ تعمد المؤلفات المتعلقة بالحرب الى استبعاد نطاقات كاملة من البحث ، مكتفية بمستويات معينة من التحليل ، متجاهلة التحليلات الخاصة ببعض الدراسات الأكاديميـــة الموثوقة • وهـــكذا كانت بداية كتابنا عبـــارة عن ملخصات مقتضبة لطلبتى لسد مختلف الفجوات التى تتخلل الكتب التى أوصيتهم بالاطلاع عليها،وأحسن الطلبة الاستجابة لهذه الفكرة مما استحثنى على التوسع فى تقديم الملخصات •

وسعيت لتحقيق جملة أهداف كانت تراودنى أثنـــاء تنفيذ مخطط هذا الكتاب•أولا ــ أردت أن يتصف الكتاب بأكبر قدر مستطاع من الشمول، حتى يزود دارسى الصراع الدولى بأرحب عرض مستفيض للنظريات التى حاولت تفسير أسباب الحرب • ثانيا ــ رأيت أن تبين الدراسة وثوق الصلة والعلاقات البينية بين العلوم ، أى تمثل مواضع التداخل والتشابك بين شتى البحوث العلمية ، ومن ثم سيتم الجمع بين الإستبصارات والنظريات المتعلقة بعلم السياسة ونظريات البيولوجيا والاثولوجيا(*) وعلم النفس

(*) Ethology : ابتكر الفيلسوف الانجليزى جون ستيوارت ميل هذا الاسم للدلالة على العلم الذى يدرس مختلف اشكال السلوك البشرى فى انواع شتى من التنظيمات الأجتماعية ، ولا اعتقد انه شاع كثيرا •

(انظر كتاب : John Stuart't Mill بعنوان John Skoru Pski ص ٢٥٠) •

والانثروبولوجيا والاقتصاد والجغرافيا والتاريخ · ثالثا ــ آملت أن أتمكن من تقديم بعض ارشادات للدارسين، تساعدهم على استخلاص المزايا النسبية لهذه النظريات · رابعا ــ حاولت مراعاة أكبر قدر مستطاع من التبسيط والايجاز ، متجنبا الاستعمالات الأكثر اثارة للنفور فى رطانة العلوم الاجتماعية (وأعتذر مقدما عن أية هنات عفوية وقعت فيها فى هذه الناحية) · وأثبت تأليف هذا الكتاب أنه تجربة عظيمة الفائدة (وان طالت بعض الشيء) ، وآمل أن يتماثل معى القارىء فى الشعور بقيمتها ·

وما كان بالاستطاعة ظهور هذا الكتاب بغير المساعدات التى تفضل بتقديمها جمع هائل من علماء المسائل الدولية ممن تبحروا فى دراسة مسائل الحرب والسلام ، وزادوا من رقعة معرفتنا بها · وينتمى هذا الكتاب ــ فى الحق ــ اليهم ، وكم أدين فكريا لأساتذتى فى جامعة أوهيو وجامعة دنيفر (*) · وأدين بالفضل لأساتذتى من العلماء الذين اطلعوا على مسودات فصول عديدة · فلقد قرأت كارين فست محاولاتى الأولى ، ولم تضن ببعض انتقادات حصيفة شجعتنى تشجيعا صادرا من القلب · وقرأ عدة زملاء من جامعة ولاية ساليسبرى بعض الفصول ، وقدموا عونا ونصحا بالغ الكرم · ولقد استفدت عبر السنين من حكمة فيل بوسرمان ، وأنوه بصفة خاصة بدراسته لمشكلة العنف الدولى وأيضا دراسته للنواعم(**) وهو مصطلح غير عملى ولنظرية تسلسل الكلمات (***) ، ولا أنسى شكر طلبتى الذين أحسنوا الاستجابة لكتابتى ، وواصلوا بحث النقاط التى اعتقدت أننى استوفيتها · ولقد سمحت جامعة ساليسبرى باجازة لمدة دورة دراسية كاملة ، يسرت شروعى فى تأليف هذا الكتاب والاهتمام الحماسى بانجازه · وكشف كل من استعنت به من زملائى (****) عن بالغ الكرم · ولا أنسى التوجه بأخلص الشكر لجيمس روستو لتعليقاته التى جاءت فى موعدها ، ولما عانى من مشقة · فلقد أقنعتنى صلابته ولباقته بضرورة اعادة النظر فى أجزاء عديدة من الكتاب ، واعادة كتابتها · واكتسب الكتاب بفضله الكثير من المزايا ، التى لولاه لما توافرت له · وأخيرا فأننى مدين لزوجتى (ليندا) بالفضل ، لأنها ساعدتنى على الحفاظ على توازنى العقلى (!) أثناء نهوضى بمهمة التأليف والتنقيح ، ولذا أهدى الكتاب اليها ·

جورج كاشمان

(★) وأخص بالذكر منهم Harold Molineu و Arthur Gilbert و Karen Feste والمرحوم Fred Sondermann..

(★★) Soft ware....

(★★★) Word procession

(★★★★) Bruce Nichols و Peter Donerly, Poul O'Connell ولا سيما و Charles Hanson .

الفصل الأول

النظرية التجريبية وأسباب الحرب

ما ندعوه بالحكمة هو كل ما يتعلق بالعقل والأصول الأولية ·

أرسطو ·

هذا كتاب عن أسباب الحرب · وزيادة فى التخصيص ، انه كتاب عن أسباب الحروب بين الدول ، أو بين ما تتألف منه من ولايات · فلا بد أن يكون مفهوما أن العنف المنظم قد يتخذ أشكالا عديدة كحروب العصابات والحروب الأهلية داخل الجماعة الواحدة · أو العشيرة الواحدة والحروب الانفصالية وحروب التحرر الوطنى ، وأيضا الحروب بين الدول · واذا حاولنا تحليل أسباب جميع هذه الأشكال من العنف المنظم ، فستكون نتيجة ذلك فرض اطرادات وقواسم مشتركة أكثر مما تتضمنه هذه الأشكال · فهناك اختلافات متعددة بين هذه الأشكال المتنوعة ، وتكشف أسبابها بعد تحليلها عن فروق متباينة ، ومن ثم فاننا سنركز على الحروب بين الدول ونستبعد البحث فى الأشكال الأخرى من الحروب ·

ويستند أغلب ما سيجىء فيما بعد على الافتراض بأنه اذا تصورنا حدوث مساواة بين جميع العوامل والمؤثرات (وهو ما لا يحدث قط بطبيعة الحال) ، فسيصبح بالمقدور تجنب الحرب · وعلى الرغم من أن الحرب ملازمة لنا منذ عدد لا يحصى من القرون ، الا أن القدرة المتزايدة للحكومات لتعبئة شعوبها للحرب ، بالاضافة الى التزايد المستمر لتكنولوجية العنف الجماعى قد زادت زيادة جمة من القدرة التدميرية لحروب القرن العشرين · ومن هنا ظهر النداء الملح لعصرنا الداعى لتجنب حروب الدمار الجماعى · وتعانى الأهداف الأخرى تبعا لذلك · فكما ذكر جاك كوستو : لماذا نحمى الأسماك ما دامت الكرة الأرضية ستتعرض للدمار ؟ (١) · فاذا كان النداء الملح لعصرنا هو تجنب الحرب ، فان المأزق الأولى لعصرنا هو كيف نحقق

ذلك . وأول الأفكار التى سيتناولها هذا الكتاب هو أننا اذا أدركنا أسباب الحرب ، فستكون أفضل تهيؤا للحيلولة دون وقوعها .

النظـــرية التجريبيـــة :

لما كان هذا الكتاب يدور حول نظريات الحرب ، فلا غرو أن يكون أفضل المداخل للبحث هو تحديد المقصود بمصطلح « النظرية » (٢) . فلطالما سمعنا أحد أصدقائنا يقول : « عندى نظرية تبين لماذا خسرنا مباراة كرة السلة » ، أو « عندى نظرية عن سبب انتخاب جورج بوش رئيسا » . وفى أغلب الحالات ، فان ما يقصــد بالنظرية هو ما نســتطيع تسميته بالشعور الباطنى (*) ، والتخمينة المبنية على علم . وننوى فى كتابنا اطلاق كلمة نظرية على ما هو أكثر من الشعور الباطنى . فعلماء الاجتماع ممن يحللون معنى الحرب معنيون بنوعين من النظرية : « النظريات المعيارية » و « النظريات التجريبية » .

وتختص النظريات المعيارية بكيف يتعين أن تكون الأشياء . فهى تتناول الأخلاقيات والسلوكيات وأحكام القيم . وتختص بالمسائل المتعلقة بما هو صواب وما هو خطأ ، وبأى المسالك يصلح للتقبل وأيها يستأهل الرفض ، وبمقدور النظريات المعيارية أن تبحث مسائل مماثلة لمسألة هل توجد حرب عادلة (يستطيع تقبلها أخلاقيا) . ولو كان ذلك كذلك ، فما هى الشروط الواجب توافرها لها ؟ وما هى أنواع الممارسات والتقنيات القتالية المقبولة فى الحرب ، وأيها تعد لا أخلاقية ومتعارضة مع الأخلاق ؟ وتقع هذه التساؤلات فى دائرة اختصاص فلاسفة السياسة ، وعلى الرغم من أن مثل هذه الأسئلة ستثار بالضرورة فى سياق الكتاب ، فاننا سنركز بصفة أساسية على النوع الثانى من النظرية : النظرية التجريبية .

النظـــريات التجريبيـــة :

وتعرف أيضا بالنظريات السببية (العلية) . ولا تتناول هــذه النظريات كيف يتعين أن تكون الأشياء ، ولكنها تختص بكيف غدت الأشياء على هذا الحال . وتهدف النظريات التجريبية إلى تفســير السلوك . وفى حالتنا يقصد بالسلوك الحرب ، وبالرغم من وجود سبل عديدة للتفسير ، فان النظرية التجريبية ــ فى علم السياسة على أقل تقدير ــ تحتوى ضمنا على اتباع «المنهج العلمى» للبحث . فليس بالمقدور استناد الكشوف العلمية على الشعور الداخلى أو الحدوسى ، فمن الواجب أن تعتمد ــ عوضا عن

(*) Hunsh.

ذلك ـ على اختبارات صارمة قابلة للبرهنة • ولقد كيفت العلوم الاجتماعية المنهج العلمى المتبع فى العلوم اليقينية مثل الفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء حتى تناسب البحث فى السلوك السياسى • ويتضمن هذا المنهج اتباع أسلوب الخطوة خطوة الذى يستعمل عند محاولة كشف أسباب أية ظاهرة معينة • ولما كان الكثير من نظريات الحرب التى ستبحث فى هذا الكتاب قد نمت واختبرت اعتمادا على تطبيق المنهج العلمى ــ وبخاصة فى الفصول بين الخامس والتاسع ، لذا قد يكون من المفيد التزويد بتمهيد مختصر لطريقة البحث فى العلوم الاجتماعية •

المنهــــج العــــلمى :

ان نظريات العلوم الاجتماعية ـ بالضرورة ـ تفسيرات معنية بأسباب السلوك البشرى • وتشتمل نظريات الحرب على قضيتين : لماذا تنشب الحروب ، ولماذا توجد مثل هذه الصلة بين السبب والنتيجة • ومن الناحية المنطقية ، يستطاع انشاء النظريات باتباع ثلاث سبل مختلفة : بوساطة الاستقراء ، أو الاستنباط ، أو بالجمع بين الوسيلتين السابقتين • وفى حالة الاستقراء ، ينشىء المحلل النظرية اعتمادا على ملاحظة الوقائع (أو المعطيات) ، وينتقل من الخاص الى العام • وعندما تزداد معرفة الباحث بالحروب النوعية ، وبعد فحص الفروض ، يتم انشاء النظريات وتنقيحها • وفى الاســتنباط نلاحظ أن النظرية قد وضعت على أساس الاســتنتاج المنطقى ، الذى يسبق عادة استقصاء الوقائع الوثيقة الصلة بالبحث ، ويحتمل أن يتحقق ذلك عن طريق استنباط نظرية الحرب من نظرية أعم وأشمل عن العلاقات الدولية أو السياسية • وفى الواقع من يضع النظريات هم علماء يعملون فى كلا الاتجاهين : أى من القاع الى المستويات الأعلى ، اعتمادا على استقراء الوقائع المتعلقة بحروب بعينها ، ومن المستويات العليا الى القاع بالاستعانة بنظريات ومبادىء أعم •

فكيف تختبر النظريات ؟ فى العلوم الاجتماعية ، لا يحتمل اثبات صحة أية نظرية بصفة مطلقة ، ولكن بالاستطاعة اثبات زيف النظريات • فأساسا تختبر النظريات اعتمادا على اختبار الفروض المستمدة منها عن طريق الاستنباط • فاذا ثبت أن الفروض غير صحيحة ، فاما أن يكون الاستنباط خاطئا ، أو يكون هناك خلل فى النظرية • فاذا تعذر عدم اثبات الفروض ، فستكون النظرية قد أثبتت صحتها بصفة غير نهائية ، ويستمر قبولها الى أن تثبت عدم صحتها فيما بعد • ومن هنا تنزع النظريات الى ابطال العمل بها لسببين :

(أ) افتقارها الى ما يؤكدها •

(ب) حلول نظريات أفضل محلها ؛

وفيما بعد دليل سريع لكيفية العمل بالمنهج العلمي .

الخطوة الأولى : صوغ التعاريف التجريبية للتصورات :

ان كل نظرية عن الحرب تتعرف الى التصورات أو العوامل التى يعتقد أنها ذات أهمية تساعد على فهم سبب الحرب . وثمة اتجاهات للبحث تتحدد باعتبارها أجدى من الأخرى . وبالاستطاعة تحديد ماهية الأسئلة التى ستسأل ، وماهية العوامل التى تتميز بأهميتها ، أو عدم أهميتها عن طريق الاستقراء بعد دراسة المعطيات ، أو عن طريق الاستنباط من المبادىء العامة . غير أن كل نظرية تقوم بتخصيص بعض التصورات التى تعد أوثق اتصالا بأسباب الحرب من التصورات الأخرى .

والتصورات هى المصطلحات أو الكلمات التى تدل على فئات عامة من الأشياء أو الأفكار . فالحرب ذاتها تعتبر تصـورا . والأمر بالمثل فيما يتعلق بالدبابات وصناع القرار والدبلوماسيين والمدرعات وسباقات التسلح والتعبئة والتحالفات . أما الشخصيات ذات الصـفة المحددة فلا تنضوى تحت معنى التصورات . فمثلا الرئيس بوش والحرب العالمية الثانية ليسا ضمن التصورات . اذ تشير هذه المصطلحات الى جزئيات وشخصيات وأشياء بعينها ، أكثر من اشارتها الى فئة عامة من الظواهر .

يتعين لأغراض البحث منح التصـورات تعريفات تيسر تداولها واستخدامها فى الأغراض العملية ، أى يجب أن تعرف بالرجوع الى شىء ما يمكن ادراكه ادراكا مباشرا وقياسه بصفة مباشرة . وتثير هذه الحالة بالنسبة للتصورات التى يستطاع مشاهدتها بصفة مباشرة كالدبابات والدبلوماسيين والتعبئة والحـروب بعض المشـكلات . على أن بعض التصورات تتسم بكونها أكثر تجريدا ولا يستطاع ملاحظتها بصفة مباشرة . فمثلا ليس بالامكان ملاحظة تصورات مثل القوة والمكانة والردع والسيادة والديموقراطية والليبرالية بصفة مباشرة . ويحتاج وضع تعاريف متداولة لمثل هذه التصورات الى شىء من الحيلة .

فقيما يتعلق بتصـور مثل الحرب بين الدول ، من المرغوب عادة الاتيان بنوع ما من التعريف السهل التداول ، حتى يستطاع تحديد ماهية الحرب ، وتحديد نوعية العمليات العسكرية التى تنتمى الى فئات من الأفعال العسكرية الأقل جسامة من « الحرب » مثل المناوشات الحدودية . وعندما أقدم دافيد سنجر وملفين سمول على جمع بيانات عن الحرب بين

دولتين من الدول بين ١٨١٦ و ١٩٨٠ للحصول على معادل الارتباط COW للحرب ، عرفا الحرب - تداوليا - بين الدولتين كصراع يدور بين طرفين ، يتألف كل طرف منهما من دولة واحدة ، ويتجاوز عدد القتلى المرتبطين بالمعارك بين جميع المتحاربين الألف شخص • واتخذ هذا المعيار معيارا عمليا لتعريف الحرب بين أية دولتين • وربما طالبت بعض النظريات معرفتنا ما هو أكثر من نشوب حرب في زمان محدد ، اذ قد تقتضى الضرورة عند تعريف تصور الحرب التشديد على عنصر قسوة الحرب وحجمها وشدتها • وابتكر سنجر وسمول مؤشرات لكل عامل من هذه العوامل ، كقياس العنف بالرجوع الى عدد القتلى فى المعارك بين جميع من اشتركوا فى الحرب ، ومقياس الشدة بالرجوع الى عدد من قتلوا فى المعارك من كل دولة فى الشهر (٣) •

وهناك بعض تصورات يمكن تعريفها على نحو أفضل اعتمادا على استعمال أكثر من مؤشر • وقدرات أية أمة (التى يشار اليها بصفة تقريبية) من الأمثلة الحسنة الدلالة • فمن الناحية التصورية ، يعتمد تصور القوة على ما هو أكثر من القوة العسكرية ، ومن ثم فعندما نحدد تعريفا صالحا للتعامل به لقوة الأمة سنحتاج الى تضمين مؤشرات لخصائص متنوعة شتى لقوة الأمة • وبوسعنا وضع دليل لقوة الأمة يراعى فيه ما يأتى :

١ - الحجم الجغرافى - مقاسا بالكيلومترات المربعة •

٢ - الحجم السكانى مقاسا بعدد المواطنين •

٣ - التقدم التكنولوجى بعد الرجوع الى الانتاج السنوى للحديد والصلب (و - أو) استهلاك الطاقة •

٤ - القوة العسكرية المتمثلة فى عدد المجندين بالقوات المسلحة (و - أو) الميزانية السنوية للدفاع •

٥ - الاستقرار السياسى • ويقاس بالرجوع الى عدد الأشهر التى مضت بعد آخر تغيير للنظام الحاكم غير الدستورى •

وبالمثل ، فبالاستطاعة تعريف الديموقراطية تعريفا صالحا للتداول بوضع سلم لدرجة الديموقراطية السائدة فى البلد اعتمادا على مؤشرات مثل :

١ - درجة حرية الصحافة بالرجوع الى الجرائد المستقلة ومدى اقبال القراء على قراءتها •

٢ ـ درجة حرية المعارضة بالرجوع الى مؤشر عدد الأحزاب السياسية أو عدد السجناء السياسيين المودعين فى السجون بالنسبة لعدد المشتغلين بالسياسة .

٣ ـ درجة حرية الانتخاب . وتقاس اعتمادا على معيار وجود او اختفاء الانتخابات الشعبية المباشرة للوظائف التنفيذية الرئيسية والأجهزة التشريعية الوطنية ، ودرجة انتظام الانتخابات القومية ومتوسط عدد المرشحين لكل وظيفة ووجود أو غياب الاستفتاء ، أو اجراءات الاقتراع والتصويت العام .

٤ ـ درجة حرية الأفراد . وتبين من وجود ضمانات دستورية للحقوق المدنية الفردية والسياسية مثل حرية الرأى والتجمع والتصويت والتحرر من أية اجراءات غير قانونية أو قبض غير ثانوى .

٥ ـ اختفاء دور العسكريين فى العملية السياسية ، وتبين ضرر الحالة من وجود أو عدم وجود مرشحين عسكريين للوظائف العامة ووجود أو عدم وجود عمليات عسكرية لابطال نتائج الانتخابات .

ولا يخفى أن النتيجة التى ستتحقق فى مختلف الأمم ستختلف اختلافا بينا تبعا لهذه المؤشرات . اذ تختلف الأمم فى ناحية ما لديها من قوة ودرجة الديموقراطية . وعدد الحروب التى خاضتها ، ومن ثم فبالاستطاعة تسمية هذه التصورات بالمتغيرات . وهى الأشياء التى تتعرض للتغيير ، أى التى قد تتخذ قيما شتى . والهدف الأساسى من النظرية هو تفسير التغير . فمثلا ـ لماذا تتعرض بعض الدول لخوض عدد أكبر من الحروب (أو حروب شديدة العنف) أكثر من الدول الأخرى ؟ . فلولا وجود التغيرات ما دعت الحاجة الى أى تفسير أو ايضاح . فلو صح مثلا أن جميع الدول تتشابه فى ناحية ميلها أو استعدادها للحرب ، وصح أن أحداث الحرب تستمر طوال الوقت ، فقلما ستدعو الحاجة الى أى بحث علمى .

الخطوة الثانية : طرح الفروض :

تعد الفروض قضايا غير مبرهنة . فهى بالضرورة تخمينات عن العلاقة السببية لبعض المتغيرات . وبعبارة أخرى ، انها تخمينات عن نتيجة معينة أو مسلك معين (متغير تابع) يتحدد أو يحدث بفعل عامل ما أو مجموعة من العوامل (متغيرات مستقلة) . وربما أمكن الاهتداء الى الفروض عن طريق الاستقراء الذى يتم بملاحظة الأحداث والوقائع والبينات ، أو قد يهتدى اليها عن طريق الاستنباط بالتراجع أو الارتداد من نظرية سببية

عامة • وعادة تطرح الفروض اعتمادا على الجمع بين الاستنتاج الاستنباطي والاستقرائي •

وقد تتخذ الفروض أشكالا عدة • فمثلا قد تكون كلية (مطلقة) أو قد تكون احتمالية • ولننظر في بعض الأمثلة • فاذا انتزعنا هذه الأمثلة ، اما استقرائيا من معرفتنا بالماضي أو استنباطيا من فهمنا للنظرية أو من كلتا الوسيلتين ربما رغبنا في افتراض وجود صلة سببية بين الدول الديموقراطية والســـلام ، أو عكس ذلك ، أي وجود صـــلة بين الدول اللاديموقراطية والحرب • فلنستعن بهذا المثال لتصور انشاء الفرض • ويمثل ف١ الفرض عندما يتخذ شكل الصيغة الكلية :

ف١ = جميع الديموقراطيات تميل للسلام •

على أننا ربما نزعنا الى الاعتراف بأن هذا الحكم لا يعد صحيحا في واقع الأمر ، وأن هناك استثناءات لهذا الحكم ، ومن ثم فاننا قد نميل الى التخفيف من هذه الصيغة من الفروض ، ونعترف بوجود استثناءات • وفي العلوم الاجتماعية عموما يوجد القليل من الحقائق الكلية ، ومن ثم فاننا ننزع الى استعمال الفروض الاحتمالية لعكس هذه الحالة • وربما كان الفرض الأصح آنئذ هو :

ف ٢ = تنزع الديموقراطيات الى المسالمة •

وتدخل هذه الصيغة من الفرض فكرة الاحتمالية على الصلة بين الحدين • فبدلا من أن تطرح القـــول بأن الديموقراطيات تتصف دوما بالمسالمة ، فانها توحي بالقول باحتمال أن تكون الدول الديموقراطية أقرب الى المسالمة في معظم الوقت • ويطرح الفرض (ف ٣) في صيغة مختلفة اختلافا هينا :

ف ٣ = اذا كانت الدولة ديموقراطية ، فان هناك احتمالا كبيرا أن تكون مسالمة •

وتساعد اعادة صياغة المعادلة في صورتها الكلاسيكية « اذا كان ... سيكون » على تحديد الصلة بين المتغيرات المستقلة والتابعة • أما ف ٤ فانها تطرح تنويعا مختلفا اختلافا بسيطا لنفس القضية •

ف ٤ = كلما ازداد نصيب الدولة من الديموقراطية ، قل استعدادها لخوض الحرب •

ولقد دمجت هذه الصيغة فكرة عدم اتصاف الديموقراطية أو الحرب بالاطلاق • اذ يستطاع وضعهما سويا في مستمر (*) تحتوي فيه بعض الحالات

(*) Continum.

على أية صفة جزئية الى حد ما . وبعبارة أخرى ، انها تضم فكرة التنوع . فلربما اختلفت الدول في مقدار حظها من الديموقراطية . وقد تختلف أيضا في مقدار تجربتها للحرب خلال الزمان . ويوحي الفرض بأن أحد التنويعات (التنويع الديموقراطي المستقل) يفسر التنوع في التنويع الثاني (التنوع التابع ـ الحرب) .

الخطوة الثالثة : تجميع مادة البحث .

الخطوة الرابعة : اختبار الفرض :

بمجرد الانتهاء من صوغ الفروض يتوجب اختبارها على ضوء شواهد العالم الحقيقي . وهذه القاعدة هي جوهر المنهج العلمي : اذ تدعونا الحاجة الى معرفة هل تعد فروضنا صحيحة بالفعل أم غير صحيحة . وهل الصلة التي افترضنا وجودها بين متغيرين قائمة في الواقع ؟ وهل هناك تداع بالفعل بين المتغيرين ؟ وتسلم جميع هذه العناصر بأن لدينا شواهد من العالم الحقيقي بوسعنا الاستعانة بها لاختبار الفرض . وأحيانا تتطلب هذه المهمة جهدا هائلا للنهوض « بمجموعات البينات » التي تخص تساؤلات مثل التساؤل عن متى حدثت الحروب ، وما هي الشعوب التي حاربت منها ومدى ما وقع فيها من خسائر ، ونصيب بلدان بالذات من الديموقراطية ، في بعض أزمنة محددة . والقدرات السلطوية في كل دولة . وعندما يكون الحظ مواتيا فاننا نهتدي الى باحثين آخرين طرقوا نفس هذا النوع من البحوث المضنية .

ولابد أن يتميز اختبار الفروض بالجدية والصرامة ، يعني عليك أن تحاول اعتمادا على مختلف المناهج والطرائق اثبات عدم وجود الصلة ! ، فمن المسئوليات الملقاة على كاهل الباحث محاولة اثبات زيف فروضه . فليست وسيلة اثبات الفروض هي التنقيب في السجلات التاريخية للعثور على أمثلة مؤيدة للشواهد والأدلة (٤) . فليس من حقك أن تنسب صفة الصحة لأية واقعة بمجرد طرح وقائع مؤيدة لها . ولو اقتصر الأمر على ذلك ، لهانت مهمة البحث ! ، فعليك بدلا من ذلك أن تجد في البحث عن أمثلة تنقض الفرض ، ولن يكون بوسعك ادعاء النجاح الا اذا ثبت أن بحثك عن الدليل المعارض لم يثمر .

فكيف نتابع جهدنا في اختبار الفروض عن الصلة المسلم بها بين الديموقراطية والسلام ؟ لو أننا بدأنا بالفرض الكلي الذي مؤداه أن جميع الديموقراطيات مسالمة ، لباتت مهمتنا المباشرة هي تحديد ماهية الدولة التي

تنطبق عليها صيغة الديموقراطية ، وتحديد مقومات السلام • وهذه مسائل تتبع التعاريف التى تكتسب من الممارسة العملية ولنحاول حلها فى عجالة تيسيرا للمحاجاة على نحو بسيط نسبيا : الديموقراطيات هى الدول التى أجرت بلا انقطاع أو توقف انتخابات منتظمة للمؤسسات التشريعية فى السنوات العشرين الأخيرة ، اشترك فيها مرشحون من أكثر من حزبين أو يزيد • وسوف يعرف السلام بأنه اختفاء المشاركة فى الحرب فى السنوات العشرين الأخيرة ، مع تعريف الحرب بأنها نشوب قتال مع دول أخرى ، تمخض عن سقوط أكثر من ألف من الضحايا من الدولتين المتقاتلتين أو يزيد •

ولو صدق هذا الافتراض الكلى ، فاننا سنكتشف بعد فحص البينات عدم وجود أى نظام ديموقراطى تورط فى الحرب ، وأن جميع الدول التى تورطت فى الحرب كانت بلدانا غير ديموقراطية • ويبين الجدول المبين أدناه كيف تظهر مثل هذه البينات لو صح هذا الافتراض الكلى •

ولقد ذكرنا آنفا ان هذه النتيجة غير محتملة الحدوث فى العالم الحق ، وأن بعض أنماط الفروض الاحتمالية هى الأقرب للحدوث • ولنعد النظر فى الفرض (ف٤) ومؤداه أنه كلما ازداد نصيب الدولة من الديموقراطية، قل احتمال خوضها للحرب • ونكرر القول بأن مهمتنا المباشرة (بالاضافة الى تجميع البينات المناسبة للبحث) هى تحديد التعاريف المكتسبة مما يحدث بالفعل للديموقراطية والحرب • فلم تعد الديموقراطية والحرب حدين ثنائيين يتغيران بتغير أى حد منهما • وبعبارة أخرى اننا لم نعد ننظر اليهما كمتغيرين ينحصر تقييمهما بين حالتين : حالة عدم الوجود وحالة الوجود • فلابد أن توضع صياغة للمتغيرين تسمح باكتسابهما قيمة متدرجة من الناحية العددية • اما بالتدرج حسب المرتبة (رتبوى) أو تدرجا فاصليا تمثل فيه الأعداد وقيما حقة • ولنفترض أننا بعد جهد شاق وبعد قدح زناد أفكارنا استطعنا الاهتداء الى مقياس رتبوى تقريبى لمؤشرات دولة على وجود الديموقراطية مثل حرية الصحافة وحرية المعارضة وحرية الانتخابات وحقوق الأفراد • ولنفترض أننا سنحصل على المؤشر الدال على الديموقراطية الجامعة من متوسط مجموع بلد طبقا لما ستبينه هذه المؤشرات الأربعة المنفصلة • وليكن المؤشر الذى اخترناه لقياس الحرب هو عدد الحروب التى خاضتها الدولة خلال السنوات العشرين الماضية • وسنحصل فى هذه الحالة على مقياس رتبوى للديموقراطية ومقياس « فاصلى » للحرب وسييسر لنا ذلك الشروع فى جملة اختبارات متنوعة التعقيد والارتقاء لتقرير صحة فروضنا •

وربما أمكننا البدء بترتيب البينات على نحو يساعد على تحليلها بمجرد القاء نظرة عليها • ويكفى لانجاز هذه المهمة الرجوع الى جدول يضم ثلاثة حدود ، ولا يحتاج الى اصدار بعض الأحكام العفوية وليكن تقويمنا للبلدان على النحو الآتى : البلدان التى تحصل على المجموع من صفر الى ٣ر٠ فى مقياس الديموقراطية تعتبر دولا لا ديموقراطية • وتوصف الدول التى تسجل من ١ر٣ الى ٥ر٦ بالدول الديموقراطية نوعا • أما التى تسجل من ١ر٦ الى ٩ فتعتبر ديموقراطية • ولنتبع ــ بالمثل ــ نفس الأسلوب فى بحثنا للمتغير الآخر : الحرب • فاذا كان متوسط عدد الحروب التى خاضها البلد فى فترة تزيد عن عشرين سنة واحدا ، فاننا سنعرف السلام بأنه يمثل اختفاء الحروب (عدد الحروب صفر) • أما فى حالة الحرب الواحدة فتعنى أن البلد أميل نوعا للحرب • واذا زاد العدد عن ذلك ، فانه سيفسر على أنه من دلائل ولع البلد بالحرب • واذا أردنا التيقن من هذه الصلات ، فسيتوجب أن يتخذ الجدول الثلاثى الحدود شكل الجدول المبين فيما بعد •

واذا صنفنا البينات فى جدول ثنائى الحدود أو ثلاثى الحدود ، ــ كما فعلنا ــ فاننا سنكون قد بدأنا بداية حسنة ، غير أننا سنحتاج الى اختبارات معقدة أشـــد ، وسيحتاج الباحثون الى الاستعانة باختبارات احصائية شتى ، لتقدير مدى الارتباط بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ، ولتقرير هل جاء هذا الارتباط مصادفة أو عشوائيا • على أنه من الأفضل فى أغلب الظن التوقف عند هذه النقطة قبل خوض أغوار أعمق أكثر مما صادفنا حتى الآن فيما يتعلق بمشكلة المنهج •

ولقد ذكرنا أن الحاجة تدعو الى اجراء اختبارات شتى وليس من شك فى وجود وسائل عديدة لاختبار نفس الفرض الأساسى • فمثلا هناك افتراض منطقى عن العـــلاقة التى اهتدينا اليهـــا نظريا بين الحرب والديموقراطية ، تبين لنا أن تورط أى بلد فى الحرب يختلف باختلاف

جدول ١

(العلاقة الكلية المفترضة بين الديموقراطية والحرب)

	الدول الديموقراطية	الدول غير الديموقراطية
الســـــلام	س	صـــفر
الحـــرب	صـــفر	س

مستواها الديموقراطى • ويفهم من ذلك أن غلبة الميل للحرب عند أية

دولة تختلف باختلاف مستواها الديموقراطي ، وابان العهود التى يسودها الحكم غير الديموقراطى أكثر من غلبتها خلال العهود التى تنعم بالديموقراطية ٠ فلابد أن يزداد جنوح البلدان الى المسالمة بمجرد نزوعها الى الديموقراطية ٠ أما البلدان الديموقراطية التى تصاب بنكوص الى الحكم السلطوى ، فانها تغدو أكثر جنوحا الى الحرب ٠ وفضلا عن ذلك ، ولما كانت الدول الديموقراطية ـ فى زعمنا ـ مسالمة نسبيا ، فان الحرب بين أية دولتين ديموقراطيتين ستضحى نادرة الحدوث ، أو تختفى تماما ٠ ولابد أن تدعم مثل هذه الاختبارات لفروضنا ثقتنا فى صحة الاختبارات الأصلية ٠

جدول ٢ عن العلاقة المفترضة

بين درجات الديموقراطية ودرجات الحرب

	الدول الديموقراطية	الدول الديموقراطية نوعا	الدول غير الديموقراطية
لا حروب	العديد من الحالات	بعض الحالات	لا حالات
حرب واحدة	بعض الحالات	بعض الحالات	بعض الحالات
حربان أو أكثر	لا حالات	بعض الحالات	العديد من الحالات

ثمة تحذيران لابد من ذكرهما عند هذه النقطة ٠ أولا ـ عندما اعتمدنا على متغير واحد لتفسير الحرب على سبيل التبسيط ، فان التفسيرات متعددة المتغيرات للحرب يحتمل أن تكون هى الأقوى ٠ فلما كانت المسالك الاجتماعية والسياسية شديدة التعقيد ، فانها لا تتجاوب البتة لتفسير حالات الاعتماد على عامل واحد فحسب ٠ ولقد ساقت عشرات السنين من البحث معظم المحللين للعلاقات الدولية الى رفض تفسيرات الحرب المرتكزة الى سبب أوحد ٠ فمثلا رأى دافيد سنجر صاحب النظريات فى العلاقات الدولية أن علينا الابتعاد عن تصور السببية أو العلية ، بعد أن أصبح مرتبطا بالبحث عن سبب أوحد للحرب ، وأن علينا ـ عوضا عن ذلك ـ أن نعيد توجيه جهودنا نحو الكشف عن « تفسيرات » ٠ وقد استعمل مصطلح تفسيرات للدلالة على رد الحرب لأسباب متعددة ، وللدلالة أيضا على احتمال حدوث الحرب لسبب عشوائي وبفعل المصادفة (٥) ٠

والتحذير الثانى هو أن الربط الاحصائى بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة لا يعنى آليا تأكيد وجود صلة سببية ٠ فمثلا ربما اكتشفنا صلة احصائية عكسية بين كثافة الشعر عند الزعماء السوفيت

والميـل نحـو الاصـلاحات الليبرالية . إذ كان لينين وخروتشـوف وجورباتشوف من المصلحين الصلع . أما ستالين وبرجنيف وتشيرنينكو فكانوا من المحافظين أرباب الشعر الكثيف . وربما اكتشفنا صلة احصائية موجبة بين عدد العمال أصحاب الرداء المميز في مدينة نيويورك وفظاعة الحروب في النظـام الدولي . وهـذا لا يعني أن الصلع وراء الاصـلاح السياسي ، أو أن انتعاش صناعة التنورات القصيرة وراء الحروب شديدة الشراسة . فليس بالمقدور اقامة استدلالات سببية الا في ثلاث حالات :

١ ـ عنـدما تكون هناك فسـحة من الوقت بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة . ومن الناحية المنطقية لابد أن يسبق العامل السببي المحتمل النتيجة المترتبة عليه .

٢ ـ هناك متغيرات يمكن اثبات عدم ارتباطها بالمتغير التابع .

٣ ـ بالاستطاعة قيام احدى النظريات بالتفسير المنطقي والمستصوب للعلاقة التي رئي وجودها .

عود على بدء للنظرية :

اذا تأيد الفرض مرارا من قبل ملاحظين مختلفين يعتمـدون على اختبارات أو معايير مختلفة ، في هذه الحالة يكون الفرض قد بلغ مرتبة **القانون** أو التعميم . فالقوانين عبارة عن فروض مؤيدة تدل على وجود صلة بين متغيرين . وقد تكون القوانين كلية أو احتمالية مثل الفروض التي استندت اليها . على أن القوانين لا تعني ما هو أكثر من الدلالة على وجود صلة بين متغيرين (أو أكثر) ، ولكنها لا تفسر سبب وجود هذا الارتباط ، ومن ثم فان الحاجة تدعو الى التزود بنظريات تتقدم بهذا التفسير . فلما كان علماء السياسة مولعين بالقول : « بأن البينات (المعطيات) لا تتحدث قط عن نفسها » لذا فلا وجود لتفسير حتى اذا لم توجه النظريات . تصور أننا اكتشفنا علاقة قوية بين الحروب وما سبقها من سباق للتسلح ، فماذا بعد ذلك ، وكيف نفسر هذه الحالة ؟ ما الذي يتضمنه سباق التسـلح من مؤشرات تدعونا الى تصـور احتمال قيام الحرب ؟ . وبالمثل افترض أنه قد اتضـح وجود علاقة بين الـدول الديموقراطية والسـلام ، فكيف تفسر هذه الحالة ؟ هذا هو نطاق **عالم النظرية** .

ولقد ذكرنا آنفا أنه كثيرا ما لا تطرح النظريات جانبا الا ريثما تحل محلها نظريات أفضل . وعلى القارىء أن ينتبه الى امكان وجود أكثر من نظرية قادرة على تفسير مجموعة من الوقائع والعلاقات . وربما صادفنا وجود عدة نظريات في ذات الوقت تتبارى بعضها مع بعض ، لتفسير نفس

المجموعة من الوقائع فمثلا ـ اذا اكتشفنا وجود علاقة بين سباقات التسلح والحرب ، فان عدة نظريات قد تدعى تفسير كيف أدى سباق التسلح الى حدوث الحرب • ولا يستبعد أن تكون النظرية السائدة هى أن سباقات التسلح تدفع الى حدوث الحرب ، لأنها تزيد التوتر والريبة والخوف المتبادل بين البلدان المعنية • فقد تولد هذه الحالة أو تزيد من تفاقم العداء الحلزونى بين المتسابقين فى التسلح ، ويتصاعد العداء الى أن يصل الى درجة أعظم من الصراع والعنف يؤدى الى اشتعال الحرب ، ومن ثم يكون هناك ارتباط بين سباقات التسلح والحروب ، وان كانت لا تعد سببا مباشرا لاشتعالها • ويقتصر دورها على زيادة تعقيد وتفاقم أحوال أخرى أشد ارتباطا بصورة مباشرة بالحرب • على أن البديل لذلك هو أن يكون الارتباط بين سباقات التسلح والحرب أكثر مباشرة • فلا تستبعد المخاطرة بالقول بأن زيادة تعزيز الأسلحة ، تؤدى الى حدوث ضغوط بيروقراطية لاستعمال هذه الأسلحة المجمعة والمتراكمة • وقد تشعر المؤسسات العسكرية والمتعاونون معها من رجال الصناعة والسياسة، بالحاجة الى تبرير ما يستنزف من أموال لشراء الأسلحة ، بالالحاح على شدة الحاجة الى تكديس الأسلحة ، وتكون الوسيلة الناجعة الوحيدة لاثبات هذه الحاجة هى الاشتباك فى قتال على نطاق واسع • وقد تثير صفوة المشتغلين بالمسائل العسكرية والسياسية والصناعية الدعوة لسباق التسلح لجنى منافع اقتصادية ، ولزيادة سلطانهم ورفع مكانتهم داخل مؤسساتهم ، ثم يستغلون نفوذهم لدفع الأمة الى الاستعمال الفعلى للقوة العسكرية ، حفاظا على سلطانهم وزيادة أرباحهم الاقتصادية •

ولقد اتبعت هاتان النظريتان التفسيريتان اتجاهات بعيدة الاختلاف فى الاستدلال ، ومثلتا مستويين مختلفين من مستويات التحليل • وهما تؤديان الى اتباع افتراضين واختبارين مختلفين مما ييسر منطقيا تقرير أى النظريتين هو الصحيح •

ولقد ذكرنا أن النظريات تجنح الى احلال نظريات أخرى محلها بمرور الزمان • ولنعد الى السؤال عما يدفعنا الى تفضيل احدى النظريات على الأخـرى •

تقييم النظريات ومقارنتها :

لا تتساوى جميع النظريات فى حظها من السداد • ولما كان القارىء سيواجه فى الموازنة التى يتضـمنها هذا الكتاب مجموعة من النظريات المتنافسة التى تزعم القدرة على تفسير أسباب نشوب الحرب ، لذا بات من الضرورى مراعاة بعض المعايير التى تتصدى للحكم على القيمة النسبية

لهذه النظريات • فمن بين خصائص النظرية الحسنة ما سنذكره فى التو • وبينما لم تتخذ هذه المعايير عند طرحها أى نظام محدد ، فان المعايير التى اعتبرها المؤلف صاحبة النصيب الأوفر من الأهمية ستجئ فى نهاية القـائمة •

١ ـ النظريات الحسنة هى التصورات المحددة تحديدا جديدا بحيث تصلح للتطبيق العملى •

٢ ـ تتميز النظريات الحسنة بوضوحها ودقتها •

٣ ـ وببساطتها أو تركيزها فى كلمات قليلة • فهى تفسر الظواهر اعتمادا على عدد قليل من المتغيرات ، وبأقل قدر مستطاع من التعقيد • وعلينا ـ فيما يحتمل ـ ألا نسرف فى اعتزازنا بهذه المعايير بعينها ، لأن العالم ذاته لا يتميز ببساطته وحسن تدبيره • وقد يؤدى الغلو فى التبسيط فى أية نظرية الى فقدان قدرتها التفسيرية •

٤ ـ يتعين أن تتصف النظرية الحسنة بمعقوليتها • فعليها أن تساعد على تنشيط حسنا الحدسى ، وألا تتحدى بقوة احساسنا بالممكن والمحتمل •

٥ ـ لابد أن تتصف النظريات الحسنة بتوافقها المنطقى •

٦ ـ وجوب صلاحيتها للاختبار والبرهنة (ومن ثم فلابد أن تتقبل النقد والنقض) •

٧ ـ تتصف النظريات الأفضل عادة باعتمادها على أكبر قدر من الأدلة التجريبية لتدعيمها • وكما سنكتشف توا ، فان الدليل المتعلق بصحة معظم نظريات الحرب يكون أقرب الى الخلط ، والتناقض فى بعض الأحيان • ويمثل جانب الكيف والكم فى الدليل المؤيد عاملا مهما فى تقييم نظريات الحرب ومقارنتها •

٨ ـ عادة ما يكون بوسع النظريات الحسنة تفسير « انحرافات » النظريات الأخرى ، أى الفجوات أو الثغرات ، أو كل ما لا يقبل التفسير ، أو المفسرة تفسيرا سيئا وغيرها من النظريات •

٩ ـ كلما زاد حظ النظرية من التصميم ، كان هذا أفضـــل • والنظريات الحســنة تفسر ما هو أكثر مما كان بمقدور النظريات التى سبقتها تفسيره ، وتنطبق على مدى زمنى أوسع ومجال أكبر • ويهدف انشاء النظرية الى خلق نظرية عامة للحرب ، تصلح للتطبيق على نزاعات الدول فى جميع البقاع الجغرافية للعالم ، خلال المدى الزمنى الذى عاشته

الدول . وتتمتع مثل هذه النظريات بميزة امكان تطبيقها فى عالم لا يعرف الحدود الثقافية والجغرافية والزمنية الا فى أضيق نطاق .

١٠ ـ غالبا ما يكون بوسع النظريات الحسنة اقامة معابر للنظريات الأخرى ، بفضل قدرتها على التزويد بوسائل للربط بين نظريات عديدة عبر مستويات شتى من التحليل . وعندما يقترب القارىء من الفصول الأخيرة من هذا الكتاب سيتضح جليا أن أصحاب الأدوار الفعالة والظواهر فى مستويات عدة يضطلعون بأدوار فعالة فى مسببات الحرب . ولقد أثبتت النظريات القائلة بوجود عامل أوحد وراء الحرب ، وأيضا نظريات الحرب ذات المستوى المفرد ، أثبتت جميعا عدم كفايتها فى مهمتها ، ومن ثم يتعين أن تراعى أية نظرية شاملة حقا للحرب العوامل المؤثرة عليها فى مستويات عديدة من التحليل .

تشبيه النظريات بالجزر :

لقد اتصفت نظريات العلاقات الدولية فى الأغلب بكونها نظريات متوسطة المدى ، أكثر من كونها نظريات كبرى ذات طابع أشمل يحاول تفسير نطاق متسع من الظواهر . وتركز معظم نظريات الحرب على سدى محدود من المسالك فى مستوى مفرد من التحليل يشتمل على أقل قدر مستطاع من المتغيرات . فمثلا قد تنزع النظريات متوسطة المدى الى محاولة تفسير العلاقات بين التحالفات والحرب ، وبين الردع والحرب ومدركات صنع القرار والحرب والتحديث الاقتصادى والحرب .. وهلم جرا . وعلى الرغم من أن الصلات بين هذه النظريات متوسطة المدى قد وضعت فى الوقت الحالى على أساس واهن ، فان معظم أصحاب النظريات يزعمون أن تجميع النظريات متوسطة المدى فى مختلف مستويات التحليل سينتهى بها الأمر الى الالتقـــاء والارتباط فى نظريات جمة التعقيد والتركيب والارتقـــاء . على أن تشبيه هـــذا الضرب من النظـــريات بالجزر (*) سيظل مقبولا وملائما :

« نحن نتشابه فى تعاليمنا وأبحاثنا مع مسافرين فى (ذهبية) يلفون ويدورون بين جزر منعزلة من الفكر النظرى ، يقتصر ما بينها من روابط على كونها قائمة ضمن محيط واسع من المسالك الدولية وربما اتخـذ بعض أصحاب النظريات محل اقامة دائما على جزيرة أو أخرى ، ويستمر آخرون فى التنقل ، ولكن قلائل يحاولون انشاء معابر . ولعل مرجع ذلك هو تباعد الجزر بعضها عن بعض (٦) » .

(*) وعلى الأخص ما ذكره Synder و Diesing .

التنبـــؤ :

وأخيرا لابد من ذكر كلمة أو كلمتين عن التنبؤ • فمن بين أهداف التنظير عن الحرب القدرة على التنبؤ بشيء من اليقين عن متى ستحدث الحرب وأين • وقد يكون التقدم في نظرياته أسباب الحرب عظيم الفائدة في هذه الناحية ، ولكن النظرية لا يلزم بالضرورة انشاؤها من أجل التنبؤ ، فليس من الضروري لنا أن نعرف لماذا أشرقت الشمس كل صباح من الشرق في الآلاف العديدة من السنوات التي مضت ، لكي نتنبأ بأنها ستعاود الشروق في صباح الغد في نفس الموعد مثلما حدث اليوم • كما أننا لسنا بحاجة لمعرفة ما الذي يحدث المد والجزر لكي يتسنى لنا التنبؤ بحدوثه بأي قدر من الدقة • فيكفينا أن نتعرف على العلاقة والأنماط دون أن تتوافر لنا القدرة على تفسير لماذا وجدت العلاقة •

ومن ناحية أخرى ، فان الأحداث المفردة لا تصلح للتنبؤ • اذ لا يناسب التنبؤ غير الأحداث النمطية المنتظمة • والواقع لو كانت جميع الأحداث فريدة ، فستكون لها أسباب فريدة ، وسيكون للتفسير والتنبؤ بما يجري لفئات من الأحداث مثل الحروب على نحو عام القليل من النفع • ومن بين المزاعم الأساسية لعلماء السياسة اعتقادهم أن الأحداث ليست فريدة ، وأن الظواهر السياسية لا تحدث عشوائيا • وبدلا من ذلك ، فانها تعاود الحدوث في أنماط واتجاهات يمكن التعرف عليها • وبالمقدور اكتشاف متشابهات محددة في مسلك الشعوب • ولو صح أن هذه المزاعم زائفة ، فلن يكون من المستطاع الاهتداء الى ما هو أكثر من تفسير كل حرب على حدة ، وسيكون سبب كل حرب مختلفا بالضرورة •

مستـــويات التحليـــل :

بالامكان العثور على مفاتيح سبب الحرب في مواضع شـــتى وبالاستطاعة القول بأن أسباب الحرب قائمة في عدة مستويات للتحليل • وبينما توجد نظرات مختلفة لعدد مستويات التحليل وهويتها ، الا أننا سنفحص نظريات الحرب في مستويات خمسة : المستوى الفردي ـ ومستوى المجموعة الصغيرة ـ ومستوى الدولة ـ وحالات التفاعل بين دولتين ـ والنظام الدولي • وبالمقدور النظر الى هذه المستويات من التحليل كمستويات للتجمعات • فكل مستوى يتألف من وحدات أكبر وأكبر من المستوى الذي سبقه وبذلك يصح القول بأن الجماعات الصغيرة تتألف من تجمعات من الأفراد • وتتألف الدول من تجمعات من عدة جماعات • والتجمعات الثنـــائية من دولتين • وتتألف الأنظمة الدولية من التفاعل المشترك للعديد من الدول •

وفى كل مستوى ، يسعى كل نمط من النظريات لتفسير أسباب الحرب . ففى المستوى الفردى يقال ان التنافس الأساسى وراء الحروب يرجع الى طبيعة البشر ، أو للطبيعة الخاصة لبعض الزعماء الأفراد الذين يسوقون دولهم الى الحرب . وفى مستوى الجماعة الصغيرة ، يقال ان الأفراد نادرا ما يكونون مسئولين عن قرارات خوض الحروب . وبدلا من ذلك ، فان هذه القرارات تكون من صنع مجموعات صغيرة نسبيا من العاملين ضمن الحكومات القومية . واذا أردنا التعرف على سبب الحرب ما علينا الا أن نسعى لفهم السبيل الذى تسلكه هذه الجماعات الصغيرة للاهتداء الى قراراتها . وفى مستوى الدولة ــ الأمة ، فان القاعدة هى وجود شىء ما فى طبيعة دولة بعينها يدفعها الى اتباع مسلك عدوانى ، أو تكون أميل للحرب أكثر من الدول التى تفتقر الى هذه الصفات . وفى مستوى التفاعل الثنائى بين الدول لا تعد طبيعة الدول أو الأفراد فى ذاتها هى المسئولة عن الحرب . اذ يرجع ذلك الى طريقة التعامل بين الدولتين . فهى التى تقرر هل ستحدث الحرب أم لا . ويجىء التركيز أساسا على أنماط التفاعل : فهى التى تتصاعد فى الشدة والعداء وتؤدى الى الحرب . وأخيرا ــ فى مستوى النظام الدولى ، ينظر الى الحرب على أنها حصيلة بعض جوانب من تكوين النظام الدولى ذاته ــ أى التوازن فى القوى داخل النظام ، والتكوين الهرمى للمراتب والنفوذ والسلطة داخل النظام ، أو لدورات النمو الاقتصادى والركود الاقتصادى الكامن فى تكوين النظام الدولى .

وسننتقل فى كتابنا من المستوى الفردى ومن خلال مستوى النظام الدولى بحثا عن أسباب الحرب وسيتناول الفصل الثانى والفصل الثالث المستوى الفردى للتحليل . ويتناول الفصل الرابع اتخاذ الجماعات الصغرى للقرار داخل الحكومة . ويتناول الفصل الخامس الصفات القومية . ويختص الفصل السادس والفصل السابع بالتفاعل الثنائى بين أية دولتين . ويركز الفصل الثامن على النظام الدولى . ويجمع الفصل العاشر بعض الاستبصارات المنتزعة من هذه المستويات من التحليل .

هوامش الفصل الأول

(١) وردت في مجلة St. Louis Post Dispatch في ١٢ أبريل ١٩٨٥ ص ٢ – واستشهد بها Ronald J. Glossop في كتابه : Confronting War : An Examination of Humanity's most Pressing Problem. (الطبعة الثانية ١٩٨٧) ، ص ٣ .

(٢) هناك فصلان ممتازان عن نظرية العلاقة الدولية ، الأول لميشيل ب. سوليفان في كتاب International Relations : Theories & Evidence ١٩٧٦ والثاني كتاب Theory of International Politics-Kenneth N. Waltz الفصل الأول .

(٣) انظر J. Davidsinger و Melvin Small في كتاب The Wages of War (1816 - 1965) دراسة احصائية ، ١٩٧٢ .

(٤) Sullivan ص ٩ .

(٥) J. David Singer – مقدمة للمؤلف وبعض العلماء في تفسيرات الحرب ضمن كتاب Selected Papers from the Correlates of War Project (١٩٧٩) – انظر ايضا : David Dessler : Beyond Correlations في مجلة International Studies الفصلية العدد ٣٥ سبتمبر ١٩٩١ ، ص ٣٣٧ – ٣٥٥ .

(٦) Glenn H. Synder و Paul Diesing في كتاب Conflict Among Nations (١٩٧٧) ص ٢١ – ٢٢ .

الفصل الثانى

الطبيعة العدوانية

اعتدنا ان نتساءل اين تكمن الحرب ، وما الذى
جعلها تبدو شديدة الحقارة . ولقد ادركنا الآن
اين يكمن اصل الحرب . انه داخل نفوسنا .
« ألبير كامى » .

كثيرا ما نسمع تعليقات مثل القول : « ستستمر الحرب فى الوجود لأن البشر حيوانات عدوانية . فما دام هناك بشر ستظل الحروب سائدة » أو « مادام هناك مهووسون مثل هتلر أو صدام حسين على رأس بعض الحكومات ، سيستمر العدوان » . وترد مثل هذه الآراء سبب الحروب الى طبيعة الانسان بوجه عام ، أو الى طبيعة انسان بعينه . وبينما تشترك هذه الأحكام الصادرة من مصدرين مختلفين فى رد أسباب الحرب الى أناس من البشر ، الا أنهما تصور نوعين مختلفين للغاية من النظريات . ففى الحق أنهما يشيران الى مستوى من تحليل الاختلاف يتبع « المستوى الفردى للتحليل » (١) .

ان من يعتقدون أن السبب الرئيسى للحرب يرجع الى أن البشر عدوانيون بطبعهم انما يتبعون موقفا يرى أن جميع الرجال (والنساء) متماثلون . فلا اختلاف بين الزعماء القوميين الذين يتخذون القرار لخوض الحرب وبين عامة الجماهير . فهم يشتركون مع جميع البشر فى نفس الصفات العدوانية التى يتصف بها النوع البشرى . وتؤثر هذه الخاصية الجماعية للعدوان البشرى على عملية الحرب فى المستوى الأكبر للفعل الجماعى .

ومن ناحية أخرى ، فان من يعتقدون أن السبب الجذرى للحرب لابد أن يوجد فى الخصائص الشخصية لسيكولوجية الزعماء القوميين أنفسهم ، يحاجون بالقول بأن البشر ليسوا جميعا متماثلين . فاختلاف الفرد له أثره . وثمة اختلاف بين تزعم أدولف هتلر لألمانيا وتزعم هلموت كول لها ، مثلما يختلف الحال بين قيام جوزيف ستالين بحكم الاتحاد السوفيتى (السابق) وحكم ميخائيل جورباتشوف له . وعلى هذا ينظر الى العدوان كخاصية فردية أكثر من كونه خاصية جماعية ، أو يدرك أثره على الحرب فى المستوى الأصغر (الميكرو) لصناع القرار الذين يمسكون بزمام القدرة على الاختيار بين الحرب والسلام .

ولنبحث الفكرتين كلا منهما على حدة • وسيكون العدوان كخاصيه عامة للبشر موضوع الفصل الثاني • وسنبحث عن العلاقة بين الفرد والمصادر السيكولوجية للحرب في الفصل الثالث •

هل تعد الكائنات البشرية عدوانية بطبعها ؟

سعى الفلاسفة وعلماء اللاهوت عبر السنين لتفسير عدوانية الآدميين اعتمادا على تفسير طبيعة البشرية (٢) • ووصف الفيلسوف الانجليزي في القرن السابع عشر توماس هوبز في كتابه الخالد الملواتيان الأحوال المعيشية في حالة الطبيعة ، يعني في المجتمعات البدائية قبل ظهور الحكومات « كحرب يشنها كل آدمي ضد الآدمي الآخر » • ولقد انبثق الصراع المستمر ــ تمشيا مع ما قاله هوبز ــ من طبيعة البشرية • فالبشر مشغولون بأنفسهم وأنانيون وطماعون ولا يهتمون بغير اشباع شهواتهم • فالدافع الأساسي للانسان هو الكسب الشخصي والمجد • ولاحظ القديس أغسطين أيضا القدرة الفائقة للانسان على الحاق الأذى بالآخرين ، والاعتداء عليهم • ويبدا هذا الميل للشر لأغسطين في حاجة الى تفسير لاهوتي ، يعني ارجاعه للخطيئة الأزلية • اذ ترتبط الطبيعة العدوانية للانسان ارتباطا مباشرا بالسقطة من عناية المشيئة الالهية في جنة عدن • وجاء الفيلسوف الهولاندي اسبينوزا في القرن السابع عشر برد مقابل لذلك ، تضمن القول بوجود صراع هائل داخل الانسان بين قوى الهوى والقوى العاقلة ، ومن سوء الطالع أن الهوى غالبا ما ينتصر على العقل •

ولاحظ علماء النفس في باكورة عهد هذا العلم أن القتال والحرب يشبعان احتياجات مستبدة الجذور عند الأفراد والمجتمعات • انها احتياجات من المفروض أنها فطرية عند جميع بني البشر • وليس بالامكان قمع هذا الدافع العدواني ، ولكن بالاستطاعة ترويضه واعادة توجيهه وتحويله صوب أنشطة أكثر اتساما بالمسالمة تتضمن بالمثل تحديات وجهودا مبذولة • وهكذا رأى وليم جيمس الحاجة الى خلق « مكافيء أخلاقي للحرب » (٣) • فربما أمكن تجنيد الشباب لزرع الأشجار وانشاء الطرق أو الخزانات والسدود بدلا من تجنيدهم لقتل شباب المجتمعات الأخرى • وقد تساعد مثل هذه البرامج على تطعيمهم بنفس « الفيتامينات الاجتماعية » ، أي تضطلع بدور مشابه لدور الحرب دون أن تلحق أي دمار للحياة أو الممتلكات •

واعتقد زيجموند فرويد أيضا بنبوع السلوك العدواني للبشر من دوافع لا شعورية بعيدة الغور في النفس الانسانية • وفي الحق فان العدوان يبدو كأنه صفة سلوكية عند جميع الآدميين • ورأى فرويد أن تفسير مثل هذا العدوان قد يكون مرتبطا بوجود غريزة الحياة (ايروس)

فى الانســـان • وهى الغريزة التى تسعى للحفاظ على البشريـة وتحقيق وحدتها • وهناك أيضا غريزة الموت ثاناتوس (٤) • ويفترض أن غريزة الموت تهدف الى ازالة كل توتر واثارة انتباه الفرد ، وتتركز هذه الغريزة الخاصـة بالموت فى أعماق الانســان ، وعندما تسيطر على نفوســنا فان ما يتمخض عن ذلك هو الانتحار ، يعنى يتجه العدوان الى النفس على أن هذه الدوافع لا توجد منعزلة بعضها عن بعض ، ولكنها تتفاعل سويا وتعدل كل منها مسار الدوافع الأخرى • فالانســان يحيا بفضل تصدى غريزة الحياة لغريزة الموت ، ويغير مسارها من الاتجاه نحو النفس الى الاتجاه نحو الآخرين • وهكذا يكون العدوان السافر حصيلة دوافع عدوانية باطنيـة أعيـد توجيهها نحو الآخرين • ويرى فرويد أنه من الواجب ليس فقط انطلاق العدوان على نحو أو آخر ، ولكن يتعين أن يجنى الانسان قدرا من الاشباع من هذا الانطلاق • وبعبارة أخرى ، يحتاج الانسان الى اشباع هذه الدوافع العدوانية، وان كان لا يلزم أن يتحقق ذلك عن طريق العدوان السافر •

وفى عهد قريب ثار الجدل فى الدوائر الأكاديمية والمحافل الشعبية حول مصدر العدوان البشرى فى المستوى الأكبر (ماكرو) ، وتركز الجدل حول هل يرجع ميل البشرية الى الاساءة الى أبناء جنسهم ــ أساسا ــ الى صفة كلية فطرية (لعلها متوارثة) أم أن هذا الميل يرجع الى الانتماء الى ثقافة بعينها والى بيئة بالذات نشأت فيها بعض الجماعات البشرية • ويعد من تبنوا الرأى الأول من أتبـــاع الاثولوجيا ومن اتبعوا الرأى الآخر من الأنثروبولوجيين • ويوصف الجدال عـادة بالجدال بين أتبـاع الطبيعة واتباع التنشئة •

الطبيعة فى مقابل التنشئة :

وعلم الاثولوجيا علم حديث نسبيا ، ويعنى دراسة السلوك الحيوانى• وساعد نشر كتاب كونراد لورينز عن العدوان ١٩٦٦• على لفت الانتباه لنظرياته وشيوعها على نطاق واسع (٥) ، وأضاف ماكتبه آخرون الى ما جاء فى كتاب لورينز وغيره من علماء الأنثروبولوجيا الى تعريف الكافة بهذه الآراء المستحدثة (٦) • والفكرة الأساسية لهؤلاء العلماء هى أن الانسان نتاج مليونين من سنوات التطور البيولوجى • ويعتقد عالم الأنثروبولوجيا ليونل تايجر أن البشر ظلوا آلات مشحنة على خير وجه للكفاية فى مطاردة الوحوش • « فنحن مزودون بيولوجيا أو وراثيا للصيد ، وبالانفعالات ومظـــاهر الاثارة والفضـــول والمخاوف والصـــلات الاجتمـــاعية التى كانت حياة الصيد تتطلبها (٧) » • وجاءت أشد صيغ هذا الموقف تطرفا

عند رايموند دارت ، وعند آردى الذى روج للكثير من معتقدات دارت • اذ ذكر دارت – وهو من علماء التشريح – أن الانسان هو الوريث المباشر للقرد القاتل (*) • وعلى أساس بحوث بقايا الحفريات الأفريقية ، استخلص القول بأن هذا القرد بعينه لم يكن مجرد حيـــوان لاحم (أى من آكلى اللحوم) ولكنه كان أيضا سفاحا فطريا يقتل لمجرد الاستمتاع بعملية القتل (٨) • (والظاهر الآن أن دارت ربما يكون قد أخطـأ فى تقديره والتخلص من وجـود عـدد كبير من آثار الكائنات الشبيهة بالانسان) والتى تعرضت للتهشيم والتلف مما حصل عليها دلالتها على وجود عنف على نطاق واسع فى مسلك الأفراد نحو بعضهم البعض عند الأفريقانوس • ولقد أعيد فحص الأدلة الحفرية الآن بوساطة آخرين ، اعتقدوا أن ما حدث من أذى انما يرجع فى الأرجح الى انضغاط العظام وغير ذلك من الأنقاض خلال حقبة طويلة من الزمان (٩) •

ويعتقد لورينز أن تصور العدوان يشير فقط الى تركز ظاهرة العدوان داخل نفس النوع ، أى نتيجة للاقتتال بين أبناء نفس النوع • فعندما تتقاتل نوعيتان (مثلما يحدث عندما يقتل أحد الأنواع نوعا آخر للغذاء) لا يقوم العدوان بأى دور فى هذه العملية • ولعل أفضل أمثلة العدوان يمكن ملاحظتها عندما تدافع الحيوانات عن مأواها ضد جماعة أخرى من نفس نوعها •

ويرى علماء الاثولوجيا العدوان كغريزة (أى : نزوع فطرى) ساعد يوما ما على تحقيق استمرار الفرد أو النوع فى البقاء • وتبعا لذلك ، فانه انتقل من جيل لآخر ، كجانب من تكويننا الموروث • وبطبيعة الحال ، فان المشكلة تكمن فى أن وجود مثل هذا النزوع فى العصر الحديث ، بما فيه من أسلحة الدمار الشامل ، قد يكون شديد التعارض مع الانتاج •

ويعتقد أن العدوان قد نهض بعدة مهام فى الحفاظ على النوع :

١ – حافظ على التوازن فى أى نطاق بين المصادر التى يحتاج اليها من ناحية ، وبين عدد الأفراد الذين سيقتاتون عليها ، من ناحية أخرى •

٢ – ساعد فى الدفاع عن النشء •

٣ – ســـاهم فى استمرار الأليق فى البقـــاء من خلال الانتقاء الجنسى •

(*) Austral-opithecus Africans.

٤ - تساهم في توطيد العلاقات الاجتماعية المستقرة عن طريق خلق أنظمة تضم سادة وتابعين ، كما حدث في نظام بكين المعروف جيدا ٠

ومن الملامح المثيرة للاهتمام لهذا العدوان الذى يتخلل نفس النوع أنه لا يهدف - بوجه عام - الى عملية القتل أو الابادة ٠ ويشير علماء الاثولوجيا الى أن العدوان داخل النوع عند الحيـــوانات لا يترتب عليه - عادة - موت المغلوب٠ومن جهة أخرى ، فان مسلك الانسان جد مختلف٠ واذا تغاضينا عن الجرذان التى تشتبك هى الأخرى فى حروب «قبائلية» وفى عمليات للمنتمين لنوعها ، فان الانسان - كما يرى لورينز - هو النوع الوحيد الذى يقتل نوعه بصفة روتينية ٠ ومن المحتمل أن يكون لورينز قد أخطأ بوجه عام فى هذا الحكم ٠ فلقد أصبحنا نعرف الآن أن هناك نوعيات عديدة تقتل من حين لآخر أبناء نوعها ٠

فمثـــلا ، لقـــد بحث ادوارد ولســـون المسلك العـــدوانى المعروف فى مستعمرات النمل ضد بعضها ، وأيضا « الحرب الاستعمارية » داخل النوع الواحد أو بين نوع ونوع آخر ، ولاحظ أن مستعمرات نمل الأرصفة تدافع عن مأواها وتخوض معارك ساخنة تشترك فيها جحافل من فعلة النمل ، ويسود القتل والتهام بعض الأنواع لنفس نوعها بين الثدييات لدرجة تفوق ما سبق أن شاع ٠ فالأسود تقتل أبناء نوعها من الأسود ٠ وهناك دلائل على قتل حيـــوانات كجرو الثعالب ، بل وأكل لحمه بعد أن مات من كان يرعاه ، وبعد أن غزت مأواها فصائل أخرى ٠ والحق أن الانسان لم يعد يعتلى عرش الأنواع العدوانية ٠ اذ أصبح من المسلم به الآن أن هذا الشرف قد غدا من نصيب أبناء عمومتنا الضباع (١٠) ٠

وعلى أية حال ، ان ما يهم فى هذا الاختلاف بين الانسان ومعظم الحيوانات الأخرى هو أن العدوان الذى يجرى داخل نفس النوع عند معظم الحيوانات يتبع طقوسا تفرض عليه ٠ اذ يتعارك المتقاتلون داخل أنماط رمزية وقيود روتينية ٠ فاذا تبين من سير المعارك وجود تفاوت نسبى فى البسالة ، فان الغريم الأضعف يقدم على اظهار بعض الايماءات الداعية للمســـالمة أو اشـــارات دالة على الاعتراف بالهزيمة والاستعداد للاذعان والخضـــوع ، وبذلك يتجنب التعرض للمزيد من العنف ويحول دون استمرار القتال حتى الموت ٠ والمثل الأكثر شيوعا فى الاستشهاد به فى هذه الآليات الداعية الى الكف عن الاستمرار فى القتال هو ما يفعله الذئب عندما يعترض برقبته أثناء القتال ٠ وقد يظن أن هذه الفعلة تجعله أكثر عرضة للقتل ، ولكنها بدلا من ذلك تفسر على أنها اشارة استسلام للخصم الذى ينهى القتال ٠

ويفتقر الانسان ـ ظاهريا ـ الى مثل هذه الآليات الكابحة • واذا تساءلنا عن ذلك ، فسيكون الرد الذى يعرضه علماء الاثولوجيا هو أنه فى المراحل الباكرة من تطوره لم يكن بحاجة اليها • اذ اختلف الانسان عن النمر وأسنانه الشبيهة بحد السيف ، وغير ذلك من الوحوش المفترسة فى كونه لا يستطيع قتل أقرانه الآدميين بسرعة • فبدون أنياب ومخالب فانه يعجز عن توفير هذه الآليات • وعنت صعوبة القتال يدا بيد اضطرار معظم الآدميين الى عدم مواصلة الكفاح قبل أن ينتهى الصراع بالقتل • واذا أمكن التغلب على الصعوبة الفزيائية ، فمن المفترض أن المعتدى سيكف عن الاسترسال فى عدوانه بعد استماعه أو مشاهدته توسلات خصمه المكروب ، ولكن الانسان بعد استعانته بما حدث لمخه من اتساع وارتقاء استطاع ابتكار معدات وأسلحة ، يمكن استعمالها لذبح أعدائه حتى اذا كانوا بعيدين عنه ، وبذلك خفت من وطأة القيود الشعورية والفزيائية التى تدفعه للقتل (المباشر) • ومع هذا فعلى هذا العهد كان الوقت قد فات ، ولم يستطع تطوير ايماءات الكبح التى اتسمت بها العلاقات الدانية لآلاف السنوات •

وبدلا من هذه الآليات الغريزية التى تنقل أو تنطبع فى النفس البشرية عن طريق الوراثة ، أرغمت البشرية على الاعتماد على سبل أخرى لكبح القتل كالأخلاق والدين والكوابح الحضارية • ولعله من الاسراف فى بخس حق الانسان القول بأن هذه السبل قد أثبتت عدم فاعليتها • وقصارى القول هو أنه اذا كانت الغرائز العدوانية قد اضطلعت فى يوم من الأيام بدور الحفاظ على النوع ، الا أنها لم تعد تؤدى هذه المهمة ، ولعل أثرها عكس ذلك • فقد أدى الجمع بين الغرائز العدوانية للانسان ، بالاضافة الى الافتقار الى الكوابح الغريزية والقدرة على اختراع أسلحة دمار ذات مدى بعيد الى استمرار الصراع والموت •

وأجمل لورينز كيف أثر العدوان على تقدم البشرية :

« أنه لأكثر من محتمل أن تكون الشدة التدميرية للدافع العدوانى نتيجة لعملية الانتقاء داخل النوع قد استمرت تقوم بدور فعال عند أسلافنا زهاء أربعين ألف سنة ، أى خلال العصر الحجرى الباكر • وعندما بلغ الانسان المرحلة التى اكتسب فيها التعرف على الأسلحة والملبس والتنظيم الاجتماعى ، تمكن من التغلب على أخطار الجوع والتجمد والتعرض لافتراس الحيوانات المتوحشة له ، وبذلك توقفت هذه الأخطار عن القيام بدور العوامل الأساسية المؤثرة فى الانتقاء • مما سمح لعملية انتقاء شريرة

داخل النوع البدء فى الاطلال برأسها ، وأصبح العامل المؤثر فى الانتقاء الآن هو الحروب التى تشن بين القبائل المتجاورة المتعادية (١١) ٠

وهكذا ، فمن منظور علم الاثولوجيا استطاعت الحروب التزويد بمنفذ للميول العدوانية الكامنة داخل البشر ٠ والحق ان لورينز قد رأى العدوان كدافع لابد أن يسعى للانطلاق ٠ وبعبارة أخرى ، فان لدى الانسان « حاجة » للعدوان ٠ وأشار بعضهم الى هذا التصور للعدوان كنموذج لتصريف النوازع ، أى نظر للعدوان كنزوع يسعى للانطلاق أو التصريف ، وبذلك يرغم الانسان على الاقدام على أفعال عدوانية ٠ ويسمى نفر آخر هذه الحالة بالنموذج الهيدروليكى على غرار ما يحدث فى ضغوط المياه عندما تساعد السدود المائية (١٢) على كبح جماح المياه المتدفقة ٠ وبعبارة أخرى ، فان هناك طاقة تتراكم فى البؤر الغريزية للحيوانات فتنتج ضغطا يحتاج للتصريف ٠ وبهذا المعنى يكون العدوان تلقائيا ، ويكون مصدره داخل الكائن وليس خارجه ٠

وثمة بعض الخلاف بين علماء الاثولوجيا (وآخرين) حول كيف تندلع أو تتفجر مثل هذه الأفعال العدوانية ٠ ويتركز السؤال حول المثير الذى يحدث مثل هذه الاستجابة ٠ ويرى لورينز وعالم النفس أنطونى ستور أنه بالرغم من أن الآليات الفزيائية للعدوان فطرية ، الا أنها تتفجر ــ عادة ــ من تأثير البيئة الخارجية ٠ غير أنهما يريان أيضا حاجة هذا العدوان الى مثير خارجى لتفجيره ، وان كان هذا لا يعنى امكان تجنب الانسان الحاجة لاتباع سلوك عدوانى ٠ ويعتقد لورينز أنه كلما طالت فترة تخزين الطاقة العدوانية ، قلت قيمة قاعدة انطلاق المثير الذى يحتاج اليه لاحداث الاستجابة العدوانية ، ويتكهن بأن العدوان بعد مروره بفترة ممتدة من التخزين لا يستبعد حدوثه بغير وجود مثير خارجى قادر على اثارة العدوان ، فان الانســـان يســـعى بالفعل للعثور على مثل هذا المثير (١٤) ٠

ويعتقد آخرون ، مثل عالم النفس حـ ٠ ب ٠ سكوت بعد اقرارهم رد جذور العدوان الى عملية فسيولوجية يحتاج تنشيطها الى مثير خارجى بأن العدوان لا يحتاج الى الظهور ٠ فلما كان العدوان لابد أن يوجد ما يثيره من تفجير خارجى ، فانه لا يحدث اذا لم يوجد هذا التفجير (١٥) ٠ فاذا صحت نظرة سكوت المتفائلة ، فان البشرية لن يكون من المحتوم تورطها فى العدوان ، وبذلك يستطاع تجنب العنف ٠

ومن الأفكار التي يعتز بها علماء الإثولوجيا فكرة الاقليمية (*) ، والعلاقة بين الاقليم والعدوان • فمثلا يرى اردرى ان موروثات الانسان تزوده بنفس الغرائز الاقليمية التي تزوده بها علاقاته الدانية • ويرتكز أردري على كتاب ف • ف • دارلنج الذى اعتقد أن دوافع السلوك الاقليمية فى الحيوانات كانت سيكولوجية وليست فسيولوجية ، أي أنها انبثقت عن الاحتياجات المزدوجة للأمان وبواعث المثيرات • ويضيف أردرى الى هذين الاحتياجين احتياجا ثالثا يوجد فى الحيوانات الأرقى « الهوية » (١٦) •

ويعتقد أردرى أن « الاقليم » يتجاوب مع الاحتياجات الثلاثة الأساسية ، فالاقليم هو الذى يحدد هوية الشخص • وتعنى كلمة « نحن » آحادا يعيشون سويا فى الاقليم ، وتعنى كلمة « هم » الخارجين عن الاقليم • وسواء تحدثنا عن المجتمعات الانسانية أو الحيوانية ، فان الفارق مهم ، وتعتمد الهوية داخل الاقليم أيضا على ترتيب الأفراد حسب منزلتهم أو نظام الكيل(**) الذى ينطبق على أبناء الاقليم وحدهم • والاقليم هو الذى يمنح الأمان أيضا • وهذه مهمة بؤرة الاقليم ، أى الموضع الذى تبلغ فيه قدرة الجماعة على حماية نفسها ذروة قوتها ، وأيضا حيث يكون تصميم الدخيل على تحدى الحقوق الاقليمية في أضعف حالاته • ويزود الاقليم كذلك بمهام الحفز • وهذه مهمة محيط الاقليم ففى هذا الموضع يحتك أبناء جماعات الاقليم بأشخاص آخرين من نفس النوع الانسانى فى الاقليم المجاور • ويحدثون وفرة من الاضطراب • ويستشهد أردرى بدراسة أجراها وليم ماسون :

« كانت البقعة الرئيسية التى اختارها وليم ماسون لدراسة ٢٠ فدانا فى أحد الأخاديد تشتمل على تسعة أقاليم عائلية ، وتعرف كل عائلة حدودها حتى آخر بوصة من أرضها كوجود غصن مكسور فى أحد المواضع وشجيرة منعزلة فى موضع آخر ، وجذع شجرة يعترض الطريق • ويعرف أبناء هذه القرية مثل أبناء سائر القرى كل شبر من أرضهم ، ويمثل المحيط الذى تنتهى عنده بقعة اقامتهم بسخرية من الحياة ، كما اعتقد دارلنج ••••

فلقد اكتشف ان من بين خصائص قرود هذه القرية الاستعداد للتضحية بطعام فطورهم ، فى سبيل البقاء فى محيط الاقليم العزيز الى

(*) Territoriality.
(**) Pecking.

قلوبهم • وليس لدى أية عائلة مهما صغرت أى استعداد للتنازل عن مبدئها • اذ يظهر على محياها أمارات الابتهاج والرضا عندما تبكر فى النهوض بواجبها عند الحدود ، حتى اذا لم تكن قد تناولت أكثر من نصف غذائها فهى تتوق للعمل وتنتظر وصول الجيران ، لكى تصب عليهم جام غضبها • وليس لديها أى استعداد للتضحية بشبر واحد من أرضها لصالح الجار الا فى حضور الجيران ، حتى تستغل وجودهم للدعاية لصالحها • اما اذا ظهر الجيران بعد أن يكونوا قد تصببوا عرقا وتناولوا وجباتهم الشحيحة ، فان نيران غضب هذه القرية تشتعل :

ويسمع قدر من الصريخ والعويل كبداية ، ويتدخل الأب ، ويطارده أب المعسكر الآخر ، ويتدخل بدوره • وهنا تتناوب العائلات فى التدخل ، وتطرح الأمهات كل مظاهر الرقة وتستسلمن للضغائن وتسود الجو مظاهر الخجل والعداء زهاء نصف الساعة أو يزيد ، ثم يذكرهم أحدهم بوجود حد آخر متروك بلا دفاع أو استغلال • وتنسحب العائلة وتتذكر العائلة فى الطرف الآخر ان لها حدا آخر وعدوا آخر يستحق صب غضبها عليه ••• ولا تحدث أية تصفية للنزاع أو (صافى يا لبن) ، لأن قواعد اللعبة معروفة للجميع •

وعند الحدود الأخرى يوجد متشاحنون آخرون يعارضون منافسيهم • ولابد أن تجرى الاشتباكات معهم على نطاق واسع •• ويرتفع ضغط الدم ، وتنفرد جلود الحاضرين ، وتفوح رائحة الغضب من أفواه الجميع ، ثم تجيء الساعة التاسعة تقريبا فى الصباح ، وبعد بضع ساعات من غليان المشاعر يخطر ببال أحدهم وجود جائع بينهم ، فيكون ذلك ايذانا بانتهاء خصومة يوم من الأيام ، ويقبل الجميع بالهناء والشفاء على التهام ثمار الأشجار التى اعتادوا تناولها فى فطورهم (١٧) •

فاذا افترضنا أن السلوك الانسانى يتطابق مع سلوك أبناء عمومة من أسلافه ، فان جميع هذه الآراء ستتعارض كثيرا هى وفكرة فرويد عن اتجاه السلوك الانسانى الى تخفيف التوتر • فلقد أثبتت أبحاث متفرقة أجريت للحيوانات عكس ذلك : فالكائنات تحيد عن طريقها عندما تتعرض لمثيرات من البيئة الخارجية (١٨) • وما يصح عن الحيوانات يصح بالمثل عن الآدميين • وترى استيل رامى ـ وهى عالمة فسيولوجيا وكيمياء حيوية ـ بعد أن درست حالات الملل أن تجاربها العملية على الآثار الباثولوجية (المرضية) للملل قد أيدت فكرة المثير كاحتياج مهم (١٩) • وأيدتها التقارير الواردة من نقاط المراقبة فى قارة المحيط الجنوبى ، ومن دراسة أحوال

أسرى الحرب وسائقى الشاحنات فى المسافات الطويلة • وكما لاحظ ف • هـ • نايت فى احدى المناسبات : « ان ما يحتاجه البشر هو المتاعب • وعندما لا يكون لديهم قدر كاف منها فانهم يصطنعونها • ولعل المسابقات الرياضية أبلغ دليل مؤيد لذلك (٢٠) » •

وبطبيعة الحال ، يرى أردرى أن الحرب أيضا قادرة على اشباع الاحتياجات الأساسية الثلاثة التى تسعى لتحقيق الهوية والأمان والاثارة ، فأولا ــ يمكن الحصول على الهوية عن طريق الرتب العسكرية كالانتماء الى الفصائل واللواءات والفيالق والكتائب والفرق والجيوش ، التى تتيح لهم الالتقاء بجنود آخرين • وبمقدور ما تحققه الحرب من أمجاد التزويد بنوع من تحقيق الهوية الشخصية للجنود • ثانيا ــ يسود الزعم على نطاق واسع بأن المشاركة فى الحرب تحقق أغراض الأمان : فاما أن يشتعل فتيلها لو كانت غير قائمة ، أو تحدث محاولة لزيادة اشتعالها ، أو تجرى أفعال تساعد على الابقاء عليها • ثالثا ، تزود الحرب أيضا بما هو أكثر من الحفز والاثارة • عند معظم الرجال ، وبخاصة عند المشتركين بالفعل فى القتال • وهكذا بدت لأردرى الحرب مؤسسة نموذجية الى حد ما لاشباع الاحتياجات الأساسية للانسان •

الدراسات الاثيولوجية القريبة العهد :

بينما ركزت أعمال لورينز وغيره من العلماء من الرعيل الأول فى الستينات على سلوك الأسماك والطيور فى دراستهم الاثيولوجية ، اتجه الرعيل الثانى من علماء الاثيولوجيا الى تعريفنا ما هو أكثر عن سلوك أقرب الكائنات الينا من الناحية البيولوجية ، يعنى الشمبانزى والغوريللا (٢٢) •

فثمة قرابة وصلة وثيقة فسيولوجيا ووراثيا بين عالم الانسان وحيوانات الشمبانزى ، ولا يزيد الاختلاف بينهما عن مقدار لا يتجاوز ١٪ • وهذا دليل أيدته الدراسات التى أثبتت الطابع العدوانى للشمبانزى ، مما دعم حجج علماء الاثولوجيا •

ولاحظت العالمة جودويل أثناء اقامتها فى جومبى لمدة ثلاثين سنة مسالك عديدة ، بددت جميع تصوراتنا المسبقة عن أبناء عمومتنا فى سلم التطور • فلقد اكتشفت ــ مثلا ــ أن الشمبانزى ليست فقط ممن يستعملون الأدوات ، ولكنها أيضا من صانعيها • ولكن لعل أكثر كشوفها ادهاشا كان متصلا بعنف معاملاتها الجماعية • فبينما كان الصراع الضعيف المتصل بالتصميم على التسلط أو التسيد عند الذكور يتبع طقوسا محددة ،

ولا يحدث في حالتها أية مشاجنات قد تنتهي بالقتل ، لاحظت ما يتلقاه المتشاحنون غالبا من عقوبات بدنية أثناء صراعهم من أجل التسيد .
ولاحظت أيضـــا هي ومساعدوها ما يجرى من صراعات اقليمية فى عالم الشمبانزى ، ولا تتحول المناوشات بين المنتمين لجماعات اقليمية مختلفة الى أحداث خطيرة الا عندما تتدخل الاناث ولا تتوفر لهن الحماية • ولاحظت جودويل أيضا حربا استمرت زهاء أربع سنوات بين جماعات متنافسة • فعندما انقســـم مجتمع الشـــمبانزي الذي شاهدت أحواله الى جماعتين اقليميتين منفصلتين ، أجهز أبناء المجتمع الأصلي على المنضمين الى الجماعة المنشقة الواحد تلو الآخر فى مدى أربع سنوات • وضرب كل منشق ومنشقة بوحشية حتى الموت بوساطة أصدقائه وأصدقائها السابقين • وأحيانا اقترنت هذه الحرب بعملية التهام لأجسامهم (٢٢) •

نقـــد الاثولوجيا :

لقد وجه النقد الى لورينز وأتباعه فى ناحيتين : المنهج الذى اتبعوه وصحة نتائجهم • اذ بدء الدليل الجوهرى شديد الضعف • ويرتكن بصفة أولية على استنتاجات محتملة الوقوع وخلافية عن سلوك النوع الحيوانى • ويراد تطبيقها على الكائنات البشرية • ولعل ذكر بعض الانتقادات المحددة يساعد القارىء على تذوق بعض ما دار فى المجادلة :

١ ــ هل العدوان حقا من الغرائز ؟ فلما كان الأفراد يبدءون التعلم من بيئاتهم منذ سن مبكرة للغاية ، لذا من الصعب تماما ــ علميا ــ التيقن من هل كان أى مسلك بعينه نتاجا لغريزة سبق وجودها ، أم أنه جاء نتيجة للتعلم • ونظرا لصعوبة التفرقة بين التعلم والغريزة ، عمد علماء كثيرون الى الابتعاد عن مصطلح غريزة (٢٣) ، ورأى بعضهم مثلما فعل آشلى مونتاجو رد خطأ لورينز وعلماء الاثولوجيا الى قولهم ان الانسان قد اكتسب صفتة الانسانية من كونه بلا غرائز ، على أقل تقدير فى الحالات التى تتجاوز ردود أفعال الأطفال عند سماعهم أصواتا عالية مباغتة أو عند السحب المفاجىء للعون (٢٣) •

٢ ــ يختلف الانسان عن باقى الحيوانات • ويبدو أن أول اخفاق أخفق فيه لورينز هو عدم ادراكه الاختلاف الجوهرى للانسان عن باقى الحيوانات • فبفضل كبر مخه الذى نماه استطاع التكيف مع بيئته والتعامل مع متطلباتها وأيضـــا على التفكير • ان هذا يعنى فى نهـــاية الأمر أن التعميمات المعتمدة على ملاحظة مسالك الحيوانات الأدنى لا ينبغى الاعتراف بصحتها فيما يتعلق بالبشر • واذا تحدثنا بوجه عام سنقول انه كلما ارتقى النوع ، قل تحكم العوامل الوراثية فى السلوك •

٣ ـ **التفسير اللاسببي** : لقد أخفقت نظرية لورينز فى تفسير جميع المسالك العدوانية ، لتجاهلها متغيرات أخرى قد تقوم بدور فى تقرير امكان حدوث العدوان مثل وجود الاحباط ودور البيئة السياسية الاجتماعية ، أو قدرة الانسان على التعقل والتعلم •

٤ ـ **منهج البحث** : لم يضع لورينز فرضا ميدانيا يستطاع اختباره تجريبيا • وبدلا من ذلك ، اعتمد على الاستدلال من خلال التشبيهات والمماثلات والاستنتاج من وقائع محتملة الوقوع • فمثلا ، ذكر لورينز أن سبب العدوان عند الطيور والأسماك هو بالضرورة نفس أسباب العدوان الآدمى • وفضلا عن ذلك ، فان سبب عدوان فرد على آخر يفترض أن يعزى الى نفس أسباب عدوان جماعة على أخرى أو دولة على أخرى • وهذا الأسلوب بكل بساطة هو أسلوب العلم السايط • فليس من المشروع أن نستعين بملاحظة مسلك نوع ما لتفسير مسلك الأنواع الأخرى • وعلينا أيضا ألا نستعين بملاحظة الأفراد لتفسير تصرفات الجماعات • وهكذا ربط بين تشبيهات المشكلات الخاصة بالعلاقة بين الأنواع بمستوى المشكلات التحليلية • فعلينا أن نلتزم الحذر ازاء محاولات تطبيق نظرية فى العدوان الغريزى على مستويات العدوان الدولية •

٥ ـ **النموذج النزوعى التصريفى** : لو صح بالفعل وجود تراكم للطاقة العدوانية ، فان هذا التراكم لن يتم حتى ينطلق من خلال السلوك العدوانى • وعلينا أن نعثر على دليل فزيائى مؤيد لذلك فى المخ ، كما يفترض ، على أنه لا وجود لدليل عصبى فسيولوجى لوجود أى نوع من تراكم الطاقة فى المخ ، تدفع الى تصريفها تلقائيا خلافا لما يحدث فى التغيرات الداخلية (كتغير نسبة السكر فى الدم ، التى تصحبها بداية الشعور بالجوع) • فليست هناك تغيرات داخلية تسبق بداية العدوان • ان هذا لا يعنى ان العدوان ذاته لا يترك آثارا عصبية • فلقد تعرف العلماء على مراكز معينة داخل المخ مرتبطة بأنواع شتى من الاستجابات العدوانية (*) •

ولقد أجريت تجارب للعدوان فى بعض الحالات باستعمال الهرمونات ومنبهات المخ ، غير أن مراكز المخ الأكثر تأثرا بالعدوان قد استجابت بصفة أولية للاشارات المعطاة ، بعد تفسير بعض المؤثرات الخارجية • كما أن مستويات الغدد الصماء فى الجسم قد تأثرت تأثرا نموذجيا أيضا • وبعبارة أخرى ، فان معاملات الارتباط الفسيولوجية للعدوان قد تكشفت بعد استجابة الفرد لادراك البيئة الخارجية ، أكثر من تكشفها من الداخل (٢٦) •

(★) اذ يبدو أن الـ hyprohalmus هو مركز انفعال الغضب مثلا :

٦ ـ **الازدحام والاقليمية** : ثبت أنه عند حدوث اشتداد فى الزحام عند بعض الأنواع الاقليمية ، يحدث تصدع باثولوجى فى التفاعل الاجتماعى المألوف للأنواع ، وغالبا ما يحدث العنف ومع ذلك ، وعلى الرغم من أن الاقليميـــة لا تشـيع الا عنـــد الحيـوانات الأرقى (كالحيوانات الفقارية والأنثروبويد) ، الا أن النقـاد يرون أن أقرب الأقارب عنـــد البدائيين القدامى(*) (كقرود السافانا والشمبانزى والغوريلا) لا تظهر أى مسالك اقليمية كثيرة لا جماعيا ولا فرديا (٢٧) • ونحن لا نعرف الكثير عن السلوك الاقليمى للانسان السابق للحضارة ، ولكن علماء الأنثروبولوجيا لاحظوا أن مؤسساته الاقليمية والملكية الفردية تختلف اختلافا كبيرا عند الانسان الحديث • وطرح سكوت مثالا ذكر فيه عدم وجود دفاع عن الاقليم فى مجتمعات الاسكيمو الا عند قبيلة واحدة (٢٨) • كما لا يبدو أيضا أن الزحام يحدث العدوان والخصومة • اذ يختلف سلوك الانسان فى حالات الزحام اختلافا جوهريا يعتمد على رد فعل المجتمعات المزدحمة هى والمتغيرات العديدة الأخرى ، اذ لا يترك الزحام فى ذاته فى حالة غياب متغيرات مثل مستوى الدخل وسوء التغذية والضوضاء والنفايات وغير ذلك من المتغيرات أثرا يذكر على ظواهر مثل الجريمة والتنافس والروح العدوانية (٢٩) • فالاقليمية ترتكن على أسس حضارية أو ثقافية ، أكثر من ارتكانها على أساس بيولوجى •

وبعد الفحص والتدقيق يتضح ضعف الدليل الأســـاسى للنظرية الاثولوجية فى العدوان • فالظاهر أنه لا وجود لأية علامات دالة على التحفز للعدوان حتى عند الحيوانات الدنيا • وبدلا من ذلك ، فان هناك أنواعا عديدة من العدوان وأنماط العدوان تختلف من نوع لآخر ، وحتى فى نطاق النوع الواحد • ويعتقد صمويل كيم أننا كلما صعدنا فى سلم التطور سنلاحظ أن العدوان قد أضحى أقل شيوعا • وعندما يحدث ، فان أسبابه تكون أكثر تعقيدا وتعددا وأقل خضوعا برمته لنوع المورثات وأكثر تأثرا بالعوامل البيئيـــة والتجريبيـــة (٣٠) • ولا يقبـل كثيرون من علماء البرايماتولوجيا (**) تشخيص لورينز للحيوانات الراقية وزعمه أنها أميل للغضب ، ويرونها بوجه عام أميل للمســـالمة والتعاون • وحتى العالمة جودويل فانها تعتقد أن العنف الشديد نادر بين الشمبانزى •

« فلما كان العنف والسلوك الوحشى يتميزان بشدة الحيوية واثارة الانتباه ، لذا من السهل أن ينطبع فى عقولنا الظن بأن الشمبانزى أكثر

(*) Prinal.

(**) Primates وتعنى الحيوانات الراقية مثل الشمبانزى •

عفوانا مما هو فى الحقيقة • والواقع أن المعاملات والتصرفات المسالمة تطغى – عنده – على المعاملات العدوانية • كما أن التهديدات اللينة أكثر شيوعا من التهديدات الشديدة ، ولعل التهديدات الأقرب الى (التهويش) لها الغلبة على المشاجرات ، والصراعات الدموية أندر نسبيا من الصراعات المعتدلة • وفضلا عن ذلك ، فان للشمبانزى سجلا حافلا بالمسالك التى ساعدت على الحفاظ أو استعادة التوافق الاجتماعى ، والتى زادت وثوقا التضامن بين أفراد الجماعة (٣١) » •

الطبيعة : البيولوجيا الاجتماعية :

يعد نشر ادوارد • أ • ويلسون لكتابه الجديد (*) مولدا للعلم الجديد المسمى البيولوجيا الاجتماعية (٣٢) • ويصف صاحب هذا المصطلح عمله بأنه محاولة لوضع جميع العلوم الاجتماعية فى نطاق اطار بيولوجى لا يرتكز على الدراسات الاثولوجية للسلوك الحيوانى فحسب ، ولكنه يرتكز أيضا على دراسات التطور وعلوم الوراثة وبيولوجيا السكان وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا • وعلى الرغم من أن ويلسون يعتقد أن السلوك الانسانى قد خضع فى برمجته بقدر جوهرى للانتخاب الطبيعى الا أنه لا يزعم أن علم الوراثة هو السبب الوحيد الذى يفسر السلوك • وتعترف بدلا من ذلك نظريته بالتفاعل بين المورثات والبيئة الثقافية • ومع ذلك فقد ركز ويلسون على المحددات الوراثية للسلوك الانسانى والثقافة البشرية •

فكيف نستطيع معرفة الأساس الوراثى الكامن وراء السلوك الانسانى ؟ أولا – من الثقافات الاجتماعية للانسان والشمبانزى ، بعد أن تبين وجود تماثل بينه وبين الأقارب المقربين منه تشريحيا وفسيولوجيا • أما ثانيا – فيقول ويلسون بوجود تمايز بين السلوك الانسانى وأقاربنا فى علم التطور على أنحاء يمكن تبينها من وجود مورثات ينفرد بها الانسان • فمن الناحية الفعلية ، لقد كشفت كل ثقافة انسانية معروفة عن الخصائص المتمايزة المذكورة فيما بعد • فحينما توجد نرى البشر يسلكون مسالكا متشابها • فمثلا يبدو أن كل ثقافة انسانية تشترك فى هذه الخصائص : الألعاب الرياضية والمباريات والتنظيمات المجتمعية والعمل التعاونى وتقسيم العمل والتعليم والأخلاقيات والاتيكيت ومراسم الجناز وتقديم الهدايا والحكومة والضيافة وقواعد الوراثة واللغة والزواج والعقوبات الجنائية والسياسات السكانية وحقوق الملكية والطقوس الدينية وقواعد السكنى والقيود الجنسية والتفرقة بين الأفراد تبعا للمرتبة الاجتماعية والتجارة وغير ذلك (٣٣) • وما كانت هذه الظواهر لتحدث عشوائيا وعفويا ، وكيف

(*) Sociobiology, The New Synthesis.

استطاعت مثل هذه المجتمعات الانسانية الحديثة تطوير معنى هذه الأنماط من السلوك ؟

ويزودنا تصور التكيف بمفتاح لفهم كيف حدث ذلك ٠ اذ كانت الصفات السلوكية للطبيعة البشرية قابلة للتكيف في الفترة التي تطور فيها السلوك البشرى ، وانتشرت تبعا لذلك الموروثات بين السكان التى خلقت استعدادا لدى حامليها لتطوير هذه الصفات٠وتعني القابلية للتكيف أن الفرد اذا كشف عن هذه الصفات فستتاح له فرصة أكبر لتمثيل موروثاته في الجيل التالى تفوق فرصة من لم يكشف هذه الصفات ٠ وتدعى هذه الميزة « اللياقة الوراثية » ويعتقد ويلسون أن الجانب الأكبر من التطور قد وقع منذ أكثر من خمسة ملايين سنة قبل الحضارة ، وحدث بعض التطور منذ ذلك الحين ، ولكنه لم يكن بالقدر الكافى الذى يساعد على التأثير فى عدد كبير من الصفات ٠

والمفروض أن التعاون والايثار من الصفات النظرية ، لأنهما يضيفان الى اللياقة الوراثية ٠ وهذه ناحية حميدة ٠ أما الناحية غير الحميدة فتتمثل فيما يقال عن اتصـــاف البشر بالعدوانية فى فطرتهم أيضا ٠ وينعكس ــ بالضرورة ــ هذا الاستعداد الوراثى/البيولوجى فى المؤسسات الانسانية الاجتماعية والثقافية ٠ ويعتبر ويلسون الحرب المنتظمة مرضا متوطنا فى كل شكل من أشكال المجتمع ، ويعتقد أن عدوانية الانسان قد أضافت الى لياقته الموروثة لأنها ساعدت على الحفاظ على التوازن الاقليمى وحماية الصغار وزواج الأليق واستمراره فى البقاء ٠ ولما كانت العدوانية قد أضافت الى اللياقة الوراثية ، فان هناك احتمالا كبيرا أن ترتقى هذه الصفة فى مجموعة نوعية من البيئات ، ولكن ليس هناك ما يؤكد ارتقاء هذه الصفة فى جميع البيئات ، ومن ثم فان علينا ألا نتوقع اتصـــاف جميع المجتمعات بالعدوانية (٣٤) ٠

لقد نظر الى العدوانية كخاصية فطرية ، على الأقل من ناحية درجة الاحتمال الكبرى لوراثة مكوناتها ، ومن ثم فانها تقبل التطور المستمر ، بمعنى أن الاستجابة العدوانية لبعض الأنواع « متخصصة وتتبع قالبا واحدا ، ويستطاع التنبؤ بها الى حد كبير فى حالة وجود بعض المثيرات شديدة العمومية » (٣٥) ٠ وعلى الرغم من أن العدوان قد رئى كصفة موروثة ، فان ويلسون أحجم عن تعريف العدوان بأنه غريزى ، كما أنه لم يره من النـوازع الفطرية التى تولد ضغوطا تنتهى بتحطيم سـدود الكبح ٠ ويرى ويلسون عدم وجود غريزة عامة للعدوان ، وكل ما هناك هو أنماط جزئية من السلوك العدوانى اكتشفت أنواع مختلفة أنه يساعدها على التكيف مع بيئتها ٠ فالعدوان هو نوع « من المخطط الموروث المناسب

لمواجهة بعض الحالات الطارئة ، أى مجموعة من مركب الاستجابات تهيئ الكائن وجهازه العصبى حتى يكون صالحا للاستدعاء فى أوقات التوتر » (٣٦) ٠

ومن بين مجموعة كبيرة متنوعة من المسالك العنيفة المحتملة لا يكشف الانسان الا عن قدر ضئيل منها ٠ فليس من بين الموروثات أشكال بالذات من الحرب المنتظمة ، ولا وجود لموروثات تفرق بين اصطياد الرؤوس وأكل لحوم البشر ، وبين المبارزة أو الابادة البشرية ٠ فلقد ورث الانسان مجموعة ضخمة من المسالك الممكنة ٠ ويعتمد نوع المسلك الذى ستسلكه كائنات بشرية بالذات على الاختلافات الثقافية ٠ فكل ثقافة تضفى شكلا نوعيا مميزا على عدوانها ٠ وتبعا لذلك ، فان التطور الثقافى للعدوان يبدو قد تأثر بما يأتى :

(أ) الاستعداد الوراثى لتعلم شكل ما من العدوان الجماعى ٠

(ب) الضرورات التى تفرضها البيئة ٠

(ج) التاريخ السابق للجماعة التى تدفعه الى الايثار المتعصب لأحد المستحدثات واستبعاد مستحدث آخر (٣٧) ٠

والبيولوجيا مسئولة عن التطور المبدئى للعدوان المنظم ، ولكن مرد استمرار هذا السلوك يرجع الى ما حدث من عمليات ثقافية خاضعة للفكر العقلانى ٠ وبعبارة أخرى ، فحتى اذا سلمنا بأن للحرب أساسا موروثا ، فان تطور العمليات الحربية يمكن أن يتبع اتجاها معاكسا ، ومن أمثلة ذلك احدى قبائل نيوزيلاند (٣٨) ٠٠٠

ومع هذا ، فان الفكرة الأساسية لويلسون ترى ان لدى الانسان استعدادا للانزلاق الى هوة عميقة من العدوان اللامعقول فى ظروف معينة يمكن تحديدها (٣٩) ٠

« يبدو أن أمخاخنا تخضع للبرمجة الى المدى التالى ٠ فنحن نميل الى تقسيم الناس الى أصدقاء وأغراب ، ونميل الى شدة الخوف من الغرباء والى حل منازعتنا بالعدوان ٠ ومن المحتمل أن تكون هذه القواعد والتعاليم قد تطورت ابان مئات الآلاف من السنين ، وبذلك تكون قد أضفت ميزة بيولوجية على من أفرطوا فى الاخلاص للتكيف معها (٤٠) » ٠

نقد البيولوجيا الاجتماعية :

يرجع الفضل فى الكثير من الانتقادات التى وجهت الى البيولوجيا الاجتماعية الى علماء الأنثروبولوجيا ، ومن ثم فان بحثنا لانتقادات هذا

العلم ستكون بمثابة تمهيد لجانب التنشئة في الجدل حول أسباب العدوان البشرى ·

لقد ذكر ويلسون الكثير مما يقره عليه علماء الأنثروبولوجيا · وفي الحق فان هناك أرضية مشتركة جوهرية بينهما · اذ يتفق أغلب علماء الأنثروبولوجيا على عدم الشك في وجود أساس وراثي للسلوك الانساني، غير أن هذا الرأى يختلف عن القول ـ مثلما فعل ويلسون ـ بأن مثل هذا السلوك يخضع للمورثات ، وعلى الرغم من أن ويلسون يعترف بدوره بأهمية الثقافة والبيئة والتعلم في تحديد العدوان ، الا أنه يميل ـ بوجه عام ـ الى ايثار المؤثرات الموروثة أكثر مما تستحق في نظر علماء الانثروبولوجيا ·

فمثلا ـ يعتقد ويلسون ان كفاية التكاثر فى الجماعة أو فرص استمرارها في البقاء تزداد بفضل الأفعال الغيرية التى يقوم بها أعضاء الجماعة ، ومن ثم فان الانتخاب الطبيعى يؤثر فى اختياره الغيرية ، ولكن هل يعنى هذا أن المورثات هى التى تحدد الأفعال الغيرية ؟ ان مونتاجو يشك فى ذلك · اذ تكشف البشرية عن أنواع شتى من الغيرية · ويذكر مونتاجو كمثال دراسة لهارلو أثبتت عجز القرود المنعزلة عن التصرف بغيرية فيما بعد في الحياة · ويرى أن الرأى ذاته يصح أيضا عن الآدميين · فقد يكون للغيرية أساس وراثى ، غير أن العوامل البيئية تلعب دورا حاسما في تحديد احتمال ارتقاء مثل هذا المسلك أو عدم ارتقائه (٤١) ، ويصح نفس القول عن العدوان ·

ويهاجم النقاد أيضا الأساس التاريخى لاستدلالات ويلسون · اذ يعتقد ويلسون أن الميل فى ظروف معينة للانغماس فى الحرب ضد الجماعات المتنافسة ، قد يكون موجودا فى مورثاتنا ، واكتشف مزاياه أسلافنا النيوليثيك (٤٢) (فى العصر الحجرى الحديث) · ويعترض عالم الانثروبولوجيا آشلى مونتاجو على ما جاء ضمنا فى قول ويلسون بأن الحرب قد ظهرت لأول مرة في المجتمعات النيوليثيك ، ويذكر أنه لا وجود لأى دليل خال من التناقض يؤيد هذا المسلك · فقد توفر للانسان فى ذلك العصر أدوات كان بالامكان استعمالها في الحرب ، ولكنها ـ في أغلب الظن ـ كانت ذات فوائد أخرى أيضا ، وليس لدينا دليل مباشر عن استعمالها فى الحرب (٤٣) · وبالاضافة الى ذلك ، فان الشعوب التى عاشت على مقتنياتها من الصيد لم تصل قط الى مرحلة النيوليثيك فى التقدم ، كما أنها لم تشارك بدور أساسى فى الحرب · والأقرب الى العقل هو الزعم بأنهم لم يرثوا المورثات العدوانية التى تحدث عنها ويلسون ، أو ربما كان الأكثر اقترابا من المنطق هو القول بأن الحرب لم تكن معروفة عند هذه

الجماعات لأسباب ترجع الى الناحية الحضارية والبيئية ، أكثر من ردها الى الوراثة ؟ ويفضل مونتاجو التفسير الثانى ، أى أن الشعوب التى كانت تعيش مما تقتنيـــه من صـــيد لم تشتبك فى حروب ، لأنها لم تعرف أى مبررات بينية أو ثقافية تدعوها الى ذلك • والأرجح ، اذا صح ما قاله ويلســون ، وصح القول بأن دليـــل الحرب ظهر أولا بين المجتمعات النيوليثيك ، فان علينـــا أن نفحص الأحوال الاجتماعية والبيئية الخاصة لمثل هذه المجتمعات التى أدت الى بلوغ الحرب (٤٤) •

وأخيرا ، لقد أخفق ويلسون فى تعريفنا بحالة مقنعة لقضيته العامة بأن الوراثة هى التى تتحكم فى السلوك الاجتماعى الى حد كبير • وكان الدليل الذى ارتكن اليه هو أن الانسان يشترك فى مظاهر وسمات متماثلة من السلوك الاجتماعى هو وأقاربه الأقربون من الحيوانات • اذ يبلغ عدد تجمعات البالغين من واحد الى مائة ، وليس أقل من ذلك • ويحتاج تدريب الصغار الى فترة زمنية طويلة نسبيا ، يضطلع فيها اللعب بدور بارز • وبالمثل تشترك جميع الجماعات الانسانية فى المسالك الاجتماعية المماثلة (المذكورة آنفا) مثل الألعاب وتقسيم العمل والتعليم وطقوس الجناز وتقديم الهدايا والزواج والتمييز بين الأشخاص تبعا لمراتبهم •• وهكذا • ويجئ رد فعل علماء الأنثروبولوجيا على ذلك بعـــدم استبعاد أن تحدث المؤثرات البيئية العامة فى الانسان أشكالا عامة من السلوك الاجتماعى • فعندما واجهت مختلف الجماعات البشرية فى شتى أنحاء العالم المشكلات عينها ونفس المهام قامت بانشاء عادات وأعراف متماثلة لحل هذه المشكلات وتيسير هذه المهام • ولما كان ويلسون لم يتقدم بأى دليل وراثى لما زعم من مزاعم ، فلا يســـتبعد أن تكون مزاعم علمـــاء الأنثروبولوجيا هى الصـــحيحة (٤٥) •

الاثولوجيا والبيولوجيا الاجتماعية والحرب :

الوقت قد حان – كما يبدو – لذكر تعقيب عام حول نظريات العدوان البشري الذى ناقشناه آنفا ، فلو نظر الى الحرب على أن مردها هو العدوان الفطري الذى يعد من مكونات طبيعة البشر ، فى هذه الحالة يتعين أن تكون الحرب من الحالات المستمرة نسبيا ، غير أننا نعرف أن الحرب والعدوان ليسـا من الثوابت فى الزمان والمكان • فلماذا تركن بعض البـلدان الى المسالمة ؟ ولمـاذا تنزع بلدان أخـرى الى المسالمة حينا والى العدوان فى حين آخر ؟ • وليست النظريات التى تركز على الطبيعة العدوانية العامة للبشر قادرة على التزويد بردود على هذه الأسئلة • فبقدر ما استطاعت الاثولوجيا والبيولوجيا الاجتماعية الاتيان به من تفسيرات دقيقة للعدوان البشرى

ـ وهذه مسألة بعيدة عن الوضوح ـ فانها ما برحت غير كافية لسد احتياجات أية نظرية تجريبية للحرب بين الدول • فلما كانت عاجزة عن التطرق لانضواء الحرب تحت فئة المتغيرات ، فانها بالضرورة لا تمثل أكثر من نهايات مسدودة • ويساعد القاء نظرة على جانب التنشئة فى القضية على التبصير بناحية التنوع فى العدوان البشرى •

التنشئة :

شهدت مختلف العصور التاريخية حروبا متعددة متنوعة • وابان هذه العصور ، مرت مختلف الدول بنوعيات شتى من الحرب • ولم يقتصر الأمر على حدوث تنوع فى مدى شيوع الحرب ، ولكن الاختلاف ظهر من عصر لعصر ومن مكان لآخر (٤٦) • واشتمل على أهداف الحرب وقواعد ادارة الحرب وأسبابها ومبرراتها • وأوحت جميع هذه الشواهد لبعض الملاحظين وجود تفاوت فى مدى تقبل الحرب اختلف من الناحية الثقافية فى بعض الأزمنة والأماكن (٤٧) • والحرب موجودة فى سياق أية ثقافة سياسية عامة ، وتضطلع بدور مهم فى تقرير هل تجرى الصراعات من خلال ما يدور من عمليات حربية ، أم أن الأوفق هو نقلها الى سبل أقل ضراوة وأبسط تكلفة •

ويتكشف الجانب المتقلب فى حجة من يقولون ان الحرب من مقومات الفطرة البشرية عند الرأى المقابل الذى يعزوها الى طريقة التنشئة • اذ ينظر الى العدوان على أنه يخضع لعوامل ثقافية وليس للناحية البيولوجية ، فلقد تعلم الانسان العدوان من بيئته الثقافية • وكما يتعلم العدوان ، فهل هناك ما يحول دون غرس الاتجاهات التعاونية لفض المنازعات أيضا ، فليس السلوك العدوانى محتما • فبينما قد يوجد العدوان فى المستوى «الماكرو» ، الا أنه ليس كليا ، والأصح أنه من مقومات ثقافات بعينها ، ومستمد من أوضاع ثقافية •

ويعرض أنصار جانب « التنشئة » فى هذا الجدل ـ وهم أساسا من علماء النفس والأنثروبولوجيا أتباع السيكولوجية السلوكية ـ عدة حجج لتبرير موقفهم : ١ ـ لما كان الانسان يختلف اختلافا كبيرا فى سلوكه العدوانى ، فان مختلف الثقافات هى أفضل ميدان للتعرف على سر الاختلاف فى النواحى العدوانية ، ٢ ـ هناك بالفعل مجتمعات مسالمة تدحض الخرافة القائلة بأن جميع البشر عدوانيون • ٣ ـ أثبتت التجربة بوضوح أن العدوان يتأثر بالتعلم ، لأنه بالمقدور تعليم العدوان ، وأيضا بالمقدور تعديله وتخفيفه ، بل واستئصاله عن طريق التعلم •

التنشئة : التطور الثقافي :

كثيرا ما يردد علماء الأنثروبولوجيا القول بأن انسان العصور الباكرة كان مبدئيا حيوانا مسالما له طبيعة غير عدوانية • ويعتقد مونتاجو أن جميع الدلائل تشير « الى ناحية اللاعنف فى الجانب الأكبر من وجود الانسان الباكر ، والى الاسهام الذى تحقق من أثر التقدم المتزايد للجهود التعاونية ، كما حدث فى حالة العملية الاجتماعية للصيد بالذات واختراع الكلام وتقدم أدوات استخراج الأطعمة وتجميعها • وليست هناك أدلة – بالمناسبة لمونتاجو – على وجود عداوات داخل الجماعة ، أو بينها وبين غيرها من الجماعات عند الانسان فى بواكير عهده قبل تقدم المجتمعات الزراعية – الرعوية • ولعل مثل هذا المسلك العدوانى كان سيعرض للخطر السكان عن بكرة أبيهم ، ولعله كان سيحول دون الارتقاء بوسائل التكيف (٤٨) ، على حد قول ويلسون •

وفى نظر علماء الأنثروبولوجيا ، فان أهم مفتاح للعدوان هو التغير الأساسى فى البيئة الاجتماعية والثقافية ، الذى واجه البشرية عندما انتقلت من مرحلة البداوة الرحل والصيد للتطور الى مرحلة الوجود الزراعى أو الرعوى المستقر • ففى مجتمعات الزراعة أو الرعى ، غدت الأرض ملكية (بكسر الميم) قيمة ، وامتلكها للمرة الأولى أفراد أو جماعات ، وتطلبت الحماية من أفراد آخرين أو جماعات أخرى • فمثلا يذكر ريتشارد ليكى ما يأتى :

« بمجرد التزام الكافة بانتاج الأغذية الزراعية فى مقابل عادات الرعويين فى جمع الغذاء ، فانهم التزموا بالدفاع عن الأرض التى يفلحونها • اذ يعنى الفرار من مواجهة المعادين التعرض لخسارة حقة • فلربما كانت قيمة الحصيلة المستثمرة ثمرة لجهد سنة كاملة فى الحقول ، ولن تسهل التضحية بها •

والى جانب الأرض التى تحتاج الى حماية ، فان المشتغلين بالزراعة يميلون الى الحصول على الملكية الشخصية والجماعية التى تحتاج أيضا الى حماية (٤٩) •

ومن هنا يعتقد ليكى أن الثورة الزراعية قد مثلت تغيرا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا عظيما ، تبعه ازدياد جوهرى فى المواجهات والمناوشات القتالية بين الجماعات المتجاورة • وأدت الثورة الزراعية بصفة مباشرة الى خلق المدن والمراكز والبنادر والقرى • واحتاجت هذه المجتمعات الجديدة الى أشكال مستحدثة من التنظيم الاجتماعى البعيد الاختلاف عن جماعات البدو الرحل • واحتاجت أساسا الى اقامة مشروعات على نطاق واسع

(كانشاء المعابد والقصور والأسوار ومشروعات الرى وحفر القنوات) التى تطلبت رقابة مركزية ، وعندما نمت المدن والبنادر استحدثت تكوينات سياسية جديدة لتنظيم ومراقبة الأنشطة الاجتماعية الأساسية ، كما اكتسبت القدرة التنظيمية لتشكيل الجيوش الكبيرة وصيانة أفرادها ومعداتها • وهكذا رأى ليكى الحرب ردا على ما حدث من تغير فى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، التى ألفى انسان البواكير نفسه فيها بعد الثورة الزراعية (٥٠) •

ويضيف عالم اجتماعى آخر اضافة أخرى الى المعضلة عندما ذكر فى أحد كتبه أن النقلة الى المجتمع الزراعى المستقر قد مثلت نقطة تحول فى التاريخ البشرى (٥١) ، بعد أن تعرضت المجتمعات الزراعية فى نهاية الأمر الى مواجهة حدود تعترض نموها من تأثير وجود مجتمعات أخرى • انها المشكلة عينها التى حدثنا عنها مالتوس عما يواجه المجتمعات الزراعية من مشكلات يكمن حلها اما فى تكثيف استعمال أو استثمار الأرض ، أو بالتوسع فى مناطق الزراعة والرعى على حساب الجيران وباستعمال القوة • ولعدم وجود قوة متفوقة للحيلولة دون وقوع ذلك (يعنى فى حالة الفوضى) اتبعت المدن الأفضل تنظيما السبيل الثانى • وكان أمام المجتمعات المسالمة للرد على ذلك ثلاثة اختيارات ممكنة :

١ ـ التعرض للدمار قبل جيرانها •

٢ ـ الخضوع •

٣ ـ الانسحاب عن طريق الهجرة ومحاكاة تصرف المعتدين • وأثبتت المحاكاة أنها افضل اختيار لمعظم المجتمعات •

واستوجب الاستمرار فى البقاء اضطرار المجتمعات الزراعية الى تقليد خصومها الأميل للعدوان ، فأنشأت مجتمعات كبيرة اعتمادا على حشود الأفراد ، وأنشأت تنظيمات سياسية على نطاق واسع حتى يتسنى لها تعبئة الأفراد بكفاية ، وأنشأت أنظمة جباية لتيسير الأموال لهذه الحكومات ، وأنشأت مؤسسات عسكرية لحماية سلطتها ومد نفوذها • وفى واقع الأمر كانت سبل التطور الثقافى مغلقة • اذ تمكنت المجتمعات الأفضل تنظيما من ابتلاع الأقل تنظيما ، أى اجتاح الكبير الصغير واجتاحت الثقافات الأميل للحرب الثقافات الأكثر مسالمة • وبذلك اتبع التطور الاجتماعى اتجاها واحدا ليس الا • انه الاتجاه المؤدى الى خلق مجتمعات أقوى وأقدر عسكريا والظاهر أن عملية انتقاء ثقافية كان لها دور فعال هنا • اذ أسفرت هذه العملية عن انتشار الوحدات السياسية ذات الطابع العسكرى والتى تتمتع بالقوة فى شتى أنحاء العالم • وغدت الحرب بين هذه المجتمعات مرضا متوطنا •

التنشــئة : المجتمعات المسالمة :

على الرغم من الاتجاه العام الذى تعرفنـا عليه عند سموكلر ، فان المجتمعات المسالمة لم يقتصر وجودها على الماضي السحيق فحسب ، ولكن الكثير من هذه المجتمعات استمرت في الوجود فى عصور أحدث عهدا . والكثير من هذه المجتمعات قد اعتمدت على الصيد والحصاد ، وربما ساعدت ملاحظة هـذه المجتمعـات على تنويرنا بجـذور العدوان . وركزت دراسة دافيد فابرو للمجتمعـات المسالمة على المجتمعـات التى قدر لها أن تظـل محتفظة بروحها المسالمة نظرا للعوامل الآتية :

(أ) اختفاء الحروب على أرضها .

(ب) عدم وجود الحروب التى تورطت فيها مع أعداء خارجيين .

(جـ) عدم وجود حروب أهلية أو عنف جماعى داخلى .

(د) الافتقار الى تنظيم عسكرى سياسى مستديم .

(هـ)قلة الالتجاء للعنف أو عدم وجوده بين أفراد المجتمع (٥٢) .

واستقصى فابرو حال سبعة مجتمعات واجهت هذه المعايير : مجتمع سيماى فى ماليزيا ومجتمع سيريوفو فى بوليفيا ومجتمع كوبر فى الاسكيمو فى شمال كندا . وسكان الجزر فى تريستان داكوتها فى جنوب المحيط الهادى (*) .

فما هى طبيعة هذه المجتمعات المسالمة ؟ بالاستطاعة تصنيف المجتمعات المسالمة السبعة التى فحصها فابرو على أنها « مجتمعات قائمة على المساواة فى المعاملة بين الجمـاعات » . اذ تفتقر بوجه عـام الى التنظيم الهرمى وترتيب الأشـخاص حسب مرتبتهم ، كمـا أنها لا تضـع قيودا لعدد من يمارسون السلطة أو يشغلون وظائف تشريفية ، ولديها اقتصاد عماده تبادل السلع والمقايضة (٥٣) . وكلها مجتمعات صغيرة بوسع كل فرد فيها مواجهة الآخرين . وهذا عامل يساعد على انفتاح المجتمع وتحقيق المساواة بين الجميع فى صنع القرار . وعلى الرغم من أن المجتمعات الخمسة الأولى من هذه المجتمعات السبعة من مجتمعات الصيد والحصاد ، الا أن المجتمعين الأخيرين لهما ما يشبه القاعدة الزراعية ، ومع هذا فانها لا تنتج

(★) وبالاستطاعة تضمين مجتمعات أخرى ضمن المجتمعات المسالمة مثل مجتمع Zuni فى جنوب غرب أمريكا و Arapesk و Fore, فى غينيا الجديدة Walbiri فى استراليا و Tosaday فى الفلبين وسكان تاهيتى و Lepehas وغيرها .

الا القليل ولا تحتفظ بأى فائض وتوزع ما ينتج بالتساوى . وربما بدا من الأمور المهمة الافتقار الى فائض اقتصادى (ويقصد بذلك أن انتاج السلع الاقتصادية يفوق ما يحتاج اليه للاعاشة) . وعندما لا يتوفر فائض فان السلطة السياسية لا تستطيع مصادرته أو التحكم فيه واستعمال حصيلة ما تحصل عليه من مال كأساس لأية سلطة تهديدية بما فى ذلك تشكيل تنظيم عسكرى (٥٤) .

ويستخلص فابرو القول بأن المجتمعات المسالمة تركن الى السلام لافتقارها الى بعض أهم المتطلبات البنيوية للاشتباك فى الحرب ، أى تفتقر الى هيرارشية القهر والزعامة والفائض الاقتصادى الذى يساند التنظيم العسكرى غير الانتاجى (٥٥) . ومن المهم أن يلاحظ أن ندرة الموارد التى تواجه معظم هذه المجتمعات ليست من العوامل المؤدية الى العنف . والأمر عكس ذلك ، فهى عامل مشجع على التعاون .

ووضعت عدة مجتمعات من هذا القبيل أعرافا ثقافية تحث على تجنب العنف فرأينا مثلا مجتمع الكونج يستهجن القتال المادى كوسيلة لفض المنازعات . وبدلا من ذلك تحظى بأعظم قدر من الاعجاب فى فولكلور الكونج الشخصيات التى تواجه الخصوم بالحيلة والخداع أكثر من مواجهتها بالقوة (٥٦) .

بطبيعة الحال يتعين أن نذكر أن الشعوب البدائية لم تعترض كلها على العنف . فالاختلاف كبير بين الميل للعنف عند المجتمعات البدائية ، ففيها عنف ، بل وتنشب بينها الحروب أيضا . ولكن النقطة الأساسية فى نظر جون داير هى أن المجتمعات السابقة للحضارة لم تكن تقدم كثيرا على قتل الآخرين . ويلاحظ داير أن مئات من مجتمعات الصيد والحصاد التى احتك بها الانسان الحديث تكاد تتبع نفس النظرة الى الحرب ! « انها من الطقوس غير المهمة ومباراة مثيرة وخطيرة ، ولعلها مناسبة تساعد على تحقيق الذات ، ولكنها لا تتعلق بالقوة والسلطة بأى معنى من المعانى الحديثة المعترف بها للكلمة . وبالتأكيد انها لا تحض على القتل » (٥٧) ، كما أنها لا تتعلق بغزو الأراضى .

ويعتقد داير أنه « قلما اهتدى الى مثل مسجل واحد لمثل هذه القبائل التى تشارك فى الصراع الدموى هى وجيرانها من أجل الضغوط السكانية أو ندرة الموارد الاقتصادية . وعلى الرغم من وجود العديدين الذين اشتبكوا فى حروب متدنية المستوى ضد جيرانهم فى وقت فراغهم ، الا أنه لا أحد قد تصور أن للانتصار فى الحرب الأهمية التى تدعو الى

تخصيص جانب كبير من الفكر لتنظيم الحرب بكفاية »(٥٨) . ان هذه الحرب القبائلية المتدنية المستوى كانت محدودة بطبيعتها ، وكانت خاضعة للطقوس الى حد كبير . ولعل المثل الخاص بمؤسسة هنود السهول الأمريكية التى لا يقتل فيها الخصم ويكتفى بلطشه قلمين بالكف أو بعضا من أفضل المثل الدالة على ذلك . وكثيرا ما كان القتال يتوقف فى أى يوم تحدث فيه خسارة شخص واحد . ولا ننسى الخطوات المتعمدة التى كانت تتخذ للحيلولة دون حدوث دمار فى الحرب . نعم كان هناك ضحايا فى الحروب ، وان كان عددهم فى أى وقت لا يتجاوز قلائل ، واستمرت المجتمعات فى البقاء دون أن تمس بأى أذى (٥٩) .

ويستخلص داير القول بأن الحرب فى ما قبل الحضارة كانت فى الأغلب رياضة عنيفة للذكور ، يمارسها الصيادون فى أوقات فراغهم من الصيد ، مع اتباع جميع القواعد التى تحد من الدمار التى تحرص عليها الرياضات التنافسية جميعا . ومن جهة أخرى ، وبعد أن تقدمت هذه الشعوب نحو امتهان الزراعة والرى توافر للمحاربين وقت حر أطول ، وبدءوا يعرفون المصالح المادية التى تتطلب الدفاع عنها ؛ وترتب على ذلك أن غدت الحرب أكثر دمارا(٦٠) . وتؤكد تحليلات كوينسى رايت لستمائة وثلاث وثلاثين ثقافة أن الصـيادين والحاصدين فى أدنى مستوياتهم ، وأيضا المزارعين فى المستويات الدنيا كانوا الأقل ميلا للحرب بين هذه الشعوب البدائية ، بينما كانت مجتمعات الرعى والفلاحة الأكثر تقدما هى الأكثر نزوعا للحرب (٦١) .

من هذا يتضح أن النتـائج التى انتهى اليها علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخون ، قد رأت وجود زيادة هائلة فى العنف صاحب نقلة المجتمعات من حياة الصيد والحصاد الى مجتمعات الزراعة الأكثر استقرارا ، وما صحب ذلك من بزوغ للمدن والبنادر ، وأدت التغيرات فى البيئات الاجتمـاعية والثقـافية والاقتصـادية والسياسية بالاشتراك مع الثـورة الزراعية الى حدوث تغيرات مهمة فى سلوك الكثير من المجتمعات البشرية ، وارتفع مستوى العنف والحرب بدرجة جوهرية .

وبالرغم من كل هذا ، فمن الواضح أن هناك أفرادا لا عدوانيين فى نطاق هذه المجتمعات العدوانية الحديثة . فمعظم المجتمعات حافلة بأناس يستنكرون ازهاق روح أى شخص آخر حتى فى حالات الغضب . وحتى اذا سلمنا بأن العدوان يمثل جانبا من البيئة الوراثية للانسان ، الا أن هـذا السبب لا يعـد كافيا لدفع معظم الناس الى قتـل الآخرين من بنى جنسهم . ويلاحظ ورنر ليفى فى تحليله الذى طالما استشهد به عن أسباب

الحرب عدم وجود وفرة من العدوانيين الذين يفدون الى مكاتب التجنيد أثناء الحرب ، مما دعا فى كل مكان الى تجنيدهم اجباريا لأداء هذه المهام • وبمجرد تجنيدهم فانهم يحتاجون الى جرعة قوية من التلقين حتى يتحولوا الى سفاكين • ويحتـاج الأمر الى قدر كبير من التكييف لاعدادهم للقتال بالسلاح الأبيض ، وحتى اذا كان الأمر كذلك ، ففى بعض الجيوش ترى أن أكثر من نصف الرجال الذين يفترض مشاركتهم فى القتال لم يضغطوا على زناد بنـادقهم (٦٢) • لقد كانوا على أتم استعداد للموت فى سـبيل بلادهم ، ولكنهم كانوا عازفين عن القتل فى سبيلها • وربما بدت العوامل البيئية قد نجحت نوعا على أقل تقدير فى قمع أية نوازع وراثية يحملها هؤلاء الرجال نحو العدوان •

التنشـئة : نظرية التعلم الاجتماعى :

لا يخـفى أن السلوك العنيف يختلف اختـلافا بينـا بين الأفراد والجماعات فما الذى يمكن قوله كتفسير لذلك ؟ ترى احـدى الاجابات امكان رد الاختلافات الى اختلاف تجارب التعلم •

وبين علماء النفس السلوكيون امكان تحوير العدوان عن طريق تعلم الاستجابات المسـالمة أو التعاونية وبينت الأبحاث التجريبية فى المعامل قدرة التكييف على تغيير سلوك الحيوانات • فمثلا ، أخبرنا سكوت كيف تدربت الفيران الذكور حتى أصبحت مسالمة تماما (٦٣) • ويظهر أيضا أن الكثير من المجتمعات « تعلمت » فى بعض الثقافات حتى كرد فعل للاحباط ، وحتى فى حالة وجود العدوان ، يلاحظ وجود نماذج بعيدة الاختلاف (ففى بعض المجتمعات كالاسكيمو هناك بعض العداوات الفردية ، ولكن ليست بها مشاركة جمـاعية فى الرفاهة • أما فى بعض مجتمعات الهنود ، فان الأفراد لا يتصـفون بالمشـاكسة (وان كانوا يشـاركون فى الحروب الجماعية) • وتنزع هذه الحالات الى اثبات وجوب تعلم العدوانات الفردية والعدوانات الجماعية • وتعطى دروس فى كل ناحية من الناحيتين كل على حـدة (٦٤) •

ويرى ألبرت باندورا ـ وهو من مؤيدى نظرية التعلم الاجتماعى ـ أن الجانب الأكبر من العدوان يتعلم من البيئة الاجتماعية (٦٥) • اذ يتأثر العدوان الى حـد كبير بعملية التطبيع الاجتماعى التى يتعرض لها جميع الشبيبة على وجـه التقريب فى بيوتهم وبين أبناء عـائلتهم وأقرانهم فى المدرسة والجماعات الدينية ، كجانب طبيعى من النمو والتعرف الى الأعراف الاجتماعية (وهنـاك قدر كبير من البينـات الدالة على أن الأفراد الأكثر

عدوانية قد انحدروا من بيوت تمارس فيها العقوبات البدنية ، وتعرض فيها المجرمون للاساءة أثناء طفولتهم (٦٦) • وتبين أن التجربة الاجتماعية وراء الشكل الذى يتخذه العدوان والمواقف التى يحدث فيها وشيوعه وشدتة والأهداف التى يوجه لها • وتساعد عملية التكييف الاجتماعى على تحديد المقامات التى يسمح فيها بالعدوان (ان وجد) والأهداف (ان وجدت) التى يسمح بها للأفراد والذين ينهضون بأدوار معينة فى المجتمع •

وبالمقدور تعلم العدوان مثل أى مسلك آخر اعتمادا على التجربة المباشرة ، أو عن طريق ملاحظة سلوك الآخرين • فما أسرع تعلم الأفراد كيف يتوقعون النتائج المختلف المسالك بفضل التجربة الشخصية ومن خلال ملاحظة الآخرين ومن الاتصال بهم •• وهلم جرا •• وبمجرد تبنى أى مسلك بعينه (عدوانى أم غير عدوانى) يتم الخفاظ عليه وتحويره أو استبعاده بوساطة « التعزيز » الموجب أو السالب • ويتحقق هذا التعزيز – أساسا – فى شكل عواقب تنجم عن أفعال الشخص وتتم السيطرة على السلوك البشرى الى درجة كبيرة عن طريق عواقبه • اذ تستبعد جانبا الاستجابات التى تنجم عنها آثار غير مجزية أو عقابية ، بينما يحافظ على الاستجابات التى تسفر عن نتائج مجزية وتقوى • واذا قوبلت الاستجابات العدوانية للمثيرات البيئية بالرضا من الأقران أو الأكبر سنا من المهيمنين ، أو اذا قوبل أولئك الذين يمارسون مثل هذا السلوك بالانتباه واستجيب لرغباتهم ، فى هذه الحالة سيفوز العدوان • ومن جهة أخرى ، اذا قوبلت التكتيكات العدوانية بالرفض والتأنيب أو الافتقار الى التأييد والانتباه أو العجز عن تحقيق الأهداف ، فى هذه الحالة سيخفف العدوان كاستجابة للمؤثرات البيئية •

ربما بدا مثيرا للاهتمام أن نفكر هنيهة فى الثقافة الجماعية فى الولايات المتحدة ، كما انعكست فى الأفلام السينمائية • واذا صح القول بأن الأفلام تعكس الاتجاهات الثقافية والاعراف فى المجتمع ، ولو صح أن الأطفال وصغار البالغين يتعلمون اتجاهات وأعرافا سلوكية من مثل هذه الأفلام ، فما هى دلالة ذلك بالنسبة للولايات المتحدة ؟ وبوجه خاص ربما أثار الاهتمام تأمل صنوف أبطال الأفلام الأمريكية ، فمن هم أبطالنا ولماذا احتلوا هذه المكانة ؟ فمن جون وين فى الخمسينات الى كلنت استوود وتشارلز برونسون فى الستينات والسبعينات الى سلفستر ستالونى وأرنولد شوارسنجر فى الثمانينات والتسعينات ، يلاحظ أن أبطال الأفلام الأمريكية الذكور من ممارسى العنف ، أو ممن يحسمون منازعاتهم بعصيان الشرائع القانونية السائدة ، أى أولئك الذين تبدو الحلول الوسط

والدبلوماسية وقبول الوساطة والتحكم والالتجاء الى القضاء مهازل تستحق السخرية أو الارتياب. فليس البطل من المسالمين الذين يحسمون خلافهم مع الجيران بالمنطق والاقناع ، ولكنه من المؤمنين بفاعلية العنف ويحسمون الخلاف عن طريق العنف والاقتصاص الدموى . وعلى هذا النحو فاننا نتعلم العنف عن طريق ثقافتنا .

ومن العوامل المعقدة خضوع الأفراد لتعاليم عدة مستمدة من البيئة ، فكل ثقافة سواء أكانت مستمدة من أمريكا القرن العشرين أم من الهنود الحمر فى القرن التاسع عشر أم من الفايكنج فى القرن العاشر ، تضع ثقافة عامة يكتسب من خلالها المواطنون روحهم الاجتماعية ، ويستوعبون أعرافها الثقافية . ومع هذا فان أغلب الثقافات — وبخاصة الثقافات الأكثر حداثة وتعقيدا — لها ثقافات ثانوية تتفرع منها مجموعة من القيم والأعراف المتنافسة . وبالاضافة الى ذلك ، فان كل فرد يواجه بتجارب تعليمية مختلفة نوعا فى البيت ومحل عمله . وربما كانت التجارب التعليمية فى هذه المستويات المختلفة متعارضة كل منها مع الأخرى . فمثلا بينما تنزع الثقافة العامة الى الصفح عن العنف ومكافأته ، تنفر الأسرة من هذه الثقافة وتعلم التعاون والممارسات البعيدة عن العنف . وفى مستوى آخر ، قد يكتشف المارس السياسى للعلاقات الدولية مجموعة مختلفة من المعايير الثقافية لها دور فعال فى علاقات الدول فى النظام الدولى . فقد تكون المسالك التى يكافأ عليها المرء فى المستوى القومى للثقافة ليست المسالك التى يكافأ عليها (أو يعاقب) فى البيئة الدولية .

فاذا صح أن السلوك الفردى نتاج للبيئة الثقافية ، آنئذ يحتمل أن يكون سلوك حكامنا نتاجا لعدة بيئات مختلفة . فلئن يكون سلوك جورج بوش فى الرئاسة نتيجة للثقافة الأمريكية فى عصره ، ولكنها قد تكون أيضا نتيجة لنشأته الخاصة فى البيت والمدرسة . وسيتأثر السلوك أيضا بالثقافات الفرعية التى اكتسب منها عاداته الاجتماعية عندما خدم فى وظائف الحكومة كرئيس المخابرات الأمريكية ، وسفير فى الأمم المتحدة ورئيس مكتب الاتصال فى بكين بالصين وكنائب لرئيس الجمهورية وهكذا . والمفروض أن يتأثر هذا السلوك أيضا بتجربته المباشرة فى المسائل الدولية وبملاحظاته لنتائج التصرفات الأمريكية فى حلبة الصراع الدولى .

قصارى القول ، فان نظرية التعلم الاجتماعى تذكرنا بأهمية الثقافة كمصدر للعنف ، وتوصينا اذا رغبنا فهم سر العنف والعدوان بحاجتنا الى ادراك كون الأفراد (بما فى ذلك الزعماء القوميون) هم فى الأغلب من

نتاج بيئات اجتماعية وثقافية تصفح عن العدوان ، بل وقد تكافئه وتستخف بالتعاون السلمى . على أن ما تتضمنه نظرية التعلم الاجتماعى عن القدرة فى التحكم فى العدوان والعنف يدل على التفاؤل . فاذا أمكن تعلم العدوان ، فسنكون بالاستطاعة أيضا عدم تعلمه . واذا صح أن العنف يعتمد على عوامل ثقافية وبيئية وأن بالامكان تغييرها ، وان تحقق ذلك حثيثا . فلا ننسى أن المؤسسات الثقافية من صنع الانسان وتخضع للممارسة الآدمية عبر الزمان . فهى دينامية وليست استاتيكية . فكما استبعدت أعراف معينة - اعتقد يوما ما أنها « طبيعية » - الى حد ما فى معظم الثقافات (كالرق مثلا) فهل يعد مستبعدا امكان ادانة العنف واستبعاده فى المستقبل ؟ .

خلاصـــة

قبل أن ننتقل الى التفسير الأكثر اتساما بالطابع الفردى للحرب ، يتوجب علينا أن نتطرق الى تعقيبين على نظريات عدوانية البشرية . أولا - لو صح أن للعدوان أساسا وراثيا أو غريزيا ، ولو صح أنه يمثل جانبا من « الطبيعة البشرية » آنئذ سيكون مصير محاولات استئصال الحرب الاخفاق بكل تأكيد . فمن الناحية المنطقية فاننا لو أردنا استئصال الحرب ، فاننا سنكون بحاجة الى :

١ - تغيير طبيعة الانسان .

٢ - أن توضع طبيعة الانسان العنيفة تحت قيود قاسية ومصطنعة بالضرورة .

٣ - التزويد بمنافذ للعدوان الآدمى الفطرى تتسم بكونها أكثر مقبولية أخلاقيا وثقافيا وأقل احداثا للدمار من الناحية الفزيائية . ولسنا قادرين فى الوقت الحاضر على التعرف على كيف سنحقق البند الأول . وحتى اذا تسنى لنا ذلك ، فليس من المستصوب الشروع فى العبث فى الطبيعة البشرية من خلال نوع ما من الهندسة الوراثية الراديكالية . أما البندان الثاني والثالث فقد تواصل تقديمهما الى حد ما فى مختلف العصور ، ولم يحققا نجاحا يذكر فى تعديل أو تحوير السلوك .

ثانيا - لو صح أن الحرب مستمدة من عدوانية نظرية تعد جانبا من الطبيعة البشرية ، فكيف اذن نفسر السلام ؟ فهل أصبح الناس مسالمين نتيجة لتمردهم على نحو ما على طبيعتهم ؟! وكما ذكرنا ، فان الحرب والعدوان ليسا من الأشياء الثابتة لا فى الزمان ولا فى المكان . ان بعض الشعوب

قد كشفت عن ميولها المسالمة بدرجة مثيرة للاهتمام ، بل وحتى الشعوب الأميل للحرب فانها لا تنشغل دوما بالحرب المنظمة • ان النظريات التى تحاول تفسير الحرب بالرجوع الى الطبيعة العدوانية المشهورة للبشر لن تستطيع تبصيرنا الا بالقليل عن الاختلافات الجوهرية فى مسلك الدول • فلما كانت عاجزة عن التصدى للتنوع الهائل فى مسلك الدول ، لذا اتضح أن النظريات التى اختصرت أسباب الحرب فى سبب واحد (العدوانية البشرية الفطرية) قد أثبتت عدم قدرتها على الاقناع ونحن سنغدو أقرب للنجاح فى الاهتداء الى نظرية للحرب اذا ركزنا - مثلما فعل أنصار نظرية التنشئة - على العوامل التى تفسر الاختلافات فى مسلك الأفراد والجماعات والأمم •

ومن بين التفسيرات لاختلاف الروح العدوانية عند الدول ارجاع هذه الاختلافات الى الخصائص الفردية والشخصية والسيكولوجية لزعماء الدول• فيقال ان الاختلاف فى عدوانية الدول يرد الى الاختلاف فى الطبائع السيكولوجية الشخصية لزعمائها ، وسنكشف عن هذه الامكانية فى الفصل التالى •

هوامش الفصل الثانى :

(١) اشكر شكرا جزيلا الاستاذ James Rosenau لملاحظاته .

(٢) سيستخدم المصطلحان « انسان » و « البشرية » من حين لآخر هنا للاشارة الجماعية للكائنات البشرية . ولم يقصد بها الدلالة على الذكور فقط .

(٣) William James فى مقال بعنوان The Moral Exuivalent of War ظهر ضمن كتاب اشرف على نشره كل من Bramson و Gothals بعنوان War : Studies from Psychology, Sociology & Anthropology (١٩٦٨) .

(٤) Sigmund Freud فى مقال بعنوان Why War ضمن كتاب تحت اشراف M. Small و J. D. Singer . وعلى الرغم من ان فرويد بالذات لم يستخدم مصطلح thanators الا ان آخرين استعملوه للدلالة على غريزة الموت .

(٥) Konrad Lorenz فى كتاب On Aggression (١٩٦٦) .

(٦) Robert Ardrey — African Genesis (١٩٦١) The Territorial Imperative (١٩٦٦) و The Social Contract (١٩٧٠) .

(٧) Lionel Tiger و R. Fox — The Imperial Animal

(٨) انظر مثلا Raymond Dart — The Transition from Ape to Man مجلة الانثروبولوجيا واللغويات الدولية (١٩٥٢) ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٩) The Making of Mankind-Richard Leacky ١٩٨١ (ص ٢٢١ـ٢٢٥).

(١٠) Edward O. Wilson — Sociobiology ١٩٨٠ (ص ١٢٠ ـ ١٢١) .

(١١) Lorenz — On Aggression

(١٢) Samuel S. Kim and The Lorenzian Theory of Aggression — Peace Research ضمن The War System (ص ٨٤) .

(١٣) Lorenz — On Aggression ص ٥٢ ـ ٥٣ و Studies in Animal & Human Behavior ـ استشهد بها Kim فى كتاب The Lorenzian Theory ص ٨٥ .

(١٤) Anthony Storr Aggression is an Instinct ضمن كتاب اشرف على اخراجه D. Bender و B. Leone بعنوان Are Humans Aggressive by Nature ? (١٩٨٣) ، ص ١٦ ـ ٢١ .

(١٥) J. P. Scott : The Old-Time Aggression ضمن كتاب أشرف عليه Ashley Montaga بعنوان Man and Aggression ١٩٦٨ .

(١٦) The Territorial Imperative-Ardrey ص ١٦٨ ـ ١٧٣ و ١٧٩ـ١٨٣ و ٢٣٣ ـ ٣٣٨ . ويتشابه التركيز هنا على الاحتياجات الفطرية الى حد ما مع تصور عالم النفس Abraham Maslow عن instincoid needs ـ انظر كتاب Motivation and Personality-Maslow (١٩٥٤) .

(١٧) The Territorial Imperative Ardrey ص ١٨٠ ـ ١٨٢ .

(١٨) Aggression - Leonard Berkowitz ـ (ص ٩ ـ ١١) .

(١٩) استشهد بها Blaine Hardin في كتاب Boring, Boring Boring في جريدة الواشنطن بوست ٣١ يناير ١٩٨٢ ، ص ١ D ـ D٤) .

(٢٠) استشهد بها Kenneth Boulding في كتاب Conflict and Defense ١٩٦٢ ، ص ٣٠٦ .

(٢١) انظر على سبيل المثـال Diane Fossey في كتاب Mist ;كتاب Jane Crood all Through a Window (١٩٩٠) .

(٢٢) Goodall انظر بوجه خاص ٧٥ ـ ٨٤ و ٩٨ ـ ١١١ و ٢٠٦ ـ ٢١٦ .

(٢٣) The Lorenzian Theory - Kim ص ٨٨ .

(٢٤) The New Litany of Innate Depravity Ashley Montagu ضمن كتاب أشرف عليه Ashley Montagu بعنوان Man and Aggression ص ٩ ـ ١١ .

(٢٥) The Lorenzian Theory - Kim ص ٩٧ .

(٢٦) The Science of Conflict James A Schellenberg (١٩٨٢) . ص ٣٠ وكتاب That Old-Time Regime Scott ص ٥٢ .

(٢٧) انظر على سبيل المثال The Fashionable View of - David Pilbeam Man as a Naked Ape مجلة New York Times Magazine في ٣ سبتمبر ١٩٧٢ ص ١ استشهد بهـا Ronald Glossop في كتاب Confronting (١٩٨٧) ص ٤٥ ـ طرحت معظم هذه الحجج قبل ظهور ملحوظات Goodall عن سلوك الشـمبانزى ـ وعن علاقة ارقى انواع القرود Primates بالاختلاف فى الاقليم انظر كتـاب : Life and Death Gombe Jane Goodall المجلة الجغرافية القومية العدد ١٥٥ (مايو ١٩٧١) .

انظر ايضا كتاب Through a Window-Goodall السابق ذكره آنفا .

(٢٨) That Old — Time Aggression — Scott ص ٥٦ .

(٢٩) The Lorenzian Theory — Kim ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٣٠) نفس المصدر ، ص ٩٥ .

(٣١) Through a Window — Goodall ص ٢١٠ .

(٣٢) The New — Sociobiology Synthesis — Edward O. Wilson
(١٩٧٥) انظر أيضا كتاب On Human Nature — Wilson ١٩٧٨ .
(٣٣) On Human Nature — Wilson ص ٢٠ ـ ٢٢ .
(٣٤) نفس المصدر ص ٩٩ ـ ١٠٠ وأغلب ما جاء فى الفصل الخامس ، ص ٩٩ ـ ١٢٠ .
(٣٥) Sociobiology — Wilson ١٩٨٠ ، ص ١٢٢ .
(٣٦) نفس المصدر .
(٣٧) On Human Nature ص ١٠٦ ـ ١٠٧ و ص ١١٤ وأيضا ص ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٣٨) نفس المصدر ، ص ١١٦ـ١١٧ .
(٣٩) نفس المصدر ص ١١٩ .
(٤٠) نفس المصدر ص ١١٩ .
(٤١) "Ashley Montagu « مقدمـة » فى كتـاب اشرف على تحـريره A. Montagu بعنوان Sociobiology Examined (١٩٨٠) ، ص ٦ ، ٧ .
(٤٢) Sociobiology - Wilson ١٧٥، ص ـ ٢٤٥ .
(٤٣) Sociobiology Examined — Montagu ص ٧ ـ ٨ .
(٤٤) نفس المصدر .
(٤٥) نفس المصدر ٨ ـ ١٠ انظر ايضا Marshall Sahlins The Use - and Abuse of Biology
(٤٦) انظر War in International Society — Evan Luard (١٩٧٦)
(٤٧) انظر على سبيل المثال Foreign Policy, — John A Vasquez ضمن كتاب اشرف على تحـريره C. F. Hermann Learning and War وآخرين بعنوان New Directions in the Study of Foreign Policy (١٩٨٧) ص ٣٧٢ .
(٤٨) The New Litany — Montagu ص ٦ ، ص ١٦ .
(٤٩) The Making of Mankind — Leaky ص ٢٢٩ .
(٥٠) نفس المصدر ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، ٢٣٧ .
(٥١) Andrew Bard و The Parable of the Tribes — Smookler (١٩٨٤) .
(٥٢) Peaceful Societies — David Fabbro ضمن كتاب أشرف على تحريره Falk, Kim بعنوان The War System ص ١٨٠ ـ ٢٠٣ .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ١٣١ .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ١٩٩ .
(٥٥) نفس المصدر ص ١٨٨ .
(٥٦) The Harmless People — Elizabeth Thomas (١٩٥٩)
استشـهد به Seyoss Brown فى كتاب The Cause and Preventation of War ص ٤
(٥٧) War — Gwynne Dyer ١٩٨٥، ص ٦ .
(٥٨) نفس المصدر ، ص ٩ .

(٥٩) نفس المصدر ·

(٦٠) نفس المصدر ، ص ١٠ ·

(٦١) A Study of War — Quincy Wright ١٩٦٥ ، ص ٦٣ ·

(٦٢) The Causes of War and the Condition of — Werner Levy
Peace ضمن كتاب اشرف على تحريره Richard Falk S. H. Mendlovitz بعنوان
Toward a Theory of War Prevention ١٩٦٦ ·

(٦٣) The Old Time Aggression — Scott ص ٥٤ ·

(٦٤) انظر كتاب Warfare is only an Invention — Margaret Mead
ضمن كتاب بعنوان : Peace & War اشرف على تحريره Charles Beitz
Theodore Herman ١٩٧٣ ، ص ١١٢ ــ ١١٨ ·

(٦٥) The Social Learning Theary of Aggresion — Albert Bandura
ضمن كتاب The War System — Fatk and Kim ص ١٤١ــ١٥٦ ·

(٦٦) Edwin I. Megargee و Jack E. Hokanson بعنوان The Dynamics
of Aggression (١٩٧٠) ، ص ٤٣ · جاءت فى كتاب Lloyd Jensen بعنوان
Explaining Foreign Policy ١٩٨٢ ، ص ٢٠ ·

الفصـــل الثالث

المستوى الفردى للتحليل :
التفسيرات السيكولوجية للحرب

لا يتوجه عامة الناس للحرب بمحض اختيارهم ،
ولكن هوس الملوك هو الذى يسـوقهم اليهـا ــ
سير توماس مور ٠

حتى الآن كنا نتبع فى بحثنا الزعم بارجاع عدوانية البشر الى جوانب مشتركة بينهم الى حد ما كالغرائز العدوانية الموروثة من خلال آلاف السـنوات ، والاستعداد الثقـافى نحو العنف والاحتياجات السيكولوجية المشتركة العامة للبشر ٠ ولا يستبعد أن يكون الأهم من ذلك هو الاختلاف بين الآدميين ، وليس ما بينهم من تماثل ٠

ولابد أن يكون واضحا عدم ضرورة توافر نفس الطبيعة لجميع البشر ٠ فلا يخفى أن بعض الناس أعنف من البعض الآخر ، وهناك اختلافات جمة فى التكوين السيكولوجى للأفراد ٠ انها اختلافات مهمة تساعد على فهم الصراع بين البشر ٠

تأمل الحرب التى اندلعت بين الهند وباكستان ١٩٧١ ٠ فقد غزت قوات غرب باكستان شرق باكستان ، لقلب نتائج انتخابات جرت هناك كان من المحتمل أن تضع زعيم باكستان الشرقيـــة على رأس الدولة ، وتحملت الهند عبء نزوح أكثر من عشرة ملايين لاجىء من شرق باكستان، وشعرت بالمرارة التى ترجع الى سنوات طويلة خلت ضد باكستان ٠ واخيرا ، أمر رئيس وزراء الهند غاندى القوات الهندية باختراق خمسة أميال داخل أرض باكستان ، وأصدر انذارا يأمر فيه حاكم باكستان يحيى خان بالانسحاب من باكستان الشرقية ٠ واختار يحيى خان الحرب بدلا من ذلك، وكان خطأ جســـيما ٠ اذ تعرض جيشه لهزيمة سريعة وحاسمة انتهت باستقلال باكستان الشرقية تحت اسم بانجلاديش ٠ فلماذا حدث هذا ؟ ولنتأمل كيف نظر جون ستوسنجر الى رد فعل يحيى خان للانذار الهندى ، فقد اعتبره :

« صفعة شديدة في جميع الظروف ، ولكن في نظر انسان مثل يحيى خان يعتز بفحولته رغم هشاشته ، فان وصول هذا الانذار من امرأة بدا غير مقبول سيكولوجيا • وهكذا فحتى رغم ادراكه تفوق القوات الهندية في العدد بالنسبة لقواته (خمسة أضعاف) فقد أمر رئيس باكستان بشن هجوم جوى ضد الهند في ٣ ديسمبر (١) » •

فلعل يحيى خان المعتز بفحولته وفى سبيل الدفاع عن ذكورته ازاء منافسته الأنثى كان عاملا حاسما في قرار خوض الحرب !

فمن المناسب اذن أن نبحث عن أسباب الحرب بعد النظر في التكوين الفردى لأولئك الزعماء الذين يحتلون مناصب تساعدهم على تقرير مصير دولهم • وفى هذا المستوى من التحليل ، يكون الافتراض الأساسى هو اختلاف القرار باختلاف الأفراد • فمن المسائل ذات الأهمية شغل بوريس يلتسين منصب زعيم روسيا فى الكرملين خلفا لجوزيف ستالين • وهناك اختلاف بين شغل جورج بوش لمنصب رئيس الولايات المتحدة بدلا من جيمى كارتر ، ويفترض أن تكون لهذه الناحيــة أهميتها ، لأنه فى معظم الحالات خضع التعجيل بخــوض الحروب لقرارات فردية من الزعماء ومستشاريهم • وقد يكون من الصعب الاهتداء الى أمثلة لأية حرب وقعت دون صدور قرار من أعلى مستويات السلطات الحكومية • وهكذا فاذا أردنا معرفة لماذا تنشب الحرب ، كان علينا أن نتعرف على الأفراد الذين كانوا مسئولين عن اصدار مثل هذه القرارات •

ومن ناحية أخرى ، علينا أن نلتزم الحرص قبل أن نختصر أسباب جميع الحروب ونجعلها قاصرة على التكوين السيكولوجى للزعماء كأفراد • فمن الواضح أن هناك عددا كبيرا من العوامل المهمة التى تتحكم فى قدرة أى زعيم بمفرده على اصدار قرار الحرب أو الســلام كدور الأجهزة البيروقراطية الحكومية فى رسم الســياسة وتنفيذها ، وفى النواحى الرسمية وغير الرسمية المحيطة بصنع القرار •• وهكذا • ومن الواضح أيضا أن هناك بعض مواقف تتراخى فيها هذه القيود وتفتر قوتها ويتسنى فيها للزعيم بمفرده التأثير على السياسة القومية • وفى مثل هذه المواقف قد يكون لشخصية الزعيم والخصائص السيكولوجية دور حاسم •

فما هى الظروف التى نتوقع فيها تمكن الزعماء من تجاوز القيود التنظيمية العادية ؟ والاجابة واضحة على ذلك : عندما يصنع القرار فى أعلى مستويات النظام السياسى • فقد يكون الموقف من المواقف التى يضع فيها كبار المسئولين ومستشاروهم القرار • فكلما ارتفع قدر الشخص فى الهيرارشية البيروقراطية ، قلت القيود التنظيمية التى تقيد تأثير الشخصية

على القرار • ولعل هذا القرار سيكون القرار الذى يختص بالمسئولية عنه أعلى صناع القرار وحدهم • وكلما قل عدد الأفراد المعنيين ازددنا قدرة على التركيز على العوامل الفردية والشخصية، بدلا من تركيزنا على العوامل المؤسسية • ولكن متى نصادف صنع القرار فى أعلى المستويات (٢) •

يصنع القرار بمعرفة قلة من شـــاغلى الوظائف العليا فى بعض الأحـــوال :

١ ـ عندما تتطلب الاجراءات الدستورية الرسمية (العوامل غير الرسمية المرتبطة بالموقف) تبعا لنوع القرار المعنى أو تكوين الموقف •

٢ ـ عندما يسمح للزعيم المتربع على القمة بقدر كبير من حرية العمل واصدار القرار على مسئوليته الخاصة (كما يحدث فى الأنظمة الديكتاتورية) •

٣ ـ عندما يكون للزعيم قدر كبير من المصلحة فى اصدار القرار •

٤ ـ عندما تكون هناك مؤسسة واحدة مسئولة عن القرار ، ويسمح لقلة من العاملين فى هذه المؤسسة برسم السياسة بغير تعويق من معارضة القوى البيروقراطية الأخرى •

وفضـــلا عن ذلك فسيسمح للخصائص الشخصية لهؤلاء الزعماء المتربعين على القمة بقدر كبير من التأثير على السياسة •

٥ ـ عندما يكون القرار من القرارات اللاروتينية أو المواقف غير المتوقعة ، أى المواقف التى لم توضع لها تعليمات روتينية مستديمة تحد من سلطة صناع القرار أو من حريتهم فى العمل ، كما يحدث فى الأزمات •

٦ ـ عندما تكون المعلومات المتعلقة بالموقف اما شحيحة الى أقصى درجة ، أو عندما يكون الزعماء غارقين فى بحر من المعلومات المكثفة ، وتكون المعلومة المستحدثة مشحونة بالتفاصيل • وفى هذه الحالة ، يكون الموقف شديد التضارب مما يسمح للأفراد بتحديد الموقف بأنفســـهم واصدار القرارات المتوافقة مع ميولهم وقابليتهم •

٧ ـ عندما يكون صانع القرار صاحب تجربة بسيطة ، أو لم يتدرب تدربا كافيـــا على المســـائل الخارجية ، ومن ثم فانه يعمد الى اختزال الريبرتوار المتعلق بالخيارات السياسية الممكنة ، مما يرغم القائد أو الزعيم على الرد ، اعتمادا على قدراته الفطرية فى حل المشكلات •

٨ ـ عندما يكون الموقف مصحوبا بقدر كبير من التوتر •

فإذا إفترضينا أننا واجهنا العديد من هذه الحالات ، فان علينا الشروع فى فحص بعض الخصائص الشخصية التى قد تؤدى دورا حاسما فى تقرير هل يحق للزعيم اختيار قرار دفع شعبه للحرب ٠

الاحتيـــاجات السيكولوجيـــة :

تعرف علماء النفس على حالات مختلفة من الاحتياجات السيكولوجية، وبعضها وثيق الصلة بالسياسة ، كالحاجة للاعجاب بالذات أو الحب ، والحاجة للتقدير أو الشعور بالاعتزاز والحاجة لتحقيق الذات أو اثباتها ٠ كل هذه الاحتياجات ممكن التعرف عليها ، وتضاف اليها الحاجة للأمان والسلطة والسيطرة (٣) ٠ على أن جميع الأفراد لهم نفس الاحتياجات ، التى تختلف أهميتها باختـــلاف الشـــخص ٠ فبينما يبدو بعض أفراد خاضعين لحاجتهم للتقدير الذاتى ، فان آخـرين تتسلط عليهم الحاجة لنسلطة أو أى شيء آخر ٠ وافترض ماسلاو (ابراهام) وجود هيرارشية للاحتياجات ورتبهم حسب الأفضلية على الوجه الآتى :

١ ـ الاحتياجات البيولوجية (الفزيائية) كالغذاء والماء والهواء والجنس ٠٠ وهلم جرا ٠

٢ ـ احتياجات الأمان ـ تأمين البقاء٠

٣ ـ الاعجاب بالذات وتعلق الآخرين يعنى الحب ٠

٤ ـ احتياجات التقدير الذاتى واحترام الآخرين ٠

٥ ـ احتياجات تحقيق الذات والارتقاء الذاتى (٤) ٠

وتمشيا مع ما ذكره ماسلو فان هذه الاحتياجات غريزية ، ومشتركة بين الجميع ٠ فهى موجودة لدى الكافة (بالقوة) ، وتحتكر كل مجموعة من الأهداف بدورها وعى الفرد ٠ فعندما يتم اشباع المجموعة الأولى من الاحتياجات ، تنزع التالية لها فى المرتبة الى السيطرة على الحياة الواعية ، وتضطلع بدور مركزى فى تحريك السلوك الانسانى ٠ ولن تنشـــط الاحتياجات الأسمى الا بعد اشباع الاحتياجات الأولية بقدر معقول ٠ فمثلا اذا تحقق اشباع كل من الاحتياجات السيكولوجية واحتياجات الأمان تغدو احتياجات الاعجاب بالذات هى الأهم لأى فرد بعينه وتتخذ الصدارة على ما سبق اشباعه من احتياجات (٥) ٠

ومما له أهمية خاصة فى تصوير ماسلو للفرد الذى يسعى لتحقيق ذاته ، يعنى الفرد الذى حقق اشـــباع احتياجاته الفزيائية واحتياجاته السيكولوجية الخاصـــة بالأمان وتعلق الآخرين والتقـــدير الذاتى ، أنه

يشعر بعد الاطمئنان الى الشعور بالأمان الفزيائى والسيكولوجى بازدياد وثوقه فى بيئته • والمفروض أن يتوافر للأفراد الشديدى التقدير لأنفسهم ليس فقط زيادة الوثوق بأنفســهم ، وانما أيضا أن يكونوا أشداء فى الاعتراض على استعمال القوة • ومع هذا فلا يستبعد أن تدفعهم ثقتهم فى قدرتهم الى التفوق على الآخرين فى تحمل الأخطار • ومن جهة أخرى ، فقد صــور ماســلو الأفراد الذين لا يقدرون أنفسهم تقديرا كافيا بأنهم قلقون ومشاكسون وغير متعاونين ويتصفون بالخشونة فى المعاملة ومصابون بالبارانويا ومتعصبون لقوميتهم وعندهم ميل لاستعمال القوة العسكرية • ويفترض أن يكون هذا الميل للسـلوك العـدوانى نتيجة لاحتياج الفرد للتعويض (أو للغلو فى التعويض بمعنى أصح) من أثر القلق الناجم عن قلة تقديره لذاته •

وربما خطرت ببالنا هنا ملاحظة هنرى كيسنجر عن الزعماء السوفيت الذين مروا بتجربة التطهير وشاهدوا ارتيابات عهد ستالين ، ولقد تعرضوا من أثر هذه الشكوك العامة وافتقارهم الى الوثوق فى الآخرين الى زيادة الشك فى العالم الخارجى أيضا ، وبخاصة الولايات المتحدة (٦) •

ومن المحتمل أن يكون دارسو السياسة على علم بالزعماء الذين يبدو أنهم شديدو الاشتهاء للسلطة • فالأناس الذين تهيمن عليهم فكرة السـلطة يميلون للتحـكم فى الآخرين والى المغـالاة فى المجادلة وجنون العظمة ، ويفتقرون الى الاهتمامات الانسانية ، ويكشفون قدرا كبيرا من التردد فى المخاطرة (وربما كانت هذه الصفة نعمة على البشرية) • ويتصل باحتياج الفرد للسلطة الميل للسلوك الاستقلالى والأضطهادى (٧) • ويعتقد أن من تهيمن عليهم فكرة التسلط يعوضون ــ فى الأغلب ــ تجارب حرمان حدثت لهم فى طفولتهم عندما لم يستجب لاحتياجاتهم للأمان والحب والانجاز والتقدير الذاتى (٨) • ولسوء الطالع فان هؤلاء الأفراد ميالون لشغل وظائف الزعامة • ويصح القول بأن هذه الخاصية هى السـمة الغالبة على الساسة المحترمين ! ورأى هارولد لاسول منذ سنوات عديدة أن الدافع الأول للاشتغال بالسياسة هو الافتقار الى الأمان العاطفى ، أو ضآلة التقدير الذاتى ، وهذه حالات يعوضها النزوع للتسلط (٩) ، بل وهناك بعض شواهد على أنه كلما ازدادت حاجة من يشغلون مناصب القمة للسـلطة ، ازدادت سياسـة حكوماتهم الخارجية امعـانا فى العدوان (١٠) •

ومن جهة أخرى ، فان الأفراد الذين تسـيطر عليهم الحاجة الى الانتساب الى جماعة مرموقة والحاجة للانجاز ، يميلون الى زيادة التعاون والتفاعل مع الآخرين • ولقـد بينت دراسة ونتر وستيوارت لرؤسـاء

الولايات المتحدة أن الرؤساء أصحاب أعلى قدر من الرغبة فى الأحزاب والاحتياج للانجاز (باعتبار هذه الاحتياجات مقابلة لاحتياجات التسلط) كانوا الأقل استعدادا للخوض فى الحرب والأكثر استعدادا لمساندة التحكم فى التسلح (١١) • وبينت دراسة تيرهون للتظاهر فى العلاقات الدولية أن الأفراد من أصحاب الاتجاهات الانجازية يجعلون الصدارة للاستراتيجيات التعاونية ، آملين أن يقتدى بهم خصومهم فى هذه الروح التعاونية (١٢) •

صفات الشخصية :

يعرض البشر أنواعا شتى من صفات الشخصية ، الا أن بعضها له ارتباط خاص بموضوع الحرب • ومن بين أنماط الشخصية التى قد يرغب دارسو الصراع الدولى التعرف عليها ما سماه ميلتون روكيش بالشخصية الدوجماطيقية (١٣) • ويتصف المنتمون الى نمط الشخصية الدوجماطيقية بضيق العقل • فهم يرفضون قبول أية بينات جديدة تتعارض هى ومعتقداتهم ، أو تطبيقها ، ومن ثم يرتابون فى مصدر هذه المعلومات الجديدة ، كما أنهم يضيقون بالمعلومات المتضاربة ولا يرحبون بها • ومن المستبعد اقدامهم على فحص المجالات الكاملة للبدائل المتاحة ، ولديهم ميل للاعتماد على المعلومات المتطابقة • ويتصفون بوجه عام بالتشكك ، ويعانون من قدر كبير من القلق • ومن المحتمل أن يتوجسوا من احتمال وجود مؤامرة وراء هذه النوعية من المعلومات ، ولديهم أيضا استعداد للتغاضى عن الالتجاء للقوة (١٤) • واذا سلمنا بهذه المجموعة من الصفات غير المستساغة ، فاننا لن نعجب اذا عزفنا عن الترحيب بنهوض واحد من أرباب الشخصية الدوجماطيقية بشغل منصب القيادة أو التحكم فى ادارة دفة الأحداث عند حدوث أزمة دولية •

ومن بين مجموعة الصفات التى يحتدم النقاش حولها تلك التى تخص من يصح تسميتهم بالشخصيات السلطوية • وثمة دراسة شهيرة أجراها تيودور ادورنو ورفاقه تعرفوا فيها على مجموعة من الصفات التى تمثل هذه الشخصية ، ثم وضعوا سلما يستعان به للتيقن (اعتمادا على الاستبيان) من اتصاف فرد بالذات بهذه الصفات (١٥) • وعلى الرغم من ان أدورنو أسمى «سلمه» سلم ف (نسبة الى الفاشية) ، فان من حصلوا على أعلى الدرجات فى هذا السلم قد نزعوا للاتصاف بمعتقدات تدرجهم ضمن فئة الفاشيين اليمينيين أو متطرفى اليساريين •

والصفات المتصورة تتضمن الافراط فى العنفوان والقوة والميل للهيمنة على المرؤوسين والاذعان للرؤساء والحاجة لادراك العالم فى هيئة

صرح مكتمل والضيق بالفوضى وإيثار الاختبارات المحدودة المعالم والاعتماد على النماذج المتطابقة • وبالاضافة الى الأثر الواضح الذى قد تتركه مثل هذه النوعية من الشخصية فى قدرة الأفراد على اتخاذ أية قرارات عقلانية ، الا أن ما يبدو له أهمية خاصة هو جنوح السلطوى الى اتباع صفات شديدة التعصب للقومية والعنصرية • وكلتاهما مرتبطة بمناصرة الحرب والعدوان (١٦) •

ويعرف دارسو السياسة أيضا الأشخاص أصحاب الشخصية المتسلطة ، وهنا يخطر ببالنا فى التو شخصيات ليندون جونسون وريتشارد نيكسون وهنرى كيسنجر • ويحتمل أن يكون هناك جملة أشخاص يتحلون بهذه الصفات فى عالم السياسة • وتشترط أنماط الترشيح للوظائف السياسية توافر شرط القدرة على التسلط عند الترقية لأرفع المناصب • وبينت دراستان مستقلتان للرؤساء الأمريكان ومستشاريهم للشئون الخارجية ، أن الأفراد أصحاب الصفات المهيمنة كانوا عادة وغالبا الأميل للدفاع عن سياسات التهديد واستخدام القوة العسكرية والاعتراض على سياسة المهادنة ومصالحة الأصوات المعارضة ، وأنهم تفوقوا فى هذا السبيل على الشخصيات التى لم تحرز درجات عالية فى عالم التسلط • وتمكن مؤلفا الدراستين اعتمادا على معرفة الشخصية الفردية « من التنبؤ بدقة (٧٧٪) بالوقت الذى ستدافع فيه مثل هذه الشخصية عن استعمال القوة أو لا تدافع عنها (١٧) » • وبعبارة أخرى ، فالظاهر أن الصفات الشخصية للتسلط قد استنبطت عن طريق التعميم من شخصية الفرد العادى وطبقت على عالم السياسة • ويجنح الزعماء المتسلطون الى التعامل مع البلدان الأخرى بنفس الطريقة التى يتعاملون بها مع باقى الأفراد • وهذا اكتشاف مهم • فالظاهر أن ما يتحكم فى قرارات استعمال القوة على المستوى القومى يخضع ــ جزئيا على أقل تقدير ــ للخصائص الشخصية للتسلط واكتشف أحد المحللين أنه فى حالات الاختلاف المتعلقة بسياسة الولايات المتحدة تجاه المعسكر السوفيتى ، كانت الشخصيات الأكثر جنوحا للاكستروقرتية (الانبساطية) هى الأكثر ميلا للدفاع عن السياسات التعاونية والاعتراف بوجود الآخرين من الشخصيات الأكثر جنوحا الى الانطوائية (الانتروفرت) • ولما كان هناك تفاعل بين العوامل الشخصية فلا غرو اذا بدا أن الجمع بين عوامل شدة التسلط وعوامل الانطوائية قد خلقت خليطا غير مرغوب فيه • وفيما يلى تحليل التدرج لمثل هذه الشخصيات التى سماها زعماء رفض طلبات الخارجين عن كتلهم السياسية (*) ، وتضم بين صفوفها جون فوستر دالاس وودرو ويلسون وهربرت هوفر وتشارلز

(*) Block excluding.

ايفانس هيوز وهنرى ستمسون ودين اتشيسون وكورديل هل (وكلهم من الشخصيات الأمريكية التى رددتها الصحف مرارا) .

ويميل زعماء (الكتل) الى تقسيم العالم فى فكرهم بين من يتبعون القيم الأخلاقية التى يعتقدون أنه لابد للعالم أن يتبعها والقوى المعارضة لهذه الرؤية . وهم يميلون الى عقيدة ثنائية أشبه بعقائد المانويين فى جعل نظراتهم تستند الى مبدأ أخلاقى . وهم يجنحون الى دفع الآخرين الى وصفهم بالعناد والتصلب في الرأى ، ويسعون الى اعادة تشكيل العالم تبعا لرؤيتهم الشخصية ، وكثيرا ما تتسم سياساتهم الخارجية بالعناد الذى يتمسكون فيه بفكرة محورية واحدة (١٨) .

ومن الشخصيات الأخرى المثيرة للاهتمام الشخصية النرجسية . والنرجسية تمثل شخصية مركبة مؤلفة من مكونات تتضمن الاستعداد لاستغلال الآخرين وتسخيرهم لغاياتهم والاستمتاع بالزعامة والأدوار التسلطية . وبكل ما يثبت أهميتهم الذاتية وتفوقهم وعظمتهم وأنانيتهم والافتقار الى التعاطف مع الآخرين والولع بالتوافه المادية وشدة الحساسية لأحكام القيمة التى يصدرها الآخرون . ولقد اكتشفت علاقة قوية بين النرجسية والخصومة والعدوان والحاجة الى السلطة (١٩) .

واستخلص عالمان نفسيان ـ على أقل تقدير ـ أن صدام حسين من أرباب الشخصيات النرجسية . اذ يرى صدام فى نفسه شخصية تاريخية عظيمة ويتصور نفسه زعيما عالميا له نفس مكانة جمال عبد الناصر وماوتسى تونج أو كاسترو . ويرتبط هذا التماثل بحلم المجد والرؤية السياسية لتخليص العالم العربى من النفوذ الغربى ، وتوحيده تحت امرة حاكم واحد ، يعنى صدام حسين بالذات . ووصف بأنه يحمل نظرة بارانوية للعالم . فهو يبرر عدوانه ويراه أمرا له ما يبرره نتيجة لتهديدات أعدائه . ويرى كانسان سيطر عليه النزوع الى التسلط بلا حدود . وهذه نزعة لا يكبحها ضمير أو اهتمام بمعاناة الآخرين . بيد أن هذه الأحلام بالمجد ومشاعر التميز والوضوح الميسيانى (بالاضافة الى أفعاله العدوانية) تخفى فى كوامنها الشك فى الذات وعدم الشعور بالأمان (٢٠) .

وثمة نوع آخر من صفات الشخصية يستأهل الذكر . اذ يبدو الاستعداد لتحمل المخاطر من الخصال ذات الأهمية الكبرى فيما يتعلق بقرارات الحرب أو السلام . ففى مثل هذه المواقف يظهر بعض صانعى القرار أنهم أكثر استعدادا ـ نسبيا ـ لتحمل المخاطر ، بينما يبدو آخرون أكثر ميلا لتجنب المخاطرة . وبعد التسليم بنفس التقييم لمغانم الحرب ومغارمها ، فان بعض صانعى القرار لا يمانعون فى تحمل مخاطرة الحرب

مع ادراكهم أن نسبة النجاح قد تكون حوالى ٥٠٪ ، بينما يطالب آخرون من صناع القرار بنسبة أعلى من النسبة المحتملة (. يعنى حوالى ٧٥٪) . وقد يضطلع هذا الاختلاف الفردى بدور مهم فى اصدار القرار بخصوص الحرب (٢١) .

أما الجانب المروع من القصة فيتمثل فى اشتهاء عدد كبير من عامة الناس ، من المنتسبين للخلفيات الغريبة والشخصيات البعيدة عن الجاذبية ، لشغل الوظائف السياسية العليا . واكتشف روبرت أيزول فى دراسة لثمانية من شاغلى الوظائف السياسية العليا فى القرن العشرين العناصر الآتى ذكرها فى خلفيات الشخصيات التى تولى دراستها :

١ ـ « أنا » قوية .

٢ ـ شدة التعلق بالأمهات ، اللاتى غالبا ما يكن من المتدينات .

٣ ـ حدوث صراع مع أب صلب الارادة ، وتقمص شخصية الأب .

٤ ـ حياة جنسية مقيدة وأسىء توجيهها .

٥ ـ وجود ميل للتحفظ والابتعاد سيكولوجيا عن الآخرين .

٦ ـ اتباع منظور متماسك للعالم .

٧ ـ الميل للتصلب الفكرى .

٨ ـ رفض التسليم بالأمر الواقع .

٩ ـ احتقار البيروقراطية والغلو فى الثقة فى الارادة واللابدية .

التـــاريخ النفســـانى :

ان من تجرى له ثلاثة فحوص نهائية فى ذات اليوم يشعر بوجود خيط وثيق بين الصحة العقلية والمرض العقلى . اذ يبدو أن التوترات والشدائد فى الدوائر السياسية العليا كثيرا ما تضع شاغلى الوظائف الحكومية فى موقع قريب من هذا الخط الرقيق الذى يفصل العقل عن الجنون ، أكثر مما يرغبون أو ترغب . ويعتقد جيروم فرانك أن هناك عددا كبيرا يناهز ٧٥٪ من رؤساء الولايات المتحدة قد عانوا من الاجهاد العقلى العنيف أثناء ممارستهم للسلطة (٢٣) . ووصف كتاب السير كلا من هتلر وويلسون وستالين بأنهم تعرضوا لمشكلات سيكولوجية جسيمة . ولما كان هؤلاء المشتغلون بكتابة السير قد جمعوا بين العلم بالتاريخ وبعلم النفس ، لذا كثيرا ما وصفت كتاباتهم بالتاريخ النفسى (*) .

(*) Psychohistory.

ووصف روبرت تاكر في سيرته لستالين الزعيم السوفيتي بأنه شخصية مصابة بعصاب ، ولديه تصور مصطبغ بصورة مثالية لنفسه التى كان يراها كشخصية بطولية . كما أنه توهم وجود هوية بينه وبين بطله لينين (تبعا لما قاله تاكر) . ولما كانت هذه الصورة المصطبغة بطابع مثالى قد امتزجت بشكوك مزعجة فى تقديره لذاته ، لذا تسلطت على ستالين فكرة السعي نحو التسلط وشغل المناصب والانجاز . واستعمل سلطته ضد خصومه - المتخيلين والحقيقيين - وأعاد كتابة التاريخ وخلق فكرة عبادة الشخصية حتى يرسم لنفسه صورة « العبقرية البطولية » (٢٤) ستالين ، وما تحمله ضمنا هذه الفعلة بكل وضوح هى أن ولع ستالين باستعمال القوة فى المسائل الداخلية والمسائل الدولية ، كان مرتبطا بحالة تسلط داخلى فى عقله الباطن .

ولعل كتاب الكسندر وجوليت جورج عن ويلسون ودراستهما لشخصيته (٢٥) هى الدراسة الكلاسيكية الممثلة لدور الشخصية فى السياسة . وربما ساعد فحص كتابهما ببعض التفصيل القارىء على التعرف على نوع التحليل الذى يقوم به المؤرخون النفسانيون . فلقد فحصا تصرفات ويلسون فى المناصب الثلاثة الرئيمية التى تولاها كرئيس لجامعة برنستون وحاكم ولاية نيو جرسى ورئيس للولايات المتحدة . وانتهت مدة شغله لهذه المناصب بالمشاحنات والهزيمة فى ظروف كان من المتوقع أن تتيح له أعظم فرصة للنجاح .

وللحكم على هذه الأحداث تمعن المؤلفان فى شخصية ويلسون الذى اتسم طابعه بالصرامة والعناد والولع بالأفكار وتصوره أنه أقوم الخلائق خلقا واشتهر أيضا برغبته فى التسلط . وعرف عن ويلسون أيضا بعض الصفات الموجبة . إذ كان قادرا على الاسراف فى مداهنة من يبغضهم وكشف عن مرونة سياسية ملحوظة فى بعض الأحيان تكشفت فى تحوله من النزعة المحافظة الى النزعة التقدمية . واكتشف المؤلفان اتصاف ويلسون بالمرونة عندما يسعى للسلطة ثم يشتد جموده عندما يمارسها . فبمجرد توليه المنصب يتكشف ولعه بالتسلط وتجنب الخضوع لأية سلطة لمواجهة المشكلات التى ظن أنه الوحيد القادر على حلها . وفى باقى المشكلات ، لم يظهر أى اهتمام أو رغبة فى التسلط . على أنه كان لا يكشف عن أى لين عند معالجته للمشكلات الأساسية ، وأثبت عجزه عن الاهتداء الى أية فضائل فى مواقف خصومه ، اذ ظن أن قبول الحل الوسط فى هذه المسائل يعنى الاساءة لألمعيته .

وواصلت احدى المشكلات الكشف عن نفسها ، فقد أدرك العزاب عجزه عن الأخذ بالحلول الوسط ، حتى عندما كان من الممكن والمعقول أن

يركن اليها عندما يكون الحل الوسط المطلوب خاصا باحدى المسائل الصغرى (مثل السماح للآخرين بالاشتراك فى عملية تجهيز احدى المعاهدات) وحتى عندما كانت الحلول الوسط المعنية من المسائل التى قد دافع عنها فى الماضى • وفى مثل هذه الحالات كان الاختلاف حول المبادىء مشوبا ببعض الاصطدامات الشخصية (كما حدث فى المعركة التى نشبت بينه وبين هنرى كابوت لودج حول معاهدة فرساى على سبيل المثال) ونتج عن ذلك أنه عندما لم تتوافر لويلسون القدرة على النجاح ، فانه لم يعان من الهزائم فحسب ، ولكنه عانى من ويلات الانسحاب أيضا • وباختصار ، لقد كشف عن شخصية دائمة التكرار للأفعال التى قهرته • وفيما يتعلق بما ذكره المؤلفان فان هذا السلوك اللامعقول قد أثبت ارتداده لجذور سيكولوجية •

واستخلص المؤلفان أن مسلك ويلسون قد كشف عن عدد من الآليات الدفاعية « للأنا » • ويحتاج هذا الرأى للتذكرة المقتضبة بنظرية فرويد فى عالم النفس • « فالهو » تصور يشير الى رغبات الانسان ومشتهياته التى لم تتعرض للحدس والتمحيص • ويختص « الأنا » بالتمعن فى الواقع • أما « الأنا العليا » فتمثل الضمير • وتحتاج الأنا الى الدفاع عن نفسها ضد الهو والأنا العليا ، وتحتاج الى الدفاع عن تقدير الفرد لذاته والدفاع ضد مظاهر القلق الناجمة عن الاحباط وتتضمن الآليات الدفاعية لفرويد :

١ ــ القمــع •

٢ ــ الاســقاط •

٣ ــ التسامى (اعادة توجيه السلوك الى قنوات أكثر معقولية) •

٤ ــ الانكــار •

٥ ــ تشـكيل ردود الفعل (الســلوك المبالغ فيه المعبر عن ميول تعد متعارضة تماما هى ونوازع الفرد ورغباته) •

وتنتقص آليات الأنا من التسيد على الواقع ومن الاستجابة المتعقلة للبيئة • وبدلا من ذلك ، فانها تؤدى الى استجابات مستندة الى احتياجات سيكولوجية داخلية • وفى حالة ويلسون ، فان حاجته للتسلط كانت نمطا من تشكيل رد فعل اضطلع فيه التسلط بدور حمايته من الحط من تقديره لذاته •

واستخلص المؤلفان القول بمعاناة ويلسون من العصاب ، يعنى أول فئات الاضطراب العقلى • أما الفئات الأخرى فتشتمل على اضطراب فى الطفولة والشباب ، خصوصا فى ناحية علاقته بأبيه • اذ كان ويلسون

الأب قبسا من الطائفة المشيخية ، لاذع اللسان ، وكثيرا ما وبخ ابنه. وليس هناك أدنى شك فى أن ودرو فى صباه قد عانى من حرمانه من حنان الأب . واضطلع أبوه بدور شديد الفاعلية فى تربية ابنه ، ومنحى للتفرغ لهذه المهمة . وكان غضب ويلسون وحقده على أبيه يكاد يتعرض للقمع التام ، كما يبين من تقديره وتظاهره بالعطف على أبيه طيلة حياته . بيد أن هذا الغضب قد عبر عن نفسه فى أنحاء شتى . فمثلا لقد ظهر ذلك فى عجز ويلسون عن اجادة القراءة الى أن بلغ سن الحادية عشرة (وكان قد بدأ يبتعد عن اشراف أبيه فى هذه السن) ، وأيضا فى تخلفه الدراسى فى السنوات الأولى للدراسة . هذا هو ما صادفه صاحب دكتوراه الفلسفة فى الحكم فى المستقبل (وكان رفضه اللاشعورى للتعلم وسيلة للتعبير عن نقمته وعدائه لأبيه المثقف) . واستكمل البرنامج التعليمى فيما بعد بكتابته للمواعظ لأبيه الذى كان يصر على مراجعة ما كتبه ابنه كلمة كلمة ! ، والسخرية من الأصول التى كتبها ، وتمخض ذلك عن أن أصبح من المسائل الحاسمة فى نظره فيما بعد فى الحياة عدم المساس بأية كلمة يكتبها .

وخلفت علاقة ويلسون الباكرة بأبيه شعورا عميقا بالنقص ، وأدت حدة ضآلة تقدير ويلسون لنفسه الى كفاح دام طيلة حياته ضد شعور باطنى بعدم الكفاية يتعين الاستمرار فى اثبات بطلانه ، وتمخض عن توليد حاجة للتسلط كآلية دفاعية « للأنا » ، وساعدت السلطة أو النفوذ على التعويض لما أصاب تقدير الذات من عطب . أما المشكلة الأخرى التي ولدتها علاقة ويلسون بأبيه فهى تحول الذكور المتسلطين المهيمنين الذين عارضوه فى المسائل المهمة — لاشعوريا — الى صوت الأب التى اتجه اليها عداؤه المكتوم لأبيه .

والنقطة الجوهرية هنا هى أن ويلسون كان يفكر ويتصرف على نحو طبيعى فى معظم الأحوال . اذ كان عادة من الساسة المقتدرين الذين يعرفون السياسة عن ظهر قلب وضرورة الحلول الوسط . ومع هذا فقد كان الوثوق فى الحل الوسط أمرا عسيرا بالنسبة له فى بعض المواقف بالذات ، عندما يفجر اعتراض أية شخصية متسلطة فى احدى المسائل الحاسمة مشكلته اللاشعورية نحو أبيه .

ولم يكن ويلسون الرئيس الأمريكى الوحيد الذى اتجه اليه اهتمام علماء النفس . اذ كان كالفين كوليدج يعانى من اكتئاب شديد فى مرحلة مراهقته ، وعانى وارين هاردنج من تصدعات عنيفة قبل بلوغه الخامسة والثلاثين ، واحتاجت احداها الى دخوله المستشفى . وتعرض لينكولن لاكتئاب كان يدفعه للانتحار قبل تنصيبه رئيسا بعشرين سنة . والنبا

ما يقوله بعض الخبراء ، فإن لينكولن وتيودور روزفلت وفرانكلين وروزفلت وليندون جونسون كانوا — فى أغلب الظن — من المصابين بحالات اكتئاب ، وظهرت عند جونسون علامات بارانويا وهلوسة (٢٦) !

وأولع علماء النفس ومؤرخو النفس بشخصية ريتشارد نيكسون ، ونشرت عدة دراسات لشخصيته • ولا حاجة للقول بأنها نشرت دون معرفة نيكسون أى شيء مما جاء بها (٢٧) • ورسمت أكثر هذه الدراسات صورة نيكسون كشخصية انطوائية (انتروفرت) محبة للعزلة مصابة بالشك والمراوغة والتكتم وخاضعة للتسلط ، وعنده انقسام وتناقض فى شخصيته • وأشار معظمهم الى معاناته من عدم الأمان والخوف من الاخفاق وعدم حب الآخرين له وشعوره بالنقص • وارتبط هذا الشعور بالنقص بحاجته الى السلطة والاستعانة بالآليات الدفاعية كالحاجة الى فرض سيطرته على نفسه وعلى الآخرين وعلى بيئته ، وذكروا ان لديه قدرة كبيرة على الابتكار ، بل والتزلف • وقيل بتخليه عن أعباء الرئاسة ، أصيب نيكسون بحالة غير سوية الى حد دفع رئيس أركانه الكسندر هيج الى تحليل شخصه والقول بأنه « معرض للاقدام على الانتحار » • وأزعجت حالة نيكسون وزير الدفاع شلسنجر الذى استنتج تعرض حالة الرئيس للوهن الذى يحول دون استمراره فى أداء واجبه ، مما دفعه الى اعطاء الأوامر للعسكريين بعدم الالتفات لأى أمر يصدره الرئيس الا اذا كان ممهورا بتوقيع وزير الدفاع (٢٨) •

نقد التاريخ النفسانى :

على الرغم من أن السير الذاتية النفسانية تضطلع بدور مهم فى تنبيهنا الى أهمية الشخصيات فى مستواها الفردى فى السياسة الداخلية والسياسة الدولية ، الا أن علينا التزام الحذر عند تقييمها • فأهم شيء يفرق بين التاريخ النفسانى وعمل المحلل النفسانى المألوف لدينا هو تمتع المحلل النفسى بميزة العمل والالتقاء بزبائنه ، بينما يعمل المؤرخون بمعزل عن موضوعات بحوثهم بخطوة أو خطوتين • ومن المشهور أن الساسة يحرصون على التكتم فيما يتعلق بحياتهم الشخصية • ولم يتسن لأى مؤرخ نفسى ممن ذكرناهم من قبل الالتقاء لقاء فعليا باحدى الشخصيات التى تحدث عنها ، وبدلا من ذلك فانهم يعتمدون على مادة منتزعة من كتب السير التى نشرت بالفعل أو من الرسائل واليوميات ولقيا الأقارب والزملاء • ثانيا — فلطالما دهشنا من جانب الموضوعية فى هذه الدراسات • فقد جرت العادة الا يشعر كتاب السير بالانجذاب نحو من يكتبون عنهم من شخصيات ، أو بالنفور منها كاوغاد • وأخيرا فربما كان التاريخ النفسانى

قد ارتكب خطيئة الاسراف في الاختصار ، أي أنه يرد سياسة البلد الخارجية الى ما يجرى للرئيس أثناء قضاء حاجته ! فعلينا اذن التزام الحذر فلا نركز تركيزا تاما على ما جرى في فترة الطفولة من صراعات وحالات مرضية متصلة بها ، ونعتبرها سببا لما أعقبها من سلوك دون أن نعنى بالبيئات الاجتماعية والسياسية للعصر .

ولعل هربرت كلمان قد أحسن استيفاء هذه النقطة فى نظرته ، عندما أدرك عدم وجود نظرية سيكولوجية قائمة بذاتها عن الحرب والعلاقات الدولية . وغاية ما هناك هو نظرية عامة فى العلاقات الدولية يساهم علم النفس بدور فيها (٢٩) .

التـــوتر :

وكأنه لم يكن كافيـا أن نشـغل أمخاخنا بالزعماء الذين تتدخل اضطرابات شخصيتهم فى مقدرتهم على تعقل القرارات ، اذ علينا أن ندرك أن « الأسوياء » أنفسهم يتعرضون للمصاعب عندما يقررون أى شىء بتعقل فى حالات التوتر .

فمن بين الموروثات المتطورة للانسان مجموعة من التغيرات الهورمونية والأيضية (المتعلقة ببناء البروتوبلازم) ، التى تحدث للجسم الانسانى أثناء فترات التوتر ، عندما يفرز الأدرنالين وتتدفق الكاربوايدرات المخزونة فى الدم فترتفع نسبة السكر فيه ، وتتم تعبئة احتياطى طاقة الجسم وتخف آثار الاجهاد العضلى وتزداد سرعة تجلط الدم ، ودقات القلب ، وتتغير أنماط التنفس . وتهيىء هذه التغيرات الانسان لنوع ما من الاجهاد الفزيائى ، أى للبديل الكلاسيكى « للعراك أو الهروب » . ومع هذا فلما كانت الظروف التى تثير هذه التغيرات الجســمانية فى العصر الحديث لا تؤدى غالبا الى تعريف الطاقة الفزيائية ، لذا كثيرا ما يترك الانسان فى حالة احباط وقلق ووهن وانهاك . وبعد أن كانت هذه الآليات القديمة تعدنا وتهيؤنا لمواجهة مواقف التوتر فانها الآن تنتقص من قدرتنا على التعامل مع مواقف التوتر (٣٠) .

تأمل على سبيل المثال الأحداث التالية : ففى يوليو ١٩٨٨ ، أرسل الطراد (فينشن اجيه) للمساعدة فى حراسة قافلة ناقلات البترول التى تحمل علم الولايات المتحدة فى الخليج الفارسى أثنـــاء الحرب الايرانية العراقية ، فأسقطت من باب الخطأ احدى الطائرات التجارية التى كانت تطير من ايران الى دبى . وكان يوما عصيبا لقبطان الطراد وبحارته . وكانت سفن الولايات المتحدة فى الخليج قد أنتهت فى الت من مناوشة

مع القوارب الايرانية ، وأغرقت مركبين ايرانيين عندما أبلغ الرادار عن اقلاع احدى الطائرات من مطار بندر عباس فى ايران . وكانت المعلومات التى نقلها الرادار والمعدات الالكترونية عن هذه الطائرة متضـــاربة . ولم يكن أمام طاقم الطراد سوى دقائق قليلة لتقرير ما الذى يتعين القيام به قبل أن تصبح الطراد فى مدى يسمح لها باطلاق طوربيد (جو ـ بحر) على فنش . وعنــد محاولة التحرى عن الطــائرة واحتمــال أن تكون من الطائرات التجارية كلف أحد البحارة بالتحقق من دليل الطلعات الجوية من بندر عباس . وقلب البحار صفحات الدليل بسرعة ، وأغفل الطلعة (والتى كانت متأخرة عن موعدها بمقدار ١٧ دقيقة) . وأخطر بحار آخر ـ بنوع الخطأ ـ عن ارتفاع الطائرة كما هو مبين على الشاشة مما دفع جميع المعنيين الى الاعتقــاد بأن الطـائرة تنوى الانقضــاض على فنش ، بدلا من قيامها بالارتفاع واستنتج علماء النفس (الذين كانوا يعملون منفردين) بعد أن أعادوا النظــر فى الحادثة أن هذين الخطأين يرجعان الى جملة عوامل كالتوتر وازدحام المعلومات وتصدع الاتصال بين العاملين فى فنش فى معركة معلومات القتال (٣١) .

وأحيــانا تؤدى مثل هذه الأحداث الى اشتعال الشرارة التى تفجــر الحــــرب .

الجدول الأول ـ الآثار الاجهادية للتوتر على الأفراد صانعى القرار

زيـــادة	نقصان
اساءة الادراك	التفكير التحليلى
الانتهاء الى قرار ســابق الادانة	التفكير الخلاق
الجمود	مرونة المعرفة
الادراك الانتقائى	تحمل التناقضات
التفكير القولبى	القــدرة على المحــافظة على انفتــاح الذهن
القاء اللوم على كبش فداء	القدرة على التنقيب فى وسائل الحل البديل
اسقاط العداء	القدرة على التفرقة بين المهم والتافه
الاعتماد على العــادة فى حل المشكلات	القدرة على تركيز الانتباه الى كفاية العمل
الرأى الضــيق والأفــق وفقــدان المنظور الواسع	
زيادة تبسيط الأفكار	
التطابق الجماعى	
التصرف المتطرف (من التراجع الى الاندفاع الأرعن	

إما لأن الحكومة تتمحك بها كعذر لشن الحرب ، أو حرب طالما اشتهتها ، أو لأن الحادثة قد أثارت موجة من مشاعر الاقتصاص التي يبدو أنه من غير المقدور مصادفتها على نحو آخر . وفي هذه الحالة بالذات ، أمكن تجنب اشتعال الحرب بين الولايات المتحدة وإيران ، وان كانت الدول لا تتمتع دوما بمثل هذا الحظ .

ولقد استخلص من التجارب التي تحاكي مثل هذه المواقف ومن دراسة موقف الأفراد في الأحوال الفعلية للتوتر ، ما له من أثر أقرب الى الاجهاد على قدرة الأفراد على رد الفعل نحو البيئة بطريقة عقلانية ويزودنا الجدول السابق بقائمة مختصرة للآثار الممكنة للتوتر (٣٢) .

وأجمل أولى هولستي على نحو حسن ما بوسعنا معرفته من الآثار البغيضة للتوتر :

« ما يسفر عنه يدعونا للتيقظ . فنادرا ما يكون الأفراد في أفضل أحوالهم عندما يتعرضون لشدة التوتر . وأكثر الخسائر احتمالا لشدة التوتر ما يصيب القدرات ذاتها التي تفرق بين البشر وغيرهم من الأعراض وما يحدث من خلل في الصلات المنطقية بين الفعل الحاضر والأهداف المستقبلية ، وفي محاولة خلق استجابات مبتكرة لمواجهة الظروف المستجدة وصعوبة التعرف على الآراء المعقدة ، وفهم المجردات ، وشعور التمييز والتفرقة بين الألوان الى أخطر حالاته أي الى القدرة على التفرقة بين الأسود والأبيض فحسب ، والعجز عن تمييز درجات اللون الرمادي الواقعة بينهما ، والعجز عن التفرقة بين التشبيهات الصحيحة والتشبيهات الزائفة والاحساس بالهراء . ولعل الأهم من كل الآثار السابق ذكرها ما تتعرض له القدرة على التغلغل في كوامن الآخرين . وفيما يتعلق بهذه الصفات فالظاهر أن قانون العرض والطلب يعمل هنا بصفة معكوسة . « فكما تزيد الأزمات من الحاجة الى هذه المزايا . فانها تقلل أيضا – كما يبدو – مما تتزود به من قدرات وأفكار » (٣٣) .

ولا يقتصر الأمر على ما يصيب صنع القرار من عطب ، بل قد يؤدي وجود التوتر الى احداث المرض الفزيائي والخلل العقلي ، الذي قد يتفاقم فيضعف القدرة على صنع القرار . وانتهت أبحاث هيوليتانج للزعماء البارزين في القرن العشرين(٣٤) الى الاعتقاد بأن شدة الأمراض الفزيائية قد أصابت بالفعل القدرة على التفكير العقلاني عند الزعماء القوميين (٣٤) . على أن آثار التوتر تختلف باختلاف شخصية الفرد أو العوامل الفزيائية مثل السن والحالة الصحية والاجهاد ، ولكن لما كان الزعماء القوميون يتولون المناصب عندما يكونون قد تخطوا سن النضج (وهذا تقدير

مبالغ فيه لأن بعضهم اعتلى منصبه وهو في مقتبل العمر) ، فان النتيجة ليست دائما سارة ، لأن التقدم في السن يكون مصحوبا في الأغلب بازدياد الاستعداد للمرض والاجهاد وتقلص المقدرة على مواجهة التوتر ، وبينما قد يكون ايجاد بيئة خالية من التوتر لزعمائنا السياسيين ذا أثر محمود (مع التأكد من حصولهم على قدر وفير من الراحة) الا أن التوتر ـ فيما يبدو ولسوء الحظ ـ من بين الأشياء التى « تنعكس عن البلد الذى يتزعمه السياسى » ٠

العوامل النفسية والحرب : متضمنات :

على أية حال ، فاذا كانت العوامل السيكولوجية والخاصة بالشخصية تمثل المشكلة ، فما هو الرد على ذلك ؟ واذا كانت العوامل السيكولوجية تحظى بمثل هذه الأهمية ، فان هذا سيعنى وجوب خضوع الاختيار للمناصب العليا لشرط اجتياز اختبار سيكولوجى صارم : ويتوجب اجراء والاكثار من الفحوص السيكولوجية لنخبة الساسة وأن تتماثل فى كثرتها هى والفحوص الفيزيائية ٠ ومن سوء الحظ أن المرشحين للمناصب السياسية يتماثلون فى استعدادهم (أو عدم استعدادهم بمعنى أصح) لنخضوع للملاحظة والفحص من قبل المحللين النفسيين ، مثلما يرتضون المساعدات المالية المقدمة من أثرياء المعجبين ٠ وفى التحليل الأخير فان الدول ستغنم الكثير ـ فيما يحتمل ـ لو أنها اتبعت اجراءات فحص من بيدهم صنع القرار ، حتى لا ينفرد الزعماء ـ بغض النظر عن هل يعانون من خلل سيكولوجى أو عاطفى أم لا ـ باصدار قرارات مهمة عن الحرب أو السلام ؟

الصور والمدركات واساءات الادراك :

لا يقتصر الأمر على وجود اختلاف بين الأفراد فى ناحية التكوين السيكولوجى ، ولكنهم يختلفون أيضا فيما يكونون من صور ومدركات ٠ فهم يدركون الأشياء على أنحاء شتى ٠

ولنبدأ بتعريف الصورة ٠ الصور هى المتمثلات المنظمة لصفات معينة فى ذهن الفرد عن الموضوعات والأحداث والناس والأمم والسياسات انها صور ذهنية عن البيئة الاجتماعية والسياسية التى تحيا فيها ٠ ولا تحتوى الصور على معرفتنا بهذه الأشياء فحسب ، ولكنها تحتوى أيضا على تقييمنا لها ـ ما هو خير وما هو سيىء ومما يدنيها ـ واتجاهنا نحوها ٠ والصورة بالضرورة تبسيط للواقع ٠ فنحن لا نحتفظ فى عقولنا

بأكثر من صـورة معينـة للأحداث والسياسات أو البشر الذين يخطرون ببالنا • وهذا ما يعنى فقدان قدر كبير من المعلومات •

تنظيم هذه الصور المنفصلة فى وحدات متـكاملة تتميز بالتماسك والتكامل نوعا ، أى بنوع من النسق الاعتقادى أو النظرة الى العالم التى تحتوى على معتقدات وتفسيرات وافتراضات ومشـاعر واسـتعدادات ، واتجاهات وهلم جرا • ويساعد الاعتقاد الذى يتخذ صـورة نسقية على توجيه الفرد نحو بيئته ، وعلى تمثل أهم خصـائصه المميزة ، ويضطلع بدور أشبه بدور مجموعة من العدسات التى تجتازها المعلومات الخاصة بالبيئة • وتنظم المدركات الحسية فى أدلة متماسكة منطقيا يسترشد بها العمل، أو تضح أهدافا وتحدد مفضلات (٣٥) • وكما بين أولى هولستى : « ••• تزودنا معتـقداتنا بشفرة متماسكة نوعا نستعين بهـا فى تنظيم واكساب المعقولية ما كان سيغدو ، لولا ذلك ، حشدا مهوشا من الاشارات التى تلتقطها حواسنا من البيئة » (٣٦) • وهناك قدر له أهمية من هذا النسق الاعتقادى العام له صلة بالسياسة •

ونحن نجمـع على الزعم بأن صـورنا ومدركاتنا للعالم ــ كأحداثه وبلدانه وزعمائه متمثلات حقة تطابق الحقيقة بكل دقة • ولسوء الحظ فان الأمر غالبا لا يكون كذلك ، لأن مدركاتنا للأحداث والأفعال الخاصة بالبيئة الدولية تمر بالظروف من خلال مرشح عبارة عن صورنا الحاضرة للعالم • ويستعان بهذه الصور التى يحتفظ بها فى ملف فى عقولنا فى تفسير العالم الحق • على أن هذه الصور قد تكون مصـدر التعصب الذى قد يعوق على نحو خطير قدرتنا على خلق صورة فعلية لما يحيط بنا • وكما تعد شخصية الفرد هذا الفرد للاستجابات للمواقف على نحو ما ، كذلك تفعل صوره ونسقه الاعتقادى (٣٧) • وقد تتعرض صورنا للعالم المحيط بنا الى تحريف خطير لأسباب شتى سنعمل على اكتشافها فى هذا القسـم من الفصـل •

وهذه مسألة مهمة ، لأن الزعماء السياسيين يعتمدون فى معاملاتهم على صـورهم الفردية ومدركاتهم للعـالم أكثـر من اعتمادهم على الواقع الموضوعى • فالصـورة هى الواقع بالنسبة لجميع الغـايات العملية • وفرق اثنان من وراء العـلاقات الدولية (هارولد ومرجريت سبراوت) منذ أمد بعيد تفرقة مهمة بين الوسط النفسى (العالم كما يدركه صانع القرار) ووسط التعامل (العالم كما هو بالفعل والعالم الذى تجرى فوقه أحـداث السياسة) وقالا ان بوسـع صناع القـرار الاعتماد على معلوماتهم المستمدة من الوسط النفسى ، أكثر من اعتمادهم على الجـانب الآخر (٣٨) • وكل ما باستطاعتنا أن نأمله هو أن تتسم الصور والمدركات

التى يستعين بها صانعو السياسة القومية بالدقة ، وان كنا نعرف أن الأمر لن يكون دوما على هذا النحو •

محتوى الصور والأنساق الاعتقادية : أساليب التعامل :

من بين أهم ميادين البحث ميدان استقصاء صورة العالم عند الشخص أو نسقه الاعتقادى • وعلى الرغم من استعمال العديد من التصورات لوصف محتوى النسق الاعتقادى ، الا أن التصور الأوسع انتشارا هو « أسلوب التعامل (*) » • الذى عرفه ألكسندر جورج « بأنه جانب له أهمية خاصة من النسق الاعتقادى برمته لأى شخص فى مجال الحياة السياسية » (٣٩) • وعلى الرغم من وجود اختلافات دقيقة فى التعريف المشار اليه ، فان الأنساق الاعتقادية وأساليب التعامل تتداخل أو تتشابك هى وما يصح تسميته بالأيديولوجية ، أى مجموعة متماسكة من المعتقدات السياسية • ولقد وضع جورج اعتمادا على عمل باكر لناتان لايتس فى النسق الاعتقادى لرواد الزعماء البلاشفة ، الاتحاد السوفيتى (٤٠) اطارا لأسلوب التعامل اشتمل على عشرة أسئلة عن السياسة • وربما ساعدت اجابات هذه الأسئلة فى تحديد الجوانب الحاسمة للنسق الاعتقادى السياسى للشخص وخمسة من هذه الأسئلة « فلسفية » أما الخمسة الأخرى فهى « وسيلية » اختصت بالتكتيكات السياسية (٤١) •

الأسئلة الفلسفية :

١ ــ ما هى الطبيعة ، « الأساسية » للحياة السياسية ؟ هل المجتمع السياسى مجتمع توافق ــ أساسا ــ أم مجتمع صراع ؟ ما هو الطابع الرئيسى للخصوم السياسيين للفرد ؟

٢ ــ ما هى الاحتمالات المتوقعة لتحقيق الفرد ــ فى نهاية المطاف ــ لقيمه وتطلعاته السياسية ؟ وهل بمقدور الشخص أن يتفاءل أو يتشاءم بهذا الخصوص ؟

٣ ــ هل يستطاع التنبؤ بالمستقبل ؟ وبأى معنى والى أى حد ؟

٤ ــ ما مقدار التحكم أو التسيد الذى بمقدور الفرد أن يحظى به على التطور التاريخى ؟ وما هو دور الفرد فى تحريك أو تشكيل التاريخ فى الاتجاه المرغوب ؟ •

(*) Operational Code.

٥ ـ ما هو دور المصادفة فى المسائل الانسانية والتطورات التاريخية ؟

الأسئلة الوسيلية :

١ ـ ما هى أحسن وسيلة لانتقاء الأهداف ، أو الأهداف الثانوية للعمل السياسى ؟ (فمثلا هل يكون ذلك على أساس المصلحة القومية الاحادية البحتة ، أم على أساس الاعتبارات التعددية الكامنة فى كبح الشخص لذاته) ؟

٢ ـ كيف يستطاع متابعة أهداف الناحية العملية . وما هى أفضل الوسائل تأثيراً ؟ (على سبيل المثال هل يتحقق ذلك اعتمادا على القوة أو الدبلوماسية ؟ وبطريقة أحادية أو متعددة الأطراف ، بالاستعانة بالتهديد أو عن طريق وعود المثوبة ؟

٣ ـ كيف يمكن احتساب مخاطر العمل السياسى والتحكم فيها وقبولها . (على سبيل المثال من خلال التصعيد الحثيث لأفعال الفرد أم عن طريق الأمر الواقع) ؟

٤ ـ ما هو أفضل توقيت للعمل لدفع مصالح الفرد للأمام ؟ (على سبيل المثال ما هو وجه النفع فى وضع اليد على الشىء أو المفاجأة ؟ هل يصح الجمع بين استعمال القوة والتفاوض ؟ هل يتوجب الانتظار حتى يتحقق التكافؤ العسكرى قبل تقديم المطالب للمنافس أو الخصم ؟

٥ ـ ما هو وجه النفع ودور مختلف السبل للنهوض بمصالح الفرد ؟

واستعان علماء سياسة عديدون باطار جورج عندما حاولوا البحث واختاروا بطريقة متطابقة التركيز على بحث أساليب التعامل عند الزعماء القوميين المهمين أو خبراء السياسة الخارجية ، ودرسوا أحاديث الشخصية موضع الدراسة ، والمواد التى كتبها لسيرته الذاتية والكتب والمقالات التى نشرها ، واستعملوا منهجا يدعى تحليل المضمون للتعرف على المعتقدات السياسية للشخصية . وبمجرد تحقيق ذلك كثيرا ما تجرى محاولات لتقرير هل عكست السياسة الفعلية للدولة أسلوب التعامل عند صانع السياسة .

ولن نناقش مسألة امكانية تطبيق أسلوب التعامل ـ آليا ـ على الموقف ، حتى يتسنى لنا الاعتماد عليها فى التنبؤ بسياسة الدولة بمجرد اطلاعنا على النسق الاعتقادى لصانع السياسة . والأرجح هو النظر الى

أساليب التعامل كعامل من العوامل العديدة التي تضطلع بدور مهم في تحديد السياسة ، وأحيانا تتصف بشدة أهميتها ، وفي أحيان أخرى لا تكون كذلك (٤٢) . أما ما نستطيع الاطمئنان الى معرفته فهو كون النسق الاعتقادي ذا أهمية كبرى لمدركات صانع السياسة للأحداث في العالم الخارجي، ودوره الفعال كمرشح لمنبهات أو مثيرات البيئة واستجابة الفرد لهذه المثيرات ، وأنه في مواقف صنع القرار التي تتسم بتعقدها وعدم يقينها قد يميل صناع القرار الى التراجع عن اتباع أنساق معتقداتهم ، كما أن وجود أنساق اعتقادية قد يضيق من مدى البدائل التي قد تكون موضع نظر صناع القرار أثناء عملية صنعه (٤٣) .

وزودنا هنري كيسنجر بمجال خصيب يفيد المحللين . فبفضل أستاذيته للعلاقات الدولية وكتبه العديدة المنشورة ، وسبق عمله كمستشار للأمن القومي، وتوليه وزارة الخارجية في عهد ادارتي نيكسون وجيرالد فورد، تيسر العديد من الآثار المكتوبة التي يستطاع تجميعها والاستدلال منها عن أسلوبه في التعامل . والواقع ، لقد توافر لنا منجم خصيب من الكتابات التي تستأهل تحليل مضمونها . وفيها نصادف انسانا نجح في طرح اتجاه شديد التماسك للسياسة الدولية ، (يعتمد على منظور واقعي) قبل أن يلتحق بالخدمة العامة ، فهل استطاعت هذه النظرة العامة المتماسكة ، أو أسلوب التعامل في احداث أثر مهم على سياسة الولايات المتحدة بمجرد تولي كيسنجر أحد مراكز السلطة ؟

ان دراسة أسلوب المساومة عند كيسنجر ، أثناء اضطلاعه بمهمة التفاوض لانهاء الصراع في فيتنام ، تبين وجود علاقة وثيقة بين نسقه الاعتقادي واستراتيجيته وتكنيكاته في هذه المفاوضة بعينها . والواقع أن مؤلف كتابنا قد بين أن أسلوب التعامل عند كيسنجر كان أهم المتغيرات المؤثرة التي أثرت في سلسلة الأفعال التي أقدمت عليها أمريكا خلال ربيع وصيف ١٩٧٢ . وبدت أهداف كيسنجر ومسالكه ابان المفاوضات كامتداد منطقي لمعتقداته العامة التي صاغها قبل سنوات عديدة من التحاقه بالخدمة العامة (٤٤) . ومن جهة أخرى ، فان أية دراسة لسياسة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي والصين أثناء السنوات التي أمضاها كيسنجر قد انتهت الى القول بأن صور كيسنجر عن الاتحاد السوفيتي والصين ، كانت متصلة اتصالا غير مباشر فحسب بمسلك أمريكا في السياسة الخارجية (٤٥) .

تكوين الصور : لماذا تقاوم الصور التغير ؟

على الرغم من أن الصـور وأنساق المعتقدات تختلف اختلافا كبيرا باختلاف الأشخاص ، الا أن تكوين هذه المعتقدات يتخذ شكلا كبير الميل للانتظام • وبالاستطاعة ادراك أنماط محددة فى الطريقة التى تتألف منها الصور ، وأيضا للحفاظ عليها أو تغيرها فى العلاقة بين مختلف مكونات النسق الاعتقادى وطريقة التعامل مع المدخلات (بضم الميم) الخاصـة بالمعلومات • ومن بين أكثر الجوانب اثارة للاهتمام فى تكوين الصـور ما يخص العملية التى يتبعها تغير الصور أو الحفاظ عليها كنتيجة لاضافة معلومات جديدة •

ويطرأ تحول مستمر على صورنا ويعاد تقييمها من ناحية صلاحيتها للتحول الى معلومة كلما تلقينا معلومة جديدة ، ويستمر اختبارها بالاضافة الى مشاهداتنا وتجاربنا فى العالم الحق • ويجرى نوع من اختبار الواقع عند مقارنتنا صورتنا الجارية للعالم بالمعلومة الجديدة التى حصلنا عليها عن العالم (ويعد عدم القدرة على اجراء ذلك على نحو صحيح اشارة تنبىء بوجود مرض عقلى) وبطبيعة الحال ، ليست عملية فحص الواقع بالمسألة السهلة اطلاقا • وأغلبنا ينشغل فى عملية ادراك انتقائية • فأثناء استعدادنا لرؤية هذ الأشياء التى نود رؤيتها (وتسجيلها فى ذهننا) ، فاننا نتجاهل الكثير من الأشياء التى لا تتواءم تماما هى وصورنا القائمة عن العالم •

وغنى عن البيـان أنه من المهم لصانعى القرار أن يكون بمقدورهم تعديل صورهم اعتمادا على اختبارهم للواقع • أما كيف تتغير الصور فليست من الأمور المفهومة فهما كاملا ، ولكن هناك عاملا مهما أوحد ، وهو شدة تعقيـد تكوين صـور الفرد • وربما اتصف ما لدينا من صـور العالم بالبساطة النسبية أو بالتعقيد النسبى • ويعتمد ذلك على عدد القطع التى تتكون منها المعلومة والعلاقة بين المقطوعات • والصور ذات التكوين المركب هي الأسهل فى تغيرها ، اذ يتوفر لمثل هذه أبعاد أكثر وظلال أوفر من الفروق ومعلومات أغزر • والأهم هو احتواء الصور المركبة لشذرات من المعلومة قد تتصف بتضاربها مع الشـذرات الأخرى التى تسـتند اليها الصورة • ولما كانت مثل هذه الصورة تعتمد اعتمادا شديدا على التلفيق والتنوع والتركيب ، لذا فان حاملها يكون أكثر تقبلا للتغير •

ومن جهة أخرى ، فان الصورة البسيطة تحتوى على معلومات أقل ، تتصف بشدة توافقها ، فهى جميعا تتجه اتجاها مماثلا ، أى اما أن تتصف كلها بالسلب أو بالايجاب ، وتفسير مثل هذه الصورة أصعب ، وتنزع الصور البسيطة الى الاتصاف بشدة الجمود ، بل وقد تكون مغلقة • ومع

هذا فان الصور المركبة لا تتغير بسرعة ، اذ يبدو أن الصور بحكم طبيعتها تقاوم التغير ٠

ولا تفصح النيات عما هو بداخلها ، كما يولع علماء الاجتماع بالقول وقد يلفى الفرد نفسه عندما يواجه مجموعة جديدة من الوقائع فى حضرة العديد من التفسيرات المتساوية فى معقوليتها ٠ وتساعد الصور السابق وجودها على اكتشاف جانب المعقولية فى المعلومات الجديدة ٠ ونحن ميالون الى المواءمة بين المعلومات المستخدمة والصور القائمة ٠ ويصح هذا الرأى بوجه خاص لو اتصفت المعلومة بالتناقض (٤٦) ٠

على أنه عندما يبين عدم توازم المعلومات المستحدثة هى والصور المستقرة فى الذهن ، ولكنها بدلا من ذلك تتحدى صورنا القائمة فاننا نصادف عددا من العوامل التى تكبح جماح تغير الصور ٠ فالظاهر أن لدى الأفراد سعيا داخليا لاضفاء التوافق على المعرفة ٠ فنحن ننزع بطبعنا الى محاولة تخفيف اللاتوافق بين مختلف الاعتقادات والمشاعر ٠ اذ تنجم عن التفاوت بين الأجزاء المتعارضة لصورتنا عن العالم حالة من « التأثر المرضى » (٤) ٠ ونحن لا نطيق التنافر المعرفى ، وقد نحاول التعامل معه بتحوير صورتنا عن العالم لمواجهة هذا التنافر الجديد فى المعلومات ٠ وبعبارة أخرى ، بالنجاح فى أداء عملية اختبار الواقع ٠ على أن الأكثر احتمالا هو محاولتنا على نحو ما الحفاظ على الصورة الأصيلة ٠ ويحتمل حدوث ذلك بوجه خاص عندما يتعرض جوهر القيم المحورية للتحدى من قبل المعلومة الجديدة ٠

وهناك عدة تقنيات للحفاظ على الصورة الأصلية عندما تواجه أمثال هذه المعلومة المتنافرة :

١ ـ الاكتفاء بتجاهل المعلومة الجديدة أو رفضها ٠

٢ ـ التشكك فى مصدر المعلومة الجديدة ٠

٣ ـ بوسعنا لوى أو تحريف المعلومة أو اعادة تفسيرها على نحو يجعلها متوافقة هى وصورتنا الحاضرة ٠

٤ ـ بامكاننا البحث عن معلومة تتوافق مع صورتنا الحاضرة ٠

٥ ـ الاكتفاء بالنظر اليها كاستثناء مؤيد للقاعدة ٠

ثمة تحذيران يتعين توجيههما فى هذه النقطة ٠ فبالرغم من كل ما ذكرناه حتى الآن فان أغلب الأفراد يستطيعون ادراك الواقع ادراكا صحيحا فى العديد من الحالات (٤٩) ٠ فليس كل شىء يتعرض للمسخ

والتحريف ! ثانيا ـ ليس التناقض المعرفي دوما لاعقلانيا • فربما كان من المنطقي أن ينظر الى المعلومة الوافدة على أنها متوافقة مع ما لدينا من صور سائدة • ولابد من تقييمها على نحو ما وتزويدها بالمظهر المركب والابتعاد عن اليقين القائم في الكثير من المعلومات ، ومن المنطقي أن نقيمها على نحو يتوافق مع صورتنا الجارية للعالم ، وبخاصة اذا تواءمت هي وتجربتنا الماضية (٥٠) •

وعلى الرغم من أن هذا الميل نحو التوافق المعرفي لا يتصف دائما بلا عقلانيته ، الا أن وجوده يكشف عن وجود انحياز نسقي في عملية تكوين المعلومة عند الأفراد • فالمعلومات الوافدة على استعداد للاستيعاب في صورنا السابقة • وتشكل المعلومة المستحدثة بحيث تتواءم مع استعدادات الفرد أو فروضه السابق وجودها • وهكذا يظهر الميل القاطع عند أي انسان لرفض تغير الصورة ، فلما كانت مختلف الصور في النسق الاعتقادي مترابطة الى أعلى درجة ، لذا فان أية اعادة لضبط الاعتقادات (وبوجه خاص الاعتقادات المركزية) ستكون عرضة لتوليد سلسلة من ردود الفعل التي تتسبب بدورها في اثقال كاهل عملية تنسيق المعلومات، على نحو أشبه بما يحدث عندما نثقل العبء على دوائر أجهزتنا الكهربائية ، ومن ثم يعد استقرار الصور أمرا مفضلا (٥١) •

مقاومة الصور للتغير : بعض أمثلة :

ولنضرب مثلا بموقف دولي ربما تحدى صورة العالم • عندما أقدم أحد زعمائه (الرئيس جورباتشوف) ، بوصفه مسئولا عن السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي في أواخر الثمانينات ، على تقديم عدة تنازلات للولايات المتحدة في مسألة تخفيض التسلح،وانسحاب قوات السوفيت من أفغانستان، وتخفيف القوات في أوروبا الشرقية،والتخلي عن اتباع مذهب برجنيف الذي أدى بدوره الى حدوث ثورات ديموقراطية في أوروبا الشرقية ، وخفض القوات السوفيتية في منغوليا وعلى الحدود السوفيتية الصينية والضغط على فيتنام لسحب قواتها من كامبوديا والابتعاد الفعلي عن الأنظمة الماركسية في بلدان مثل موزمبيق • وأحدثت جميع هذه الأحداث موقفا معرفيا متنافرا بدرجة مريعة عند المتصلبين من أنصار الحرب الباردة في الولايات المتحدة •

وبدلا من أن يغير كثيرون من محللي السياسة الأمريكية في أواخر الثمانينات صورتهم عن الاتحاد السوفيتي ، لجأوا الى تقنيات شتى للحفاظ على بنية معرفتهم القائمة بالفعل وأسيء تقييم سياسات جورباتشوف في البداية ، ونظر اليها على أنها خدعة في العلاقات العامة خططت بخبث ودهاء

لتغيير صورة الاتحاد السوفيتي في الغرب (ومشكلة السياسة الدولية شعارها أنه لما كان الخداع شائعا ، فان أية أفعال تقدم عليها الدول الأخرى ولا تتوافق مع صورتنا ، بالمقدور تصنيفها على أنها محاولات متعمدة للتضليل والخداع) وكبديل لذلك تجوهلت سياسات جورباتشوف في البداية باعتبارها ايماءات لا معنى لها نسبيا ، أو أعيد تفسيرها حتى تتوافق هي وصور الحرب الباردة • فمثلا ، نظر اليها كمجرد تراجع مؤقت من تأثير مؤثرين هما قوة الغرب والحالة المزرية للاقتصاد السوفيتي بدلا من النظر اليها كتنازل أحدثه التغير الحق في الفكر السوفيتي • ونظر الى جورباتشوف ذاته كاستثناء لأسلافه ، وأنه من غير المحتمل استمراره في البقاء طويلا اذا راعينا وجود معارضين أشداء لسياسته من الأعضاء المتصلبين بين صفوف سادة السوفيت (٥٢) • وكنتيجة لهذه التقنيات المحافظة على ما لديها من صور كان زعماء الولايات المتحدة أقرب الى البطء في تقدير الأهمية الحقة لثورة جورباتشوف في السياسة الخارجية •

ومن بين الدراسات الكلاسيكية للصور صورة متصلة بمجموعة متشابهة من الظروف • ولقد عكف أولى هولستي على التعرف عليها من خلال تحليله للمضمون النسقي الاعتقادي لوزير خارجية أمريكا جون فوستر دالاس (٥٣) • وعني هولستي بوجه خاص بصورة الاتحاد السوفيتي عند دالاس ، وبهل كان قادرا على تغيير الصورة لو تعرضت للتحدي مما يستجد من أحداث ومعلومات • ووصف هولستي الصورة التي لدى دالاس عن الاتحاد السوفيتي بأنها كانت مغلقة نسبيا وبعيدة عن المرونة • اذ كان لديه ميل لاستيعاب المعلومات الجديدة عن السوفيت التي تتواءم هي وصورة الحرب الباردة عندهم ، ولكنه لجأ الى تقنيات شتى لصد المعلومات التي لا تنسجم وهذه الصورة كبخس حق المصدر ، واعادة تفسيره لكي يتواءم وصورته القديمة ، والبحث عن معلومات أكثر توافقا وصورته •.

ومما يثير الاهتمام أن يكتشف هولستي عدم قابلية تقييم دالاس العام للاتحاد السوفيتي للتغيير حتى بعد أن أدرك ما حدث من نقصان لعداء السوفيت •• ولم يتغير التقييم العام للاتحاد السوفيتي عند دالاس حتى بعد أن خطا السوفيت خطوات موجبة مثل انسحاب الجيش الأحمر من النمسا ، وانقاص حجم الجيش السوفيتي • وبدلا من ذلك نسبت هذه التحركات المغاوتة الى ضعف السوفيت في الداخل ، وبأنها نتيجة ضرورية أكثر من كونها عملا دالا على حسن النية • وما يهمنا من كل هذا أنه اذا لم تفلح الأفعال التعاونية السوفيتية في تغيير الصورة الأساسية عن الاتحاد السوفيتي في نظر وزير الخارجية ، فبالله عليكم ماذا كان بوسع السوفيت فعله لاثبات حسن نيتهم لوزير الخارجية دالاس ؟ وما يفهم ضمنا من هذا

الموقف هو عدم وجود شيء أقل من انحلال نظام السوفيت كان قادرا على النجاح في اقناعه .

ووصف كيسنجر هذا النوع من تكوين الصور بأنه « نموذج الايمان الموروث في أسوأ أحواله » (٥٤) . ان من يتبع هذا النموذج في تكوين الصور سيكون بمقدوره التنديد بأي تغيير مخلص في السلوك يقدم عليه الخصم . فليس بامكان الخصم فعل أي شيء لتغيير الصورة الأصلية . ولا يخفى أن مثل هذا الأسلوب في تكوين الصورة يجعل التعلم مشكلة كبرى . وتكشف المشكلة عن صعوبتها بقدر كاف اذا احتفظ الزعماء في احدى البلدان بصورة مغلقة على هذا النحو . تخيل كيف سيكون الحال اذا احتفظ الزعماء في البلدين بمثل هذا النوع من تكوين الصور .

كيف يستطاع تغيير الصور ؟ :

لما كان هناك تشبث يكاد يصل الى درجة التعصب في الحفاظ على الصورة الحاضرة عند أي شخص ، فهل هناك متطلبات يجب توفرها لاحداث تغير في هذه الصورة ؟ الظاهر ان ما يساعد على حدوث تغير في الصورة هو هبوط المعلومات برمتها دفعة واحدة بدلا من ظهورها بالتقسيط على مدى زمني ممتـد (٥٥) . فمن السهل عدم احتســاب واستيعاب النتف الصغيرة من المعلومات التي تفد على فترات غير منتظمة . ومن جهة أخرى ، فان الشذرات الدرامية من المعلومات المتضاربة التي تتدفق علينا تدفعنا الى البحث عن وسيلة لمواجهة هذا الاختلاف ، على أن حدوث بعض أحداث ملفتة قد لا يكون كافيا لاغرائنا بالاقدام على اجراء تغيير كبير في الصورة . فلربما احتاج التغيير الى الأحداث المبهرة وأيضا الى تجميع أحداث أقل لفتا للانتباه تستغرق مدة طويلة لتحدي الصورة (٥٦) .

ومما يزيد ذلك تحول الرئيس جيمي كارتر الى اعتناق نظرة للعالم أشد تصلبا ومعاداة للاتحاد السوفيتي في أعقاب تدخله في أفغانستان ، وعلى الرغم من أن حادث تدخـل السوفيت قد أهله لكي يحتسب ضمن الأحداث الملفتة ، الا أنه جاء في أعقاب أحداث دولية أخرى (وداخلية أيضا) يحتمل أن تكون قد أحدثت تأثيرا متناميا على الرئيس الذي تأثر بجملة أحداث مثل ما فعله السوفيت في أنجولا وأثيوبيا والاستعدادات العسكرية للسوفيت ، واستمرارهم في انتهاك حقوق الانسان وسقوط الشاه على يد قوات معـادية للأمـريكان تحت زعامة آية الله خوميني وبروز المستشار بريجنسكي بيد زمرة المسئولين عن وضع السياسة الخارجية والأمن القومي . وتغيرت صورة كارتر عن العالم على نحو درامي . فلم يعد ينظر الى العالم على أنه حر وخال من الشر وبمقدور مختلف البلدان التعايش سويا فيه ،

اعتمادا على المنطق والدبلوماسية والقانون ، ولكنه نظر الى العالم على أنه مكان تتبادل فيه البلدان الأفعــال سيئة النية ، وأنه من غير المستطاع الاعتقاد بأن خصومنا سيتبعون أو يلتزمون بالقانون والدبلوماسية دوما في أفعالهم ٠٠ نعم انه عالم يضمر فيه كل بلد النوايا العدوانية ضد البلد الآخر ٠ وليس بالمقدور انتظار التزام خصومنا بالقانون أو الاستماع الى صــوت العقل ٠ انه عالم يتحتم استعمال القوة فيه فى الأغلب بدلا من الدبلوماسية ٠

وبينما تؤدى المقاومة الطبيعية للصور الى اتصاف طبيعة السياسة الخارجية بالاستقرار والتفاقم ، فان جرفيس يرى حدوث تغير فى الصور من قبل أى زعيم قوى يحدث دائما تغيرا فى السياسة (٥٧) ٠ وبالاستطاعة مرة أخرى الاستشهاد بفترة رئاسة جيمى كارتر ٠ فبعد ما حدث من تحول فى تصبوراته رأيناه يسارع بوضع مجموعة من السياسات الجديدة ، عكست نظرة أشد جنــوحا الى طابع الصقور فسحب اتفاقية سولت من مجلس الشيوخ ، وفرض حظرا على تصدير القمح الى السوفيت ، وشرع فى معاونة السلفادور واعادة تسليحهم وعزز ميزانية الدفاع ٠

طائفة الأشياء موضع عنايتنا :

لا يقتصر الأمر على تأثر تفسيرنا للواقع بصورنا الحاضرة ٠ اذ يشتمل هذا التأثير على توقعاتنا ومفضلاتنا ، يعنى الأشياء موضع عنايتنا ، عند تلقى المعلومة ٠ كما أنها هى التى تحدد كيف سنفسر المعلومة اعتمادا على ما يجــرى فى البيئة بخلق استعداد لملاحظة أشياء بعينها واغفال أشياء أخرى (٥٨) ٠ ومن الأمثلة للدلالة على ذلك أزمة يوليو التى سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى ٠ فقد أرسل وزير الخارجية البريطانية جراى مذكرة للحكومة الألمانية ، محذرا من حدوث ما لا تحمد عقباه لو بدأت الحرب ٠ وتأثر تقييم الامبراطور فيلهلم (الذى اشتهر عندنا باسم غليوم) لهــذه المذكرة بواقعة تسلمه فى التو بعض المعلومات عن اعلان الجيش الروسى للتعبئة ، ودفعه توقيت هاتين الرسالتين للنظر الى الرسالة البريطانية على أنها تمثل جانبا من مؤامرة بريطانية ــ روسية ضد ألمانية ، وبعبارة أخرى ، فسرت المعلومات البريطانية على ضوء المعلومات الروسية التى تزامن وصولها الى فيلهلم ٠ وفى هذا المثل اضطلعت اشارة التأثر (*) بدور فى اساءة ادراك امبراطور ألمانيا للتهديد الروسى ــ البريطــانى المشــترك لألمانيا سنة ١٩١٤ (٥٩) ٠

(*) Evoked sets.

ومن المؤكد أن اشارات التأثر قد لعبت دورا فى حالة اسقاط الطراد فنسين للطائرة الايرانية ١٩٨٨ ٠ فلقد تأثرت توقعات طاقم الطراد بثلاثة مواقف :

أولا : مخابرات الولايات المتحدة التى استندت الى أجهزة التنصت على الاتصالات اللاسلكية ، والتى تنبأت باقدام الايرانيين على ضرب احدى السفن الأمريكية فى الخليج الفارسى ٠

ثانيا : قبل ذلك بدقائق قليلة ، أى قبل أن تقلع الطائرة الايرانية ، كان هناك هجوم ، وأطلقت السفن الايرانية نيرانها على احدى هليوكوبترات الولايات المتحدة وسفنها ، ثم تعرضت لمناوشات من السفن الايرانية ٠

ثالثا : بينت التقارير العسكرية الحديثة أن طائرات ف ٤ قد حطت فى تلك اللحظة فى قاعدة بندر عباس (٦٠) ٠ وهكذا توقع الأمريكان الهجوم ، وتوقعوا أن تكون الطائرة الموجودة فى المنطقة معادية ، وكان لديهم الاستعداد لمشاهدة طائرات ف ١٤ وهى تطير من قاعدة بندر عباس ٠ وعلى ضوء هذه المعلومات المتاحة المتضاربة عن الطائرة والمسجلة على شاشة الرادار ، ساعدت اشارات التأثر على الظن (من قبيل الخطأ) بأن الطائرة ف ١٤ ليست طائرة ايرباص مدنية ٠

الصور « ودروس التاريخ » :

تتصف بعض الصور — بوجه خاص — بقوتها وصعوبة تغييرها ٠ وركز جرفيس على تأثير التاريخ وما يحدثه من صور خاصة فى مخيلة الزعماء القوميين ٠ ولاحظ أن بعض الأحداث كالحروب والثورات تترك هذا الأثر عند الأفراد مما يستدعى حدوث تطورات درامية لمحو أثرها من أذهانهم ٠ ونتيجة لذلك ، فان هناك تشابها بين صور الأحداث وشبح بانكو (*) فى التحليق فوق محاولتنا فهم الحاضر اعتمادا على المماثلة التاريخية (٦١) ٠ ان المماثلات والصور البسيطة (كرؤية بلدان الجنوب الشرقى لآسيا) وهى تتساقط « كقطع الدومينو » تزودنا بمرساة نبنى حولها ما يصلنا من معلومات متناقضة وننسب لها المعنى الذى يروقنا ٠ ولعلها وسيلة ممتازة للتخفيف من حالة عدم التيقن الكافية فى المواقف المركبة (٦٢) ٠ وربما ساعد الاستدلال عن طريق المماثلة على التزويد بطريق مختصر أو (تخريمة) الى الفهم ، ولكنها أيضا مشحونة بالمخاطر (٦٣) ٠

(*) شبح Banquo فى مسرحية ماكبث لشكسبير ، وهو ليس شخصية تاريخية حقيقية ٠

بطبيعة الحال ، لعل الاشتهاء بما جرى في ميونخ النموذج الكلاسيكي التاريخي الذى يخدم جميع الأغراض واستأنس به الزعماء الأمريكان فى كل أزمة تقريبا من كوريا الى فيتنام الى الكويت ١٩٩١ • فلقد جرت العادة على تطبيق القاعدة العامة التى تنص على وجوب الرفض الدائم لسياسة المسالمة مع المعتدى كسياسة بديلة (ووجوب اتصاف الاجابة الصحيحة على الاعتداء بفوريتها وقوتها) وطبقت هذه القاعدة بلا تفرقة على نحو يستبعد الحلول الوسط واصـلاح الموقف عن طريق التشـاور وتبـادل الرأى (الدبلوماسية) • وتركت صورة استئساد هتلر على أوروبا آثارها على ذاكرة المسئولين فى شاطىء المحيط الأطلسى الذين عاشوا فى الثلاثينات والأربعينات • واكتشف ترومان ومستشـاروه أوجه شـبه فى أفعـال الشيوعيين فى اليونان وتركيا وايران بعد الحرب العالمية الثانية مع أسلوب اعتداء هتلر خطوة بخطوة على أوروبا فى الثلاثينات • وهدفت الدبلوماسية الأمريكية فى الأربعينـات وبواكير الخمسينات الى الحيلولة دون تكرار الحرب العالمية الثانية ، وزيادة فى التخصيص فلقد رأى ترومان بالذات هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية ١٩٥٠ على ضوء ما حدث بالمثل فى الثلاثينات • وذكر بوش فى مذكراته ما جال بخاطره عندما كان راكبا الطائرة من ميسورى الى واشنطن قبل التقـائه بمستشاريه حول أزمة كوريا :

« توافر لى الوقت كى أفكر أثناء وجودى بالطائرة • فبالنسبة لأبناء جيلى ، لم تكن هذه الحادثة هى الأولى التى اعتدى فيها القوى على الضعيف • وتذكرت بعض الأمثلة المشابهة الأبكر فى منشوريا واثيوبيا والنمسا ، وتذكرت أنه فى كل مرة أخفقت فيها الديموقراطيات فى العمل ، أدى ذلك الى تشجيع المعتدين على التمادى • ومن ثم تصرفت الشيوعية فى كوريا على نحو مماثل لما فعله هتلر وموسـولينى واليابانيون قبل ذلك بعشر سنوات أو خمس عشرة سنة أو عشرين سنة ••• ولو سمح لهذه الحال بالاستمرار دون تحـد ، فانها ستعنى نشوب حرب عالمية ثالثة مشابهة للأحداث التى أدت الى اندلاع الحرب العالمية الثانية » (٦٤) •

وجورج بوش من المحاربين القدماء فى الحرب العالمية الثانية الذين يعتبرون ذكريات اعتداء النازى جزءا من الماضى ما زال عالقا بالأذهان ، وربما كان سيبدو مثيرا للدهشة لو أنه لم ير اقدام صدام حسين على ضم الكويت للعراق كعمل مشابه للاعتداء على الطريقة النازية ، ويرى صدام حسين بالذات كهتلر جديد • وفى واقع الأمر ، فان بوش كان سريع الربط بين الحالتين • وفى تقريره « وجوب عدم استمرار » الاعتداء العراقى ، وأن الواجب يقضى بالرد بقوة على اعتداء العراق ، ولا مانع للالتجاء للحرب ان

دعت الحاجة ، حتى لا يؤدى نجاح صدام الى دفعه للهجوم على السعودية وغيرها من دول الخليج ، وبذلك يسيطر على أهم مصادر النفط فى العالم. وما لبث النقاد أن أشاروا الى عدم وجود أوجه شبه بين صدام وهتلر ، أو بين العراق وألمانيا ، وأن تهديد المصالح الأمريكية لم يصل الى حد الخطورة التى وصل اليها ١٩٤١ • ومع كل هذا فان ما يهم هنا هو الربط الذى حدث بين الموقفين فى مخ الرئيس بوش والاستراتيجيات التى تفجرت بناء على ذلك •

ولعبت « دروس الماضى » أيضا دورا رئيسيا فى قرارات ادارة كيندى مجموعة من الدروس المستفادة من الحرب الكورية ، وقبلت مجموعة أخرى من دروس الفيلبين وماليزيا • ودروس كوريا لها شقان : الشق الأول يدعو الولايات المتحدة الى عدم العودة للحرب ثانية فى أية حرب برية فى آسيا ، وأنه من غير المحتمل أن يساند الشعب الأمريكى أية حرب طويلة محدودة • وعندما نتأمل الأحداث سنرى أن هذا القرار كان مبنيا على مماثلة قوية ، والواقع أنهـا كانت تمثل العقلية العسكرية الأمريكية • وفضل المستشـارون المدنيـون : روبرت كيندى ودين راسك وروبرت ماكنمارا تطبيق الدروس المستفادة من حرب ماسايساى ضد الثوار فى الفيلبين ، ومن الحرب البريطانية ضد العصاة فى الملايو • ونجح المثلان لاعتمادهما على عمليات عسكرية على نطاق ضيق ومتخصص •

ويعتقد ماى أن الزعماء غالبا ما يطبقون المماثلات تطبيقا سطحيا وبلا تفرقة ، أو فى غير موضعها الصحيح • والواقع أن رئيس هيئة الأركان فى الولايات المتحدة قد طرح خمسة أسباب مؤثرة تبين لماذا لا يصلح الموقفان الفيتنامى والملاوى للمقارنة • انها أسباب يبين عند معاودة النظر اليها جدارتها بالذكر :

١ ـ حدود الملايو أكثر صلاحية للخضوع للرقابة •

٢ ـ من السهل التعرف على السمات العنصرية المميزة للعصاة فى الملايو وعزلهم بالمقارنة بالموقف فى فيتنام •

٣ ـ ندرة الغذاء فى الملايو فى مقابل الوفرة النسبية له فى فيتنام الجنوبية ، مما جعل حرمان المشتركين فى حرب العصاة أهم بكثير ، وجعلتها سلاحا مفيدا فى الملايو •

٤ ـ الأهم هو أن البريطانيين كانوا هم القائمين بالقيادة الفعلية •

٥ ـ وأخيرا ، لقد استغرقت هزيمة العصاة ١٢ سنة تقريبا من

البريطانيين رغم كون العصاة أضعف من أقرانهم في فيتنام الجنوبية (٦٦) ٠

ورأى كيندي ومستشاروه الموقف في فيتنام مشابها من الناحية الرمزية للموقف الذي واجهته دولة ترومان فيما يتعلق بالصين سنة ١٩٤٩ ٠ وفي هذه الحالة ، يكون الدرس الذي يجب أن نعيه هو أنه اذا أقدمت فيتنام على الانضمام لمعسكر الشيوعية ، فان اللوم ــ اذا وقعت خسارة ــ سيقع على عاتق الادارة التي ألقى عليها عبء مراقبة ذلك ، وسنعاني سياسيا في بلد من يظهر فيها لينا نحو « الشيوعية » ، كمن عانق عزرائيل ٠

ولما كانت دروس الحرب العالمية الأخيرة قد لعبت دورا بمثل هذه الأهمية في خلق صور العلاقات الدولية ، فغالبا ما يعتقد الزعماء أن الحرب الآتية ستكون متشابهة في أسبابها هي والحرب الأخيرة ٠ فلا ننسى أن سياسة المهادنة في الثلاثينات قد اعتمدت على الظن بأنه كان بالمقدور تجنب الحرب اعتمادا على دبلوماسية التوفيق بين وجهات النظر ٠ بينما أدت الاعتقادات الخاصة بأصل عدوان هتلر في الثلاثينات الى جعل الغرب على استعداد للنظر الى الاتحاد السوفيتي والصين على أنهما دولتان معتديتان ، لا يصح في حالتيهما اتباع سياسة المصالحة ، وأنه من العبث اتباع مثل هذه السياسة (٦٧) ٠ ان الاعتقاد (الصائب) بأن الولايات المتحدة قد تورطت في الحرب العالمية الأولى لرغبتنا في الاتجار في الطرفين المتحاربين ، كان وراء موافقة الكونجرس على مراسيم الحياد للحيلولة دون الزج بالبلاد في حرب أخرى في الثلاثينات (٦٨) ٠

واستبدت مطالبة السوفيت من فنلندة ١٩٤٩ بضم بعض الأراضي قرب لينينجراد (سان بطرسبورج الآن) على بحر البلطيق على دروس مستفادة من الماضي في المستوى العام والمستوى الخاص ٠ اذ كان من بين أقوى دروس التاريخ في نظر الزعماء الروس الاعتقاد باعتماد الأمن على خلق دولة فاصلة أو حاجزة ٠ وقد تعلموا هذا الدرس من سنوات الغزو التي قام بها جنكيز خان وجحافله الآسيوية ، ثم بعد ذلك من السويديين واللتوانيين والفرسان التيتونيين والبولانديين والفرنسيين والألمان وآخرين ٠ وتعلموا من كل غزو أن الأمان يعتمد على خلق دول فاصلة صديقة ، حتى تصبح الدول المجاورة المعادية في مدى النيران ، وتعلموا أيضا ضرورة خلق مجموعة من الحدود التي تحقق أغراض الأمن على نحو أفضل من السهول الروسية المترامية الأطراف ٠ وأهم من ذلك للتأكد عندما تنشب الحرب أن مشاركتهم فيها ستقع خارج حدود روسيا ، بدلا من أن تدور على أرضها ٠ وزيادة في التخصيص فان الأحداث في

الحرب الأهلية الروسية (١٩١٧ ـ ١٩٢١) فى البلطيق قد زادت من تضخم ادراكهم لأهميـة هذه المنطقة • فلقد عمل الزعيم الأبيض يودنيش والانجليزى فى منطقـة خليج فنلنده ، وهى منطقـة استطاع القياصرة حمايتها اعتمادا على قاعدتهم البحرية فى بوركالا ، فيما أصبح يسمى بعد ذلك فنلندة المستقلة •

وأخفق الفنلنديون لافتقـارهم الى نفس التجـارب التاريخية التى للروس فى تقدير الدوافع الدفاعية للسوفيت ، واعتقدوا بدلا من ذلك بأن مطالب الروس تهدف الى القضاء على الدولة الفنلندية (٦٩)• ولا حاجة للقول بأن حسم هذه المسألة قد باء بالفشل عن طريق المفاوضات • وفى الحروب التالية ، تعلم الروس بعض دروس عسكرية عن حروب الشتاء من الفنلنديين ، وتعلم الفنلنديون دروسا سياسية عن التكيف مع مصالح الأمن للجيران من القوى العظمى •

ودروس التاريخ عظيمة الأهمية بالنسبة لأولئك الذين يتعلمونها للمرة الأولى ، ولأولئك الذين تأثرت حياتهم وأدوارهم فى الحياة بعد البلوغ تأثرا عظيم الأهمية بالأحداث الأصلية • وذكر جرفيس أن ثلاثة من وزراء خارجية بريطانيا ممن ساهموا بدور فى سياسة مهادنة هتلر فى الثلاثينات (صمويل هور وجون سايمون وهاليفكس) قد كسبوا سمعتهم السياسية من تهـدئة المطـالب الهنـدية بزيادة حقهـا فى الحكم الذاتى وقد نقلت الدروس المكتسـبة فى احدى البنيـات على وجه غير منـاسب الى بيئة أخرى (٧٠) • وتعد الدروس المكتسبة فى وقت مبكر فى العمل السياسى فى حياة أى شـخص ، وعلى الأخص الدروس المسـتقاة من النجاحـات والاخفاقات الحاسمة الباكرة ، جوانب مهمة بطبيعتها للصورة الكلية لأى شخص • لقد اكتسب رونالد ريجان سمعته من أول عمل سياسى نهض به ومن أول نجاح صادفه كرئيس لنقابة ممثلى الشاشة ، حيث ساهم فى عراك لمنع الجماعات المؤيدة للحزب الشيوعى من السيطرة على اتحـاد الممثلين • وتكونت صورة الشيوعيين فى نظره كأناس مخادعين ومنحرفين وتوسعيين من هذه التجارب الباكرة (٧١) ••

وثمة اعتبار آخر وهو ان هذه الدروس التاريخية لا تقتصر أهميتها على المستوى الفردى • اذ يستطاع تعميمها على المؤسسات فى الجهات الحكومية البيروقراطية ، فبمجرد حدوث ذلك فانها ستؤلف أسـاس التخطيط المستقبلى ، وتتحـول الى ملامح دائمـة فى المعيار الذى يحرك الاجراءات ، وتخلق أطرا للنظر فى الأحداث أو تفضيل الاختيارات للتعامل مع الأهداف الطارئة (٧٢) •

تطورات الدور القومى :

أصبحت مدركاتنا للماضى التاريخى متصلة بما سماه هولستى صورتنا القومية الذاتية ، أو تصوراتنا عن الدور القومى ، أى بالطريقة التى نتصور بها بلادنا ومكانتها فى العالم (٧٣) • وربما أدرك الزعماء القوميون مكانهم كزعماء للعالم ، وكوسطاء محايدين وساعين للوفاق وكحلفاء يعتمد عليهم أو كثوار مضطهدين ودعامات للمجتمع الدولى وحماة للضعفاء وهلم جرا • ولا جدال أن كيفية تصور زعماء الدولة لدورهم فى العالم تؤثر فى مسلكهم •

فمثلا ، لقد وضح استعداد الأمريكان للتدخل بالقوة فى جميع أنحاء المعمورة ـ من ناحية ـ من ميل الزعماء الأمريكان لتصور الولايات المتحدة دولة ذات مسئوليات خاصة فى النظام الدولى ، أى كزعيمة للعالم الحر ، ومدافعة عن الحرية وحامية لها ، وترسانة للديموقراطية • كما أن زعماء البلدان الآخرين لهم نظرات خاصة عن دولهم • ويرى ميكائيل بريشر (أو لعله بريخر) أن تصور الاسرائيليين لليهود كضحايا وأعراض المحرقة (الهولوكست) ، قد أدى الى الغلو فى الخوف على بقاء اسرائيل فى مواجهة العدوان العربى الذى نظر اليه كمحاولة أخرى لتصفية اليهود من العالم • ولعبت هذه الفكرة بدورها دورا رئيسيا فى تصميم اسرائيل على خوض الحرب ١٩٦٧ (٧٤) •

اساءات الادراك :

تحدث اساءات الادراك عندما تتناظر مدركات الفرد للعالم هى والواقع • ولعلكم قد أدركتم بالفعل ان اساءات الادراك عند الزعماء القوميين شائعة فى العلاقات الدولية • وهذه مسألة طبيعية • اذ لا يعرف صناع السياسة فى نهاية الأمر ما الذى يجرى بالفعل فى الكثير من البيئة الخارجية • ونادرا ما تحدث تجربة مباشرة للسياسة الدولية • وعوضا عن ذلك ، يتعرف الزعماء القوميون عليها من تقارير وسيطة ، يعنى من الصحافة وبرقيات المحطات الدبلوماسية المنتشرة حول العالم ، ومن رسائل الخبراء ، أو من شاشة التليفزيون • ولعل دور C.N.N. فى حرب الخليج الحديثة العهد أقرب مثال • وعلاوة على ذلك ، وكما رأينا بالفعل فان فهمنا للأحداث الخارجية يخضع لاساءة ادراك ترجع الى صورنا وانسياق اعتقاداتنا المسبقة • فبمقدور شاشات مدركاتنا تشويه أية معلومات تتلقى من البيئة •

وكثيرا ما ينظر الى قرارات السياسة الخارجية ، بما فى ذلك قرارات الحرب ، من المنظور العقلانى لصانع القرار • ويزعم أن الزعماء

القوميين يدركون بكل دقة الموقف الدولى وأى شىء موجود فى البيئة ، مما يهدد أو يناسب العمل السياسى ، ثم ينتقون على أساس التحليل المستند الى تكاليف الكسب ، تلك السياسات الأقل مواءمة للنهوض بمصالحهم الدولية ، على أننا نعرف أن الكثير من القرارات السياسية الخارجية كانت بحق « بعيدة عن العقل » وربما كانت اساءات الادراك هى المفتاح المساعد لفهم مثل هذه القرارات المتعارضة والعقل (٧٥) . والواقع ان اساءات الادراك من قبل الزعماء القوميين غالبا ما جاء ذكرها كسبب مباشر للحرب .

وتنقسم اساءات الادراك الى أنماط يسهل التعرف عليها : سوء ادراك نيات الخصم وقدراته العسكرية ، والتوازن العسكرى المتبادل ، واستعداد الخصم للتسليم بمطالبنا ، والمخاطر الكامنة فى تنفيذ سياستنا ، ونوايا البلدان الثالثة (غيرنا وغير الخصم) وقدراتها ، ولابدية الحرب ونتيجتها النهائية ومعرفتنا لأنفسنا .

ولنتول بحثها جميعا دفعة واحدة :

١ ـ اساءة ادراك الخصم ، والمبالغة فى تصور ما يحمله من نوايا عدوانية ، وبأنه ينوى الاقدام على أشد عدوانية مما هى بالفعل (على عكس ذلك ، والاخفاق فى ادراك أن الخصم قد ينظر الى أفعالنا على أنها مصدر تهديد له) .

ومن المحتمل أن يكون الغلو فى تقدير نوايا الخصم أحد أكثر الظواهر شيوعا فى اساءة الادراك . ويرجع أساسا الى الآثار المشتركة لمحاولة استخلاص نوايا الخصم من قدراته العسكرية ، والميل المتصل بها لفعل ذلك على أساس تحليل قائم على توقع الأسوأ .

ومن المحتمل أن يكون ما سبق الحرب العالمية الأولى المثل الكلاسيكى للمبالغة فى تقدير نوايا الخصم ، كما أن ملاحظات تيودور روزفلت الشخصية ـ كما يظن ـ هى أفضل اثبات كلاسيكى لهذا التورط . اذ كتب روزفلت ١٩٠٤ (وهو فرانكلين روزفلت) ان الامبراطور فيلهلم « يعتقد بكل اخلاص أن الانجليز يخططون للهجوم عليه وتحطيم اسطوله . وربما اشتركوا هم والفرنسيون فى حرب حتى الموت ضده . والواقع أن الانجليز لم يضمروا أية نية من هذا القبيل ، ولكنهم كانوا يشعرون بالهلع خشية تصميم الامبراطور الألمانى على تكوين حلف ضدهم مع فرنسا أو روسيا ، أو مع كليهما لتحطيم أسطولهم ، ويمحو الامبراطورية البريطانية من الخريطة ! ويا لها من حكاية تثير الضحك وتمثل المخاوف

التى تنجم عن انعدام الثقة بين الطرفين الى حـد الزج بشعبين الى حافة الحرب » (٧٦) ٠

ان الاسراف في ادراك التهديد من المشكلات الرئيسية فى الأزمة التى أشعلت الحرب العالمية الأولى ٠ وأثبت تحليل روبرت نورث للوثائق الخاصة بأزمة ١٩١٤ أن ادراك الزعماء الألمان لنوايا الحلف الثلاثى ، كان أشد عدوانية مما أثبته التحليـل الموضـوعى للموقف (٧٧) ٠ وهكذا رد الألمان العدوان الذى اعتقدوا بنوع الخطأ أنهم يواجهونه من خصومهم (وسنتحدث عن هذه المسألة بالمزيد من الافاضة فيما بعد) ٠

ويجمل جون ستوسنجر الموقف على خير وجه : عندما يعتقد زعيم على شفا خوض حرب أن خصمه سيوجه ضربة اليه ، فان فرص اشتعال الحرب ستكون كبيرة ٠ وعندما يشترك الطرفان فى هذا الادراك عن نية كليهما تصبح الحرب فى حكم الأمر المؤكد (٧٨) ٠

ويلاحظ جاك ليفي وجود طريقين يوصلان للحرب يمكن اتباعهما تبعـا للمبالغة فى ادراك نوايا الخصـم : الطريق الأول طريق مبـاشر : بالمبادرة بتوجيه ضربة ضد الدولة التى يظن أنها تحمل نوايا عدوانية ٠ والطريق الثانى طريق غير مباشر ، تبالغ فيه الدولة فى شعور قدراتها العسكرية للتعويض عن النوايا العدوانية التى تتوهم أن الدولة المعادية تضمرهـا لها ٠ وترد الدولة الأخرى تبعـا لذلك بشن هجوم حلزونى متزايد العدوان ينتهى بالحرب (٧٩) ٠

ويتعين أن يلاحظ أنه من حـين لآخر يحتمل أن يصـحب الحالة السابقة ادراك مقابل ، يعنى تصور الخصم على أنه أقل عدوانية مما هو فى الواقع ٠ فاثنـاء مهادنة هتلر فى الثلاثينات ، زعم كثير من الزعماء السياسيين فى الغرب أن « فوهرر » ألمانيا يشاطرهم هدفهم الرامى الى محدودية الأهداف السياسية وتحقيق السلام لأوربا ٠ ويفسر نيدليبو ذلك بامكان رد هذه الاساءة في الادراك الى اسقاط هؤلاء الزعماء قيمهم القومية (وصورهم القومية الذاتية) على ألمانيا الهتلرية (٨٠) ٠ فعندما تتضاءل معرفتنا بالبلدان الأخرى ، فاننـا نجنح الى تصورهـا وتصور زعمائها على أنهم متماثلون معنا ٠ وبطبيعة الحال ، تعـد عواقب بخس النوايا العدوانية للخصم احساسا زائفا بالأمان ، ودليلا على الافتقار الى الترتيبات الدفاعية ٠

وثمة ما يبرر الاعتقاد أن اساءة الادراك المشترك قد اضطلعت بدور فى حرب الكويت (١٩٩٠ ــ ١٩٩١) ٠ فربما أدرك صدام حسين وجود تهديد من احجام الكويت عن السماح للعراق بالغاء ديونها ، ومن عدم

استعدادها لتخفيض ما تضخه من بترول ، بل وربما يكون قد أدرك وجود مؤامرة مشتركة بين الأمريكان والاسرائيليين والانجليز لحرمان العراق من الأسلحة المتقدمة التى تلزم العراق لكى تصبح القوة المسيطرة فى المنطقة ، حتى تفرض الولايات المتحدة سياستها عليها • ومن جهة أخرى ، فان جميع زعماء عواصم الشرق الأوسط قد استخفوا بمقدار التهديد الذى مثلته العراق ودهشوا عندما سمعوا نبأ غزو الكويت • وهكذا فبينما بالغ الزعماء العراقيون فى تقدير ما يهدد مصالحهم ، فقد استخف خصومهم بعدوان العراق (٨١) •

٢ ـ عدم الدقة فى ادراك التوازن النسبى فى القوة بيننا وبين خصومنا • وبوجه خاص ، اذا اعتبر الخصم أضعف مما هو فى الحقيقة •

ويرى جوفرى بليني أن الحروب تنشب عندما تختلف مدركات الزعماء فى مختلف البلدان حول قوتها النسبية • وفى مقابل ذلك ، فان الحروب تتوقف لأن هؤلاء الزعماء أنفسهم قد نزعوا الى الاشتراك فى مدرك متماثل عن نواحى القوة النسبية والضعف النسبى لقواتهم (٨٢) • وبعبارة أخرى ، فان القتال الفعلى يوجه صفعة لكل بلد مشترك فى اختبار الواقع • وسيكون هدف هذا الاتجاه هو تقرير أى الادراكين المبدئيين كان الأصوب •

ويكتشف ليبو أنه فى خمس حالات من حالات بلوغ حافة الحرب ، أساء زعماء البلاد الذين تمتعوا بالمبادرة اساءة شنيعة عند تقدير التوازن العسكرى ، وكانوا موقنين من تحقيق النصر لو انتهت الأزمة بنشوب الحرب • فمثلا فى حرب الشرق الأوسط ١٩٦٧ ، انتشى جمال عبد الناصر بما لديه من وفرة فى الأسلحة والرجال بعدما شاهد أثناء زيارته للمواقع المصرية فى سيناء (٨٣) • ويرجع تصميم الباكستانيين على شن حرب على نطاق واسع ضد الهند بسبب كشمير ١٩٦٥ ـ من جانب ـ الى فرط الثقة التى اكتسبها زعماء الباكستان من مناوشات الحدود فى ران من كوتش فى وقت باكر من هذه السنة (٨٤) وقبل اندلاع الحرب الروسية اليابانية ، استبند ادراك الروس لعدم اقدام اليابانيين على المخاطرة بالحرب الى حد كبير على تعصب عنصرى ممتد الجذور (٨٥) •

لقد أثرت جميع هذه الأمثلة التى تمخض فيها فرط الشعور بالثقة المتولد عن سوء ادراك قدرات الخصم تأثيرا قويا على قرار المبادرة بالحرب • ولا يخفى مدى أهمية مثل هذه الاساءات للادراك • فلا ننسى أن الدول قلما تبادر بشن الحروب التى لا تتوقع الفوز فيها ! • وفى الحالات التى يحدث فيها خطأ فى تقدير توازن القوى (كما يبين عندما تهزم الدولة فى الحرب التى أشعلتها) ، فاننا سنكون على ثقة تامة اذا قلنا ان اساءة

الادراك كانت سببا مباشرا للحرب . والواقع أن أحد المحللين قد ذكر أنه من المحتمل أن يكون ادراك أية ميزة عسكرية شرطا ضروريا للحرب ، وان كان فى أغلب الظن ليس كافيا فى ذاته ، لأن الزعماء عادة لا يطالبون فقط بالانتصار فى الحرب ، ولكن لابد أن يكتب هذا النصر دون تكبد نفقات تحرمها من مكاسبها (٨٦) .

وقد يؤدى أى غلو فى تقدير القوة العسكرية للخصم أيضا الى الحرب ، وان كان حدوث ذلك يتخذ شكلا مختلفا . واكتشف ليبو أن أهم مدرك للتهديد يحمل فى طياته ادراك تحول درامى متوعد فى ميزان القوى لصالح الخصم . وكان هذا العامل وراء نصف عدد حالات الاقتراب من حافة الحروب الثلاث عشرة التى وردت فى دراسة ليبو (٨٧) . ولا يصح هذا فقط عن التغيرات بعيدة المدى فى التوازن العام والاقليمى ، ولكن ينطبق أيضا على التغيرات قصيرة المدى فى الميزات التكتيكية . بطبيعة الحال ، فان بعض هذه المدركات لحدوث تغير معاكس فى التوازن العسكرى لا ترجع الى اساءة الادراك ، اذا كانت مبنية على مدركات صحيحة ، وان كان بعضها خاطئا . فلقد اعتمد اعلان التعبئة الذى أعلنه القيصر نيقولا الثانى للقوات الروسية فى ٣ يوليو ١٩١٤ على ادراك خاطىء لاقدام المانيا على أنشاء تجهيزات عسكرية سرية ضد روسيا . انها تجهيزات قد تعززها بتزويدها بدفعة حاسمة اذا لم تواجه بعمل روسى سريع . والحق ، فان مثل هذه التجهيزات السرية لم يكن لها وجود البتة . فلم تصدر ألمانيا أية أوامر بالتعبئة المسبقة حتى يوم ٣٠ يوليو كرد على التعبئة الروسية . وارتكنت التعبئة الفرنسية ــ ظاهريا ــ على اساءة ادراك مماثلة لاستدعاء المانيا سرا « لعشرة آلاف » من الاحتياط (٨٨) .

لعل هذه المناقشات قد نبهت القارىء بالفعل الى الآثار المتعددة الجوانب القوية لاساءة الادراك . اذ تعد المبالغة فى ادراك العداء خصما يضاف الى اساءة ضعفه العسكرى النسبى ، وسيكون ــ يقينا ــ جمعا محتملا قويا . ولسوء الحظ ، فان أجتماع هذين الادراكين الخاطئين لا يتخذ شكل مولودين ، ولكنه يتخذ شكلا ثلاثيا أو شكل توائم .

ولما كان ادراك القوة متصلا بكل من ادراك النوايا وادراك المخاطر ، فان هناك نتيجتين لاساءة الادراك الأساسية للقوة النسبية .

(أ) الاعتقاد غير الدقيق بأن الخصم سيؤثر الاستسلام للتهديدات والانذارات بدلا من التصدى للحرب .

(٢ ب) اساءة ادراك الخطر الذى سيواجهنا عند التعرض لأى صراع .

ومن ملامح الخاصية المحددة لأزمات حافة الهاوية التى بحثها ليبو أن يتوقع المبادر تنازل الخصم بدلا من الالتجاء لامتشاق السلاح • وأثبتت كل أزمة بحثها عدم دقة هذه المدركات المبدئية ، وأن المبادر كان لديه الاختيار بين التنازل أو مواجهة العدوان الفعلى • وتوحى كشوفه بأن وجود تورط فى الاقتراب من حافة الحرب من قبل الخصم ليس شرطا مسبقا لمواجهة أزمات حافة الحرب • وما يهم هو ادراك المبادر وجود التزام بالتعرض للخطر ، وهو ادراك طالما اتضح خطأه (٨٩) • وهكذا يبدو أن اساءة الادراك كانت سببا رئيسيا لأزمة الحافات •

ومن أفضل الأمثلة المؤيدة لهذه الحالة اساءة ادراك الزعماء الهنود لأزمة ١٩٦٢ مع الصين فى الهيمالايا • اذ أدرك الزعماء الهنود أن الصين قد تتنازل عندما تواجه سياسة الهند القائمة على المواجهة السافرة للعدوان بتزويد نقط الحراسة العسكرية بالرجال فى مناطق المشاحنات ، حتى بالرغم من التفوق العسكرى للصين على كلتا الجبهتين • وتعرض ادراك العسكريين الهنود المحرضين من قبل العسكريين المتخاذلين ، الذين كانوا على غير استعداد لتحدى ما يعتقدون أنه صورة خاطئة للسلوك الصينى (٩٠) •

ولا يقتصر الأمر على وجود ميول متنوعة لدى مختلف الأفراد فيما يتعلق بالمخاطرة ، ولكنهم يدركون درجات الخطر على أنحاء شتى فى نفس المواقف ، أو فى المواقف المتماثلة • ويرى جرفيس أنه خلافا لما يتصوره العديد من المؤرخين فان هتلر لم يتصف بالتهور فى محاولته السيطرة على أوربا فى الثلاثينات، ولكنه كان متيقنا من تنازل الطرف الآخر (٩١) • ولا يعنى هذا أن هتلر كان أكثر استعدادا للمخاطرة من الآخرين ، ولكنه اعتقد فى بساطة أخطار الحرب •

ومن الأمثلة الكلاسيكية لاساءة ادراك الخطر القرار الأمريكى بمحاولة توحيد كوريا ، بعد المهمة المبدئية للتصدى لهجوم الكوريين الشماليين على كوريا الجنوبية • وتعرضت قوة الصين واستعدادها للدفاع عن كوريا الشمالية لبخس التقدير من ناحية الأمريكان ، وبخاصة من الجنرال ماكارثر وأركانه• واتصف جانب من المشكلة بالبيروقراطية ، واستخفت المخابرات العسكرية بتقييم القوة الصينية لتجنب الحط من الروح المعنوية فى جيش كوريا الجنوبية • ولتجنب غضب ماكارثر ، وكان موقفه من القوة الصينية معروفا على خير وجه • وتعلم أركان حرب ماكارثر (مثلما حدث فى حالة العسكريين الهنود قبل ذلك بعقدين من الزمن) وجوب التحلى بالحصافة فى خنوعهم الى جانب الخشوع لقائدهم • وترتب على ذلك عدم دراية ماكارثر بقلق جنرالاته ، لأن مرءوسيه الأقربين

قد عزلوه عنهم (٩٢) ، ويرجع دى ايفيرا ذلك الى نفور ماكارثر السيكولوجى من الاستماع الى ما يقوله المعارضون له ، وحرصه على احاطة نفسه برجال مؤيدين لنظراته • وهى حاجة نابعة من افتقاره الى الأمان (٩٣) •

والى حد ما ، فلقد استندت اساءة ادراك القدرات الصينية ونواياها على التفكير الرغبى للقادة الأمريكان ، وعلى الرغم من غلبة التحذيرات بأن التفسيرات الرسمية للقوة الصينية ونواياها لم تستند الى الدقة ، فقد أصر قادة الولايات المتحدة على تشبثهم بصورة الضعف الصينى ، وما فيها من مظاهر خداعة • وبعد أن تهاوت شعبية ترومان ، وغاصت فى اليم ، كما تفعل البجعة عندما تبحث عن وجبة سريعة ، وبعد أن هاجم الجمهوريون ادارته لما اتسمت به من لين فى التعامل مع الشيوعية ، كان لابد يقينا أن يكون انشاء كوريا الديمقراطية هو الرد على العديد من المشكلات السياسية التى واجهها ترومان ووزير خارجيته أتشيسون • ومن ناحية أخرى ، فان الاخفاق فى دفع حركة الوحدة للأمام كانت ستبدو كحركة تهدئة • لقد كان ترومان وأتشيسون فى حاجة الى تحقيق انتصار فى كوريا الشمالية ، ولم يكن هناك أى بديل مقبول • وفى مواجهة المعلومات بأن مثل هذا الانتصار قد يتعرض للتعقيد اذا دخلت الصين الحرب ، كان رد الأمريكان على المعلومات هو المساندة (الدعم) — وهو نوع من الاجراء السيكولوجى المخطط لتعزيز الاعتقاد فى صحة المواقف والأفعال السياسية ، وأيضا الانتباه الانتقائى لاستبعاد التهديدات الصينية باعتبارها (تهويشا) (٩٤) •

٣ — ادراك أن الحرب لا مندوحة منها :

ويتخذ هذا الادراك صورتين • فقد ينظر الى الظاهرة العامة للحرب كأمر ملح حتمى من أثر أوضاع العلاقات الدولية ، أو قد تدرك الحروب بخاصة كأمر لا مفر منه فى أوقات بعينها • ولكل مدرك تأثيره على استعداد الزعماء لاختيار الحرب •

ونوه ايفان ليوارد الى أهمية ادراك المقبولية العامة للحرب كملمح من العلاقات الدولية :

« الحروب تصنعها الشعوب — الأفراد داخل الحكومة أو أية هيئات جماعية — عندما تقرر فى موقف ما محاولة تأمين هدفها اعتمادا على القوات المسلحة • وما يحدد هذه القرارات فى نهاية الأمر هو المعتقدات التى تعتقدها عن الحرب ونفعها ومشروعيتها وأخلاقياتها وقيمتها فى تقوية السمعة القومية ، وتمسكها بالشرف القومى ، أو فرض ارادتها

القومية ، وفوق كل شيء اعتبارها أمرا طبيعيا كملمح دائم في مسلك الدول » (٩٥) ٠

ويتتبع ليوارد الصفة الطبيعية للحرب في النظام الدولي ابتداء من ١٤٠٠ حتى الآن ، ويقول ان التغير الأساسي لم يقتصر على النظر الى الحرب بوجه عام كعمل مشروع (فلم تتغير هذه الناحية البتة) ، ولكنه يمس نوع الحرب التي تدرك كعمل مشروع في العصور المتعاقبة (٩٦) ٠

ويرجع صميم هـذه المسألة الى أنه بينما تطورت الاتجاهات نحـو شرعية الاعتداء شيئا فشيئا وأصبحت أكثر اتصافا بسلبيتها ، الا أن الحرب مازالت ترى كوسيلة مقبولة للسياسة القومية في ظروف بعينها، وسيستمر الزعماء على ادراجها في قائمة اختياراتهم للتعامل مع الدول الأخرى ، تبعا لمقـدار ادراكهم للحرب كملمح سوى ومقبول في العلاقات الدولية ٠

وربما كان مدى ادراك الزعماء السياسيين لأن الحرب في ذاتها مسألة لا مناص منها في موقف بعينه في المكان عاملا مهما في اصدار قرار الاشتراك في الحرب ، أما هل يعد هذا الاجراء بالفعل اساءة ادراك فمسألة يصعب حسمها ٠ فقبـل كل شيء من المسلم به أن الحرب حدث يحدث بالفعل ، وتتباين تكهنات أو توقعات الزعماء حول حقائق المستقبل تباينا كبيرا وحول مدركاتهم للحقائق الجارية التي يسهل تصورها والحكم عليها بالدقة أو عدمها (٩٧) ، أكثر من قدرتهم على التكهن ٠ وبالرغم من كل هذا، فاننا سننظر الى مثل هذه التوقعات كاساءة للادراك بعد أن جرت على النظر اليها كذلك في الكثير مما يكتب عن الحرب ٠

وتمثل الحرب العالمية الأولى مثلا كلاسيكيا للموقف الذى تصور فيه الزعماء من جميع المعسكرات الحرب كأمر لا مناص منه (٩٨)٠ولابد أن يكون من الأمور البينة أنه اذا أدرك الزعماء الحرب كأمر لا مندوحة منه ، فانهم لن يظهروا أى ميل لاتباع السبل التي تحول دون نشوب مثل هذه الحرب ٠ وعندما نتمعن فيما حدث سنرى أن من أهم ما تميزت به أزمة يوليو ١٩١٤ أنه بينما انتهت جميع الأزمات الأوروبية التي سبقت الحرب مباشرة الى عقد مؤتمرات دولية للزعماء أو وزراء الخارجية ، فان محاولات حسم الأزمة النمسوية الصربية عن طريق عقد مؤتمر دولى لم تدب فيها الحياة ٠ وبمقدورنا أن نخمن هذا الاجراء قد بدا لكثيرين مضيعة للوقت بعد التسليم بلابدية الحرب ٠

ويخلق ادراك حتمية الحرب ، بالاضافة الى ادراك أن الحاضر سيكون أنفع عسـكريا من أى وقت آت ، مجمـوعة خطـيرة من الظروف بوجـه

خاص (٩٩) • ولعل هذا الموقف هو ما حدث بالتأكيد فى أزمة يوليو ١٩١٤ • فلم يقتصر الأمر على تصور الزعماء الألمان (والنمسويين أيضا) الحرب كشىء لا مفر من وقوعه ، ولكنهم تصوروا صيف ١٩١٤ كفرصة أخيرة لكسب هذه الحرب التى ستحدث ان عاجلا وان آجلا (١٠٠) • اذ ستتم اعادة تسليح روسيا فى ١٩١٦ و ١٩١٧ مما سيساعد على خلق بيئة أشد خطورة • ومن سخريات القدر أن كثيرين من زعماء بريطانيا وفرنسا (وبخاصة هيئة الأركان الفرنسية) قد اعتقدت أيضا فى تفوقها، وأنه من الأفضل محاربة ألمانيا فى التو بدلا من ارجاء الحرب لوقت آخر • وتأثر صناع القرار الفرنسيون بمدركات مماثلة ١٨٧٠ قبل نشوب الحرب مع بروسيا ، وأيضا قادة جيوش بروسيا واليابان ١٩٠٣ ــ ١٩٠٤ الذين اعتقدوا أن الوقت مناسب ، وأن لديهم ميزة استراتيجية لمواجهة روسيا سرعان ما ستولى الادبار (١٠١) •

٤ ــ ادراك أن الحرب لن تستنفد نسبيا الكثير من النفقات وستكون قصيرة •

سبق أن ذكرنا أنه ليس كافيا أن يدرك صناع القرار أن الحرب التى تشغل بالهم ستحقق نصرا • اذ يلزم أن تكون الحرب أيضا قصيرة ولن تجر فى ذيلها تكاليف مضنية • وهذا عامل لا يقل من حيث الأهمية عن العامل الأول • فمن المعقول حقا ان تبدو الحرب أكثر احتمالا لو اعتبرت مقبولة عسكريا واقتصاديا • وفى مثل هذه الظروف سيكون الزعماء السياسيون أميل الى تحمل المخاطرة بالحرب (١٠٢) • ومن جهة أخرى ، لو نظر للحرب على أنها مصدر خراب ، فان الزعماء السياسيين سيكونون أقل احتمالا لتعريض شعوبهم لأخطارها •

وعلق كثيرون على ما شاع عن كون الحرب فى أوربا ١٩١٤ ستتصف بقصر ديمومتها • واستندت اساءة الاعتقاد على عدة عوامل : أولا ــ تأثير وجود حالات مماثلة فى التاريخ كقصر أمد الحروب الكبيرة الأخيرة فى أوربا كالحرب الفرنسية البروسية والحرب النمسوية البروسية ، مما ساق رجال الدولة فى القرن العشرين الى توقع الكثير من الحالات المماثلة • ثانيا ــ كان هناك اعتقاد بعدم وجود قوة عظمى قادرة على تمويل حرب طويلة الأجل ، وبخاصة اذا راعينا العلاقات التجارية والمالية المتبادلة بين الدول الأوربية • وأخيرا هناك عامل الاستراتيجية العسكرية التى أكدت أهمية الناحية الهجومية تمشيا مع اعتقادها أن الاستراتيجيات والتكنولوجيات الهجومية ذات أثر حاسم يفوق أثر الدفاع (١٠٣) ، ومن ثم ساد الزعم بأن من يلجأ الى الهجوم سيحرز نصرا سريعا على الخصم الملتزم بالدفاع مما أدى الى استبعاد وقوع حرب طويلة •

٥ ـ اساءة ادراك نوايا (وقدرات) الدول الثالثة ٠

ويشير بليني الى أهمية المدركات (أو اساءة المدركات) المتعلقة بمسلك الدول الثالثة ، التي قد تشترك في الحرب ، والى أي جانب ستنضم ، ومن سيقف موقف المتفرج ، ومن سيرفع رأس من يتحالف معه ومن سيكذبون ظن حلفائهم (١٠٤) ٠

وبالمقدور أن يكون الادراك الصحيح لنوايا الطرف الثالث عظيم الفائدة ٠ فلقد أصاب الزعماء الأمريكان ادراك عدم اشتراك أية بلدان أوربية لمناصرة المكسيك ١٨٤٦ ، وأصاب الزعماء الأوروبيون ادراك عدم حيلولة الحرب الأهلية الأمريكية دون مساعدة الولايات المتحدة للمكسيك ضد تدخلها في ستينات القرن التاسع عشر ؛ وأدرك الزعماء اليابانيون على وجه الدقة عدم احتمال تدخل أية قوى كبرى الى جانب الصين أثناء غزوها لهذه البلاد ٠

على أن اساءات الادراك مماثلة في وفرتها ٠ ويتمثل نموذج اساءة الادراك على خير وجه (والذى ربما بدا كنوع من التفكير الرغبي) في تصور استمرار خصومنا المحتملين في التزام الحياد، بينما يستمر حلفاؤنا في التزامهم بتعهدهم والتزامهم ٠ وتؤثر اساءات الادراك من هذا القبيل تاثيرا مباشرا على تحليل الزعماء لجانب الربح والخسارة في مرغوبية الحرب من أثر ما تحدثه من زيادة في الثقة عند العسكريين ٠ فمثلا ، لقد صحح الانجليز والفرنسيون على نحو فج باعلانهم الحرب ١٩٣٩ تصور هتلر عدم تلقى بولانـدة لأية مساعدة خارجية ٠ واعتقد الزعماء الألمان والنمسويون ١٩١٤ امكان الحفاظ على الحرب ضد الصرب في النطاق المحلي دون تدخل خارجي من القوى العظمى ٠ وكان الادراك المبـدئى لفيلهلم بعدم احتمال اشتراك الانجليز عـاملا حاسما في الحسابـات الألمانية ٠ وبينما استند قرار كوريا الشمالية والزعامة السوفيتية على مهاجمة كوريا الجنوبية ـ فيما يحتمل ـ (وبنوع الخطأ) على ادراك عدم تدخل الولايات المتحدة ، استند قرار ادانة ترومان بارسال قوات الأمم المتحدة الى كوريا الشمالية على الادراك المماثل ، في خطئه بأن الصين ستظل ملتزمة الحياد رغم احتجاجاتها المعبرة عكس ذلك (١٠٥) ٠

وفي الأسابيع السابقة للهجوم على الكويت كاد صدام حسين يدرك ويوقن من عدم وجود مخاطر حقـة من احتمال تدخل الولايات المتحدة لانهاء ضم العراق للكويت ٠ ولا يستبعد أن يكون ما ساعد على توطد هذه الاساءة في الادراك الزعماء الأمريكيون ٠ وكما يحتمل أن يكون هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية قد تأثر بعدم وجود التزام عسكرى رسمى بمساعدة كوريا الجنوبية (كما حدده وزية الخارجية أتشيسون

فى الحدود التى رسمها فى تصريحاته) كذلك تأثر ـ كما يحتمل ـ قرار صدام حسين بالبيانات التى أصدرتها الادارة الأمريكية بعدم وجود التزام رسمى لدى الولايات المتحدة بالدفاع عن الكويت. وبالاضافة الى ذلك ، فانه فى اجتماع عقد على عجل بين صدام حسين والسفيرة الأمريكية أبريل جلاسبى فى بغداد قبل الهجوم بأيام قليلة (عندما كانت القوات العراقية تتجمع عند الحدود الكويتية) ، أكدت المبعوثة الأمريكية التزاما بالموقف السياسى التقليدى ورغبة أمريكا فى الحفاظ على حسن العلاقات ، وصرحت بأن الولايات المتحـــدة لم تتخـذ أى موقف يخص النزاع بين العـراق والكويت (١٠٦) ٠

ان المدركات بأن الحرب ستكون سهلة ميسرة من الناحية الاقتصادية وستكون مريحة عسكريا ، ولن تكون هناك مفاجأة من طرف ثالث ـ جميع هذه العوامل تخلق احساسا بالتفاؤل ٠ ويعتقد بللينى أن هذا الاحساس هو مفتاح الحرب ٠ ويذكر أنه من المشكوك فيه بدرجة متزايدة وجود حرب سابقة لسنة ١٧٠٠ كانت فيها الآمال المبدئية عن الحرب الوشيكة فى أدنى مستوياتها عند كلا الطرفين ، ويستخلص القول ٠٠ « بأن التفاؤل مقدمة حيوية للحرب ٠ وكل ما يساعد على زيادة التفاؤل يسبب الحرب ٠٠ وكل ما يحيط من هذا التفاؤل يكون سببا لحلول السلام ٠٠ (١٠٧) »٠

٦ ـ اساءة ادراك الانسان لنفسه وتصور الخصم لنفسه ٠

من المحتمل ، وان كان طبيعيـا الاعتقـاد بأن الآخرين يروننا على نفس النحو الذى نرى به أنفسنا ، وأن نتوقع استجابتهم لنا تبعا لذلك ٠ وعلى الرغم من أن هذه الحالة قد تكون « طبيعية » ، الا أنها غالبا ما تكون نظرة غير صحيحة للواقع ٠ وتحدث ليبو تفصيليا عن الصور المحرفة للنفس وتصور الآخرين لنا ٠ وفى ظل من النزاع الهندى الصينى ١٩٦٢ والصراع الصينى الأمريكى فى كوريا ١٩٥٠ ، اعتقد الزعماء الأمريكان ١٩٥٠ أن الولايات المتحـدة مرتبطة بالصـين من خلال علاقة خاصة ، تستند الى قرن من النوايا الحسنة (١٠٨) ٠ فلا ننسى من منظورنا أننا حاربنا ضد الامبريالية فى الصين (ألم تكن هذه العلاقة مبنية على سياسة الباب المفتوح ؟) وحاربنا مع الصين ضد اليابانيين فى الحرب العالمية الثانية ٠ وتوسطنا بين تشيانج كاى شيك والحزب الشيوعى ابان الحرب الأهلية فى أواخر الأربعينات ، فما الذى يدعوهم الى أن يضمروا أى عداء نحونا ؟ ٠ وعلاوة على ذلك ، ولما كنا نعرف أن تصريحاتنا عن النوايا غير العدائية فى آسيا كانت مخلصة ، فاننا اعتقدنا أن الصين ستشعر بوثوق اخلاص نوايانا نحوهم (١٠٩) ٠

نعم ، لقد أعمتنا الصورة التى ارتسمت فى أمخاخ زعمائنا (خصوصا أتشيسون) للموقف عن الأسباب التى جعلت الصينيين على استعداد لدخول الحرب ضدنا . فلعلنا نسينا أننا دافعنا عن أكبر عدو لماو أى تشيانج كاى شيك وأرسلنا الأسطول لمضايق تايوان ، وأننا قد أعدنا تعمير اليابان ، البلد الذى أمضى الجانب الأكبر من السنوات فى احتلال الأراضى الصينية . لقد بدت الولايات المتحدة فى نظر الصينيين كأنها هى التى ضخمت دور اليابان ، وجعلها أعظم قـــوة فى منطقة الباسفيك الأسيوية . ثم توالت الأحداث فأقدم الجيش الأمريكى على غزو المنطقة الخاصة بأحد الحلفاء (كوريا الشمالية) وتقدم صوب الحدود الصينية ! . وكما أشار ستوسنجر : « لقد أدرك ترومان وماكارثر والادارة الأمريكية الصين كبلد لم يعد له وجود (١١٠) » وكنتيجة لذلك ، إتبعت الولايات المتحدة سياسة شـــديدة الخطورة فى كوريا ، بينما أنكرت وجود أى خطر .

وعانت الاتجاهات الهندية نحو الصينيين فى بواكير الستينات من نفس النوع من اساءة الادراك . اذ اعتقد الهنود (خصوصا رئيس الوزراء نهرو ووزير الخارجية كريشنامينون) أن سياستهم الخارجية المبنية على الغيرية قد جعلتهم ينفردون بموقف مغاير للبلدان الأخرى ، وساعدت هذه البلدان على خلق علاقة خاصة مع الصين . وكانت الصلة الخاصة سياسية وشخصية معا . اذ اعتقد نهرو ذاته أنه سيساعد على كسب اعتراف المجتمع العالمى بالجمهورية الشعبية فى الصين ، بل وطالب أن يختار شواين لاى ــ وهو من أتباع رسالته ــ رئيسا لوزارة الصين . وتمخض ذلك عن وثوق الزعماء الهنود بأن سياسة الصين العدوانية التى اتخذت « التقدم للأمام » شعارا لها لن تؤدى الى الحرب . وفى نهاية المطاف ، فان مكانة الهند فى العالم (سمنار أخلاقى وكأم القومية الآسيوية وزعيمة العالم الثالث) ستردع الصين وتحول دون اقدامها على الحرب (١١١) . وكانت النتيجة هى اقدام الهنود على اتباع سياسة عدوانية خطيرة أقحمتهم فى حرب لم يريدوها .

ان التفكير الرغبى والاتجاه العقلانى قد ســـاعدا الولايات المتحدة والهنود على الحفاظ على صورتهم الشائهة فى نظر الصينيين ، وعلى مواصلة السياسة الخطيرة الى حد بعيد بعد أن كان من الواجب أن يظن بأن أمرها قد انتهى .

لماذا تحدث اساءة الادراك : اجابتان :

بعد أن أوضحنا كيف غلبت اساءات الادراك على العلاقات الدولية ، وأنها غالبا ما اضطلعت بدور مهم فى قرارات الحرب ، فمازال أمامنا سؤال يخص أسباب شيوع حدوثها • ويعرض ليبو نظريتين محتملتين : الاتجاه المعرفى والاتجاه الدوافعى • ويركز الاتجاه المعرفى الذى اتبعه جرفيس على السبل التى تترتب على قصور المعرفة عند الانسان ، وأثرها على تشويه أو تحريف صناعة القرار من أثر الافراط فى التبسيط عند تجميع المتمثلات والمعلومات (١١٢) • فلربما عجز العقل الانسانى عن النهوض بعملية حل المشكلات العقلانية فى الظروف المعقدة • ويرجع الاخفاق الأساسى من هذا المنظور الى وجود ضغوط « طبيعية » من أجل تحقيق التوافق المعرفى الذى يترتب عليه انحياز فى صورتنا الجارية • وتؤثر هذه الحالة بدورها على طريقة تفسير الأفراد لمؤثرات البيئة والاستجابة اليها • ومن الميول الوثيقة الصلة بالمنظور المعرفى انهاء العملية المعرفية قبل الأوان ، أى الاهتداء السريع الى نظرية مفردة لتفسير العدد الوفير من المعلومات التى يواجهها صانع القرار •

ويعرض ارفنج جانيس وليون مان اتجاها بديلا ، ذكرا فيه أن المصدر الأساسى للتحريف فى المدركات يرجع الى الدوافع • وارتكن افتراضهما الأساسى على الزعم بأننا جميعا كائنات عاطفية (أكثر من كوننا كائنات تعتمد فى سلوكها على الحساب والعقل) بالاضافة الى احتياجنا لنشدان صور لأنفسنا وبيئتنا والحفاظ عليها •

وتسبب القرارات المهمة توترا • وربما كان للقدر المعتدل من التوتر تأثير موجب على صنع القرار ، بيد أن التوتر عندما يتفاقم (يغدو ضارا وغير مرغوب) وبخاصة اذا اعتقد صانعو القرار أن البدائل الحاضرة تجر فى ذيلها مخاطر الفشل ، وأنه لا وجود لاستراتيجيات أفضل يمكن اتباعها • وفى مثل هذه الحالات تتولد عند صانعى القرار حاجة قوية لتجنب الحقائق التى قد تواجه عند اختبار الوقائع ، ومن ثم فان صناع القرار يتراجعون الى حالة سيكولوجية سماها صاحب النظرية «بالتجنب الدفاعي» من ملامحها محاولات تجنب التحذيرات التى تنسب عدم الصحة الى المعتقدات والأفعال الحاضرة • وربما ترتب على قبـــول هذه التحذيرات زيادة فى المخاوف والتوتر وخلق بيئة سيكولوجية غير محتملة • وتعرف جانيس ومان الى ثلاثة أشكال من «التجنب الدفاعى» (*) : الشكل الأول هو المماطلة والشكل الثانى التملص من مسئولية القرار • والثالث هو « التهوين » • وتساعد

(*) Jefensive avoidance.

جميع هذه الوسائل على مواجهة التوتر ، وان كانت جميعا تؤدى الى تحريف الادراك على نحو ما (١١٤) ٠

ويجمل ليبو الاختلاف بين الاتجاه المعرفى عند جرفيس والاتجاه الدوافعي عند جانيس ومان فيما يلى :

« نقطة البدء عند جرفيس هي الحاجة الانســـانية الى وضع قواعد بسيطة لتجميع المعلومات ، لفهم البيئة المعقدة لدرجة غير عادية وغير المؤكدة٠ واتخذ جانيس ومان كافتراض أساسى الرغبة الانسانية فى تجنب الخوف والخزى والشعور بالذنب ٠ واعتبر جرفيس التوافق المعرفى أهم مبدأ تنظيمى للمعرفة ٠ بينما اعتقد جانيس ومان أن النفـــور من التـــوتر السيكولوجى هو الدافع الأهم فى التأثير على المعرفة ٠ وبينما استخلص جيرفيس القول بأن التوقعات تكيف تفسيرنا للأحداث وتقبلنا للمعلومات ، يحاجى جانيس ومان ، مؤيدين لأهمية تفضيلنا وسيلة على أخرى ٠ ويعتقد جيرفيس أننا نرى ما نتوقع أن نراه ، أما جانيس ومان فيعتقدان أننا نرى ما نريد رؤياه » (١١٥) ٠

وانساق ليبو وراء تحليله للأزمات الدولية فاعتقد أن الاتجاه الدوافعى يزود بأفضل تفسير لاساءات الادراك ٠ وركزت دراسته على أزمات حافة الهاوية ، أى الأزمات التى يحاول فيها المبادر تحقيق أهداف سياسية خاصة بالاستعانة بالتهـديد والقوة ٠ فعادة يتوقع مثيرو الأزمات أن الخصـم سيتنازل بدلا من اللجوء الى الحرب (وان كان ذلك خطأ) ٠ ومن الطبيعى أن نفترض أن مثل هذه الأزمات قد تقع اذا وجد التزام فى موقف خطير يمكن استغلاله ، مما يتيح فرصة طيبة للمبادر ؛ على أن ليبو قد اكتشف أن الفرصة المناسبة « الموضوعية » للعدوان « لا توجد الا فى حالة ثلث الحالات ٠ وفى كل حالة من هذه الحالات ، يتوفر ادراك لوجود فرصة واحتياجات قوية للمبادر لاتباع سياسة خارجية عدوانية ٠ ويرى ليبو أن صـــناع القرار أكثر استجابة للالزامات الداخلية أكثر من التطورات الخارجية ٠ وربما بدا العدوان من مستلزمات « الفرصة » أكثر من كونه من مستلزمات الحاجة » (١١٦) ٠

والمشكلة التى تضاف الى ذلك هو أنه بقدر ادراك الزعماء للحاجة للعمل ، فانهم يفقدون الاحساس بمصالح والتزامات الآخرين ٠ ونتيجة لذلك ، يتضح أن الردع سياسة غير مؤثرة ، ولا سيما اذا راعينا اعتياد صناع القرار الاستعانة بالأفكار والانتباه الانتقائى وغير ذلك من التقنيات لاستبعاد العلامات الدالة على تصـــميم الخصـــم على العمل وفقـــا لالتزاماته (١١٧) ٠ وتؤيد هذه النقطة أزمة يوليو ١٩١٤ التى أدت الى اندلاع الحرب العالمية الأولى ٠

نموذج الوساطة بين المثير والاستجابة :

لابد أن يكون قد اتضح من الأقسام السابقة احتمال اضطلاع اساءات الادراك بدور حاسم فى قرارات الحرب والسلام ، بل وقد استشهدنا بأدلة أقرب الى الانطباعات لتأييد هذا الرأى • وحان الوقت لكى ننظر الى هذه المسألة على نحو أكثر التزاما بالمنهج • فلقد أشرنا الى أن الصور والادراكات تلعب دورا بالغ الأهمية ، فى تقرير كيفية استجابة الفرد للأفعال التى يقوم عليها أفراد آخرون ودول أخرى فى النظام الدولى •

وكى نفهم لماذا يتخذ الأفراد (وزعماء الدول بصفة خاصة) قرارات بعينها ، سنكون بحاجة الى معرفة كيفية ادراكهم لبيئاتهم • وأحد النماذج المألوفة للغاية للسلوك هو نموذج المثير والاستجابة الذى يتبعه بعض علماء النفس • ويزعم النموذج أن بعض المثيرات فى البيئة تولد بدرجة آلية الى حد ما استجابات معينة من الفرد •

استجابة ←———————— استثارة

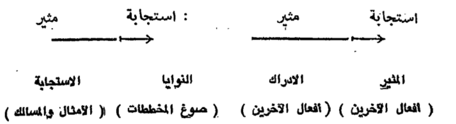
فسلوك الفاعل الأول «س» تثير فعلا يستجيب له الفاعل «غ» ، «ج»• ولسنا بحاجة لمعرفة كيفية ادراك الفرد للمثير ، وكيفية تقييمه له • والمفروض أن معظم الأفراد يستجيبون على نحو مماثل لنفس المثير • ومن هنا فان أية محاولة للتغلغل داخل عقل الفرد ستكون تعقيدا لا حاجة له فى هذا النموذج • ويصبح القول بأننا سننظر الى العقل على أنه الصندوق الأسود (*) الكامن داخل الفرد ، ولسنا بحاجة لمعرفة ما بداخله •

ومن جهة أخرى ، رأينا فى الأقسام السابقة مدى أهمية اكتشاف ادراك الفرد لمثيرات البيئة ، وأدركنا استحالة ادراك الكافة لأحداث العالم الواقعى على نفس النحو ، ومن ثم فانهم يستجيبون استجابات متنوعة لنفس المثير ترتبط بكيفية ادراكهم له • وعلى ضوء ذلك فمن المهم للغاية أن نتغلغل داخل الصندوق الأسود ، يعنى نغوص فى أفكار الأفراد لكى نحدد لماذا استجابوا لمؤثر واحد على أنحاء شتى ، أو لكى نتنبأ بكيفية استجابتهم فى المستقبل •

وهكذا فلمن تهمهم الصور والمدركات ، فان النموذج المعيارى للمثير والاستجابة يجب أن تعـاد صياغته ، لكى يوائم المتغيرات التى تجاهلها

(*) صندوق يوضع فى مكان خفى من الطائرة ويحتوى على أجهزة اليكترونية معقدة ، ولا يفتح الا بمعرفة المختص عنه حدوث حادث للطائرة للتعرف على بعض الأسرار التى قد تكشف سر الحادث •

النموذج الأصـــلى • وبذلك يتخذ نموذج المثير والاستجابة المعتمد على الوساطة الصيغة الآتية :



وتمشيا مع نموذج المثير والاستجابة المعتمد على وسيط ، فان أى مثير نتلقاه فى بيئتنا يمر على وسيط هو مدركاتنا وصور تلك المثيرات • وتعتمد استجابتنا على انطباعتنا وصورنا التى تلقيناها من هذه المثيرات ، وليس على المثيرات ذاتها • وكما رأينا فقد تكون المدركات الخاصة بالمثيرات تحريفا للواقع •

وحاولت جماعة من الباحثين فى ستانفورد تحت رئاسة روبرت نورث تطبيق هذا النموذج على نشوب الحرب العالمية الأولى ، لكى يكتشفوا هل كان ادراك الزعماء الأوربيين عاملا مهما فى قرار الاشتراك فى الحرب • وتطلب هذا الأمر تجميع مادة وفيرة وبذل جهد خلاق ، وتمثل أصعب جانب فى هذا الجهد فى تجميع البيئات من « أحشـاء » الصـندوق الأسود • فكيف تستطيع مجموعة ستانفورد معرفة كيفية ادراك زعماء القوى العظمى للأحداث المعاصرة لهم ؟ انه أمر سهل يسـير • فبالاستطاعة استخلاص مدركاتهم من بياناتهم وأقوالهم ورسائلهم ويومياتهم ومذكراتهم وغير ذلك • وإستعان الأستاذ نورث وزملاؤه بعملية تحليل المضمون ، لتحديد مدركات الساسة الأوربيين بعد الرجوع الى البيانات المكتوبة • فبالاستطاعة غربلة هذه البيانات وردها الى بعض عبارات عامة تدل على بعض فئات من المدركات كالعداء والقلق والهلع والتهديد والصداقة والارتياح والاحباط •• وهكذا • ومن المستطاع حصر هذه البيانات لكى يستدل منها على أهمية المدركات عند الفرد • وبالمقدور أيضا ترتيبها تصـاعديا لتحديد نصيبها من الشدة •

وبالمثل ، بالاستطاعة حصر الأفعال التى تقدم عليها مختلف الدول وترتيبها تصاعديا • فمثلا يمكن ترتيب الأفعال تصاعديا من ناحية درجة ما تحتوى من عدوان • وبمجرد توصيف البيانات المدركة وبيانات الأفعال

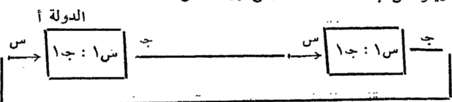
سيكون بوسع الباحثين استقصاء معامل الارتباط الاحصائى بين ث و جـ وبين ث و جـ وبين جـ١ و جـ • فبقدر ادراك الزعماء القوميين لأن دولهم هدف لعدوان الآخرين ، فانهم يبادلونهم هـذا العدوان • وهناك معامل ارتباط احصـــائى بين ادراك العدوان (جـ١) وكل من التعبير عن العدوان (د) والأفعال العدوانية العقلية جـ كاستجابة (١١٨) •

ثانيا : ادراك الزعماء الألمان أنفسهم أنهم الأضعف نسبيا بالمقـارنة بالقوة العسكرية لخصومهم ، وأدركوا أن الحرب ستكون وبالا على ألمانيا ، وبالرغم من ذلك ، لم تكن هذه المدركات بالضعف والنقص النسبى كافية للحيلولة دون تقرير شن الحرب : فلماذا كان ذلك ؟ والرد هو أنه فى أحد مواقف الأزمة ، سيطر عليهم ادراكهم للخوف والقلق والتهديد والحيف والظلم • وبينما شعرت جميع القوى العظمى بأنها تعرضت للأذى من جراء أفعال خصومها فى أزمة يوليو ، شعر الألمـــان بأعظم احساس بالحيف والتهديد • وهكذا لا يحول ادراك الضعف (أو القوة النسبية للخصم) دوما دون وقوع الحرب (١١٩) •

ثالثا : عندما نقارن مثير الفعل س بالاستجابة الفعلية للدولة جـ ستظهر بعض اختلافات مثيرة للاهتمام بين الكتلتين (التحالف الثنائى بين ألمانيا والنمسا ــ المجر) والحلف الثلاثى (بريطانيا وفرنسا وروسيا) • وجنح الحلف الثلاثى الى اتباع رد فعل أقل مما تقتضيه أفعال التحالف الثنائى ، وبخاصة فى بواكير فترة الأزمة عندما لم يكن الحلف متورطا بصفة مباشرة • ومن جهة أخرى فقد تعمد التحالف الثنائى زيادة رد الفعل ضد أفعال خصومه • أما لماذا حدث هذا ؟ فيبدو أن الرد على هذا السؤال هو اختلاف ادراك زعماء البلدان المتورطة • ويبين من أى فحص مدقق للروابط بين أفعال الآخرين « س » ومدركات هذه الأفعال « جـ » ، أن الزعماء الألمان بوجه خاص قد أدركوا أن أفعال الحلف الثـلاثى كانت أشد عدوانية وتهديدا من تلك الأفعال ، كما بدت فى آراء أصحاب التقييمات الموضوعية • وكانت نتيجة ذلك اتصاف الأفعال التى اتخذها الألمان ــ باعتبارها مستندة الى مغالاة فى ادراك الخصومة ــ بأنها بالغة العدوانية • ومن جهة أخرى ، جنح زعماء التحالف الثلاثى الى نقص ادراك مستوى التهـديد الكامن فى أفعال الحلف الثنائى (١٢٠) • واذا توخينا الدقة والايجاز سنقول أن أدلة الاتهام فى هذه الكارثة الكبرى موجودة داخل الصندوق الأسود يعنى داخل عقول البشر •

رابعا : ما لدينا الآن هو وســـاطة من خطوتين فى نموذج الاثارة والاستجابة • فلا يقتصر الأمر على أن أفعال الدولة أ (تتوسطها مدركات زعماء الدولة ب) هى التى تحرك أفعال الدولة ب ، ولكن بدورها تقوم

أفعال الدولة ب (تتوسطها مدركات الدولة أ) بدفع أفعال الدولة أ . ويتواصل بعد ذلك نمط الفعل ورد الفعل .



وما انتهت اليه بحوث نورث هو أن المدركات (أو اساءة) المدركات ، قد تتدخل في عملية الاثارة والاستجابة . فاما أن تسرع الأزمة أو تمهلها . فربما حدث تصعيد للحرب يعزى الى اساءة ادراك أفعال الآخرين ، حتى في مواقف لا يرغبها الطرفان . ومن بين أسباب نجاح حل أزمة الصواريخ في كوبا ـ كما يقول أولى هولستى ـ استطاعة زعماء الطرفين ادراك تحركات الطرف الآخر ادراكا صحيحا نحو ابطال مفعول التصعيد والاستجابة على النحو المناسب ، وبذلك اختلفت عن أزمة ١٩١٤ . اذ جاء التناظر بين س و ج١ تناظرا قريبا من الواقع ، ومن ثم أمكن تجنب اساءة الادراك وتجنب الحرب أيضا .

خلاصـــة :

رأينا عند الكلام عن علماء الاثيولوجيا وعلماء البيولوجيا الاجتماعية وجود امكانية للعنف عند البشر ، ورأينا أيضا أن هذه الناحية البيولوجية العامة قد تبدو غير كافية لتفسير سر الحرب (وليس من شك أنها لن تفيد كثيرا فى تفسير السلام) . فليس البشر متساوين فى استعدادهم للعنف . والواقع أن مسلك الأفراد متنوع بلا حدود . ولقد ركزنا فى هذا الفصل على تلك العوامل التى قد تفسر اختلافات سلوك الأفراد ، الاختلاف فى الاستعداد لتحمل المخاطر ، والاختــلاف فى ادراك البيئة (اساءة الادراك) وخصوم الفرد ، واختلاف صور العالم وأساليب التعامل ، واختلافات القدرة على تغيير الصـــورة الحاضرة أو ضـبطها واختلاف الاحتياجات السيكولوجية ، واختلاف سمات الشخصية ، واختلافات القدرة على مواجهة التوتر .

وثمة عدة نقاط يتعين ذكرها فى الخلاصة :

أولا : بالرغم من امكانية اضطلاع أى متغير من المتغيرات المذكورة آنفا بدور فى شن أية حرب ، الا أنها ليست متساوية فى الأهمية النظرية ولعل اساءات الادراك هى العامل الأهم ، خصوصا اساءة ادراك عداء الخصم واساءة ادراك التوازن فى القوى واساءة ادراك المخاطر .

ثانيا : قد تبدو جميع هذه المتغيرات فى المستوى الفردى متبادلة التأثير لدرجة كبيرة ٠

فاذا اعترضنا من قبيل المحاجاة بأن السبب الأساسى للحرب هو الغلو فى تقدير عداء الخصم ، بالاضافة الى الاستعداد لمواجهة هذا الخصم بالعداء (بالرغم مما فى ذلك من مخاطر) وبأفعال التحدى آملين ارغامه على التنازل ، فى هذه الحالة ستكون هناك عدة متغيرات فى المستوى الفردى قد تتفاعل لاحداث مثل هذا الموقف ٠ ولقد رأينا كيف تعزز الاحتياجات السيكولوجية اساءات الادراك المتعلقة بالأخطار الكامنة فى أى موقف من مواقف الأزمات ٠ والقدرات العسكرية النسبية للدول المعينة ٠ ومن المحتمل أيضا أن تؤثر أساليب التعامل فى مدركات الزعيم للخصم والاستراتيجيات الأكثر احتمالا فى فاعليتها فى التعامل مع هذا الخصم ، وكما سنرى فى الفصل السادس والفصل السابع (فى الجزء الثانى) ، فان الزعماء الذين يتبعون أساليب تعامل تتبع السياسة الواقعية أكثر احتمالا فى ادراك الخصم كمعتقد سيتنازل عندما يواجه تكتيكات استئساد ، ومن ثم فان لديهم الاستعداد لاتباع تكتيكات حافة الهاوية المتصلبة ضد الآخرين ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فان الزعماء الذين تتسم شخصيتهم بالاتجاه نحو القوة يتصفون بشدة حساسيتهم لامكانية التهديدات الأجنبية ٠ اذ يدركونها كحقائق حتى عندما لا تكون قائمة ٠ وهناك احتمال أن يردوا عليها ردا عدوانيا ٠ ويميل الزعماء الذين تتصف شخصيتهم بقبول المخاطر والتسلط الى اتباع تكتيكات شديدة المخاطر تتسم بالخشونة عند مواجهة خصومهم فى الدول الأخرى ٠ وبالمثل ، فان الزعماء من أصحاب الأليات الدفاعية النشطة يميلون الى الاستهانة بتحذيرات الخطر فى اتباعهم للسياسة الخارجية ٠ وأخيرا ، فان عجز الزعيم عن تغيير صورة المنافس كخصم مفاد أميل للتأثر بالمتغيرات فى الشخصية والاحتياجات السيكولوجية وأيضا بالمتغيرات المعرفية مثل تغيير تكوين الصورة والمضمون لأسلوب التعامل ٠

حتى الآن لم نهتد الى نظرية لسيكولوجية الحرب ، أو الى نظرية معرفية للحرب ٠ وما توفر لنا عبارة عن حشد من الأدلة المنتزعة من دراسة الحالات (وان كان بعضها لا يندرج تحت أى نسق) الدالة على أن اساءات الادراك غالبا ما تصحب قرارات الزعماء القوميين بشن الحرب ٠ ومشكلة انماء أدلة مؤيدة للأسباب السيكولوجية والادراكية للحرب مهمة مثبطة للهمم ٠ اذ تعد عملية تحديد بالحالة السيكولوجية للزعيم ومدركاته مشحونة بالخطر ، ويتعين أن ينظر الى مثل هذا التحليل بعين الحذر ٠ ومن ناحية أخرى ، فان الدلائل المستقاة من عدد شديد الضخامة من

الحالات التى بينت كم كانت النخبة صانعة القرار ضحية لاساءة الادراك وكم بلغت عددا ساحقا !! •

وما عرفناه من هذه الحالات هو وجود عدد وفير من الأمثلة الدالة على ما قامت به اساءة ادراك الصفوة من دور حاسم فى قرار الاشتراك فى الحرب • أما ما لم نعرفه ، ولعله ليس بمقدورنا معرفته فهو لماذا حدثت اساءات الادراك ، وما الذى كان سيحدث لو أنها لم تحدث (هل كان بالامكان الحيلولة دون وقوع الحرب ؟) ، والى أى حد انتشرت مثل هذه الاساءات فى التحليل فى حالات الحروب بين الدول • كما أننا حتى هذه اللحظة لن نستطيع بلوغ الدقة فى الاحاطة بالعلاقة الحقة بين اساءات التحليل وغير ذلك من المتغيرات الفردية •

وبينما قد يبدو أن المتغيرات السيكولوجية والمعرفية لا تلعب دائما الدور الحيوى والحاسم فى اندلاع الحرب ، الا أنها يقينا عظيمة الأهمية • وكما سنعرف فى الفصول التالية • ان العوامل السيكلوجية والمعرفية شديدة الارتباط بالمتغيرات فى مستويات أخرى من التحليل • وهذا يزيد من أهميتها كعناصر فى نظرية الحرب •

ولنحاول هنيهة التحول الى نقطة أخرى • لقد زعمنا حتى الآن أن العنصر الرئيسى فى أسباب الحرب هو دور الزعيم القومى بصفته الفردية فى صنع القرار الخاص بالمبادرة بالعنف والزج ببلاده الى الحرب • على أن مثل هذا الرأى قد يحمل شيئا من المبالغة فى التبسيط • اذ لا يتصف صنع القرار دوما بأنه عملية فردية ، وغالبا ما يكون عملية سياسية جماعية • فمن يصنع قرارات الحكومة هم حفنة صغيرة من الأفراد • ولو كان ذلك كذلك فسيكون دور الفرد أقل أهمية من كيفية تعامل المشتركين فى صنع القرار لتقرير سياسة الحكومة • علينا اذن أن نكتشف تفسيرات للحرب فى المستوى التالى من التحليل (المجموعة الصغيرة) •

هوامش الفصل الثالث

(١) John Stoessinger في كتاب Why Nations go to War
الطبعة الثالثة ص ١٣٥ .

(٢) ما جاء فيما بعد مستمد من Ole Holsti في ... Foreign Policy
Decision Makers ضمن كتاب James Rosenau. In Search of Global,
Patterns ١٩٧٢ ، ص ١٢٧ ، وانظر ايضا Margret Hermann في كتاب
Effects of Personal Characteristics of Political Leaders on Foreign Policy..

(٣) James Davies في مقال بعنوان Violence and Aggression
Innate or Not في المجلة الفصلية The Western Political ٢٣ ، ١٩٧٠ ،
(٦١٧ ـ ٦١٨)

(٤) Abraham Maslow : A Theory of Human Motivation
مجلة Psychological Review ٥٠ (١٩٤٣) ، ص ٣٩٤ .

(٥) على الرغم من وجود أدلة تجريبية عن الاحتياجات الفزيائية السيكولوجية وعن ترتيبها ترتيبا هرميا ، الا انه لا توجد شواهد تجريبية عن الاحتياجات الثلاثة الأسمى التي جاء بها Maslow . انظر Ross Fitzgerald في مقال بعنوان
An Expression and Evaluation of Maslow Hierarchy of Needs
١٩٧٧) ـ ص ٣٩ ـ ٥١) .

(٦) Henry Kissinger — Studies in Motives. Cooperation
and Conflict ضمن Buffalo Studies (١٩٦٨) ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٧) Kenneth Terhune — Studies in Motives, Cooperation and
Conflict within Labouratory Microcosms.

(٨) Content Analysis : David Winter and J. Stewart as a Tech-
nique For Political ضمن كتاب M. G. Hermann A Psychological
Examination of Political Leaders. (١٩٧٧) ، ص ٦٠ .

(٩) Harold Lasswell : Psychopathology and Politics ١٩٣٠ .
وكتاب Power and Personality (١٩٤٨) .

(١٠) K. W. Terhune , J. M. Firestone Psychological
Studies in Social Interactions and Motives ، D. G. Winter
The Power Motive (١٩٧٣) .

(١١) Winter and Stewart : Content Analysis as a Technique
Political Leaders و for Assessing ص ٦٠ .

(١٢) K. W. Terhune — Motives, Situations and Internotional
Conflict Within Prisoner's Dilemma مجلة علم النفس وعلم النفس الاجتماعي
(من ص ١ ـ ٢٣) ١٩٦٨ .

(١٣) Milton Rokeach : The Open and Closed Mind (١٩٦٠) .

(١٤) The Nature and Meaning of Dogmatism — Milton Rokeach
مجلة علم النفس (مايو ١٩٥٤) .

(١٥) The Authoritarian Personality — T. Adorno (١٩٥٠) .
(١٦) Explaining Foreign Policy — Jensen ص ٢٥ .
(١٧) Personality Effects on American : Lloyd Etheredge Foreign Policy (١٩٦٩ — ١٩٨٤) — المجلة الفصلية للدراسات الدولية ، ١١ مارس ١٩٨٨ ، ص ٩١ — ١٢٣ .

(١٨) Etheredge ص ٤٤٩ ينتقد Graham H. Shepard لأنه أخفق في تأكيد وجود أي اختلاف بين آثار الشخصية الانبساطية والشخصية الانطوائية عن سياسة الولايات المتحدة نحو الاتحاد السوفيتي في الحقبة بين ١٩٦٩ — ١٩٨٤ .
(١٩) R. Raskin و J. Novacek و R. Hogen و Narcissism Self-Esteem Management في مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي ، ٦٠ الصفحات ٩١١ — ٩١٨ .

(٢٠) The Persian : U.S. House of Representatives Committee Statement by Jerrald Post Gulf Crisis في ١١ ديسمبر ١٩١١ (ص ٣٨١ — ٤٠١) .

(٢١) انظر : Risk, Power Distribution Bruce Bueno de Mesquito and the Likelihood of War مجلة الدراسات الدولية الفصلية ، ديسمبر ١٩٨١ ، ص ٥٤٢ — ٥٤٦ . وأيضا : Bueno de Mesquita في The War Trap (١٩٨١) .

(٢٢) Individuals and World Politics — Robert Isaac ١٩٨١ ، ص ١٥٧ .
(٢٣) Sanity and Suvival — Jerome Frank (١٩٦٧) ، ص ٥٩ .
(٢٤) Stalin as Revolutionary — Robert Tucker ١٨٧٩ — ١٩٢٩ ، (١٩٧٣) .

(٢٥) Woodrow Wilson and — Alexander George and Juliet George Colonel House — انظر أيضا المقال الرائع للمؤلفين ضمن كتاب Fred Greenstein Personnaity and Politics ١٩٧٥ (ص ٦٣ — ٩٣) .
(٢٦) Does the White — Julian Lieb و D. Jablow Hirshman House need a Shrink في جريدة واشنطن بوست ١٢ فبراير ١٩٨٩ .
(٢٧) The Presidential character — James Barber ١٩٧٢ و كتاب Fawn Brodie بعنوان Richard Uixon (١٩٨١) .
وكتاب Eli Chesen — President Nixon's Psychiatric Profite (١٩٧٣) Nixon Bruce Mazlish — In Search of (١٩٧٣) . ولمعرفة كيف كان الرئيس ريجان يعاني من عقدة الخصي . انظر مقال في مجلة علم النفس التاريخي ١٢ (صيف ١٩٨٤) لنبودن . Where is the rest of me .
(٢٨) Hirshman و Lieb . نفس المرجع .
(٢٩) Herman Kelman مقال بعنوان Social-Psychological Approaches to the Study of International Relati ضمن كتاب نشر تحت اشراف H. Kelman — بعنوان International Behavior ١٩٦٥ .
(٣٠) Decision — Makinginan — Thomas Weigeler International Crisis — سبتمبر ١٩٧٣ — ص ٣٠٢ — ٣٠٤ .

(٣١) Ctress, Poor Communication — Sally Squires Cited in Vincennes
جريدة واشنطن بوست ـ ٧ اكتوبر ١٩٨٨ ٠

(٣٢) Danger and Opportunity Decision Making — Barry Schneider
رسالة دكتوراه، مقدمة لجامعة كولومبيا ١٩٧٤ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ ٠

(٣٣) Cognitive Dynamics and Images of the — Ole Holsti
Enemy ضمن كتاب تحت اشراف A. P, Smith, J. C. Farrell
بعنوان Image and Reality in World Politics (١٩٦٧) ، ص ١٨ ٠

(٣٤) Foreign Po'icy Decision Makers Viewed : Ole Holsti
Psychologically ص ١٢٢

(٣٥) Hugh l'Erang — The Pathology of Leadership (١٩٧٠) ٠

(٣٦) Cognitive Dynamics and Images of the Enemy — Ole Holsti
(١٩٦٧) ، ص ١٨ ٠

(٣٧) Henry Kissinger. Perceptions Harvey Starr of International
Politics (١٩٨٤) ، ص ٤٧ ٠

(٣٨) The Ecological Margaret Sprout, Harold Sprout Perspective
on Human Affairs (١٩٦٥) ٠

(٣٩) The Operational Code : Alexander George ضمن كتاب
تحت اشراف Erik Hoffman و Frederick Fleron تحت عنوان '
The Conduct of Soviet Policy (١٩٨٠) ، ص ١٧٠ ٠

(٤٠) A Study of Bolshevism Nathan Leites (١٩٥٣) ٠

(٤١) The Operation Code — George ص ١٧٤ ـ ١٨٨ ٠

(٤٢) The Operational Code — Alexander George ص ١٧٢ ـ ١٧٣ وكتاب
Foreign Policy Decision Makers — Ole Holsti (ص ١٣٨) ٠

(٤٣) انظر Kissinger — Starr ص ٤٥ ، ٤٧ ٠

(٤٤) The Interference Between Beliefs & — Stephen, G. Walter
Henry Kissinger's Operational Code — Behavior and the Vietnam
war مجلة Conflict Resolution (مارس ١٩٧٧) ص ١٥١ ـ ١٥٢ ٠

(٤٥) Kissinger — Starr ص ١٥٩ ٠

(٤٦) انظر Hypotheses on Misperception Robert Jervis
ضمن كتاب International Politics and Foreign Policy — James Rosenau
١٩٦٩ ، ص ٢٤٠ ٠

(٤٧) الكتاب الكلاسيكى فى هذا الشأن هو Leon Festinger A Theory of
Cognitive Dissonance. (١٩٥٧) ٠

(٤٨) Cognitive Dynamics and Images of the — Ole Holsti
Enemy ضمن كتاب Image and Reality in World Politics
١٩٦٧ (ص ١٨ ـ ٢١) ٠

(٤٩) نفس المصدر ـ انظر ايضا Some Evidence — Dina Zinnes Relevant
to the Man - Milien ضمن كتاب تحت اشراف Rosenau وآخرين
بعنوان The Analysis of Internaltional Politic ١٩٧٢ (ص ٢٤٥) ٠

(٥٠) Robert Jervis — Perception and Misperception in Interna- tional Politics ١٩٧٦ (١١٩ ـ ١٢٠) .

(٥١) Steinbrune — The Cybernetic Theory of Decision ص ١٠٢ .

(٥٢) انظر مثلا Charles Krauthammer War Isn't : No The Cold Really over (مجلة Time ٥ سبتمبر ١٩٨٨) .

(٥٣) انظر Ole Holsti : Cognitive Dynamics and Images of the Enemy ضمن كتاب تحت اشراف : Farrell و Smith — Image and Reality in World Politics .

(٥٤) Henry Kissinger — The Necessity for Choice ١٩٦٢ ، ص ٢٠١ .

(٥٥) Jervis — Perception & Misperception in International Politics ص ٣٠٨ .

(٥٦) Karl Deutsche و Richard Merrita — Effects of Events on National and International Images ضمن كتاب تحت اشراف Herbert Kelman بعنوان International Behavior ص ١٣٢ ـ ١٨٧ .

(٥٧) Jervis — Perception & Misperception ص ١٩١ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ١٤٥ .

(٥٩) نفس المصدر ، ص ٢٠٨ .

(٦٠) Nancy Cooper و John Barry فى كتاب Seven Minutes to Death مجلة نيوزويك ١٨ يوليو ١٩٨٨ ص ١٨ـ٢٤ . وحدث موقف مشابه فى ابريل ١٩٨٩ عندما اسقطت طائرة عراقية من قبيل الخطأ لطائرة نفاثة مصرية صديقة مسلحة بالصواريخ كانت متوجهة للاشتراك فى معرض دولى ببغداد . جريدة واشنطن بوست فى ٢٩ أبريل ١٩٨٩ .

(٦١) Jervis — Perception and Misperception in International Politics ، ص ٢١٧ .

(٦٢) Steinbruner — The Cybernetic Theory of Devision ص ١١٦ .

(٦٣) الواقع ان باحثين اثنين لم يعثرا على امثلة للمحادثات التاريخيـة زودت الزعماء بتفسيرات صحيحة للرسالة المتضمنة فى عينة الحالات المعروضة ، انظر : Paul Diesing و Glen Synder فى كتاب Systems, Bargains, Decisions (١٩٧٧) .

(٦٤) Harry S. Truman — Memoirs الجزء الثانى ١٩٥٦ . استشهد بها Ernest May فى كتاب Lessons of the Past The use and Misuse of History in American Foreign Policy (١٩٧٣) ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٦٥) ما يجئ بعد ذلك مستمد مثل « دروس » شهر مايو من الماضى ، ٩١ ـ ١٠١ :

(٦٦) Pentagon Papers الجـزء الثـانى استشـهد بهـا فى دروس مايو ٩٨ ـ ٩٩ .

(٦٧) Servis Perceptions and Misperceptions in International Politics ، ص ٢٦٧ .

(٦٨) انظر : John Vasquez Foreign Policy Learning and War

ضمن كتاب أشرف عليه Kegley و New Directioos Rosenau in the Study of Foreign Policy ص ٣٧٩ .

ص ٢٤٤ Politics .

(٦٩) Perception & Misperception in International — Jervis

(٧٠) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ .

(٧١) Reagan's America — Garry Wills (١٩٨٥) ، ص ٢٨٦ ـ ٣٠٧ .

(٧٢) Perception & Misperception in —International — Jervis Politics ص ٢٢٨ .

(٧٣) National Role Conceptions in the Study of — K. J. Holsti Foreign Policy في مجلة الدراسات الدولية ، سبتمبر ١٩٧٠ .

(٧٤) Decisions in Israel's Foreign Policy — Michael Brecher ١٩٧٥ ضمن كتاب Between — Richard Ned Lebow Peace and War ١٩٨١ ، ص ١٩٦ .

(٧٥) Misperceptions and the Causes of War — Jack S. Levy ضمن World Politics الجزء السادس والثلاثون فى اكتوبر ١٩٨٣ ، ص ٧٦ ـ ٩٩ .

(٧٦) استشهد بها Jervis في كتاب Perception and Misperception ص ٧٤ .

(٧٧) Perception and Action in the Crisis 1014 — Robert North ضمن كتاب Farrell & Smith ص ١٢٢ .

(٧٨) Why Nations go to War — Stoessinger ص ٢١١ .

(٧٩) Misperception and the Causes of War — Levy ص ٨٨ ـ ٨٩

(٨٠) Between Peace and War — Lebow ، ص ٢٠٠ .

(٨١) انظر مقالات جريدة واشنطن بوست فى ٣ ، ٤ أغسطس ١٩٩٠ و ٢٢ سبتمبر ١٩٩٠ .

(٨٢) The Causes of War — Geoffrey Blainey ١٩٧٣ ، ص ٢٤٦ .

(٨٣) Between Peace and War — Lebow ٢٤٢ ؛ ٢٤٣ .

(٨٤) India, Pakistan and the Great — William J. Brands Powers ص ٢٠٠ ذ/هـ فى كتاب Why Nations go to War ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٨٥) Between Peace and War — Lebow ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٨٦) Misperception & Causes of War — Levy ص ٢٦ حتى ٨٣ .

(٨٧) Between Peace and War — Lebow

(٨٨) نفس المرجع ٢٣٨ ـ ٢٤١ .

(٨٩) نفس المرجع ، ص ٩٧ .

(٩٠) نفس المرجع ١٦٤ ـ ١٦٦ .

(٩١) Perception and Misperception in international — Jervis Politics ، ص ٥٢ .

(٩٢) Between Peace and War — Lebow من ١٥٨ ـ ١٦١ .

(٩٣) The Psychological Dimension of — Joseph de Rivera Foreign Policy ص ٢٤٧ ـ ٢٥٧ .

(٩٤) Between Peace and War — Lebow ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٩٥) War in International Society— Even Luard ١٩٨٦ ، ص ٣٢٦ .

(٩٦) نفس المرجع الفصل الثامن من ٣٢٩ ـ ٣٧٨ .

(٩٧) Misperception and Causes of War — Levy ص ٨١ .

(٩٨) على سبيل المثال The Guns of August — Barbara Tuchman (١٩٦٢) .

(٩٩) Between Peace and War — Lebow ص ٢٥٤ Fritz Fisher — War of Illusions : German Policies From 1911-1914 ص ٤٥ ، ٥٥ ، ٣٩٨ ـ ٤٠٢ .

(١٠٠) War in International Society — Luard ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

(١٠١) Between Peace and War — Lebow ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(١٠٢) انظر فى هذه النقاط كتاب The Causes of War Blaine — Tuchman من ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ وكتاب The Guns of August ، ص ١٤٢ .

(١٠٣) The Causes of War — Blainey ص ٥٧ ـ ٦٧ .

(١٠٤) نفس المرجع . وايضا : Levy ٩١ ـ ٩٣ .

(١٠٥) جريدة واشنطن بوست ٤٢ ، اغسطس ١٩٩٠ و ٢١ اكتوبر ١٩٩٠ .

(١٠٦) Between War and Peace — Lebow ، ص ٥٣ .

(١٠٧) Between Peace and War — Lebow ، ص ٢٠٧ .

(١٠٨) Why Nations go to War — Stoessinger ، ص ٧٢ .

(١٠٩) نفس المرجع ، ص ٧٣ . ٩١ ـ ٩٣ .

(١١٠) Between Peace and War — Lebow ٢١٦ ـ ٢١٩ .

(١١١) نفس المرجع ، ص ١٠٢ .

(١١٢) Irving Janis Decision Making Leon Mann ١٩٧٧ .

(١١٣) هذا الجدل بين Mann, Jervis نقلا عن كتاب Between Peace — Lebow and War ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

(١١٤) نفس المرجع ، ص ١١١ .

(١١٥) نفس المرجع ، ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(١١٦) نفس المرجع ، ص ٢٧٥ .

(١١٧) Expression and Perception of Hostility — Dina Zinnes in Prewar Crisis, 1914. جاءت ضمن كتاب Quantitive International Politics J. David Singer (٨٥ ـ ١٢٣) . وايضا كتاب Robert North و Richard Brody و Ole Holsti Some Empirial Data of the Conflict Spiral. ١٩٦٤ ، ص ١ ـ ١٥ .

(١١٨) Dina Zinnes — Capability و Robert North و Howard E. Kocil, Threat and the Outbreak of War ١٩٦١ ـ ص ٤٦٠ ـ ٤٨٣ وعلى الأخص Ole Holsti و Robert North . History of Human Conflict والقول بأن الزعماء الالمان قد أدركوا وجود موقف ضعف نسبى لا يتواءم تماما مع ما قاله

Blainey عن تنازل الالمان عن التهديد بالحرب · ويشرح Blainey ذلك ويرجعه الى عدم دراية North واقر انه بالأدلة الوثائقية التى اثبتت تفاءل الالمان · فلم يكن كتاب Fritz Fischer عن أهداف الحرب العالمية الأولى قد ترجم انئذ الى الانجليزية · ـ ويرجع فى هذه النقطة الى كتاب The Causes of War — Blainey ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ·

(١١٩) R. North, O. Holsti — R. Brody Perception and Action in the 1914 Crisis ضمن كتاب J. D. Singer Quantitive International Politics ص ١٢٣ ـ ١٥٩ ·

(١٢٠) O. Holsti و R. Bromy و R. North — Measuring Affect and Action in International Reaction Models (١٩٦٥) ، ص ١٧٠ ـ ١٩٠ ·

الفصـــل الرابع

صنع القرار فى مستوى الحكومة

مجنون هو الاستثناء فى حالة الأفراد ، ولكنه القاعدة ، فى حالة الجماعات ٠

نيتشــه

الاحداث الجارية هى التى ترسم السياسة ٠

جورج بول وزير خارجية أمريكا ١٩٦٢ ٠

فى هذا الفصل ٠ نكتشف أسباب الصراع الدولى التى يمكن أن تصادف فى مستوى المجموعة الصغيرة ٠ والمقدمة الأساسية هنا هى أن الحرب بين الأمم تتضمن فى احدى اللحظات التى تمر بها قرارات تصدر من الحكومات ٠ ففى نطاق الحكومات الحديثة غالبا ما تصنع القرارات بمعرفة مجالس الوزراء ، أو (مطابخ) مجالس الوزراء ، والمكاتب السياسية والجانتو واللجان بدلا من انفراد الرؤساء ورؤساء الوزراء وقادة الجيش بالعمل ٠ اذ يعد صنع القرار الى حد كبير عملا جماعيا ، ومن ثم فان بحثنا عن أسباب الحرب قد قادنا الى فحص الوسائل التى تتبعها المجموعات الصغيرة المحيطة بزعماء الحكومة فى صنع قرارات الحرب والسلام ٠ والافتراض الأساسى فى هذا المستوى من التحليل هو أن أطر صنع القرار وما يصحبها من عمليات خاصة ، وليس صفات أفراد بالذات ومدركاتهم هى التى تحدث التأثير الحاسم على سياسات الحكومة ومسلكها ٠

التعقل وصنع القرار :

فى أفضل العوالم الممكنة ، تتبع الحكومات سياسات مسالمة أكثر من اتباعها لسياسات العدوان ٠ ففيها يتميز الزعماء بالتنور ، واتباع مسالك انسانية أكثر من الاتصاف بالخسة وعدم الاقتدار ٠ ويسود العقل والنوايا الحسنة فوق الشر والغباء ٠ فى هذا العالم الذى يجمع فيه الحاكم بين صفات الملك وصفات الفيلسوف (والتى تحدث عنها افلاطون) وتسوده

حكومات ذات نوايا حسنة (ومسالك حسنة) لابد أن نتوقع أن توكل عملية صنع السياسة لأصحاب نفوس عاقلة ، تعمل حسابا لكل خطوة تخطوها . وأشار علماء السياسة والمنطق الى هذه النوعية من صنع القرار ، بأنها تمثل النموذج العقلانى الفعال (*) (١) .

ولكل من يرغب من زعماء الحكومات المستنيرة صوغ سياسته فى أسمى حالاتها المنطقية ما عليه أن يتبع نموذج رام ، المتضمن لتسع خطوات من السهل الاحاطة بها :

١ - التعرف على المشكلة وتحديدها .

٢ - تحديد الأهداف . وفى حالة تعددها ، ترتب وفقا للأهمية .

٣ - تجميع المعلومات (وهى عملية متواصلة . وربما تبدأ فى واقع الأمر ابتداء من الخطوة الأولى) ..

٤ - التعرف على الوسائل التبادلية للاهتداء الى الهدف والأهداف .

٥ - تحليل كل بديل ممكن (والحرص على فحص العواقب الممكنة لاتباع أى اختيار ، وتقرير مدى الفاعلية النسبية لكل وسيلة بديلة لتحقيق الهدف أو الأهداف . وقياس احتمالات نجاح كل بديل ، وحساب تأثير كل بديل على باقى الأهداف وتقدير التكاليف والمنافع المحتملة لكل بديل .. وهلم جرا .

٦ - اختيار أفضل بديل بمقدوره تحقيق الأهداف . وبعبارة اخرى ، اختيار أفضل استراتيجية مناسبة ، أو أكثرها صلاحية لتحقيق أعظم نجاح منشود .

٧ - تطبيق القرار ، أى اختيار فاعليته .

٨ - مراقبة وتقييم القرار المتصل بالسياسة المتبعة : هل نجحت أم أخفقت ؟ هل بها عيوب ؟ هل حققت النتائج المرجوة ؟

٩ - استكمال أو استبدال أو مواصلة السياسة كما حددتها تقييماتنا (راجع الخطوة رقم ٨) .

وكما هو الحال فى جميع النماذج ، يحتاج « رام » الى افتراضات

(*) Rational Actor Model وتختصر فى ثلاثة حروف R.A.M وسنترجمها من قبيل التبسيط فى الصفحات التالية « برام » .

مبسطة محددة ٠ ويزعم أنصار رام من بين أشياء أخرى أنه بالمقدور النظر الى الحكومات على أنها الفاعل الوحيد الفريد ، وأن واجبها يتطلب منها الانتقاء العقلانى من بين جملة خيارات ممكنة حتى تزيد من احتمالات تحقيق أهدافها ٠ وتزعم رام بدورها أن بمقدور صناع القرار منح قيمة مشخصة لها وزنها لكل نتيجة يتم الحصول عليها ، حتى تتيسر المقارنة بين أى خيارين أو أكثر ٠ وتزعم رام بعد ذلك أن باستطاعة صناع القرار حساب احتمالية تحقيق النجاح اعتمادا على الفعل المرغوب ٠

وآخر المزاعم هو أنه بالامكان تجنب الحروب غير المرغوبة ، أو غير الضرورية اذا تشبثنا بتطبيق القرار العقلانى ٠ وبطبيعة الحال أن هذا لن يحول دون اقدام القادة والزعماء القوميين على شن حروب « نفعية » يعتقد أنها تساعد على تضخيم أهدافهم بطريقة عقلانية ٠ ولطالما نجمت الحروب من شـــدة الحرص عند تحليل النفقات والمنافع الخاصـــة بالاستراتيجيات البديلة التى تساعد على الاهتداء الى الغايات المنشودة(٢)٠ وكل ما يعنيه هذا الافتراض هو القول بان الزعماء ممن يستعينون بالقرارات العقلانية لن يختاروا طريق الحرب الا اذا توقعوا أن يساعد الاقدام على هذه الخطوة على تحقيق النفع ، ورأوها أعظم فائدة من عدم الالتجاء للحرب ٠ وبذلك يســتطاع تفادى الحروب التى تعد وفقا لهذا المعنى لا عقلانية وغير ضرورية ٠

نقد : لماذا لا تستخدم الحكومات « رام » ؟

لا يخفى أننا جميعا تواقون لتطبيق هذه العملية المنطقية على مشكلات السياسة الخارجية ٠ ومن سوء الحظ ، أنه فى عالم الواقع كثيرا ما يبين تعذر اتباع الحكومات « لرام » عند صنع قراراتها ٠ فليس بالمستطاع دائما تطبيق أفضل الوسائل ، كما أن أفضـــل النتائج لا تتحقق على الدوام ٠ فلماذا لا تصنع القرارات باتباع أعقل السبل ؟ فيما يلى قائمة مختصرة بالعوائق التى تعترض صنع القرار العقلانى ، بعضها ينبع من المستوى الفردى للتحليل ، وينبع بعضها الآخر من مستوى المجموعات الصـــغيرة :

١ ـ لا يتصف جميع صناع القرار اتصـــافا كاملا بالعقلانية ٠ ويتفاوت نصيبهم منها ٠ وكما رأينا ، فان العوامل السيكولوجية تتدخل فى قدرات زعماء الحكومات عندما يعكفون على حل المشكلات العقلانية ٠ وبمقدار وجود هذه العوامل تضطلع القرارات حتى تتلاقى هى والاحتياجات اللاشعورية للزعماء السياسيين ، أكثر من صنعها استجابة لمطـالب الأمن القومى المشروعة ٠

٢ ـ كما رأينا أيضا ، فان اساءة الادراك ، ان صح عدم تفشيها بين صناع القرار ، هى السائدة على أقل تقدير · وتحتاج محاولات حل مشكلات السياسة الخارجية الى صورة دقيقة للموقف لا تتوافر فى كثير من الأحيان ·

٣ ـ كثيرا ما يكون للهشاشة الآدمية دور ، وتصحب خيارات السياسة الخشنة فى أغلب الأحيان مقادير هائلة من التوتر · وكثيرا ما يستثار التوتر القادر على تعطيل قوى العقل عندما يصاب صفوة الساسة بقلة النوم ووهن الحالة الفزيائية ·

٤ ـ قد لا يتوافر دوما لصناع القرار ما هم بحاجة اليه من معلومات من حيث الكم والكيف ، حتى يهتدوا الى قرار عقلانى كامل · فلابد من الاكثار من وضع السياسات الأمنية القوية فى أية بيئة لا تشعر بالاطمئنان · فقد تكون المعلومات زائفة ، ناقصة أو متضاربة تحتمل أكثر من معنى وتفسير · ان أهم المعلومات ، يعنى التى تخص نيات الآخرين لا يمكن أن تعرف فى أغلب الظن من المصادر المعتادة للاستخبارات · وكثيرا ما تتفاقم مشكلة النقص فى المعلومات من أثر ميل المرؤوسين الى الاحجام عن تعريف رؤسائهم بالمعلومات التى تتحدى نظراتهم · وفى مقابل ذلك ، قد تكون المعلومات غزيرة فى مقدارها بحيث تحول ضخامة حجمها دون استخلاص المحللين معناها · ان قدرة العقل البشرى على جمع المعلومات محدودة · وتؤدى هذه المحدودية فى نهاية الأمر الى الحيلولة دون اتباع الحكومات للعقلانية الكاملة عند تطبيقها على القرارات السياسية ·

٥ ـ قد يكون الوقت الميسور لصنع القرار محدودا مما يؤدى الى تعطيل قدرة صناع القرار على تحديد الخيارات وتحليلها · وحتى عندما يتوافر الوقت الكافى ، فربما آثر الزعماء عدم الأخذ بها ، والوقت المهدر له تكاليفه · وقد ينظر الى القرار المتسرع على أنه أفضل من أى قرار أوفى يحتاج الوصول اليه الى وقت أطول ·

٦ ـ « التكهنات غير الواقية » · يحتاج « رام » الى المستحيل أو الى ما يقرب المستحيل لتطبيقه تطبيقا صحيحا · اذ يتطلب تقييم خيارات السياسة من صناع القرار أن يمعنوا النظر فى المستقبل ، وأن يتنبأوا بالنتائج المحتملة ، واحتمال النجاح اذا اتبع أى بديل بعينه (أو أية مجموعة من البدائل العديدة) · ولا يستبعد أن يكون كثيرون منا قد صادفوا المتاعب عندما حاولوا استحضار الماضى وتمثل الحاضر ، ثم سعوا الى تخيل المستقبل الذى يحتاج الى قدر أعظم من الصبر ، يفوق قدرتنا على لم أطرافه ·

٧ ـ ربما كانت عملية التعرف على الأهداف التى قد تسعى الدولة لتحقيقها ثم ترتيبها حسـب الأفضليـة تفوق قدرتهـا على تقييمها عقلانيا (٣) • اذ يعنى انتقاء الأهداف ـ فى الأغلب ـ اختيار أقل الشرور المتعددة ، وكثيرا ما صح القول بأن اتباع هدف أوحد لن يكون بالمقدور تحقيقه الا على حساب الأهداف الأخرى • فاذا وجد هدفان يحظيان سويا بالتفضيل ربما بات من الصعب تحقيقهما معا • وربما كان السعى وراء أحدهما متعارضا هو ومتابعة الهدف الآخر •

٨ ـ إن التعرف على جميع البدائل الممكنة ثم اخضـاعها جميعا لنوع من التحليل ، تبعا لتكاليفها وبما يعود منها من نفع ، يعد مهمة شاقة مثبطة للهمة • فلا يستبعد أن يكون تحليل الخيارات على هذا الوجـه محدودا لبعض الأسباب العملية مثل ضيق الوقت ومحدودية البصيرة الآدمية ، وهناك مشكلة تنفرد بها قرارات السياسة الخارجية وهى الحاجة الملموسة للسرية • ففى محاولة للحيلولة دون حدوث تسرب للمعلومات الحساسة ، غالبا ما يلجأ صناع القرار الى اختيار وتحديد عدد الأشخاص الذين يستشارون ، وبذلك يحددون تحديدا صارما مدى البدائل وأيضا تنوع التحاليل • ويرى ماكجورج باندى أن هذه المشكلة ، كانت من المشكلات المتكررة عند صناع القرار الأمريكان فى عهد الحرب الباردة ، وأنها قد عذبت الزعماء السوفيت أيضا • فمثلا لم يستشر خروتشوف سوى دبلوماسى واحد (جروميكو) عنـد تحليله قرار نصب الصواريخ فى كوبا ١٩٦٢ (٤) •

واكتشف دراسة سيندر وديزنج لصنع القرار فى ست عشرة أزمة دولية أن معظم البدائل اما تجوهلت ، أو سرعان ما استبعدت باعتبارها غير مجدية أو عديمة الأثر اعتمادا على الفحص الأولى الدقيق، ولم تحظ بالاهتمام الجدى الا بدائل قليلة (٥) • واكتشف بول اندرسن فى معرض دراسته الشديدة الاثارة للاهتمام بعمليات صنع القرار عند ادارات ترومان وايزنهاور وكيندى (فيما يتعلق بكوريا وفيتنام وأزمة اقامة الصواريخ فى كوبا) أنه بالرغم من أن صناع القرار قد بحثوا عدة بدائل ، الا أن القليل منها قد خلا من التناقض • وبمجرد اقتراح عدد كبير من البدائل داخل المجموعة المختصـة ، تجوهلت دون تحليلها ، أى أنها ماتت لافتقارها « الى من يؤيدها » • ويضاف الى ذلك ، فعند التعرف على بدائل غير متوافقة فانها تكون عادة رد فعل لاقتراح سابق لم يقره عدد من أفراد المجموعة المختصة ، ويكون لسان حالها عبارة أشبه بالاكلشيه ، تدعو الى الكف عن اتخاذ أى اجراء بدلا من أن تحتوى على برنامج مستقل للعمل • ولعل الأهم هو

اهتداء أندرسن أيضا الى وجود ميل للبحث عن أهداف ، بعد أن يكون قد تم التعرف على البدائل وتم اقرارها (٦) ٠

ويبين من دراسات صنع القرارات المشتركة التى اضطلع بها نفر من العلماء أن عددا من البدائل التى بحثت ، غالبا ما انحصر القرار بشأنها بين عبارتين توأمتين « مرض » و « يتابع البحث » (٧) ٠ والواقع أن صناع القرار لا يطرحون كل الخيارات ثم يحصون الآراء المؤيدة والآراء المعارضة ، ولكن بدلا من ذلك يتم فحص البدائل الممكنة الواحد تلو الآخر بالتتابع الى أن يكتشف الخيار الذى يتجاوب هو والحد الأدنى من معيار المقبولية (مرض) ٠ ولا يتولى المحلل ترتيب البدائل تنازليا من الأسوأ الى الأفضل ، ولكنها تصنف ببساطة من ناحية القبول أو عدم القبول ٠ وأول خيار تكتشــف ملاءمته فى خانة « المقبــول » هو البديل الذى يقع عليه الاختيار (٨) ٠ (وكان هذا الكشف البصير هو الذى منح سيمون جائزة نوبل فى الاقتصاد ١٩٧٨) ٠ ومن غير المستبعد أن يعثر على خيار أفضل لو استمر البحث وحللت نتائج الخيارات الأخرى ، وليس من شك أن الحل الأفضل قد يكون هو البديل التالى ذاته ، غير أن صناع القرار لن يعرفوا ذلك أبدا ٠ اذ تنتهى عملية الانتقــاء عند اختيــار الحل « المرضى » ٠

فلماذا تتبع مثل هذه الاجراءات ؟ يزعم سيمون ومارش أن البحث عن الحل المرضى ومتابعة البحث ما هما الا وسيلتان مصممتان للتبسيط والتعجيل بعملية صنع القرار ٠ اذ يدرك المنفذون قصر الوقت والتكاليف الباهظة التى يتكبدها الوقت الطويل الذى يهدر فى البحث عن القرار ٠ وعلاوة على ذلك ، فان الحل الأمثل ربما لا يهتدى اليه قط ٠ فلما كان من الصعب ، ان لم يكن من المتعذر ــ مقارنة قيمة أية نتيجتين ، لذا ليست هناك عملية عقلانية موثوقة للعثور على أفضــل « الممكن » ، والتيقن منها (٩)٠وتبعا لهذه الظروف فمن الأفضل البحث عن حل مقبول فحسب، بدلا من الانشغال بعملية (حبالها طويلة) قد تتحول الى مطاردة للأوز الوحشى !

لدينا بعض دلائل على أن صنع سياسة الحكومة يتبع هذه الممارسات بالفعل ٠ واستخلصت دراسة أندرسن للحرب الكورية وحرب فيتنام وأزمة الصواريخ فى كوبا القول بأن صناع القرار الأمريكان لم يبحثوا كل بديل ، أو كل المجموعات الثانوية من البدائل ، قبل اهتدائهم الى القرار النهائى ، ولكنهم بحثوا البدائل بالتتابع ، وانتهوا الى الموافقة أو عدم الموافقة على قبول كل بديل بالتناوب (١٠) ٠

« والأهم فيما فيما يتعلق بهذا المستوى من التحليل أنه من الممكن أن يختلف تعقل أحد الافراد عن تعقل الفرد الآخر · فلو أن عدة أفراد طبقوا نظرية « الرام » على مشكلة بعينها من مشكلات السياسة ، فان كلا منهم سيختار حلا مختارا مختلفا ، وسيرتب مختلف الأفراد أو المجموعات الثانوية فى الهيئة المكلفة بصنع القراز الأهداف ترتيبا مختلفا ، وستختلف مفضلاتهم للنتائج وسيتبنون خيارات سياسية مختلفة ·

هنا ، سنعود للافتراض المركزى لمستوى المجموعة الصغيرة فى التحليل · اذ تعد عملية صنع القرار الحكومى مباراة جماعية أكثر من كونها فردية · فلابد أن تنشب اختلافات بين أعضاء الوزارة حول أفضل الحلول المتاحة للمشكلة وأفضل سياسة لحلها ، بل قد توجد اختلافات رئيسية أحسم حول الأهداف الصحيحة الأجدر بالمتابعة ، وتترك جانبا طرائق التصدى لهذه الأهداف · قصارى القول فان القرارات تحتاج الى المساومة والحلول الوسط بين أفراد المجموعة · اذ يبين فى نهاية المطاف أن صنع السياسة عملية سياسية أكثر من كونها عملية معرفية أو عملية عقلانية · وبقدر كون القرارات سياسية يزداد احتمال اتصاف القرارات بهذا لا (يعنى لا معقوليتها) ·

نخلص من ذلك الى أن علينا أن نتشكك فى قدرة الحكومات على صنع قرارات جيدة ، عقلانية ومقبولة · وعلينا أن نعترف بوجود قرارات قميئة وبوفرة القرارات البعيدة عن العقل التى صنعت ، وكم اقتربت الحكومات من الاخفاق فى عملية صنع القرار ، وكم أثبتت فابريقة السياسة أنها مجرد ليمونة نستطيع عصرها وفقا لمشيئتنا !!

فاذا كانت القرارات الحكومية لا تصنع بالعقل ، فاننا سنحتاج الى مناقشة كيف تصنع الحكومة قراراتها · وهذه هى المهمة التى سيضطلع بها باقى الفصل · وهناك نظريتان تمثلان البديلين الأولين « للرام » — السياسة البيروقراطية والتفكير الجماعى · ومع هذا وقبل أن نبحث النظريتين ربما كان من الأجدى أن نبحث بعض الاستبصارات من منظورين آخرين : نموذج المزايدة ونموذج العملية التنظيمية ·

المزايدة :

منذ ربع قرن أحدث دافيد برايبروك وتشارلز ليندبلوم تأثيرا عارما على التفكير السياسى عندما قدما تحليلهما لكيفية صنع القرار (١١)· فنادرا ما يعتمد صناع القرار على « الرام » لعدة أسباب سبق ذكرها مثل الافتقار الى المعلومات والافتقار الى الاتفاق على الأهداف والوسائل وقصور الوقت والموارد ومحدودية قدرة الفرد على حل المشكلة ·· الخ · وبدلا

من ذلك فانهم يحاولون تبسيط العملية • وترتب على ذلك اجراء القرارات السياسية ـ نمطيا ـ اعتمادا على عملية مزايدة • اذ لا يتم تحليل جميع البدائل تحليلا كاملا ، ولا يحدث تمعن كامل فى غير تلك الخيارات التى لا تختلف عن السياسة الحاضرة بأكثر من اختلافات هينة نسبيا • وجرت العادة ألا تبحث التغيرات الكبرى والاصلاحات الشاملة ، وترتب على ذلك أن أغلب السياسات تختلف اختــلافا هامشيا فحسب (فى السياسة القائمة على المزايدة) عن السياسة السابقة • ويمكن بيان ذلك بالشكل المبين فيما بعد •

السياسات البديلة السياسات البديلة •

السياسة الراهنة

→ ا ــــ ب ــــ حـ ــــ (د) ــــ هـ ــــ و ــــ ز ــــ ح ←

(نموذج المزايدة فى خيارات السياسة)

والخيارات السياسية التى يحتمل أن تحظى بقدر أكبر من البحث ، عادة ما تكون الخيارات المختلفة عن السياسة الراهنة فى مسائل هامشية وحسب • فلا يحتمل أن تقيم الخيارات السياسية أ ، ح ، بل وحتى ب ، جـ ، وبدلا من ذلك فان الأرجح تدقيق صناع السياسة فى « ز » و جـ و ب • وتتمخض هذه الخيارات عن سياسات لا تفترق كثيرا عن السياسة الراهنة •

فلماذا اذن تتبع هذه الطريقة بدلا من الطريقة الاجمالية ؟ أولا لأن هذه الطريقة أقل تعقيدا ، لا يحتاج صناع القرار عند اتباعها الى ما هو أكثر من تحليل الاختلافات بين السياسة القديمة والسياسات الجديدة القليلة • فالمفروض أنهم يعرفون على وجه التقريب كيف تعمل السياسة الراهنة ، وماهية نتائجها ، والى أى حد تعد ناجحة ، وما هى أوجه نقصها ، وبعبارة أخرى ، فانهم على دراية بعواقب السياسة الراهنة ، التى تساعد المحللين مقارنتها بالسياسات البديلة التى تختلف عنها اختلافا هينا على زيادة الثقة فى نبوءاتهم عن كيف تعمل السياسة الحديثة • ولن يكونوا آنئذ مضطرين الى اعادة اختراع العجلة فى كل مرة يحتاج فيها الى قرار • فلما كانوا ملمين بالسياسة الراهنة ، ولما كان اختيار القرار هـ أو جـ لا يختلف الا اختلافا هامشيا عن السياسة الراهنة ، فان نتائجها لن تكون مختلفة الا اختلافا هامشيا فقط • وبعبارة أخرى ، يصح القول بأن صناع القرار الذى يتبعون مبدأ المزايدة يعملون « عقلانيا » ، لأنهم يدركون مدى محدودية فهمهم للمشكلة ، ويعملون على حصر ما يلحق صنع السياسة من أذى من تدنى فهم المشكلات السياسية •

وثمة نفع آخر يعود من ذلك . اذ يستطاع على أقل تقدير من حيث المبدأ تجنب الأخطاء الكبرى . فقد تؤدى الاستعانة بخيارات المزايدة الى امكان شعور صناع السياسة بالثقة بعدم اختيارهم سياسة بالغة الخطأ ، ومن جهة أخرى ، فانهم سيشعرون بثقة وأمل بأن أى تنبؤ يهتدون اليه عن (أ أو ح أو ل) سيثبت صحته ، اذ يدرك صناع السياسة ان النتائج غير المتوقعة سينكشف أمرها ، وأنها ستكون أكثر احتمالا عندما تكون السياسة المختارة مختلفة اختلافا جسيما عن السياسة الراهنة . فقد يؤدى اختيار أ أو ح الى كارثة مهولة . ويصح القول أيضا بأن اختيار أ أو ح قد يتضح أنه أفضل خيار يستطاع القيام به . وتكمن المشكلة فى عدم امكان التيقن بصفة مطلقة ، لأن اتباع مثل هذه السياسة قد يحدث تغيرا كبيرا . ويستخلص برايبروك وليندبلوم من ذلك أنه ربما كان الحافز الأكبر لصناع السياسة هو تفادى الكوارث السياسية أكثر من تحقيق النجاح الاحدى السياسات . نتيجة لذلك ، بالمقدور النظر الى المزايدة على أنها وسيلة للحد من الضرر ، كاستراتيجية « للغوص فى الأوحال » اذ تخطط سياسات الحكومة بصفة متواصلة ، ويعاد تخطيطها اعتمادا على عملية ضبط هامشية ، بعد اجراء سلسلة لا حصر لها من تجارب المحاولة والخطأ (١٣) .

ويشير برايبروك وليندبلوم ، مثلما فعل سيمون ومارش ، الى أن صناع القرارات فى العالم الواقعى يجرون تنازلات للواقع ، بعد ادراكهم عدم امكان الاهتداء الى القرار الكامل المطلق ، ومن ثم فانهم يلجأون الى اختصار الطريق لتبسيط العملية . ويترتب على ذلك انتهاؤهم الى اتخاذ قرارات أدنى فى مستواها من القرارات المتسمة بالكمال .

والسبب الثالث لشيوع « المزايدة » يتصل بطبيعة السياسة . اذ يتطلب اختيار المجموعات من بين البدائل مسايرة الحل الوسط وايثار الحلول التوفيقية . وليس من المحتمل أن يستند الكثير من حلول التوفيق على بدائل (مثل أ ، ح) تتطلب تغيرات جذرية فى السياسة الراهنة ، كما أنها لا تحتمل أن تختار خيارات من قبيل الحلول الوسط . فالأسهل هو انشاء قاعدة تستند عليها الخيارات الشبيهة بالسياسة الجارية . فبالمقدور أن يتفق الجميع على وجه التقريب على الاعتراف بتمثيل د أو هـ باعتبارهما حلا وسطا بين الحفاظ على السياسة الراهنة واجراء تغيير كبير . وبعبارة أخرى ، فان قرارات المزايدة سهلة من الناحية السياسية لأن السياسات غير المعتمدة على المزايدة تتطلب عادة عند اختيارها قلب قرار سابق اعتمد على المزايدة وعلى توليفة من حلول الوسط السياسية . ومن ثم يمكن القول بأن الحلول غير المعتمدة على المزايدة صعبة سياسيا .

وترتب على ذلك اتخاذ قرارات « غير نموذجية » ، لأن صناع السياسة لا يسعون بالضرورة وراء أفضل الخيارات . وبدلا من ذلك ، فانهم يبحثون عن أكثر الخيارات « أمانا » . وربما قيل ان هذه النتيجة لا تعد سيئة بأية حال ، فلا ننسى أننا نفضل عدم اقدام الحكومات على الاندفاع والهرولة والوقوع فى خلافات من جراء بعض الأحكام الرعناء . وما يفهم ضمنا هنا ان صناع السياسة عندما يواجهون بقرار قد يتمخض عن عواقب لا يمكن التكهن بها ، فان عليهم التشبث باتباع الطريق الآمن ، يعنى طريق المزايدة .

ومن جهة أخرى ، يرى بايبروك وليندبلوم أن نطاقات السياسة مثل الحرب والثورات تقع خارج أنماط القرارات التى تصلح للمزايدة . فبحكم طبيعة الحرب والثورات ، فانها تجر فى ذيلها تغيرات كبيرة ومهمة ، ومن ثم فانها لا تقبل التوافق هى وصنع القرار بطريقة المزايدة .

المزايدة وفيتنام :

غالبا ما يصور تورط الأمريكان فى فيتنام على أنه جاء نتيجة لاتباع قرارات مزايدة أصدرتها الارادات المتعاقبة . وفى هذه التحليلات ، ينظر الى صنع القرار الخاضع للمزايدة — فى أفضل الأحوال — على أنه غير مناسب ، وينظر اليه فى أسوأ الأحوال على أنه كان مصدر كارثة . ونشرت لسلى جلب وريتشارد بتس كتابا (١٤) أيدا فيه القول بأن قرارات الحكومات المتعاقبة قد اعتمدت على أكبر قدر من المزايدة . فلقد اشتد تورط الولايات المتحدة تدريجيا بعد أن عمق كل قرار من مدى التزام الأمريكان وزاد من فداحة خسارتها فى المال والعتاد والرجال (واشتملت القرارات الأهم على قرار ادانة ترومان بتقديم المعونة العسكرية للجهود الفرنسية التى تبذل لاستبقاء فيتنام كمستعمرة فرنسية ضد الحركة القومية فى فيتنام ، وقرار ادانة أيزنهاور بعد انهاء الحكم الفرنسى بمساعدة حكومة فيتنام الجنوبية الحديثة الانشاء ضد الفيات كونج المتمردين ، وقرار ادارة كيندى بزيادة الخبراء العسكريين الأمريكان فى فيتنام الجنوبية وقرارات ادانة جونسون بالشروع فى ارسال قاذفات قنابل الى فيتنام الشمالية وارسال قوات مقاتلة أمريكية للحرب فى فيتنام وزيادة أعداد هذه القوات باطراد .

ووصفت لسلى جيلب وريتشارد بتس الاستراتيجية الأمريكية بأنها « قدمت الحد الأدنى الضرورى الذى يساعدها على عدم التعرض للخسارة حتى ١٩٦٥ ثم قدمت الحد الأقصى المجدى للكسب فى حدود القيود الداخلية والدولية » بعد ذلك (١٥) . وبمرور الأيام ارتفع الحد الأدنى

الضرورى من أثر الحالة فى فيتنام ، وفيما بعد استبعدت القيود على نحو متزايد للافلات من الهزيمة • وكانت النتيجة هى حدوث تصاعد مستمر فى المجهود الحربى ، فاين تقع المسئولية فى الطبيعة المتصاعدة لهذه القرارات ؟

أولا – أدرك رؤساء الولايات المتحدة أن المزايدة ستساعد على الحفاظ على مرونتهم لأنها لن تغلق باب الاختيار • فقد تؤدى أية ثغرة فى التزامات الولايات المتحدة الى الاقلال من عدد الخيارات الميسورة فى المستقبل أمام الرئيس ، بينما تتيح سياسات المزايدة الفرصة للرئيس لكى يتخذ الخطوة السياسية فى المرة التالية •

ثانيا – تعد خيارات المزايدة وخيارات حلول الوسط أيضا، وبخاصة فى حالة جونسون – الذى كان يطالب باجماع الرأى من مستشاريه ، تعد من الناحية السياسية ذات طابع براجماتى ، وتمثل وسيلة من الوسائل نتجنب أوجه النقص السياسية ولتخفيف حد الخلاف ، لأن الرئيس يختار الحلول الوسط بين مواقف صقور الخبراء ومواقف جماعة الخبراء• وتحافظ سياسات المزايدة أو مسك العصا من منتصفها على الاحتفاظ بكلا الطرفين فى مكتب الرئيس •• « فتتبع سياسة التصعيد لارضاء اليمين ويمنح اليسار فرص المفاتحة أو التلويح بالسلام ، ولا يطلب من الوسط دفع ثمن مناصرته للحرب » (١٦) • فالوقوف على أرضية وسط اجراء سياسى ذكى وآمن • ويعتبر اتخاذ خطوة بسيطة للحفاظ على القوة الدافعة نحو الهدف النهائى ، كفيلا بمنح كل رئيس أفضل فرصة للحصول على أكبر مساندة سياسية قبل أن يتقدم للأمام •

ثالثا – وخيارات المزايدة ذات طابع براجماتى ، أى أنها وسيلة لتحقيق سلامة اللعب ، لأنها تظهر بمظهر الوسيلة التى تخفف من الأخطار المحتملة • ويمثل تصعيد المزايدة منتصف الطريق بين البدائل التى تكتنفها المخاطر – اذا خسرت الحرب ، أو القيام بما يعد ضروريا للكسب •

وتعتقد « جيلب وبتس » أن أسلوب صنع القرار فى قمة الحكومة الأمريكية قد أحرز نجاحا • اذ اتسمت سلسلة القرارات التى صدرت عن فيتنام بعقلانيتها أكثر من اتصافها بالابتعاد عن التعقل • ولم يكن الزعماء السياسيون يخدعون أنفسهم • فلم تكن حالة فيتنام من الحالات التى اعتقد فيها الزعماء الأمريكان ان كل خطوة صغيرة ستكون الأخيرة لاحراز النصر (١٧) • وترى جيلب وبتس أن الزعماء الأمريكان لم يفرطوا فى التفاؤل ولم يخضعوا للأوهام التى صورتها التقارير التى زعمت حدوث تقدم ، كما أشار بعضهم • فلم تغص الولايات المتحدة فى أى مستنقع ،

لأن زعماءها كانوا على غير دراية بوجود أى أوحال فى المنطقة . اذ كنا نعرف بوجود مستنقع ، ولم يكن التصعيد انزلاقا أعمى « فى منحدر زلق » . وبدلا من ذلك كان التصعيد الأمريكي ردا عقلانيا للتصعيد المتنامى لأدنى سعر يساعد على الحفاظ على التزامنا .

وبعبارة أخري ، لقد أدرك صناع القرار الأمريكان أنهم يمارسون عملهم فى منطقة سياسية ليسوا على يقين من أمرها ، لأنهم لم يعرفوا عنها الكثير وفى مثل هذه المواقف الأحكم عقلانيا هو اتباع أسلوب مزايدة القرار . واذا اتخذنا كمثال التزام الأمريكان بالحيلولة دون انتصار الشيوعية فى فيتنام الجنوبية (وهذا مثل عظيم الأهمية) فى هذه الحالة ، فسنرى أن السياسة المخططة لتحقيق هذا الهدف كانت منطقية ومناسبة، كاستجابة لما حدث من تغير فى الأحوال القومية والدولية .

نموذج العملية التنظيمية :

من الاسهامات المهمة التى ساعدتنا على فهم صنع القرار الحكومى الدراسة التى قدمها جراهام أليسون فى تحليله الشهير لأزمة الصواريخ فى كوبا (١٨) . واقترح أليسون ثلاثة تفسيرات ممكنة للقرار الأمريكى فى هذه الأزمة بأن عرض ثلاثة أطر متنافسة ترى الأزمة من خلالها . والاطار الأول هو صديقنا الطيب « رام » والاطار الثانى سماه نموذج العملية التنظيمية (*) . أما الاطار الثالث ، والذى زعم أنه أفضل وسيلة لشرح عملية صنع القرار فأسماه نموذج السياسة الحكومية . وفى تاريخ أحدث أن مبتكر النموذجين الثانى والثالث قد اعتبرهما متكاملين أكثر من كونهما نموذجين منفصلين ومتنافسين . وجمعت الاستبصارات المستفادة من النموجين واختير لها اسم شائع : « نموذج السياسة البيروقراطية(**) (١٩) وبالرغم من كل هذا ، ولما كانت بعض الاستبصارات المستقاة من النموذج الثانى تبدو متمايزة بالمقارنة باستبصارات النموذج الثالث ، لذا علينا أن نلقى نظرة خاطفة على النموذج التنظيمى قبل أن نبحث سلبية نموذج السياسة البيروقراطية .

يرى أليسون فى نموذجه التنظيمى تأثرا بما هو متبع فى النظريات التنظيمية للشركات الكبرى ، التى تعتبر خليطا من التنظيمات المستقلة الشبيهة بما يجرى فى الاقطاعيات والتنظيمات المتحالفة تحالفا مرنا أقرب الى التراخى » . فبمقدور صناع القرارات الحكومية : « احداث خلل

(*) Organizational process model O.P.M.
(**) Bureaucratic Politics model BPM .

جوهرى فى مسلك هذه التنظيمات ، وان كانت لا تستطيع السيطرة عليها سيطرة ذات بال ، لأن ما يتحكم فيها الى حد كبير هو اجراءات التشغيل المتعارف عليها (٢٠) • ويركز النموذج الثانى (التنظيمى) على الوسائل المتبعة فى التنظيمات الكبرى لمواجهة القرارات التى يجب أن تتبع فى الحالات غير المحددة من حيث الزمان والموارد والمعلومات• وفيها يتم تقسيم المشكلة الى أجزاء ، أو تفتيتها الى شذرات مختلفة – ثم رزمها فى وحدات أصغر • ويحدد لكل جزء دورا ورسالة محددة لا تتناول الا جانبا معينا من المشكلة – ويتعرض تنسيق خمم الزعماء للتشتيت ، وتحاول الوحدات الفرعية معالجة مشكلاتها بمعزل عما يجرى فى الفرعية الأخرى ، وتقترح حلولا تطبق على نحو مستقل نسبيا •

وتعمل الوحدات الفرعية تبعا لاجراءات التشغيل المتعارف عليها (*) ، والتى بمقدورها بدورها أن تحدث أثرا فعالا على السياسة ، ويعتمد العمل الحكومى الى حد كبير على تنظيمات تبحث عن روتينات تصلح للتطبيق فى حالة المشكلات المباشرة • وتعد الخيارات المتاحة لصناع القرار أساسا هى الخيارات الجارية فى مخططات الطوارىء لبعض التنظيمات، فمثلا عندما استدعى المجلس الرئاسى فى عهد الرئيس كينيدى لاقتراح تكتيكات تساعد على ازالة صواريخ السوفيت من كوبا ، رجع البنتاجون الى « ذاكرته التنظيمية » ورد بتقديم خطة لتحطيم الصواريخ الكوبية ، لأن مثل هذه الصواريخ لم تكن موجودة ، ولكن كانت هناك خطة غزو ، وكان المشرفون على تنظيمها مازالوا فى الخدمة (٢١) •

وهكذا ، ساعدت اجراءات التشغيل المتعارف عليها على تحديد أى الروتينات هى الأصلح كخيارات للسياسة ، ويمكن اختيارها بالفعل ، وكيف تكتسب الخيارات بمجرد تحديد فاعليتها ، ومن ثم يمكن القول بأن أوامر الروتينات التنظيمية تحد الى درجة قصوى مرونة صنع القرار ، وتطبيقه • فلا عجب اذا وصمت العملية بأنها تجر الى سلسلة من وسائل البحث والمزايدات ، كما تتصف أيضا بافتقارها الى المرونة والخيال •

وتتصل هذه الآثار اتصالا وثيقا بمناقشتنا لأسباب الحرب • فأولا – لما كان البحث عن بدائل قاصرا على تلك الخيارات المتاحة فى الريبرتوار التنظيمى لمخططات الطوارىء ، لذا تقصر الخيارات عن الوفاء بما هو ضرورى – كما هو محتمل – فربما تكون الخيارات التى قد تساعد

(*) Standard Operating Procedures SOP.

على منع الصراع غير موجودة ، لأنها غير متضمنة فى رصيد الروتينيات التنظيمية ·

ثانيا ــ تخضع التنظيمات التى تعمل وفقا للنموذج الأول للتصور البيروقراطى الذاتى ، وتتسم بالبطء فى استجابتها للتغيرات الكبرى التى تطرأ على البيئة ــ اذ تتطلب عمليات النموذج الثانى رقعة للمزايدة لكى تستخدم كمواقع عندما تفشل السياسات · وبدلا من الاقدام على عملية اعادة تقييم شاملة للسياسة واحداث تغيرات سياسية ، يكتفى باجراء عملية تحديد للخسارة عن طريق السبرنطيقا · فهى لا تلاحظ جميع جوانب المشكلة الراهنة ، لأن هذا الاجراء ربما يكون مستحيلا · ويكتفى بدلا من ذلك بملاحظة القليل من العوامل الحرجة وتجرى محاولات لحصر هذه المتغيرات فى أضيق نطاق مقبول · واذا تجاوزت هذه المتغيرات لأى سبب الحدود المقبولة يسمح بانطلاق الاجراءات التصحيحية والتوثيقية · وفى هذه النقطة يتبع صناع القرار الروتينيات فى خطواتهم اعتمادا على اجراءات التشغيل المتعارف عليها المخططة لاستعادة العامل المختل الى نطاق الوضع المقبول · ثم يواصل اتباع السياسة الى أن تصطدم بمثل آخر من أمثلة اثارة المتاعب · وتؤدى هذه الاجراءات السبرنطيقية الى حدوث بعض العطب فى السياسة الذى يمكن اصلاحه حتى عن طريق غير المتمرسين ، ولكنها لا تؤدى الى اعادة تقييم شاملة (٢٢) ·

ثالثا : تحدد اجراءات التشغيل المتعارف عليها كيف تمارس السياسات بالفعل بمجرد اقرارها · وقد يتعرض صناع السياسة ممن لا يدرون الاجراءات التى تتبع فى تطبيقها للدهشة ، عندما يرون مدى الاختلاف بين الخطوات المتخذة وتلك التى خطرت ببالهم أصلا · ويتعلق المثل الكلاسيكى الذى ضربه أليسون لهذه الحالة بقرار الرئيس كيندى فرض حصار على كوبا · فلقد فرض أسطول الولايات المتحدة الحصار تبعا للاجراءات المتعارف عليها التى وضعت الأسطول الأمريكى فى مدى بعيد عن مرمى النفاثات الكوبية ، ولكنها أقرب الى أسطول السوفيت المقترب من كوبا بدرجة تفوق ما هو مرغوب لو أراد زعماء الكرملين اتاحة الفرصة لهم للتشاور دون ابطاء · وعلى الرغم من أن تطبيق قرار الحصار قد جاء بناء على اشارة صناع القرار من الساسة وأمر الأسطول بتقريب الحصار من الشواطىء الكوبية · ولكن الأسطول ــ كما يقول أليسون ــ لم يتبع أوامر الرئيس واعترض أول سفينة سوفيتية تقترب منه ، وأرغم الرئيس كيندى على تصحيح عناد الأسطول بأن سمح باختراق سفينة أو عدة سفن للحصار ، حتى يعطى للسوفيت مهلة أطول للتمعن فى اصدار قرارهم (٢٣) ·

نموذج العملية التنظيمية والحرب العالمية الأولى :

يوحي عرض جاك ليفي للسنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى بأن الروتينيات التنظيمية ــ وبخاصة مخططات التعبئة للقوى الكبرى ــ كانت عاملا كبيرا » وان لم تكن العامل الأوحد) بين أسباب وقوع تلك الحرب (٢٤) • فلقد صعبت الى حد كبير جمود روتينيات التعبئة عمليات التغيير والتعديـل من مخططات التعبئة • وكان رد الألمان على الأزمة فى البلقان بين النمسا والصرب (وعلى روسيا حامية الصرب) هو تطبيق خطة شيلفن التى استدعت غـزو فرنسـا بعـد اختراق بلجيكا) • وعجز الألمان عن تغيير خطة التعبئة وتحويلها الى خطة واحدة قائمة على تعبئة القوات لعملية هجومية فى الشرق ، وبذلك تأكدت مشـاركة الفرنسيين والانجليز معا ضد ألمانيا ، وأيضا فتح جبهتين للقتال •

وعجز النمسويون بالمثل عن تغيير خطتهم حتى يتمكنوا من قبول حل وسط سياسى ، ويحتلون بلجراد (عاصمة الصرب) بصفة مؤقتة ، لأن عملية تعبئتهم كانت تتطلب الاستعداد للحرب ضد الروس • وهكذا رفضت النمسا حل الوسط الدبلوماسى الذى ربما ساعد على حصر الصراع فى النطـاق المحلى • وبالمثل اكتشفت روسيا عجـزها عن اعلان التعبئة الجزئية فى الجنوب ضد النمسا ، وتطلبت خطتها الوحيدة التعبئة الكاملة ضد كل من النمسا وألمانيا • وما كان بوسع التعديلات أن تجرى عفوا للخطة دون حدوث عواقب عسكرية وخيمة •

وعلى الرغم من أن الروتينيات العسكرية وحـدها لا تحدث الحرب ، الا أنها ساهمت فى اندلاعها بالاشتراك مع عوامل معينة أخرى ، بعضها كان له دور مؤثر على مستوى المجموعات الصغيرة فى الوحدات التنظيمية الفرعية • فمثلا تعقدت عملية التعبئة التى تتصف بطبعها بالجمود من أثر ميـل التنظيمات والأفراد الذين أنيطت بهم مهمة متابعة سياسة التعبئة (لأنهم هم الذين تكفلوا بها وكانوا مسئولين عنها) لمقاومة احداث أى تغيير فى الخطة • وهذا ميل متوافق مع النموذج السياسى البيروقراطى • وعلى سبيل المثال ، فان مقاومة القائد العسكرى الألمانى مولتكه لمحاولات الامبراطور فيلهلم تغيير خطة شليفن معروفة جيدا •

ثانيا : كان سبب التحريض على التزام الجمود والتشبث بمخططات التعبئة فى ألمانيا ، هو تخطيط خطط الحرب الألمانية دون استشارة السلطات السياسية ، وعـدم مراعاة الاعتبـارات السياسية • وهذا المثـل يصور استعداد التنظيمات الكبرى لتحليل المشكلات ومعرفة دقائقها •

وهكذا رأينا الزعماء السياسيين يجهلون الى حد كبير خطط التعبئة ومغبتها . وبينما عنت التعبئة فى واقع الأمر الاستعداد لحرب مباشرة ، أو فورية ، كان الزعماء السياسيون يميلون لاعتبارها مجرد أدوات دبلوماسية للتهديد قد يكون لها تأثير رادع على الخصوم أشبه بالفرقعة . فلم يخطر ببالهم أنها بمجرد أن تبدأ سيحتاج المنطق العسكرى المضى قدما فى عمليات التعبئة الى أن تبلغ هدفها المنشود يعنى اشعال الحرب !

وفى هذا المقام لابد أن نتأمل الأثر ذا المغزى الذى تركته تعبئة ونشر ٤٢٥٫٠٠٠ جندى من العاملين والاحتياط فى الخليج الفارسى على قدرة الولايات المتحدة على اختيار طريق آخر غير الحرب فى يناير ١٩٩١ . واعتقد على نطاق واسع ان هذا أمر مستحيل ، لأسباب سياسية واقتصادية وثقافية ولوجستيقية - فمن الصعب الحفاظ على مثل هذه القوة العسكرية فى الجبهة لأية فترة ممتدة من الزمان ، بينما يسمح للعقوبات الاقتصادية أن ترغم العسكرية العراقية على الخروج من الكويت. نعم لقد خلقت التعبئة موقفا « يحتم الاختيار بين استعمال هذه القوات ، أو الانسحاب » ، وهو أمر بدا شديد الصعوبة فى نظر الخصوم المدنيين لاستعمال القوة فى التحدى .

ثالثا : لقد وضعت حيازة العسكريين لمخططات التعبئة هؤلاء العسكريين فى موقف مساومة داخلية قوى فى مقابل المعارضين للتعبئة ، الذين لا يملكون خططا بديلة يتقدمون بها . فتحت امرة العسكريين العديد من مزايا المساومة كالحشود العسكرية وما تحت أيديهم من مؤسسات خاضعة للأمن القومى ، وبذلك تركوا انطباعا بأنهم أصحاب حق شرعى فى الحوار بحكم هيمنتهم على مصادر وثيقة الصلة بالمشكلة لا حد لها . فربما توافرت لهم القدرة على تعبئة الرأى العام لمناصرة الحلول المفضلة لديهم . أما الرسميون المدنيون فيعتمدون عادة على مصادرهم الخاصة للمعلومات (٢٥) .

وأخيرا ، فلعل الاهتمامات التنظيمية هى المسئولة عن خلق العقائد العسكرية الهجومية التى ارتكبت اليها مخططات التعبئة فى ألمانيا وغيرها من الدول . ويحاجى اليفى بالقول بأن العقائد الهجومية يحتمل ألا تكون قد استندت الى حسابات استراتيجية عقلانية ، لأن تكنولوجيا الحرب آنئذ كانت تؤثر الدفاع على الهجوم . والأرجح هو أن المصالح التنظيمية للعسكريين قد أملت العقيدة الهجومية ، لأن الاستراتيجيات الهجومية تساعد على تضخيم حجم العسكرية ومواردها (بحكم احتياج القوات الهجومية لعدد كبير من الرجال والأسلحة يفوق ما يحتاجه الدفاع) وترفع العقائد الهجومية من الروح المعنوية العسكرية ومن مكانة العسكريين

« فمنذا الذي يريد الوقوف خلف التحضينات عندما يحتمل أن تكون أنت في موقع المسئولية ؟ » وتحتاج العقائد الهجومية الى جيش مرابط ضخم أكثر من حاجتها الى نظام للاحتياط ·

ويعتقد ليفي في وجود طريقتين لربط الروتينيات التنظيمية بالحرب · فقد تعزى الحرب الى التنفيذ الجامد لمخططات التعبئة ـ بالنظر الى افتقار هذه المخططات للمرونة والعوامل البيروقراطية · التي تساعد العسكريين على مقاومة حدوث أي تغييرات في هذه المخططات · وفي مقابل ذلك (أو في الوقت ذاته) ، فان الحروب قد تنشب لأن التنظيمات المرتبطة بالمصالح قد تفرض وضع عقائد عسكرية هجومية تزيد بدورها من الحفز على اتخاذ المبادرة لجميع المعنيين ·

النموذج البيروقراطي السياسي (*) :

يعتقد الأستاذ أليسون أن النموذج الذي يفسر أفضل تمثيل كيف تصنع الحكومات القرارات هو نموذجه الثالث (النموذج البيروقراطي السياسي) ·

ويبدأ أليسون بالزعم بأن الحكومات ليست وحدات تنفرد بالاعتماد في حساباتها على العقل · وعوضا عن ذلك فانها مؤلفة من تنظيمات وشخصيات فردية فعالة تعتنق آراء شتى عن خيارات السياسة الحكومية ومن ينافس من ؟ في التأثير على القرارات (٢٦) · وتكتنف عملية صنع القرار في الساحة الحكومية (في الجبهة التنفيذية في الولايات المتحدة التي ركز أليسون الكلام عليها عن صراعات ملحوظة بين « اللاعبين » المتفاوتين في القدرة ممن يشغلون مناصب مختلفة المسئولية ، ويتبعون أنظمة قانونية شتى ، ويرون جوانب متنوعة لكل مشكلة ويحصلون على مقابل مختلف جزاء ما يفعلون · والأهم هو ما لدى العاملين في الحكومة من مصالح وأهداف مختلفة · ولما كانوا ينتمون الى مؤسسات متباينة ولديهم مصالح شخصية غير متماثلة ، فان نظراتهم الى المصالح القومي تتباين تباينا متناظرا أيضا ، ومن هنا جاء ما بينهم من اختلاف في تفضيل حلول المسائل السياسية ·

ويزعم أليسون أنه ليس لأي فرد أو تنظيم الغلبة في السلطة · فالرئيس بالرغم من اضطلاعه بدور ما ، فانه لا يزيد عن كونه أحد المشاركين بين كثيرين · وعلى الرغم من أن تأثيره قد يتسم بقوته الا أنه بعيد كل البعد عن الاتصاف بالقدرة على فعل كل شيء ـ فليست مفضلاته هي التي تلقى دوما الاستحسان ، وحتى لو مارس سلطاته ، الا أن قراراته

(*) B.P.M. Bureaucratic Politics Model.

ليست ملزمة على الدوام . فمن الممكن عكسها وتجاهلها أو اضعافها من قبل المسئولين عن تطبيقها بدافع الحقد . وتتضمن البيروقراطية السياسية القول بأن الرئيس يخضع للأسر على نحو ما (والأمر بالمثل بالنسبة لأصحاب الدور المركزى فى صنع القرار فى البلدان الأخرى) . ويرجع ذلك الى شدة اعتماده على البيروقراطية . من أجل المعلومات ، والتعرف على المشكلات وتحديدها، والتعرف على البدائل وتحليلها والدفاع عن الحلول وتطبيقات السياسة .

ومن بين الأحكام المهمة للبيروقراطية السياسية حكم مكبسل فى العبارة المشهورة :.« يعتمد تحديد أين موقعك على المحل الذى تجلس فيه » ، يعنى أن موقف أى مشارك بالذات عند مواجهة أية مشكلة مرهون بالتنظيم الذى يمثله . وهذه ليست فكرة مستحدثة ، ولكنها فكرة مستعارة من **نظرية الدور** (*) ، وهى من السلع الأساسية فى أقسام علم الاجتماع منذ سنوات طويلة . ويزعم أليسون أن كل تنظيم كوزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالات المخابرات .. وهلم جرا لها مصالحها الحسنة التحديد . فمثلا ، لكل تنظيم أهداف مؤسسية محددة تهمه كزيادة البعثات والحصول على زيادة فى الاستقلال من التدخل الخارجى والمزيد من النفوذ داخل الحكومة والمزيد من القدرات والموارد والأفراد والاعتمادات المالية (بطبيعة الحال) . ويزعم أيضا أن من يمثلون هذه التنظيمات يرون معظم المشكلات من خلال منظورهم المؤسسى الممثل لتنظيمهم . وتشكل مصالح التنظيمات الضيقة (الأبرشية) أهداف المشاركين وأولوياتهم ، ومصالحهم ومدركاتهم . فهم يتمعنون فى الاقتراحات السياسية لكى يقرروا مدى تأثيرها على مصالح تنظيماتهم ، ويجنحون الى الظن بوجود هوية بين المصالح القومية والمصالح المؤسسية (٢٧) .

وأسباب هذه النزعة الأبرشية (الكهنوتية) اجتماعية فى المقام الأول . اذ يشارك زعماء التنظيم فى مجموعة من القيم والمزاعم ، لأن الأفراد ينتقون المنظمات التى تتوافق قيمها هى وقيمهم (كما أنهم ينتخبون لنفس السبب) . وبالاضافة الى ذلك ، فان عملية الاصطباغ بالصبغة الاجتماعية المؤسسية والتى تتحقق بمجرد التحاق الفرد بالمؤسسة ، تساعد على حقن الفرد بالمنظور الرسمى لمؤسسته . ويتحقق مقدار ما من التوافق فى التوجهات بالعمل فى التنظيمات الكبرى .

ويجر أى دور أو منصب يشغله أحد صناع سياسة الحكومة فى ذيله توقعات معينة عن كيفية أدائه لدوره ، كما يتعرض للتعويق من جراء

(*) Role theory.

الالتزامات والواجبات المفروضة عليه ـ وتعد التوقعات المرتبطة بالمنصب ضغوطا تشجع الفرد على تعـديل توجهاته ومسلكه ، حتى يتوافق هو والاحتياجات الملموسة للمنصب، والمفروض أن من يشغلون وظيفة بعينها يكون عملهم متماثلا ، ومن ثم فان علينـا نتوقع أن تظل أعمال الحكومة وسياستها ثابتة بغض النظر عن تغير الأفراد • ويزعم أن دور اللاعب الجـديد فى حل المشـكلات الأساسية سينزع الى التمـاثل هو ودور من سبقوه (٢٨) •

وأشهر حـكاية تروى عن أثر « الأدوار » فى السلوك هى حكاية الملك هنرى الثانى وتوماس بيكيت • اذ كان بيكيت بوصـفه مستشارا أكثر أعوان الملك هنرى ولاء وعدوانيا ، وتصور الملك أنه لو قلد بيكيت منصب رئيس أساقفة كانتربرى فسيحصل على حليف يساعده فى تقليم أظافر الكنيسة • أى حليفا يفرض امتيازات الملك على عالم الدين • ولكن ما أن تولى بيكيت منصب رئيس الأساقفة حتى أصبح مدافعـا شرسا عن سلطات رجال الدين ، وغدا عدوا للملك ! فلقد غيرت الوظيفة الانسان • والظاهر أن ظاهرة مماثلة حدثت فى العهد القريب للسياسة الأمريكية ، فعندما كان جورج شولتز يشغل ثانى وظائف وزارة الادارة والخزانة (*) ، كان كاسبار واينبرجر يدعى « السكين كاب » ، لأنه كان على استعداد (لخنصرة) البرامج الفيدرالية حتى تبقى الولايات المتحدة ملتزمة فى ميزانيتها بالقيود المرعية • ويقال انه عندما عين وزيرا للدفاع فى ادارة الرئيس ريجان ، توافر فى نهاية المطاف للبنتاجون (وزارة الدفاع) رئيس قـادر على كبح جماح اسـتنزاف الاعتمادات ، ولكن واينبرجر تحول الى مؤيد شديد المراس لسياسة الانفاق على الشئون العسكرية ، ولعب دورا ليس بالهين فى مسـاعدة الولايات المتحدة على تجميع أو تحقيق أضخم عجز مالى فى التاريخ !

ومن جهـة أخـرى ، يجب الاعتراف بأن فى مقـدور الأفراد التسامى أو تجاوز أدوارهم • فقد يكون بوسع بعض العاملين اعادة خلق أدوارهم وبذلك يقلبون الحكم المتضمن فى « نظرية الدور » (والقائل ان الدور أو الوظيفة هى التى تصنع الفرد) رأسا على عقب ، اذ باستطاعة اللاعب القوى اعادة تحديد مصالح التنظيم الذى يقوده ، ومن ثم يصح القول بأن المتغيرات فى السياسة وليدة التحولات فى الدور (٢٩) •

(*) O. M. B.

السياسة والصراع والبيروقراطية :

لما كان للأفراد والتنظيمات أهداف ومصالح شتى ، ولما كانوا يختلفون حول أفضل السبل لتطبيقها ، لذا يكتنف صنع السياسة الصراع والتنافس ، فثمة صراع يحتدم بين صفوة رجال السياسة لفرض نفوذهم على صناعة السياسة وتساعد مناسبة اصدار القرار على تعبئة شتى القوى السياسية (داخل وخارج الحكومة للانضمام الى الصراع السياسى) وهذه الظاهرة هى النموذج السائد فى صناعة السياسة القائمة على تعددية المسئولين اذ يفترض اشتراك العديد من العاملين بالسياسة والتنظيمات فى صنع القرار (٣٠) .

وتتصل الخيارات السياسية بمصالح المؤسسات . وليس من المحتمل أن تطرح الخيارات أو تلقى التأييد الا اذا عكست بعض المفضلات المؤسسية (٣١) .

ولكن لما كانت السياسات الخارجية تتطلب عادة التأييد (أو الحياد على أقل تقدير) من عدة منظمات شتى ، ولما كان من غير المحتمل أن يكون بمقدور فرد أوحد بمفرده أن يقرر نيابة عن الجميع ، لذا يتحتم على اللاعبين التشاور بعضهم مع بعض ، أو المخاطرة بالتعرض للاخفاق (٤٢) . ولا تتركز المشكلة على المفاضلة بين المواقف ، ولكنها تنصب حول كيفية التوفيق بين جميع الآراء المتنازعة حول ماهية أفضل سياسة .

اذ تعد القرارات حصيلة مساومات وحلول وسط وشد وجذب وعمليات دحرجة وانشاء أحلاف ومنافسات وصراع بين أفراد يشغلون مختلف المناصب فى التنظيم الهرمى . ولا يتساوى الجميع فى المرتبة . وبعبارة أخرى ، تتحدد القرارات اعتمادا على عملية سياسية أكثر من اعتمادها على المبررات أو المعقولات التى يستعان بها لتأييد طريقة العمل . كما أنها تتحدد اعتمادا على القوة النسبية ومهارة الأنصار والخصوم (٣٤) .

والمفروض أن تتمخض السياسة البيروقراطية عن حلول وسط (٣٥) ، وقد يكون بالمقدور أن تستند هذه الحلول الوسط على اختيار يقام لاحتواء بعض الجوانب المفضلة عند كل طرف من المتصارعين الرئيسيين ، أو على حل من حلول المقايضة التى تفتت الاختلافات أو قد تمثل أدنى قاسم مشترك ، أو أقل الحلول غير المحتملة لجميع الأطراف ، ولا يستبعد ألا يعجب الحل المختار أحدا من اللاعبين ، أو أن يكون عظيم التأثير فى تحقيق أهدافهم المفضلة . وتدعى هذه الظاهرة مفارقة آرو (*) تيمنا باسم

(*) Arrow's Paradox.

مكتشفها كنيث آرو ، وهو عالم اقتصاد حائز على جائزة نوبل أيضا(٣٦) . والحلول الوسط السياسية بحكم طبيعتها يقال كثيرا انها نصف متفائلة في تحقيق أغراضها (٣٧) .

وبصرف النظر عن الحل الوسط ، فهناك امكانية أخرى ، فربما كان أي ائتلاف قادرا على فرض ارادته على الأقلية (٣٨) . فبمقدور المغريات (التي قد تتخذ شكل الحلول الوسط) أن تحظى بتأييد الائتلاف ، ولكن أيا كانت عملية تكوين الائتلاف فانها ستسفر عن انتصار طرف واحد بدلا من حدوث حل وسط . والواقع أن تحليل سيندر وديزنج للأزمات الدولية قد كشف أن القرارات غالبا ما تتم عن طريق انشاء الائتلافات الظافرة أكثر من الحصول عليها عن طريق الحلول الوسط ، واتضح أن صنع القرار أقل اعتمادا على الكثرة أكثر مما تنبأت به نظرية السياسة البيروقراطيـة . واستطاعت الائتلافات الداخليـة أن تستبعد من عملية القرار بعض وجهات النظر المؤيدة لوجود مشاركين أو لعدم وجودهم . وبذلك حدت من عدد الخيارات موضع النظر (٣٩) .

وثمة حكم أخير للسياسات البيروقراطية يرى وجود تفويت ملحوظ بين القرارات وتطبيقها ، اذ تعتمد طريقة تنفيذ القرار على اجراءات فعالة متعارف عليها وعلى المصالح السياسية والتنظيمية للمسئولين عن تطبيق السياسة . فقد يعمد هؤلاء المسئولون عن التطبيق الى تنفيذ السياسة على أنحاء لم تخطر ببال صانعي السياسة . وقد يعمدون الى تفضيل اجراء تعـديلات طفيفـة في السـياسة ، بل والى تحريف السـياسة من جراء ما يقحمونه عليها من تعديلات، أو قد يكتفون بالاعتذار عن تنفيذ ما يطلب منهم على الاطلاق .

وقد يحاول اللاعبون المنـاهضون للسياسة التي فرضها الائتـلاف الظافر الى تخريب طريقة تطبيقها ، وأحيانا يكون لهذا الاجراء أثر مباشر على مواقف الحرب والسلام . فمثلا ، لقد تجاهل أحد سفراء فرنسا لروسيا تعليمات حكومته للضغط على حكومة القيصر ضد اتخاذ اجراءات خطيرة ابان أزمة يوليو ١٩١٤ ، وبدلا من ذلك ، لجأ الى الحث على تعبئة القوات الروسية ، وتعهد بتقديم الفرنسيين للمساندة دون قيد أو شرط (٤٠) . وكما أثبتت الأيـام لقد كانت التعبئة الروسـية عاملا رئيسـيا أدى الى التعبئة الألمانية ، ثم الى نشوب الحرب العالمية الأولى . ولا يقدم على مثل هذا التمرد اللاعبون من أصحاب المناصب العليا ، بصفتهم الفردية ، ولكنه قد يحـدث في مسـتوى الموظفين من شاغلي الوظائف الوسطى ، كما رأينا عنـدما أصـدر الرئيس روزفلت ١٩٤٠ تعليمات بالترخيص بتصـدير جازولين من الدرجة الدنيا وزيت خام الى اليابان ، ولكن المتصلبين في

الادارة الأمريكية الذين كانوا مسئولين عن التنفيذ حولوا هذه التعليمات الى أمر بالحظر الكامل ، مما زاد من المحنة الاقتصادية لليابان ودفعها الى اليأس ، وبذلك زادت عداوتها للولايات المتحدة (٤١) • وفى ذروة أزمة الصواريخ الكوبية ١٩٦٢ ، عندما بلغ التوتر أوجه ، أصدر القائد السوفيتى المحلى فى الجزيرة تعليمات أدت الى اسقاط الطائرة الأمريكية المتجسسة ، وبذلك انتهك التعليمات المستديمة الصادرة من موسكو بعدم التعرض باطلاق النيران على طائرات الولايات المتحدة (٤٢) • ومن حسن الحظ أن هذا المثل الأخير للتمرد لم يفجر أية عداوات قد تشعل الحرب العالمية الثـالثة •

نتائج تطبيق السياسة البيروقراطية :

لو صح القول بأن « السياسة البيروقراطية » انعكاس دقيق لكيفية صنع الحكومات للقرارات ، آنئذ ستترتب عدة نتائج مهمة :

١ ــ بالمقدور توقع طغيان المصالح الداخلية على المصالح القومية والدولية ، لأن الزعماء يرتفعون ويسقطون تبعا لمدى استجابتهم للحاجات الداخلية • كما أن التنظيمات تنتحس أو تصاب بالانتكاس بمقدار حظها من التأييد الداخلى • وفضلا عن ذلك ، فان بعض المؤسسات (كما هو الحال بالنسبة لموظفى البيت الأبيض فى الولايات المتحدة) تتناغم الى حد كبير هى والجو السياسى الداخلى ، وترى أن مهمتها هى حماية سلطة من يتربعون على عرش القمة من أية تقلبات سياسية فى السياسة •

٢ ــ تتعرض السياســات للتشطير • فنــادرا ما توجد سياسة خارجيـــة متكاملة مفردة ، فالأرجح هو أن تكون هناك عدة « سياسات مصغرة » (*) تتبعها شتى التنظيمات ، أو تتكيف من جراء الجمع بينها عن طريق تآلفات مختلفة تتغير بتغير الزمان • ولربما تعرضت السياسات للابتعــاد عن التنسيق واصابة ما فيهــا من صلات بالتراخى ، بل وربما اتسمت هذه الصلات بتفكك الأوصال والتناقض ، واتباع قوى فاعلة شتى تهدف الى أهداف متنوعة • فمثلا ، بينما كان مجلس الأمن والبيت الأبيض يتفاوضــان مع القوى المعتدلة فى ايران لاطــلاق سراح رهائن الولايات المتحدة فى لبنان ، كانت وزارة الخارجية توالى الضغط على حلفاء الولايات المتحدة للاحجام عن التفاوض مع خاطفى الرهائن ، وفى ١٩٦٠ ، كانت وزارة الخارجية وادارة المخـابرات تقدمان معونة للجيشين المتعادين فى لاوس (٤٣) •

(*) Mini policies.

٣ ـ يتعين وجود ميل نحو الالتقاء فى منتصف الطريق ، واتباع سياسة المزايدة • فلابد من اشراك الحلفاء السياسيين فى الرأى ، ومن تهدئة الخصوم المؤقتين ، ويتطلب ذلك الاعتدال والعمل بسياسة الحل الوسط • وتتجنب خيارات المزايدة مهاجمة العناصر الرئيسية للداخبين • وبالاضافة الى ذلك ، فاذا صح القول بأن سياسة الحكومة تتأثر تأثرا ذا بال بالاجراءات المتعارف عليها ، كما يفهم ضمنا من « السياسة البيروقراطية » ، فى هذه الحالة فان مسلك الحكومة فى الوقت « و » سيختلف اختلافا خاضعا للمزايدة فحسب من « و + ١ » اذ تتعرض النخبة البيروقراطية للقمع من أثر القصور الذاتى للتنظيم • وعندما تكون السياسة مستقرة ، فانها تنزع الى الاستمرار فى حالة الاستقرار • فالسياسات الحاسمة والمحددة لا تلقى تشجيعا ، وتفضلها السياسات القائمة على المزايدة بناء على ايثار المسئولين الرسميين مبدأ المضى قدما • اذ لا يؤدى التنافس بالضرورة على السلطة السياسية والتسلط على السلطة الى الاقدام على المخاطرة (٤٤) •

٤ ـ سيتصف القليل من القرارات بالحسم أو بتمثيله للكلمة الأخيرة (٤٥) • وتعزى القرارات الحكومية الى وجود حلول وسط غير مستقرة ومتناقصة داخليا • وسيحاول من تعرضوا للهزيمة فى الجولات الأولى للمنازعات السياسية كسب التأييد من اللاعبين الآخرين ، كمحاولة لعكس السياسة فى الجولات التالية • وقد يستبعد ما بدا حلا معقولا لأى نزاع بعد أن تقرر بمعرفة أحد التآلفات السياسية أو يتعرض للقلب رأسا على عقب بوساطة الائتلاف الحاكم التالى ، ولا سيما اذا ساعد الاستمرار فى النزاع على خدمة المصالح الحيوية لاحدى المجموعات • وقد يساعد هذا الرأى على تفسير لماذا تطول المنازعات والعداوات فى العلاقات الدولية (٤٦) •

٥ ـ يحتمل أن تكون القرارات لا معقولة وبعيدة عن النموذج الأمثل لها • فلا ننسى أن صناع السياسة لا يبحثون عن أفضل حلول المشكلة ، ولكنهم يبحثون عن الحل الذى يرضى العاملين بالسياسة ولهم ارتباط بالمشكلة ، ويتمتعون بالأهمية والنفوذ • وتمثل القرارات السياسية بدلا من ذلك أقل قاسم مشترك •

قبل أن نوالى بحثنا ، علينا أن نرد على أسئلة عديدة تستأهل الاجابة عليها فيما يتعلق بنموذج السياسة البيروقراطية :

أولا : هل هى انعكاس دقيق للطريقة التى تصنع بها القرارات فى حكومة الولايات المتحدة ؟

ثانيا : هل تحقق نفعا باعتبارها نموذجا عامة لصنع القرار ؟ ، يعنى هل بالاستطاعة تطبيقها فى بلدان أخرى غير الولايت المتحدة ؟

ثالثا : هل تساعدنا على فهم لماذا تصنع الحكومات قرارا للحرب ؟

رابعا : هل تعد نظرية السياسة البيروقراطية نظرية حسنة ؟

هل تصور السياسة البيروقراطية تصويرا دقيقا طريقة صنع القرار فى الولايات المتحدة ؟

هناك بالضرورة ثلاث مشـــكلات تتعلق بصحة ما جاء فى نموذج السياسة البيروقراطية • هل المصالح التنظيمية هى أهم العوامل المؤثرة فى المواقف التى اتخذتها النخبة السياسية ؟ هل تصـــور السـيـاسة البيروقراطية تصويرا دقيقا دور الرئيس فى عملية صنع القرار ؟ ما هى الظروف التى علينا أن نتوقع وجودها عند صـــنع القرار تبعا لنموذج السياسة البيروقراطية ؟

هــل تحظى مصــالح التنظيمات بالغلبة ؟ لم تستطع بحـوث علماء السياسة تقديم ما هو أكثر من التأييد المختلط للحكم بأن موقعك يعتمد على ما تشغل من مكانة • ويأتى التأييد من الدراسة التى طالما استشهد بها روبرت أرنولد بأن المشاركين فى هذه المجموعات بمقدورهم أن يتنبأوا عن ثقة بموقف أعضاء المجموعة الآخرين فى أية مشكلة على أساس الانتساب للقوة الفعالة ، واستقلال شخصية الفرد المعنى بالذات (٤٧) • فليس للأفراد أهمية ، وما يهم هو المجموعة التى ينتسب اليها الفرد • وتتوافق أيضا دراسة أندرو سيمل لوزارة الخارجية بالولايات المتحدة واتجاهاتها نحو الدبلوماسية المتعددة الأقطاب هى وما رآه أليسون • على أن دراسة سيمل قد أشارت الى أن موقف اللاعبين يعتمد بدرجة أقل على انتسابهم للوحدات البيروقراطية الكبرى التى ينتمون اليها أكثر من اعتمـاده على الموقف المباشر فى نطاق الوحدة الفرعية • فالتنظيمات الكبرى مثل وزارة الخارجية من الأفضل النظر اليها كثقافات فرعية متعددة متبادلة التأثير ، أكثر من النظر اليها كثقافة واحدة متماسكة (٤٨) •

ومن جهة أخرى ، فان تحليل أليسون لأزمة الصواريخ الكوبية قد بين عدم وجود ارتباط كبير بين منظورات المؤسسات والسياسة التى يتخذها كبار اللاعبين • فمثلا لم ير وزير الدفاع مبدئيا أى تهديد كبير لأمن الولايات المتحدة من نصب الصواريخ فى كوبا ، واعترض على أى خيار عسكرى كامل • ولم يكن للاعبين الآخرين العديدين أى دور بيروقراطى يدافعون عنه ، اذ كانوا من « العقلاء » الذين يضعون أعصابهم فى ثلاجة •

وكان بعض الأعضاء ممن لا يحظون بالرضاء السامي مثل روبرت كيندي وتد سورنسن أكثر ولاء للرئيس من أي شخص من المنتمين الى «اقطاعية» البيروقراطية (٤٩) ٠

وبينت دراسة اندرسن لثلاثة قرارات في السياسة الخارجية من ثلاث ادارات ، أن العاملين الرئيسيين في السياسة الخارجية كانوا أقرب الى المجاهرة بتفضيلهم الاتجاه لبدائل خارج نطاق مؤسساتهم ، مثلما حدث عندما أشار أحد العاملين بالقوات المسلحة الى أنه يفضل حل المشكلة عن الطريق الدبلوماسى ، وبلغت نسبة من أشاروا باتباع بدائل متصـــلة بمؤسســـاتهم ٢ر٥٦٪ (٥٠) ٠ وبالمثـــل بين تحليل جراهام شيبارد لقمة اللاعبين فى مكتب الأمن القومى للولايات المتحدة من ١٩٦٩ الى ١٩٨٤ الى أنه فيما يتعلق على أقل تقدير بوزيرى الخارجية والدفاع ، من الصعب تقرير تأثير وظيفتيهما على المواقف التى يتخذونها ٠ فى المشكلات المتعلقة باستعمال القوة (٥١) ٠

ومن المزاعم السائدة (التي اختبرها شيبارد) أن اللاعبين الذين يمثلون التنظيمات العسكرية هم الأقرب الي الدفاع عن استعمال القوة من غيرهم من العاملين ٠ وثمة زعم آخر وهو أن العسكريين يتخذون موقفـا موحدا فى مسألة استعمال القوة ٠ وليس بين هذين الزعمين ما يتصف بصحته وتوافقه ٠ ونجح الجنرال ريدجواى رئيس هيئة الأركان في تزعم الائتلاف السياسى المعارض للعمل العسكرى المباشر للولايات المتحدة ، لانقاذ محاولة الحرب الفرنسية فى فيتنام أثناء معركة ديان بيان فو ١٩٥٤ ، بينما انضم كبار الرسميين المدنيين مثل الرئيس نيكسون ووزير الخارجية جون فوستر دالاس الى الأدميرال رادفورد رئيس الأركان البحرية في تأييد الاقتراح (٥٢) ، ودافع وزير الدفاع ماكنمارا أثناء مناقشة مسألة فيتنام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ عن الحلول الدبلوماسية ، بينما أيد وزير الخارجية راسك موقف العسكريين المؤيدين للتصعيد(٥٣)٠وبالمثل ، فاننا نعرف أن الزعامة العسكرية السوفيتية (بما في ذلك المارشال نيقولاى أوجاركوف) قد عارضت التدخل فى أفغانستان ، ولكنها كانت بالضرورة خاضعة لسيطرة تآلف الزعماء المدنيين الأقوياء يتزعمهم الجنرال برجنيف ووزير الدفاع أوستينوف (٥٤) ٠

ويستخلص تحليل ريتشـــارد بيتس لتأثير الخبراء العســـكريين الأمريكان على قرارات الالتجاء للقوة فى أزمات الحرب الباردة بأن الخبراء العسكريين لم يظهروا أية نوايا عدوانية الى حد ما تفوق ما عند أقرانهم المدنيين فى قرارات التدخل ٠ والواقع ، لقد تماثلت نصيحة رؤساء الأركان المشتركين هى ونصيحة الخبراء المدنيين فى أكثر من نصف الوقت وبفضلا

عن ذلك ، كثيرا ما نشبت خلافات فى الرأى بين الخبراء العسكريين . اذ اعتادت القوات المسلحة الانقسام فى الرأى حول التوصية باشراك القوات المسلحة فى القتال (اذ كان رؤساء الجيش أميل للحذر ، وكشف رؤساء البحرية عن روح عدوانية أكبر) . واكتشف بيتس أن المجلس المشترك كان الأعظم تأثيرا عندما كان يعارض التدخل ، وأن هذا التأثير كان يتضاءل عندما كان يؤيد هذا التدخل . فلم يكن الرؤساء والخبراء المدنيون يقتنعون باستعمال القوة لتأثرهم بالعسكريين ، وان كان بالمقدور اقناعهم ضد التدخل اذا اعتقد العسكريون أن استعمال القوة سيكون بعيدا عن الحكمة (٥٥) .

وانتهى محللون آخرون لنفس النتائج . فقد اكتشف سيندر وديزينج فى دراستهم لصنع القرار فى ست عشرة أزمة دولية فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، أن ممثلى العسكرية يؤيدون تسوية الخلافات فى كثير من الأحيان ، أو فى أكثر الحالات ، أكثر من تأييدهم للمواقف المتصلبة . بيد أن تفضيلهم كان يستند عادة الى التقديرات التى أعدها العسكريون أكثر من ارتكانها الى الانحياز الشخصى . واتضح تأثير المناصب التى يشغلها هؤلاء الخبراء ـ وان كانت بوجه عام أقل أهمية ـ أكثر من تأثير القيم الشخصية فى حالات كثيرة عند العسكريين ، الذين كانوا يستخلصون القول ، بين أقرانهم ، بأن الاتجاهات التى اتخذها صناع السياسة قد اعتمدت أساسا على القيم الشخصية والأوضاع الذهنية المعرفية ، أكثر من اعتمادها على الوظيفة أو المواقف البيروقراطية (٥٦) .

وكثيرا ما يبين من هذه الكشوف أن أحد الأحكام الأكثر تميزا لنموذج السياسة البيروقراطية يحتاج الى دعامة مؤيدة . فلا تأثير للمنصب الذى يشغله الشخص دوما على الموقف الذى يتبناه بين البدائل السياسية . ويعترف حتى مؤيدو نموذج السياسة البيروقراطية مثل هورتون هالبرين وأرنولد كانتور أن بعض العاملين أقل استعدادا لتمثيل المنظورات المؤسسية المتزمتة الضيقة الأفق من استعدادهم لتأييد المنظورات الأخرى ، ويفرقون بين « المشاركين فى التنظيمات » ، الذين يمكن التنبؤ بموقفهم بدرجة موثوق منها الى أبعد حد من درجة انتسابهم للتنظيمات وبين الممارس الذى لا تعتبر عضويته للمؤسسة مؤشرا حسنا لموقفه من السياسة . ويفترضون أنه كلما ارتقى المنصب الرسمى ، قل احتمال التأثر بالمصالح المؤسسية المتزمتة (٥٧) .

هل يلعب الرئيس ـ حقا ـ دورا مماثلا ؟

يتركز الكثير من انتقاءات نموذج السياسة البيروقراطية على دور الرئيس (٥٨) . ولعلك تذكر كيف رأى اليسون الرئيس مجرد واحد من

أصحاب الأدوار المحورية فى صنع القرار · على أنه فى الحالات التى يتوافر فيها النظام السياسى صانع قرارات رئيسى كرئيس الولايات المتحدة ورئيس الوزراء البريطانى والسكرتير العام فى السوفيت · فى مثل هذه الحالات لا يستبعد أن تصنع القرارات اعتمادا على عملية شخصية فردية أكثر من اعتمادها على عملية جماعية · وحتى على الرغم من أن كل قمة من هؤلاء الزعماء محاط بمجلس من الخبراء من نوع ما ، الا أن عملية صنع القرار قد تدور حول اتجاه الفرد الشاغل للقمة · وفى مثل هذه الحالات ، لن يكون لعمليات المساومة والائتلاف والدحرجة بين أعضاء المجلس المحيطين بالرئيس أكثر من دور ثانوى نسبيا فى رسم السياسة ·

ويحاجى نقاد نموذج السياسة البيروقراطية بالقول بأنه لما كان أعضاء المجلس يتقاضون أتعابا (وربما استغنى عن خدماتهم) بمعرفة الرئيس ، فانه من الصعب الظن بأنهم سيتمتعون باستقلالهم عنه وكما ذكر بيرلموتر : « هل يصح القول بتمتع أية مجموعة بالقوة اذا كان من المستطاع تسريحها خصوصا اذا أصيب الرئيس بنزوة تدفعه لذلك (٥٩) » · فاذا كان وزير الدفاع ماكنمارا الذى كان يتمتع بالقوة ، قد أرغم على الانسحاب بمجرد شروعه فى الاعتراض على سياسة الرئيس فى فيتنام ، لذا لا يخفى أين يقع ميزان القوة ، فرؤساء المجلس مقيدون بالرئيس فى كل شاردة وواردة بقدر مساو لتقيدهم بوظائفهم · والواقع أن أحد النقاد قد اقترح تعديل الجملة المأثورة لأليسون بحيث تتخذ الصيغة الآتية : « ان موقفك يعتمد على أين يقف الرئيس (٦٠) » · اذ لا يقتصر الأمر على دور الرئيس فى تعيين رؤساء البيروقراطية ، ولكنه يضع أيضا قواعد اللعبة ، ويحدد من هم اللاعبون الذين سيشاركون فى أية سياسة ، أو قرار ، ومن هم الذين يحق لهم الاقتراب منه · وهذا يثبت أن البحث عن الخيارات وتقييمها يتأثر تأثرا عظيما بمفضلات الرئيس (٦١) ·

وحتى فى تحليل اليسون لقرار أزمة الصواريخ فى كوبا ، يلاحظ أن الرئيس قد استأثر بالخيارات (لا تفعل شيئا — وأرسل احتجاجا دبلوماسيا) ولم يحدث ذلك بعد تمعن من المجموعة ، ولكن مرد ذلك هو عدم شعور الرئيس بأى اكتراث بها (٦٢) (لأسباب سياسية داخلية) وحتى فى الحوار الذى دار بين أنصار توجيه ضربة جوية وفرض حصار بحرى فقد أدرك بعض المؤيدين لهذا الرأى أن تقديم الحجج المؤيدة لتوجيه ضربة جوية كان سيذهب أدراج الرياح ، بعد التسليم بمؤازرة اخوان كيندى المعروفة ووزير الدفاع ماكنمارا لفرض الحصار (٦٣) ·

وأخيرا ، يحاجى النقاد ويقولون انه أمر بعيد عن الدقة تصوير الرئيس كاسير للاجماع البيروقراطى · فلم يحدث أن حال أى اجماع بالسلب ضد

الرئيس دون تنفيذه خياره المفضل · ففى أزمة الصواريخ ، عندما اتفق « الخوارج » على اصدار القرار بقذف قاعدة الصواريخ سام بعد اسقاط طائرة التجسس ، اعترض الرئيس على هذه الخطوة ·

ويعترف النقاد أنه فى مناسبات بعينها تكون القرارات البيروقراطية حاسمة فى صوغ السياسة ، عندما لا تعرض بعض الخيارات السياسية بناء على أوامر بيروقراطية · وغالبا ما يخفق الرئيس فى سعيه وراء خيارات أخرى غير تلك التى عرضها عليه جهازه البيروقراطى · غير أن كل هذه الاجتماعات تعتمد على اهتمامات الرئيس · فحينمـــا لا يكون الموضوع موضع عناية الرؤساء ، وعندما يخفقون فى اعلان سيطرتهم ، أو يفوضـون شخصا مسئولا آخر ، فان معنى هذا هو انسحابهم من الادلاء بدلوهم ، وينكمش هذا الدور الى مجرد دور من الأدوار المتساوية · بيد أن هذا لا ينفى تمتع الرئيس بالسلطة أو القدرة على تجاوز أى قرار اذا رغب فى ذلك · فبمقدوره أن يكون لاعبا يتمتع بالقدرة على فعل أى شىء لو شاء · أما قدرة البيروقراطيات على رسم السياسات بمفردها على مسئوليتها الخاصة ، فلا تزيد عن تكليف يتم بعلم الرئاسة · وهذه حقيقة يعترف بها حتى المدافعون عن السياسة البيروقراطية (٦٤) ·

متى يصلح نموذج السياسة البيروقراطية للتطبيق ؟

والسؤال عن هل تعمل الحكومة بالفعل وفقا لما يمليه نموذج السياسة البيروقراطية فى أى وقت يحتمل الأخذ والرد · فهناك اعتراف من المدافعين عن النموذج بأن قرارات الحكومة لا تصنع دائما وفقا لاجراءات نموذج السياسة البيروقراطية · فثمـــة نماذج أخرى من صنع القرار أقدر على الوصف الدقيق لعملية السياسة التى تعتمد على ماهية المشكلات · فمثلا ، كشفت أبحاث ويلفريد كول لقرارات السياسة الخارجية فى عهد ادارة نيكسون أنه فى حالتين فقط من احدى عشرة حالة (هما السياسة النقدية الدولية والأزمة الاقتصـــادية الدوليـــة ١٩٧١) استطاعت السـيـاسة البيروقراطية التزويد بأفضل تفسير واف للسياسة · وفى مشكلات أخرى زود «النموذج الملكي» الذى يركز على دور شخصية صناع القرار وأسلوبهم فى التعامل بأفضل التفسيرات ، ولم تضطلع السياسة البيروقراطية بأى دور على الاطلاق · وفى مشكلات أخرى يحتاج الى عدة نماذج للتزويد بالتفسير المقبول للقرار (٦٥) ·

وبالتأكيد ، يتحتم على أية نظرية للسياسة البيروقراطية أن تحدد الظروف التى بالمقدور توقع نجاح النموذج المســـتعمل بمعرفة صناع

السياسة فى تحقيق الغاية المرجوة منه ، وحتى لا يتعين استعماله . ويحتمل أن يكون للنموذج البيروقراطى دور فعال عندما تتوفر الشروط الآتية :

١ ـ عندما يكون عدد العاملين والتنظيمات المشتركة « بصفة مشروعة » فى المشكلة كبيرا بالقدر الكافى . وحتى يستطاع صنع القرار باتباع النموذج البيروقراطى ، يحتاج الى حد أدنى ثلاثة أشخاص ، لأن وجود شخص أو شخصين لا يعد كافيا (٦٦) . فمن الشروط الأساسية احتياج عمليات السياسة البيروقراطية الى لجنة من صناع القرار من أى نوع ، أو على أقل تقدير يتوجب على صانع القرارات الأساسي استشارة هيئة من الخبراء . وكلما زاد المشتركون فى صنع القرار ازداد احتمال الاستعانة بنموذج السياسة البيروقراطية . وتعد المشكلات التى تتخطى الحدود الفاصلة بين المشكلات الداخلية والسياسة الخارجية الأكثر تقبلا للسياسة البيروقراطية ، وتحتل المشكلات الاقتصادية الدولية مركز الصدارة بين هذه المشكلات (٦٧) .

٢ ـ عندما تكون المجموعة التى تقرر المشكلة متعددة الأجناس ، وتفتقر من الناحية الاجتماعية والثقافية الى التماسك فى مؤسساتها (وأسباب سنبحثها فيما بعد) . وكلما قل التماسك داخل المجموعة ازداد ما نتوقعه من صراع .

٣ ـ توافر مساواة نسبية فى القوة بين أفراد المجموعة ، لأن السياسة البيروقراطية لا تتطلب المساواة الكاملة بين المشاركين ، ولكنها ستتعرض للاعاقة اذا تمتع أحد الأعضاء بنفوذ أكبر من الآخرين فى القرارات . واتباع السياسة البيروقراطية أمر متوقع فى حالة غياب الرأس المدبرة من العملية ، أو يكون من المشاركين فى مجموعة تعتمد فى زعامتها على الزمالة الحقة . وفى حالة وجود زعيم قوى ، فانه سيكون فى موقف يساعده على دفع القرار تجاه قراره المفضل (٦٨) . وبوجه خاص ، اذا كان رأس صانعى القرار مشتركا بصفة فعالة فى المشكلة ، فان النتيجة ستجنح الى الظهور بمظهر القرار الشخصى ، أكثر من اتخاذها مظهر القرار الجماعى ، ومن ثم ستضطلع بالدور الرئيسى شخصية الزعيم والمدركات والصور وأساليب التعامل والمنظور العام الممثل له .

٤ ـ أن يكون الولاء الأولى لصناع القرار لمؤسساتهم أكثر من حرصهم على وحدة القرار (٦٩) . ويساعد ذلك على تأكيد توفير المنافسة المؤسسية بدلا من الاجماع .

٥ ـ يجب أن يتوافر الوقت الكافى لأعضاء مختلف المؤسسات لتنظيم محاولاتهم للتأثير على عملية القرار . فكلما طال الوقت المتاح

للقرار ازدادت امكانية قدرة العاملين والتنظيمات المعنية على التسلل فى عملية صنع السياسة وتعبئة التأييد لموقفها · اذ لا تفضى القرارات المتخذة فى وقت قصير الى اتباع السياسة البيروقراطية ، ومن ثم فان الأزمات الحقة لا يحتمل أن تحسم عن طريق نموذج السياسة البيروقراطية ·

٦ ـ كلما ازدادت العملية انفتاحا ازدادت أرجحية اتباع السياسة البيروقراطية ، فمن الواضح أن عملية القرار المغلقة لا تحول دون اشتراك العاملين المعنيين والتنظيمات المعنية لا يحتمل أن تتوافق هى والاجراءات السياسية البيروقراطية · فعلى الرغم من أن السياسة البيروقراطية تتطلب قدرا من الانفتاح فى المشاركات والمؤسسات الديموقراطية ، الا أنها تتطلب قدرا من الانفتاح للمدخلات الآتية من شتى العاملين فى المؤسسة ·

فهل تستبعد هذه الشروط مشكلات السلام والحرب من البحث القائم على نموذج السياسة البيروقراطية ؟ لا يحتمل ذلك · فليست جميع قرارات الحرب والسلام تصنع من خلال احدى الأزمات التى تحد من مقدار الزمان المتاح · فلا يصح أن توصف من أية ناحية القرارات السوفيتية المتعلقة بتشيكوسلوفاكيا وأفغانستان والقرارات الأمريكية باستخدام القوة ضد العراق ، بالرغم من كونها أثبتت فاعليتها وهى مقيدة بالزمان ، بالقرارات السريعة (أو المتسرعة) · والأمر بالمثل فيما يخص قرارات الولايات المتحدة الخاصة بفيتنام · فلا ننسى أن مشكلات الحرب والسلام تتصف بأهميتها البالغة بحيث يضطر العاملون والمؤسسات التى تلعب عادة أدوارا محددة فى مشكلات السياسة الخارجية ، الى الاشتراك فيها بدور فعال · ولا ننسى أيضا أن صانع القرار عندما يشترك بأعظم قواه فى مثل هذه المشكلة ، لا يحتمل أن يرغب فى الانفراد وحده بالمسئولية فى هذه المسألة · ففى المشكلات ذات العواقب الخطيرة ، يرغب من يتزعم صناع القرار الحصول على قدر من المساندة التى تنفعه عندما يتعثر ، ويتطلب ذلك مؤازرة دائرة واسعة من صفوة الساسة ·

هل يعد نموذج السياسة البيروقراطية صالحا للتطبيق فى حكومات أخرى غير الولايات المتحدة ؟

لما كانت السياسة البيروقراطية قد ارتقت الى حد كبير بفضل الدراسات التى أجريت على السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، واقتصر تطبيقها على دراسة أمثلة من قرارات حكومة الولايات المتحدة ، فان علينا أن نتساءل عن امكان صلاحيتها للتطبيق على غيرها من الدول · ويرى سيندر وديزنج فى هذا المقام أن السياسة البيروقراطية مرتبطة بدرجة أقل بالولايات المتحدة ، لأن رئيسها يملك زمام القدرة على اصدار القرار الأخير

فى السياسة الخارجية ، الى حد يفوق ما يجرى فى الأنظمة الأخرى ، حيث توزع مسئولية صنع قرار السياسة الخارجية (٧٠) • فمثلا ، لقد دار نقاش حول تطبيق نموذج السياسة البيروقراطية على الأسلوب البريطانى فى الأنظمة البريطانية • اذ يخضع صناع السياسة فى هذه الأنظمة لنفس النوع من الاهتمامات الأشبه بالكهنوتيات ، كما هو الحال فى الأنظمة الرئاسية ، أما الاختلاف الرئيسى فى أنظمة ويستمنستر فيرجع الى تركيز السلطة فى مجلس الوزراء « التى تقف منها كل وزارة فى مواجهة الوزارة الأخرى (٧١) » •

وربما بدا أن من الميسور تطبيق نموذج السياسة البيروقراطية على الكثير من الأنظمة التى توجد بها زعامة جماعية من النخبة ، بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى السابق ، ومكتبه السياسى الحاكم • والواقع أن هناك تماثلا بين السياسة البيروقراطية ودراسات الكرملين لصنع القرار فى السوفيت ، وركزت عدة نماذج استعملها المتخصصون لوصف نظام صنع القرار فى السوفيت على الصراع بين أهل النخبة الذين يمثلون مجموعات المصـــالح المؤسسية (٧٢) • ويرى أحد الباحثين فى أحوال الكرملين (جيرى فالنتسيا) أنه بينما يتعين على نموذج السياسة البيروقراطية أن يتعرض للتحول حتى يعمل حسابا للملامح المتميزة لنظام السوفيت • الا أن النموذج رغم ذلك يفيد فى تفسير قرارات الســـياسة الخارجية الســـوفيتية :

« ليست تصرفات السياسة الخارجية للسوفيت ، كما هو الحال فى الدول الأخرى ، خاضعة لعامل واحد (الحكومة) الذى يضخم عامل الأمن القومى ، أو أية قيم أخرى للحد الأقصى عقلانيا • وبدلا من ذلك ، تنتج الأفعال من عملية تفاعل (شد وجذب) بين قوى فعالة عديدة • ويضطلع فى هذه الحالة بهذه المهمة كبار صــناع القرار ورؤوس التنظيمات البيروقراطية العديدة وأعضاء المكتب الســياسى ونخبة البيروقراطية فى مستوى اللجنة المركزية • وتعتبر السياسة البيروقراطية عاكسة ومستندة الى مبدأ تقسيم العمل والمسئولية بين جهات شتى بين أعضــاء المكتب السياسى •• وتتأثر صناعة قرارات السياسة الخارجية بعدد من القيود ، بينها الصور المشتركة للأمن القومى ومصالح التنظيمات والمصالح الداخلية والاجتماعات الشخصية المتنوعة، ومختلف الأمزجة وقواعد اللعبة ومجموعات المشتركين وعمليات المساومة والمناورة الداخلية (٧٣) » •

ان ما أضفى على النظام السوفيتى طابع السياسة البيروقراطية هو قيام هيئة جماعية (المكتب السياسى) فى العهد اللاحق لستالين بصنع القرارات • وفى السنوات الأربعين الأخيرة ، نادرا ما امتلك زعماء السوفيت

قدرا كافيا من القوة ، لاتاحة الفرصة للأفراد لصنع القرارات فى المسائل الخارجية • وبالمقارنة برئيس الولايات المتحدة ، فان السكرتير العام للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى (*) قد تمتع بسلطة محدودة أكبر فى صنع القرارات اذ كانت قدرته داخل مكتبه ـ لو شئنا النظر الى المكتب السياسى (البوليتبيرو) بهذا المعنى ـ أقل تسلطا • فلقد كانت له الصدارة بين المساوين له فى المرتبة ، بينما يتحكم الرئيس فى أصوات مكتبه • ولعلنا نذكر الملاحظة الطريفة التى أبداها لينكولن عن طريقة الاقتراع فى مكتبه، عندما صوت جميع أعضائه ضد اقتراحه ، وكان هو الصوت المؤيد الأوحد : « لقد انتصر الموافقون » !

أما الموقف بالنسبة لزعماء السوفيت فمختلف نوعا • فوفقا لما قاله دنيس روس فان انتهاء الالتجاء للرعب ضد نخبة الحزب بعد موت ستالين قد أسفر عن حدوث « انقلاب القصر » ، الذى أدى الى اقصاء المكتب السياسى لخروتشوف ١٩٦٤ ، وبذلك تحولت الزعامة الجماعية الى مؤسسة مستندة الى تعدد مراكز القوة (٧٤) • ورمز تنازل خروتشوف الى عدم امكان لجوء السكرتير العام الى خشونة المعاملة وفرض نفسه على مصالح اللاعبين السياسيين الرئيسيين والنواحى المؤسسية للتنظيمات الأساسية ، وما دام قد أمكن اقصاء السكرتير العام خضوعا لحكم الأغلبية داخل المكتب السياسى ، فانه لا يصح اعتباره سلطة نهائية ، فلابد أن يستند فى حكمه على قدراته على خلق اجماع ، أو اجماع ائتلافى على أقل تقدير • وبذلك أرغم السكرتير العام على التحول الى « سمسار » يعمل لمختلف مصالح الشيع داخل المكتب السياسى أكثر من كونه « مبادرا » • ويصح هذا الحكم على عهد برجينيف بوجه خاص • اذ ساعد تطبيق مبدأ الاجماع على اشعار أقرانه بالسعادة ، وأكد ـ فى ذات الوقت ـ أن أية أخطاء أو أنماط ستنسب للقرار الجماعى ، ولن تلقى المسئولية ـ بكل بساطة ـ عليه وحده (٧٥) •

وتطلب الاجماع فى السياسة رضاء أغلبية كبار الزعماء داخل المكتب السياسى ـ فى أقل تقدير ـ ان لم يكن تأييدهم الكامل ، وربما أيضا الجانب الأكبر من الأنصار داخل اللجنة المركزية العليا ، وغالبا ما تطلبت هذه الخطوة اتباع تكتيكات مثل المساومة الداخلية والحل الوسط والدحرجة ، واقتضت أيضا تعبئة جماعات الضغط المتصلة بالموضوع ، وتغيير واعادة تغيير الأشخاص الذين قد يشكلون فريق القرار ، وبذل محاولات للحصول على معلومات ، والاستعانة بالصحافة للتأثير فى

(*) C.P.S.U.

المجادلات ، وتشجيع الزعماء غير الملتزمين • وجميع هذه الحيل تقنيات مألوفة عند من يتبعون نموذج السياسة البيروقراطية ، في النظام السياسي الأمريكي !

وأسفر ذلك عن ظهور نظام يمكن أن يوصف — تمشيا مع ما قاله روس — بتعددية النخبة أو التعددية الأوليجاركية • وتزايد اقتراب صناعة السياسة من أن تكون حكما بمعرفة مجلس يضم من يملكون مصالح أقوى ويعملون كوسطاء • وأضحى مبدأ الموازنة بين جميع المصالح الكبرى قاعدة أساسية في العملية (٧٦) •

وأهم عامل في هذا الاجراء هو الحفاظ على الائتلاف • وكان ما أرغم على اتباع هذه الظاهرة هو الأسطورة الأيديولوجية الرئيسية لوحدة الحزب ، التي أنكرت امكان حدوث صراع بين أهل النخبة في الحزب • غير أن الخوف من تصدع الائتلاف الحاكم والذي يحتمل أن يكون قد أنهى الدور السياسي لبعض الأعضاء كان حافزا قويا بالمثل دفع الى حل صراعات السياسة الداخلية على نحو يساعد على الحفاظ على الائتلاف — واتسم النظام بطابع استعداد العاملين بالسياسة على الترحيب بالحل الوسط وباتجاه الى قبول قاسم مشترك لصناعة السياسة ، وبالمزايدة • وكلها من ملامح النظام السياسي البيروقراطي •

ان هذا الأسلوب الأشبه « بالغوص في الأوحال » قد عنى أيضا أن صناع السياسة السوفيت ، كانوا أميل الى تجنب القرارات الطائشة • اذ أثبتت نخبة السوفيت علامات كثيرة على شدة الحذر ، وان كانوا قد شعروا أيضا بحساسية فائقة للتكاليف الباهظة سياسيا للفشل • ويمثل الاخفاق السياسي الأساس الأسمى الذي يستطاع الاستعانة به بنجاح من قبل أعدائهم السياسيين في تحدى أعضاء النخبة واعفائهم من مناصبهم • ومن هذا يستخلص روس أنه على الرغم من أن النظام قد استند على تجنب الأخطار داخليا ، الا أن السوفيت استمروا يتعرضون لأخطار خارجية ، لا سيما عندما اعتمد وضعهم السياسي على هذه السياسة •

هل ينفع نموذج السياسة البيروقراطية في تفسير أسباب الحرب ؟

ربما بدا أن تفسير نموذج السياسة البيروقراطية لأسباب الحرب قد تطلب ما يأتي :

١ — أن يدور النقاش حول قرار الحرب في موقف يتنافس فيه

عدة أفراد وتنظيمات ومؤسسات حكومية لها مصالح مختلفة سعيا وراء تقبل تصوراتهم للسياسة الحكومية ٠

٢ ـ أن يكون قرار الحرب نتيجة للمساومة أو الحل الوسط أو الصراع على السلطة داخل حكومة تحبذ شن الحرب ٠

٣ ـ أن ينظر الى قرار الحرب من منظور مجموعة أو أكثر ، كوسيلة لانماء مصالحها التنظيمية أو السياسية (أو ينظر الى قرار شن الحرب كاجراء تحتمه مصلحتها السياسية) أو كوسيلة للحفاظ على ائتلاف ما في السلطة ٠

واستعان أنصار نموذج السياسة البيروقراطية بهذا المبدأ لتفسير قرارات سياسية شتى تخص الأمن القومي ، ضمت الى جانب أزمة صواريخ كوبا قرارات الحصول على أنظمة الأسلحة والسياسة الاقتصادية الدولة وسياسة التحكم في التسليح وسياسات التحالف (٧٧) ٠ ولم يبحث سوى عدد قليل من الدراسات بالفعل قرار استعمال القوة من منظور سياسي بيروقراطي ٠ وركزت هذه الدراسات على نظامين سياسيين مختلفين : الولايات المتحدة والسوفيت السابق ٠

السياسة البيروقراطية والتورط السوفيتي في الحرب :

لعل أكثر الدراسات اثارة للاهتمام عن هذا الموضوع هي الدراسة التي ظهرت تحت عنوان «التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا» (٧٨) ٠ فعندما شرعت الحكومة التشيكوسلوفاكية تحت رئاسة ألكسندر دوبشيك في تطبيق أنواع شتى من التعديلات في السياسة والاقتصاد والاصلاحات الاجتماعية (١٩٦٨) ، واجه الاتحاد السوفيتي أزمة خطيرة في السياسة الخارجية ٠ وربما أثبت التلخيص المختصر لتحليل فالنتا (أحد المشرفين على البحث) نفعه في هذه النقطة ، كي يتفهم القارئ كيف يستطاع الاستعانة بنموذج السياسة البيروقراطية في تفسير قرارات الاشتراك في الحرب ٠

وأدرك المسئولون السوفيت جوانب مختلفة نوعا للمشكلة ، وتعرضوا الى أخطار مغايرة الى حد ما قد تلحق بهم وبتنظيماتهم ٠ والواقع أنهم عرفوا المصالح السوفيتية القومية تعريفا مختلفا اعتمد على مسئوليات مؤسساتهم ٠ وعلى الرغم من أن جميع زعماء السوفيت قد اعتبروا الاصلاحات التشيكية تهديدا ، الا أنه حدث انقسام في الرأي حول كيفية الرد على التهديد ، وبدأ تشكيل ائتلافين أقرب الى عدم الاتصاف بالصفة الرسمية في بواكير الأزمة : أنصار التدخل والمعارضون للتدخل

ــ مع وجود بعض أعضاء آثروا الحياد ولم ينحازوا لأى طرف من الطرفين السابقين ·

أنصار التدخل :

١ ــ عنى أعضاء الحزب من البيروقراط فى الجمهوريات غير الروسية من أمثال شلست ، عضو المكتب السياسى والسكرتير الأول فى جمهورية أوكرانيا بالأفكار الاصلاحية التى اندلقت عليهم من أوربا الشرقية على الجمهوريات السوفيتية المجاورة · وردد صدى اهتماماته ماشيروف السكرتير الأول فى جمهورية روسيا البيضاء والمرشح لعضوية المكتب السياسى ·

٢ ــ وعنى البيروقراط من اللجنة المركزية المكلفون بالاشراف على المسائل الأيديولوجية وتلقين مسائل الدعاية بنفس المعتقدات الخاصة « بجبهات التصحيح » داخل الاتحاد السوفيتى · وضم هذا الفريق كثيرا من الأسماء المشهورة والمسئولين الحزبيين فى المدن الكبيرة مثل جريشين السكرتير الأول فى حزب موسكو الذى كان مسئولا عن التعامل مع عدد كبير من المنشقين وتصريحاتهم فى اللجان الثقافية والأدبية فى المدن ، والذى أدرك أيضا الحاجة الى قمع تجارب الاصلاح التشيكية ·

٣ ــ أدركت المخابرات السوفيتية (*) والادارة السياسية الرئيسية (المسئولة عن الاشراف على النواحى الأيديولوجية والسياسية للجيش) والتى كانت تحت قيادة الجنرال يبشيف أن الرياح السياسية الجديدة التى هبت من تشيكوسلوفاكيا ، تعتبر تهديدا للروح المعنوية والانضباط فى قوات أوربا الشرقية فى حلف وارسو · أما القادة العسكريون السوفيت المسئولون عن قوات حلف وارسو ، بما فى ذلك قائد الحلف الجنرال ياروجوفسكى ، فقد أدركوا بالتأكيد مدى تهديد الاصلاحات التشيكية للمهمة التنظيمية لقوات الحلف · وكانت لدى المخابرات السوفيتية أسباب اضافية للمطالبة بعكس تيار الاصلاح فى تشيكوسلوفاكيا · فقد طردت السلطات التشيكية الكثير من أخلص رجالهم من المناصب المسئولة فى وزارة الداخلية التشيكية ، ومن ثم أضحت مهمة البعثة التنظيمية للمخابرات السوفيتية داخل تشيكوسلوفاكيا فى خطر · ويحتمل أن تكون مشكلة مماثلة قد واجهت ادارة المخابرات العسكرية (**) · اذ تم أيضا استبعاد المتعاونين معها داخل الجيش التشيكى ·

(*) K. G. B
(**) G.RU.

وخشى زعيما الحزب الألمانى الشرقى والحزب البولاندى ، فالتر أولبريخت وفلاديسلاف جومولكه من انتشار الإصلاحات الليبرالية فى بلديهما ، وحاولا التأثير على قرار السوفيت المؤيد للتدخل .

· الائتلاف المعارض للتدخل :

١ ـ برغ ميخائيل سوسلوف زعيم الأيديولوجيا فى المكتب السياسى والمسئول عن تنسيق السياسة السوفيتية فى الحركة الشيوعية الدولية كمتحدث رسمى عن الفريق المعارض للتدخل . وكان سوسلوف وبونوماريف (سكرتير اللجنة المركزية للشئون الخارجية) معنيين بترديد القول بأن التدخل العسكرى السوفيتى سيضعف مهمتيهما التنظيمية ، وتتلخص فى الحفاظ على حسن الروابط بينهم وبين الأحزاب الشيوعية فى الغرب والقوى التقدمية فى العالم الثالث . وربما هدد التدخل أيضا المؤتمر الشيوعى العالمى المقرر انعقاده فى ١٩٦٨ ، والذى أشرف على تنظيمه سوسلوف . وأخيرا ، فقد يهدد استعمال القوة استراتيجية التقارب مع ألمانيا الغربية والجبهة المتحدة مع الأجزاء الديموقراطية الاشتراكية فى غرب أوربا .

٢ ـ وخشى رئيس الوزراء كوسيجين الذى يفترض أنه الرجل الثانى فى المكتب السياسى والمسئول عن دبلوماسية الحكومة آنئذ من تهديد التدخل للأهداف المنشودة من توقيع معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية والبدء المبكر فى مفاوضات اتفاقية سبولت . وتعرضت السلطة الشخصية لكوسيجين ومكانته للخطر ، بسبب التشابه بين الاصلاحات الاقتصادية التشيكية والاصلاحات التى اقترحها لاصلاح الحال فى الاتحاد السوفيتى .

٣ ـ وشعر البيروقراط فى وزارة الخارجية واللجنة المركزية للشئون الدولية المسئولون عن علاقة السوفيت بالغرب بأن التدخل قد يعود بنتيجة عكسية على المصالح السوفيتية .

٤ ـ وخشى المؤيدون لدوبشيك فى أوربا الشرقية ، مثل الزعيم المجرى يانوش كادار والزعيم اليوجوسلافى تيتو والزعيم الرومانى شاوشيسكو ، من احتمال تهديد التدخل السوفيتى ضد الاصلاح التشيكى لاصلاحاتهم .

اللا مؤيدون واللا معارضون : يعد السكرتير العام برجينيف اللاعب الرئيسى الأوحد الذى تماثل هو وفالتنا كمفكر غير ملتزم ، أى كسياسى اكتشف أن للمشكلة عدة جوانب ، وان كانت هناك بالتأكيد جوانب أخرى

أيضا • وتأرجح برجنيف بين الائتلافين حتى النهاية • وعمل كسمسار بين الفريقين ، ولكنه يحاول أيضا اقحام نفسه كمؤيد للفريق الغالب • وكان موقف برجنيف حاسما في هذه القضية ، لا لأنه السكرتير العام فحسب ، ولكن لأن الزعامة السوفيتية كانت منقسمة في الرأي حول السياسة الصحيحة التي تتبع • فلم تتوفر للتآلفين القوة الكافية لفرض ارادتهما على التآلف الآخر ، ومن هنا كان أي تغير في موقف أحد غير الملزمين الكبار سيرجح ، وعقدت جلسات التفاوض بين السوفيت والتشيك في شيرنا وبراتسيلافا في أواخر يوليو وبواكير شهر أغسطس • وكانت النتيجة المباشرة هي اتباع سياسة الحل الوسط ، أي الحل الوسط بين أعضاء الزعامة السوفيتية والحل الوسط بين الزعماء السوفيت والزعماء التشيك • وأكد التشيك ولاءهم لحلف وارسو والكوميكون ، ووافقوا على السيطرة على أجهزة الاعلام على نحو أعظم تأثيرا ، ووعدوا بمنع انشاء أحزاب سياسية ، ووافقوا على تطهير بعض زعماء بعينهم وباقصائهم عن شغل المناصب الكبرى • ووافق السوفيت من ناحيتهم على سحب جميع قواتهم من الأراضي التشيكية (حيث كانوا يجرون مناورات بالاشتراك مع حلف وارسو) وبالموافقة على قرارات مؤتمر سبتمبر الذي عقده الحزب التشيكي • ومع كل هذا لم يمض أكثر من سبعة عشر يوما بعد الاجتماع الختامي حتى خضعت تشيكوسلوفاكيا للتدخل العسكري • فما الذي كان وراء هذا النكسة ؟

ودار هذا العمل حول محاولة احداث تحول جديد ايثارا لقلب الحل الوسط (في شيرنا – براتسلافيا) والشروع في التدخل العسكري • وحدثت محاولات تجريب للتقنينات المألوفة في الاقناع بما في ذلك الاستعانة بالصحافة من قبل مختلف الاتجاهات لمحاولة تعبئة التأييد • وحاولت أيضا المخابرات السوفيتية والسفير السوفيتي للتشيك (تشرفونينكو) تحريف المعلومات والتخاليل للحصول على المصداقية لاتجاههم المفضل • اذ كان الدافع الرئيسي للمخابرات السوفيتية هو مواصلة تطهير الحكومة التشيكية للعملاء السوفيت • وكانت دوافع تشرفونينكو أكثر اتساما بالطابع الشخصي • فباعتباره سفيرا سابقا للسوفيت في الصين عندما انفجر النزاع الصيني السوفيتي ، فانه لم يرغب في اقحامه في مسألة فقدان دولة اشتراكية أخرى ، كان له دور أساسي فيها • ونصح أقرانه في موسكو بأنه بالرغم من أن الموقف في براج سائر من سيء الى أسوأ ، وأن هناك احتمالا في « تكرار ما حدث في المجر » الا أن فريق دوبشيك كان أقلية داخل المكتب السياسي ، ويفتقر الى تأييد عامة الشعب ، ومن السهل الاستعاضة عنه « بعناصر صحية » لو تدخل السوفيت •

وتمشيا مع ما ذكره فالنتا بان **modus viverdi** مع التشيك قد بدأت تعلن استقلالها عندما شرع العسكريون من النخبة السوفييتية ، بعد شعورهم بالامتعاض من الحل الوسط ، فى الضغط على القيادة السياسية لعكس الآية • ولقد سبق أن ذكرنا أن قائد حلف وارسو باكوبوفسكى قد اعتبر الاصلاحات التشيكية سببا فى اضعاف الانضباط فى قوى شرق أوربا• وهناك زعماء عسكريون سوفيت آخرون ــ خصوصا الجنرال بافلوفسكى من قيادة القوات البرية التى استعيدت حديثا قد كشفوا عن امتعاضهم لعدم وجود القوات المسلحة السوفيتية على الأراضى التشيكية • فاذا راعينا فقدان الثقة المتنامى فى القوات التشيكية ، فسيكون التقدم بنشر القوات البرية السوفيتية على الأراضى التشيكية مسألة ضرورية ــ بلا شك ــ لنشر العقيدة العسكرية السوفيتية فى أوربا • وبطبيعة الحال ، لابد أن تتزامن العملية العسكرية ضد تشيكوسلوفاكيا هى وتحسين صورة القيادة البرية ومكانتها ! • ان هذا لا يعنى أن جنرالات حلف وارسو كانوا يحبذون جميعا التدخل • اذ كان الجنرال كازاكوف رئيس أركان قوات حلف وارسو ومؤيد التدخل السوفيتى فى المجر ١٩٥٦ ظاهر التشكك فى التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا •على أنه تعرض للتغيير بغتة بعد مؤتمرات براتسيلافا ، وحل محله الجنرال سيتمنسكو الذى وصفه فالنتا « بلوبيست القوات القوات البرية » أى من عملاء الضغط عليها •

وكانت لدى العسكريين وحلفائهم حجة أخرى ازدادت قيمتها وارتباطها بقضية اللوجستيقا • فلم يقتصر الأمر على اشتراك القوات النظامية فى حشد القوات السوفيتية فى تشيكوسلوفاكيا ، ولكن آلافا من جنود الاحتياط استدعوا ، وصودرت آلاف من السيارات التى يملكها القطاع الخاص فى روسيا الشرقية ، وبدأ نقص القوات العاملة المدنية والشاحنات يصبح ذا دور فعال فى حصيلة ١٩٦٨ ، ولم يكن من المتوقع الا أن تزداد هذه الحالة سوءا • اذ كان السوفيت مضطرين الى سرعة التحرك والا ضاع المجهود الحربى سدى • وكان لتطبيق الروتينيات التنظيمية فى المناورات العسكرية تأثير جوهرى على الآراء المتاحة لصناع القرار السوفيت •

وعند بلوغ هذه المرحلة، صعد سكرتير الحزب فى أوكرانيا شلست حملة مؤيدة للتدخل • ولقد سبق أن تحدثنا عن اهتمام شلست بامكانية تفشى عدوى الاصلاحات التشيكية ، وانتقالها الى أوكرانيا • وربما كان هناك باعث آخر لشلست وهو الاعتبارات الخاصة بموقفه السياسى • اذ كان من بين المؤيدين للجنانب الخاسر فى شيرنا وبراتسيلافا وباتت

مكانته وموقفه داخل المكتب السياسى فى خطر • وفى ذات الوقت تجدد الضغط من قبل بيروقراط الحزب المسئولين عن المسائل الأيديولوجية ، وتجدد الاهتمام باخفاق التشيك فى تعزيز الرقابة على الاعلام• وفتح الزعماء البولانديون وزعماء ألمانيا الشرقية جبهة هجومية جديدة تهدف الى قلب الاتفاق • اذ شعر جومولكا (وأولبريخت الى حد ما) بتهديد داخلى من أثر الحل الوسط الذى جرى مع المصلحين التشيك ، وكان خصومهم فى الداخل قد اكتسبوا قوتهم من استعداد السوفيت للسماح بالاصلاح فى براج • وهكذا تجدد الضغط على المكتب السياسى المتأرجح وأعضاء اللجنة المركزية للتراجع عن الحل الوسط التشيكى •

وأخيرا شنت القوات المناهضة لدوبشيك محاولة يائسة لانقاذ ماء وجههم • اذ لمحت اتصالاتهم بموسكو للسوفيت بتدهور الموقف فى براج• وأوعزت تقارير المخابرات المحرفة للحقائق بتأثير المصالح الشخصية والمؤسسية للمراسلين السوفيت ، بالاعتقاد بأن أية عملية عسكرية لن تتكبد سوى خسائر طفيفة وبالأرجحية الكبرى لاحتمال النجاح •

وتغير تيار الجدل الداخلى من تأثير الضغوط التى اشترك فيها العسكريون والمخابرات السوفيتية والسكرتيرون المحليون فى الجمهوريات القريبة من الاتحاد السوفيتى والبيروقراط المسئولين عن المسائل الأيديولوجية وحلفائهم فى ألمانيا الشرقية وبولانده وتشيكوسلوفاكيا • أما من التزموا الحيدة فى الماضى ، بل وبعض من أيدوا الحل الوسط الدبلوماسى فى السابق فقد منحوا تأييدهم الآن للتدخل العسكرى • وأغلب الظن أن الهلع قد أصاب الأقلية فى مشكلة لها مثل هذه الأهمية الخطيرة • والاجبار على الاستقالة هو الجزاء الذى يلقاه من ينضم الى الجانب المخطىء فى أية مسألة كبرى من المسائل السياسية • وتعرض للانتقاد مؤيدو عدم التدخل مثل سوسلوف وكوسيجين وبونومكريف فى التقارير التى أرسلت للتنظيمات الحزبية والصحافة لاخفاقهم فى ادراك مخاطر الاصلاحات التشيكية • وكان بمقدور الملاحظين السياسيين من أولى الألباب أن يذكروا أن الريح قد أصبحت تهب الآن فى اتجاه مخالف •

واتجه برجينيف ذاته الى مؤازرة التدخل • ولعل الاعتبارات السياسية الداخلية قد طغت على تحليل برجنيف للموقف تبعا لما ذكره فالنتا • ولم يساعد عدم الترحيب باتفاقى شيرنا وبراتيسلافا من قبل نخبة الساسة والعسكريين على تعزيز الموقف السياسى لبرجنيف• وجنح السكرتير العام (برجنيف) الى الاعتقاد بأن التدخل السوفيتى قد أصبح مطلوبا من أجل المصالح القومية السوفيتية ومصلحته السياسية •

وربما لوحظ أن المحللين السياسيين قد أعدوا تفسيرات تتبع نموذج البيروقراطية السياسية على القرارات السوفيتية أيضا • فلقد تتبعت دينا روم سنجلر تغير السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط ١٩٧٣ ، وبوجه خاص القرارات الخاصة باباحة شراء السلطات المصرية للمعدات العسكرية السوفيتية ، واعطاء النور الأخضر للمواجهة العسكرية مع اسرائيل ،وعزت ذلك الى حدوث تغيير فى ميزان القوى النسبى بين معسكرى الصفوة داخل المكتب السياسى • وربما بدا أن من اعتقدوا فى وجود صورة « تنافسية » للعلاقات السوفيتية الأمريكية (يتزعمهم رئيس الوزراء كوسيجين ، ويضم هذا الفريق العاملين بالادارة العامة للدولة • وأيضا المسئولين عن السلع الاستهلاكية والتقدم التكنولوجى) قد نقلوا تأييدهم الى أولئك الذين يعتقدون فى وجود صورة تعاونية فى العلاقات السوفيتية الأمريكية (ويتزعمهم السكرتير العام برجنيف) الى من يعتقدون فى وجود صورة اضطدامية (ويضم هذا الفريق وزير الدفاع جريشنكو والأدميرال جورشنوكوف وأيديولوجى الحزب سوسلوف ورئيس المخابرات أندروبوف وزير التجارة شلبين وآخرين (٧٩) •

فى هذه الحالة يصح القول بأن الضغط الذى أدى الى التحول ، قد جاء بتأثير الأحداث فى البيئة الخارجية كاستغناء المصريين عن الخبراء السوفيت ١٩٧٢ •

ويبين من تحليل جاكوبسون لقرار السوفيت استخدام القوة للحصول على بعض الأراضى من فنلنده ١٩٣٩ ، بالرغم من كون هذا التحليل لم يتبع مبدأ السياسة البيروقراطية • فلقد أمد ائتلاف ثلاثه مسئولين سوفيت البيروقراط بقوة دافعة لادماج المشكلة فى جدول الأعمال ، ولاقناع الفصيل الأخير ستالين الأكثر احجاما عن مواصلة السير (٨٠) • وكانت للثلاثة أسباب مؤسسية وشخصية وسياسية أدت بغير شك الى اعتبار الأمن القومى السوفيتى فى أمس الحاجة لضم الأراضى الفلندية • وكان أندراى جدانوف سكرتير الحزب فى منطقة لينينجراد مسئولاً عن الدفاع عن المدينة ، وكان سيستفيد من توسيع مساحة قاعدته • أما أوتوكوزينين فكان فنلنديا متعصبا لبلاده ، وكان من المتوقع أن يصبح زعيما لأية أرض فنلندية تعتنق الشيوعية • وبطبيعة الحال ، كان الأدميرال تريبوتسن رئيسا لأركان الاسطول فى البلطيق مشغولاً ومهموما بخصوص تأمين الأسطول السوفيتى ، وكان تنظيمه يتوقع كسبا من الحصول على قواعد حربية فنلندية فى البلطيق (٨١) •

السياسة البيروقراطية في فيتنام :

أصبح تورط الأمريكان في فيتنام عملا دالا على البداوة في نظر من ينظرون للسياسة بمنظار السياسة البيروقراطية . ويعد كتاب روبرت جالوتشي (*) أصرح محاولة لتفسير قرارات الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا باتباع نموذج السياسة البيروقراطية : ويركز جالوتشي بوجه خاص على قرار ادارة كنيدي (١٩٦١ ــ ١٩٦٣) بارسال خبراء عسكريين وقرار الرئيس جونسون بدء حملة القذف الجوي واشتعال الحرب البرية بين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ .

وتتركز فكرة جالوتشي على القول بأنه في بواكير الفترة (١٩٦١ ــ ١٩٦٣) ، كانت العملية السياسية مفتوحة وتنافسية بالضرورة . وترتب على ذلك انسياق المنشقين على سياسة وزارة الخارجية إلى اتباع سياسة الاعتدال والحل الوسط ، وحالوا دون قبول الادارة الأمريكية أية اقتراحات بالزيادة المتدرجة للقوة العسكرية . وساعدت المدخلات الحذرة من وزارة الخارجية على تواتر المرونة الضرورية للرئيس لمقاومة العناصر الأميل للتطرف في فرع التنفيذ . وفي هذه السنوات الباكرة ، شب عدد لا بأس به من المعارك البيروقراطية ، وعكست سياسة الولايات المتحدة هذا الانقسام البيروقراطي ، وانعكس غياب الانشقاق المقارن في الرأي في السنوات المتأخرة بالمثل على ازدياد تيار التطرف في سياسة أمريكا بعد ١٩٦٣ .

وبعد مصرع الرئيس كنيدي ، تقلص دور وزارة الخارجية ، وانتقل صنع القرار الى وزارة الدفاع . وفيما بعد غدت العملية ربما أكثر انطلاقا بعد نقل القرارات ذات الأهمية الخاصة في ادارة جونسون في البداية الى اجتماع غداء القمة الذي يعقد كل يوم ثلاثاء ، ويرجع ذلك ــ جزئيا ــ الى ما أجراه الرئيس جونسون من تعديلات في توزيع الأدوار في عملية صناعة السياسة ، وان رجع أيضا الى تغير الشخصيات المسئولة في الدولة بعد ارغام المنشقين (المخالفين) على ترك مناصبهم أو « استئناسهم » ــ أي كانوا من المرضى عنهم رسميا ، ولكنهم كانوا من الناحية الرسمية موضع تجاهل . وتفاقمت عملية استئناس المخالفين بعد وقوعهم في « المصيدة » ، عندما صمم المشاركون حفاظا على تأثيرهم وفاعليتهم على عدم التشديد في القتال في قضايا بعينها حتى يتمكنوا من الحفاظ على بعض تأثيرهم وفاعليتهم في القضايا التي ربما تصاعدت فيها بعد . واستفحلت عملية استئناس المنشقين أيضا من أثر طبيعة النظام الأمريكي . فليس

(*) Neither Peace nor Honour.

لدى المسئولين الوزاريين فى أمريكا أية وظائف سياسية (كالمقاعد البرلمانية الخلفية) كما هو الحال بالنسبة للمسئولين الوزاريين فى الأنظمة البرلمانية ، لكى يعودوا اليها لذا رغبوا فى الاستقالة لاظهار احتجاجهم على القضايا السياسية ، ومن ثم فانهم جنحوا الى الاستمرار واسكات صوت معارضيهم (٨٤) ٠

وفى بواكير عهد جونسون ، ساد الاجماع لمحاولة قمع العصيان فى الجنوب اعتمادا على الضغط العسكرى المباشر على فيتنام الشمالية ٠ وكان قرار ١٩٦٥ الذى أثار الجدل ببدء القذف الجوى على الشمال أهم قرار صدر عن السياسة الأمريكية فى فيتنام ٠ وبدأ باجماع بيروقراطى هش ، ناصر فيه المشاركون تأييد القرار لأسباب متباينة شتى ، تساورهم آمال متفرقة عما ستحققه السياسة ، واتبعوا مواقف غير متماثلة بخصوص التكاليف والمخاطر التى هم على استعداد لاستيعابها لمواصلة البرنامج ٠

ولن يثير الدهشة أن نعرف أن ضباط القوات الجوية كانوا أشد المتحمسين فى تأييد سياسة قذف القنابل ، بعد أن تعرض تأثير القوة الجوية التقليدية للخطر فى فيتنام :

« ان القوة الجوية مختلفة عن أى شئ يقبل الدفاع عنه ، كانت بمثابة حقل تجارب أثبت مصداقيته فيما يتعلق بجانب من هويته التنظيمية ، للحفاظ على دورها الأولى بالقول بأن قذف القنابل كان سيحدث أثرا فعالا فى فيتنام لو أنه بدأ قبل الموعد الذى بدأ فيه ٠ على أنه أثبت فاعليته بعد أن بدأ ، ولكنه ما كان ليحقق النصر لو أنه لم يدر بهمة أعظم بعد أن بدا وكأنه قد فشل » (٨٥) ٠

ولا يخفى أن التقارير التى وردت عن الحرب الجوية بمجرد بدئها قد تأثرت بالأهواء المؤسسية فى القوة الجوية ٠ فلما كان مبرر وجود القوة الجوية هو القتال فى الجو أو اسقاط القنابل ، ولما كانت الترقية للمناصب العليا تعتمد على تقييم الرؤساء ، لذا كان من المستبعد أن يخطر المرؤوسون الجنرال المسئول بأن القذف الجوى الذى أمر به قد فشل ٠ اذ يتسبب انتقاد القذف فى الحاق الضرر بالتنظيم ، وأيضا بمستقبل من وجه النقد (٨٦) ٠

ورأت الخدمات الأخرى أيضا اقتراح القذف الجوى على ضوء تأثيره على دورها ٠ ففى ١٩٦٥ ، أيدت اقتراح القذف بعد أن رئى أنه وسيلة لزيادة المشاركة الأمريكية العامة فى الحرب ، بعد أن زادت استخداماته من احتمال زيادة الالتزام الأمريكى العام (٨٧) ٠ وشارك الأسطول — بطبيعة الحال — عن طريق وحدات الطيران التابعة له فى الاهتمام

بالقدرة ، وترتب على ذلك اهتداء كل وحدة من وحدات الخدمات العسكرية للولايات المتحدة الى أسباب تنظيمية لتأييد الحرب الجوية ٠

وأيد كبار الخبراء المدنيين للرئيس عملية القذف ، وان كانوا قد اختلفوا فى الرأى حول ماهية الأحداث التى تكلف القوة الجوية بتحقيقها ٠ واعتقد والت روسو مستشار وزارة الخارجية ، ولعله أشد المدنيين عدوانية ودفاعا عن القذف الجوى ، اعتقد أن قذف الصناعات الرئيسية فى الشمال سيرغم هانوى على انهاء مساعدتها للعصاة ٠ وأيد ماكسويل تايلور سفير امريكا فى فيتنام الجنوبية السياسة لأنه اعتقد أن قذف الشمال سيضعف روحه المعنوية،ويقوى الروح المعنوية فى الجنوب،وسيقلل من قدرة الشمال على مؤازرة العصاة ، وأيد ماكجورج باندى مستشار الأمن القومى للرئيس السياسة لاعتقاده أنها ستكون ذات أثر موجب على « حلفائنا » فى الجنوب ، بينما ستهدىء من غضب الفيات كونج ٠ أما مساعد الوزير جورج بول فرغم اعتراضه بوجه عام على القذف الجوى ، واعتقاده أنه سيكون عديم التأثير ، الا أنه أيد الرأى الجماعى ، بعد أن اعتبر سياسة القذف الجوى تعويضا عن استعمال القوات البرية الذى رآه فى آخر الأمر كأفدح الشرور ٠

وارتاب كل من وزير الخارجية دين راسك ووزير الدفاع ماكنمارا والرئيس ليندون جونسون فى تأثير سياسة القذف ، ولكنهم كانوا يأملون أن تحقق أثرا فعالا ، وشعروا بالاضطرار لتأييدها ، باعتبار هذه الوسيلة هى الأقل خطورة وتكلفة من الالتجاء الى القوات البرية ٠ وبوجه خاص ، فقد رأى الرئيس السياسة المتبعة على ضوء الضرورة السياسية الداخلية القاضية بعدم الظهور بمظهر اللين فى مواجهة الشيوعية ٠

وبعد البحث ، انتهى جالوتشى الى وجود قدر مهم من الشد والجذب فى قرار بدء القذف الجوى ٠ الشد من أجل دفع تايلور لاتباع سياسة عدوانية ولاستحثاث المؤيدين لها على مواجهة مقاومة الرئيس ووزير خارجيته ووزير دفاعه ٠

وفى الختام ، فى وقت مبكر من عهد ادارة جونسون ، ضاقت هوة الاختلاف فى الجدل المشروع ، ولم ينشب سوى القليل من الخلاف فى الرأى (فيما عدا الخلاف فى المسائل الداخلية والخلافات الشكلية مع جورج بول) ، فلقد كشف جونسون عن مهارة فى القضاء على الحمائم من المعارضين ، وأرغم على الاستقلالية افريل هاريمان مساعد وزير الخارجية للشئون السياسية وروجر فيليبسمان مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأقصى والمدعى العام روبرت كنيدى ، واستقالوا واحدا تلو الآخر ٠

وتم استبناس وكيل الوزارة جورج بول ، وسمح له بالقاء ، وبالاعتراض الأليف شأن أية حمامة من حمائم الأبراج • أما ماكجورج باندي مستشار الأمن القومي فقد تم اجتذابه تدريجيا الى المعسكر الأميل الى مسلك الصقور (٨٨) • لقد كان اقصاء المخالفين أو المنشقين ضروريا لتكوين تآلف أكبر مؤيد للقذف الجوي تمهيدا لاشتراك القوات البرية فى المعمعة • وكانت الحصيلة النمطية المترتبة علي ذلك هى دفع العسكريين للسياسة قدما فى غياب أى خلاف مدنى حق ، ثم اضطرار المدنيين للمسايرة الى حد ما ، وممارسة الرئيس حقه في الاختيار من بين الخيارات المحدودة المعروضة عليه •

بطبيعة الحال ، سوف يكون من الحمق الحكم بأن الموقف الذي اتخذته السياسة البيروقراطية كان وحده مسئولا عما فعلته الولايات المتحدة فى فيتنام ، ولعل جالوتشى يدرك ذلك • فليس من شك فى وجود عوامل أخرى لا تقل أهمية • اذ كانت صور معينة مشتركة فى الموقف الذى تمسك به أغلب صناع السياسة والاختلاف في شخصية الرؤساء ــ ولا سيما جونسون ــ فقد كان لها دور كذلك • يضاف الى ذلك ، وجوب عدم استبعاد تأثير العوامل الخارجة عن حلبة المسائل الدولية • بيد أن السياسة البيروقراطية قد تكون نقطة بدء حسنة لو أردنا بحث الأسباب الكامنة وراء القرارات الأمريكية فى فيتنام •

نموذج السياسة البيروقراطية في الميزان :

لعله كان من واجبنا في البداية القول بأنه لم يتضح تماما هل يحق لنا اعتبار السياسة البيروقراطية نظرية أم أنها شيء آخر • وعندما أعاد أليسون وهالبرن صوغ نموذج السياسة البيروقراطية ، فانهما أسميا جمعهما لنموذج العملية التنظيمية ونموذج العملية الحكومية بالبراديجم بدلا من النظرية ، وبذلك نسبا اليها مزاعم أكثر تواضعا (١٩) • وبعد مراعاة ذلك ، علينا أن نفحص مدى نفع نموذج السياسة البيروقراطية وامكاناته •

فما الذي يحاول نموذج السياسة البيروقراطية تفسيره ، وكيف يتم هذا التفسير ؟ وما هي المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة التى يفترض أنها هي التى تسببت فى حدوثها ؟ • ان المتغير التابع الذى تزعم النظرية تفسيره هو أفعال الحكومة • أما المتغيرات المستقلة فهى أشياء من قبيل اللاعبين ومكانتهم وأدوارهم واهتماماتهم التنظيمية والسياسية وعملية المساومة والإجراءات المنتظمة التي تتخذ عند صنع السياسة، والعلاقة بين

هذه المتغيرات وأهميتها النسبية غير واضحة ، ومن المحتمل تغيرها من حالة لأخرى · وتواجه الباحث عند محاولة معرفة كيفية عملها ، وما يعتريها من تبدل ، ناهيك بطريقة قياسها ، عواقب جمة ·

ان كل هذا يثبت مدى ما فيها من « هرجلة » · اذ تعد السياسة البيروقراطية نظرية جمة التعقيد وبعيدة عن الشح ، وترتب على ذلك جنوح تفسيرات نموذج السياسة البيروقراطية الى الميل للتعقيد أيضا · اذ تحتاج مثل هذه التفسيرات الى حيثيات جوهرية أشبه بالتفسير التاريخي لعملية القرار الذى يركز على تلك التصورات أو المتغيرات التى يتعرف عليها فى النموذج ·

وتعرض هذه الحالة العديد من المشكلات ، لأن تفسيرات السياسة البيروقراطية تحتاج الى الاحاطة بقدر من المعطيات المتنوعة من حيث الكيف، التى يستبعد عثور أغلب الباحثين عليها جاهزة ميسورة ، ففوق كل شيء ، تعد أكثر المعلومات الموثوقة هي محاضر مجالس الوزراء ، واجتماعات المكتب السياسى ، واجتماعات مجلس الأمن القومى ، أو ما يتساوى معها · وتمثل « الموضوعية » مشكلة أخرى · فكما لاحظ أحد النقاد : « اذا سلمنا بوجود البينات التى ستعين الباحث ، والتى كثيرا ما تتصف بالتضارب ، فان المحللين السياسيين البيروقراطيين يتعرضون لخطر فرض نظريتهم على البينات أكثر من دفع النظرية الى الاستناد الى البينات » (٩٠) · واذا شاء أحد البحث عن دليل للدور الفعال للبيروقراطية فمن المحتمل أن يعثر عليه ·

ومن مشكلات « السياسة البيروقراطية » الأخرى كنظرية أنها ولدت بذرة من الفروض النوعية التى بالمقدور فحصها لتقدير قيمة النظرية ذاتها · واذا استثنينا الفرض القائل « ان موقفك يعتمد على المقعد الذى تجلس عليه » ، فسيصعب علينا العثور على فرض آخر · وكما بينا فان هذا الفرض الحاسم يبدو غير صحيح فى كثير من الأحيان ، مثلما يبدو صحيحا أيضا فى كثير من الأحيان · وترتبط صعوبة فحص الفروض النوعية بمشكلة أتم : ما الذى يعد برهانا على وجود سياسة بيروقراطية ؟ وما هو الدليل الذى يلزم وجوده لاثبات أن القرار موضع البحث جاء نتيجة لعملية سياسية بيروقراطية ؟ لقد ضن علينا أصحاب هذا النموذج بأية ردود واضحة على هذه المسائل ·

ان هذا لا يعنى خلو نموذج السياسة البيروقراطية من أية مزايا · وكل ما هناك هو شدة صعوبة استخدامه · وبالرغم من أن نوع الأدلة المستعملة للتزويد بتفسير نموذج السياسة البيروقراطية للحرب ، ليس من النوع المعتمد على الاحصاء أو معامل الارتباط الذى يرتاح اليه علماء

السياسة ، الا أن هناك بالتأكيد ما هو أكثر من طريق واحد لتقييم صحة النظريات التجريبية (٩١) • فمن المستحيل فى هذه النقطة تقرير مدى الدور الذى اضطلعت به السياسة البيروقراطية فى اشعال الحرب ، ولكن وحتى اذا اكتشفنا فائدتها فى تفسير ولو نسبة هينة نسبيا من حالات الحرب ، الا أن نموذج السياسة البيروقراطية ما زال قادرا على تزويد العالم النظرى باستبصارات عديدة مهمة عن أسباب الحرب لا يتعين تجاهلها • وفى بعض الحالات ، فان السياسة البيروقراطية قد تستطيع التزويد بتفسيرات أكثر ارضاء من النظريات المنافسة لها •

التفكير الجماعى :

وآخر النظريات التى سنفحصها فى مستوى المجموعة الصغيرة للتحليل هى نظرية التفكير الجماعى التى وضعها ارفنج جانيس ، وهو من علماء النفس الاجتماعى المعنيين بالمسائل الدولية • ويعرف جانيس « التفكير الجماعى » بأنه مجموعة من مشكلات صنع القرار (الأعراض) التى تؤثر فى صناع السياسة • وباختصار يهتم التفكير الجماعى بما يحدث من تدهور فى التفكير النقدى ، والكفاية الذهنية واختبار الواقع والأحكام الأخلاقية التى تحدث « عندما يتجاهل « أعضاء المجموعة » الذين يسعون للحصول على الاجماع من المجموعة سعيهم لتحقيق الواقعية ، ويمتدحون الطرائق البديلة للعمل » (٩٢) • اذ تسعى مجموعة صنع القرار للحصول على التوافق والتناغم والاجماع على حساب صنع القرار الصحيح •

وفيما يلى قائمة بالخصائص المهيمنة على التفكير الجماعى :

١ ــ يعتبر أعضاء المجموعة الولاء لهم هو أهم الغايات •

٢ ــ يسعى أعضاء المجموعة لرعاية الاجماع والتناغم والوحدة والحفاظ عليها •

٣ ــ يتطلب الولاء الجماعى من كل عضو تفادى اثارة المسائل الخلافية وتحدى الحجج الضعيفة التى يجهر بها الأعضاء الآخرون ، أو انتقاد آراء الأغلبية • وتقمع الشكوك الشخصية طوعا ، مما يجعل الاجماع الذى يتحقق ظاهريا مجرد وهم •

٤ ــ يعتبر الخلاف بمثابة عدم ولاء للمجموعة •

٥ ــ يستبعد المنشقون من المجموعة ، ويكلف بعض أعضاء المجموعة بالعمل كحراس على الأمخاخ للضغط على من يحتمل انشقاقهم حتى يتوقفوا عن المعارضة أو الانتقاد •

٦ — يؤمن أعضاء المجموعة بأن المواقف السياسية للمجموعة مواقف أخـــلاقية ٠

٧ — يعتنق أعضاء المجموعة اتجاهات « متشددة » ضد الخارجين عن المجموعة كأن يعتقدوا مثلا أن الخصم « شيطان شرير » ، (وان كان ضعيفا وغبيا أيضا) ويسود التفكير النمطى الرأى فى الخارجين على المجموعة ٠

٨ — يتسم اتجاه المجموعة — بوجه عـام — بالافراط فى التفاؤل وبشعور زائف بالأمان وبالمناعة ضد جميع الأخطار ٠ وثمـة اعتقاد بأن المجموعة مؤلفة من أفراد يتميزون بحسن الخلق والذكاء والمناعة ضد ارتكاب أى خطأ ٠

وكما بمقدوركم أن تتخيلوا ان مثل هذا الموقف قد يؤدى الى مسخ خطير لقدرة المجموعة على حل أية مشكلة عقلانية ٠ فمثلا لقد تعرف جانيس على الهنات التالية فى صنع القرار التى قد تنجم عن التفكير الجماعى :

١ — هناك محاولة هينة الشأن أو « لا محاولة » للحصـــول على المعـــلومات من الخبراء ، تتعرض فيهـــا عملية جمع المعلومات لتعويق خطـــير ، يلقى بظلال الشك على الطبيعة الموضـــوعية للبحث ٠

٢ — هناك انحياز فى انتقاء الوقائع والأحكام ٠

٣ — تقتصر مناقشات المجموعة على التقليل من بدائل العمل ٠

٤ — يتسم مسح الأهداف بعدم اكتماله ٠

٥ — تفشل المجموعة فى اعادة النظر فى حلها المفضل مما يحول دون تقديرها لمخاطره وهناته ٠ اذ يلتقى رأى المجموعة عنـــد بدائل تقبل دون فحص نقدى لها ٠

٦ — لا تفحص الاعتراضات التى تشترك المجموعة فى الأخـــذ بها فقط ، ولا تصحح اساءات التصور البتة ٠

٧ — تتجاهل المجموعة الفحص الكامل لسبل العمل التى لم تلق رضاء مبدئيا عند تقييمها ٠

٨ — لا يخصص سوى وقت قصير لفحص كيفيـــة تعرض الخطة للفشل ، ونادرا ما تراجع خطط الطوارئ ٠

٩ ـ الافتقار الى الحذر وحساسية التهديد بالفشل ٠

١٠ـ تبرر عقلانيا القرارات السابقة التى انتهت بالاخفاق ٠

وبينما بدأ اليسبون من رأي مفاده إن القرارات الحكومية التى تضعها المجموعات تتسم بطابع من صنعها ، ويرجع الى الطبيعة السياسية للعاملين الممثلين لمصالح مؤسسة مختلفة وجماهير متباينة المزاج ، فإننا نرى جانيس يبدأ من رأى مؤداه أن القرارات التي تصنعها المجموعات ، تختلف عن القرارات التي يقررها الأفراد تمشيا مع الطبيعة الاجتماعية لعملية صنع القرار ٠ وعلى الأخص ، يلاحظ أن المجموعات الصغيرة تميل فى ظروف معينة الى السعى نحو التوافق ٠

وأدرك علماء اجتماع منذ أمد بعيد الضغوط القومية من أجل تحقيق التوافق (التطابق) الموجود داخل المجموعات اجتماعيـــة ، وكلما زاد تماسك المجموعة ازداد الضغط لتحقيق التطابق ٠ وترتـد الضغوط من أجل التطابق ـ جزئيا ـ من الرغبة البسيطة لسايرة المشاركين للفرد فى العمل ، وفضلا عن ذلك ، فان كثيرا من الأفراد يخشـــون أن تؤدى كثرة ترديدهم لآراء مغايرة الي فقدانهم « لفاعليتهم » ، أو الي إضاعة فرص ترقيتهم الي مناصب أعلى ٠ ويسعى الأفراد لاكتشاف مدى صحة آرائهم (عن أفضل سياسة تتبع على سبيل المثال) وعندما لا تتيسر الأهداف ، فاننا نقيم آراءنا بمقارنتها بآراء الآخرين ، وعندما تأتلف آراء الآخرين هى ورأى مختلف عن رأينا يتولد ضغط هائل لإستبعاد رأينـا باعتبـاره رأيا خاطئا ، وقبول آراء أقراننا ٠

والأهم ما تحققه المجموعات الشديدة التماسـك من أمان لأعضـاء المجموعة مما يساعد على تخفيف القلق وتعزيز التقدير الذاتى ، وربمـا زادت الحاجة لهذه الآلية لمواجهة الشدائد ، لأن التوتر يزيد من الشك الذاتى والشعور بعدم الأمان ٠ ولن نندهش إذا رأينـا إزديادا فى تضامن المجموعة عندما ينشب صدام مع مجموعات لاتنتمى الى نفس المجموعة ٠

والتزم جانيس جانب الحـذر عنـدما أشار الى عدم خضوع جميع المجموعات صانعة القرار لأعراض التفكير الجمـاعى ٠ فبالمقـدور تجنب التفكير الجماعى ، وكثيرا مايحدث ذلك ، ومن ثم فإن علينـا أن نعرف ماهية الشروط التى تؤدى الى وجوده ٠ ويشير جانيس الى حالات مسبقة عديدة ساعدت على ظهور التفكير الجماعى ، بعضها يتصـــل بطبيعة المجموعة ، ويتصل بعضها الآخر بطبيعة الموقف وربما أمكن التكهن باحتمال كون الصفات السيكولوجية للأفراد الذين تتألف منهم المجموعة عاملا آخر ٠

فمثلا قد يكون الأفراد من أصحاب الحاجة القوية للانتساب الى عشيرة ما ، أو الأفراد ممن يبالغون فى حسيتهم للمعارضة والرفض أكثر استعدادا بوجه خاص للتفكير الجماعى وعلى الرغم من احتمال صحة هذا الرأى ، فان جانيس يعتقد أن جميع صناع القـــرار حتى من يبالغون فى تقدير ذواتهم عرضة للتفكير الجماعى عندما يتعرضون لظروف معينة (٩٣) .

وأهم شرط مسبق للتفكير الجماعى هو وجود تماســـك داخـل الجمـــوعة ، يعنى أن يتوافر لأعضاء المجمـــوعة التوافق الاجتماعى والعلاقة المنسجمة ، واحترام كل فرد للآخرين ، والولاء المتبـــادل بينهـــم ، وأن يقدروا قيمة التوافق الاجتماعى ، وروح الفريق (*) بين أعضاء المجموعة ، وينص قانون جانيس على أنه كلما ازدادت المحبة بين أعضـــاء المجموعة وازدادت قوة روح الفريق السائدة ، ازدادت خطورة حلول التفكير الجماعى محل التفكير النقدى المستقل (٩٤) .

والتماسك الجماعى شرط ضرورى لبزوغ التفكير الجماعى ، ولكنه ليس شرطا كافيا ، تبعا لما يراه جانيس ، لأن جميع المجموعات المتماسكة لا تمارس التفكير الجماعى ، فلابد من وجود شروط أخرى (والحق أن التماسك الجماعى قد يساعد على ظهور قرارات أفضل اذا شعر الأفراد بقدر كاف من الأمان فى حدود المجموعة ، يتيح لهم المجـــاهرة بنظراتهم النقدية) . ومن جهة أخرى ، فان قرارات الجماعات اللا متماسكة تتصف بهزالها ، وان رجع ذلك الى أسباب أخرى غير التفكير الجماعى : فقد تؤدى شدة الصراع بين أعضاء المجموعة الى تحويل عملية القرار الى صراع على السلطة ، وهكذا يجوز القول بأن التماســـك سلاح ذو حدين . فعندما يتضاءل التماسك وتنزلق المجموعة الى مشاجـــرات لاتنتهى يسود التفكير الجماعى .

وأخيرا هناك عوامل متصلة بالموقف تساهم أيضا فى وجود التفكير الجماعى . اذ يتنامى التفكير الجماعى على نحو نمطى عنـــدما يتعرض أعضاء الجماعة لقدر كبير من التوتر من جراء التهديد الخارجى ويضاف الى ذلك ، فقد يعانى أعضاء المجموعة من تدنى تقدير الذات المترتب على أى اخفـــاق سياسى قريب العهـــد ، أو من جراء مواجهتهم لمأزق أخلاقى عويص . ويشعر أعضاء المجموعة بالأمان السيكولوجى والمساندة المتبادلة فى حضرة زملائهم المتشابهين معهم فى العقلية ، الذين يفرقون بينهم وبين

(*) Esprit de Corps.

أنفسهم بتوقع نجاح السياسة التى اختطوها لمعالجة الأزمة ، ويساعد التفاعل المتماسك فى المجموعة على الحفاظ على تقدير كل عضو لذاته • ويجمل جانيس بالقول بأن السعى نحو التوافق داخل المجموعة يعد :

« محاولة متبادلة للحفاظ على توازن المشاعر فى مواجهة المصادر الخارجية والداخلية للتوتر الناجم عن اشتراكهم فى مسئولية صنع قرارات حيوية توقف تهديدات الاخفاق وعدم الرضاء عن النفس والمجتمع » (٩٥) •

« وبغير وهم الاجماع المترتب على التفكير الجماعى ، قد يتعرض للضياع الاحساس بوحدة المجموعة ، وتبدأ الشكوك الأكالة فى الظهور ، وتتقلص الثقة فى قدرة المجموعة على حل المشكلات • وسرعان ما تستثار الآثار الانفعالية الكاملة لجميع المصادر الداخلية والخارجية للتوتر الذى تولده القرارات الصعبة (٩٦) » •

وعندما تتصف المجموعة باعتدال تماسكها أو شدته ، ويزداد وجود الشروط آنفة الذكر تزداد فرصة حدوث التفكير الجماعى الذى يؤدى الى صنع قرارات خاطئة ، وبطبيعة الحال ، كلما غلب ظهور أعراض التفكير الجماعى على أية مجموعة ازدادت نوعية صنع القرار سوءا على المتوسط • (ويعترف جانيس أيضا بالطبع باحتمال حدوث هنات فى صنع القرار يمكن التعرف عليها ، ولا تكون من نتاج التفكير الجماعى • فقد تكون منبعثة من عوامل أخرى أيضا • ولا يعنى حدوث انحرافات فى صنع القرار القاء المسئولية على التفكير الجماعى) •

التفكير الجماعى فى السياسة الخارجية الأمريكية :

وبعد أن لخص جانيس نظريته عرج منها الى ذكر عدة أمثلة من السياسة الخارجية الأمريكية ، ووصف قرار ادارة كنيدى بتنفيذ غزو خليج الخنازير بكوبا ١٩٦١ بأنه مثل كلاسيكى للتفكير الجماعى ، انه مثل تمخض عن « خيبة أمل » • وذكر أيضا حججا مقنعة عن الدور الكبير الذى يلعبه التفكير الجماعى فى القرارات الخاطئة التى أحاطت بثلاث قضايا أخرى : قرار ادارة ترومان بارسال قوات الأمم المتحدة الى كوريا الشمالية رغم تحذيرات الصين بالتدخل ، وعدم استعداد العسكريين فى بيرل هاربور قبل الهجوم اليابانى فى ديسمبر ١٩٤١ ،

وتصعيد الحرب في فيتنام · وتعرف في كل حـالة على أعراض التفكير الجماعي داخل وحدة صنع القرار ، والشروط المسبقة التي قد تكون وراء اتباع التفكير الجماعي والأخطاء التي نجمت عن عملية صنع القرار وأخطاء السياسة التي أنبثقت منها ·

ويضع جانيس لاعادة التوازن الناتج عن هذه الاخفاقات أمثلة أخرى تبين كيف تمكنت ادارة ترومان وادارة كيندى من تجنب معطيات التفكير الجماعي ، وحققتا نتائج باهرة أثنـــاء تخطيط مشروع مارشـــال وأزمة الصواريخ في كوبا ، وترجع أهمية أزمة الصواريخ الى كونها بينت كيف تعلم من أخطائهم الأشخاص أنفسهم صناع القرار ، الذين شـــاركوا في مهزلة خليج الخنازير ، واتخذوا خطوات واعية لتجنب أخطاء حل المشكلات في السنة السالفة ، وبذلك أثبتوا أنه بامكان التماسك داخل المجموعة تجنب التفكير الجماعي ·

هل بمقدور التفكير الجماعي أن يعتمد على الاســـتعارة من ثقـافات أخرى في صناعة سياسة المجموعات الحكومية في البلدان الأخرى ؟

على الرغم من أننا قد نهتدى الى أسباب ثقافية تفسر لماذا لايسود التفكير الجمـاعي في بعض الثقافات ، مثلما يحـدث عندما نرى احدى الحضارات تقدر النقاش والمجادلة تقديرا يفوق تقديرها للرأى المتولد عن تآلف الآراء ، الا أنه لايستبعد شيوع التفكير الجماعي في عدد لا بأس به من الثقافات · وتعرف جانيس على علامات دالة على وجود التفكير الجماعي في العـــديد من مختلف البلدان ، وأشـــار الى ما قامت به حـــكومة جمال عبد الناصر من استفزاز أدى الى اندلاع حرب الأيام الستة ١٩٦٧ ، والى ما فعلته حكومة باكســـتان من اســـتفزاز أدى الى نشوب الحرب مع الهند ١٩٧١ ، والى عدم استعداد حكومة اسرائيل لحرب يوم كيبور ١٩٧٣ كأمثلة أولية للدلالة على التفكير الجماعي · وجاءت أكثـر تحليلاته اثارة للاهتمام للقرار غير الأمريكي عندما فسر قرارات الحـكومة البريطانيـــة اتباع سياسة مهادنة في الثلاثينات عند تعاملها مع هتلر · انها السياسة التي أدت الى الاخفاق ثم الحرب · وبينما يشير كثيرون في الغرب بكل بساطة الى المهادنة على أنها السياسة المتميزة لرئيس الوزراء تشامبرلين ، الا أنه لم يكن ينفرد بالرأى ، فلقد تلقى تأييدا ســـياسيا واجتماعيـــا وسيكولوجيا لسياسته من كبار المسئولين في مجلس الوزراء البريطاني ، وترتب على ذلك اتبـاع الحكومة البريطانية لهذه السياسة مدة طويلة بعد أن اتضح احتواؤها على أخطاء خطيرة ·

هل هناك صلة مباشرة بين التفكير الجماعى واشتباب الحرب ؟

ربما بدا أن التفكير الجماعى مرتبط بالحرب على نحوين ، أولا وبصفة أكثر مباشرة فبمقدار امكان القول بأن قرارات الحكومة لشن الحرب يهتدى اليها عن طريق التفكير الجماعى ، يصح القول بأن العمنية ذاتها تعد جزئيا سببا للحرب عندما تكون طبيعة التفاعلات الاجتماعية داخل المجموعة مسئولة عن عملية صنع القرار التى انحرفت انحرافا خطيرا عن الحل العقلانى للمشكلة ، وكان بالامكان الاهتداء الى حل أفضل (يفترض أنه أكثر نزوعا للسلام أو أقل خطورة) لو اتبعت عملية أكثر اتصافا بالعقلانية . ومما له أهمية خاصة فى هذا المقام الترابط النمطى بين الافتقار الى التحليل المنطقى والافتقار الى الحذر المتعلق بالمخاطرة والخطأ والافراط فى الشعور بالتفاؤل .

وثانى اسهام يسهم به التفكير الجماعى هو الانسياق للحرب عن طريق ظاهرة الانزلاق الى المخاطرة ، وهذا تصور لمسه جانيس ، ولكن فضل الكشف عن أعماقه يرجع الى آخرين . ويتصل التحول الى المخاطرة اتصالا أقل بتصدع الحل العقلانى للمشكلة داخل الجماعة من اتصاله بقدرة موقف المجموعة على اغراء الأفراد لتحمل مخاطر أكبر مما كانوا سيقدمون عليها (أو يقررونها) لو كانوا وحيدين . وعلى الرغم من أنه لا يجوز القول بأن جميع قرارات التفكير الجماعى تسوق الى اتخاذ قرارات حربية أو تحمل طابع المخاطرة ، الا أن جانيس يشير الى ميل أعضاء المجموعة الى اعتبار الأفراد الخارجين على رأى المجموعة أعداء عنيدين وأشرارا يستحقون العقاب ، ومن ثم يجوز القول بوجود نزوع فى قرارات التفكير الجماعى الى التصلب نحو الخارجين عن رأى المجموعة . ويرى جانيس أيضا وجود ميل لأعضاء المجموعة نحو اتباع اتجاهات فحولية أو « أميل الى العنفوان » (٩٧) ، وأشار آخرون الى هذه الظاهرة بأنها « أعراض الصدور الكثيفة الشعر » ويقدم ريتشارد بارنيت على سبيل المثال هذه الصورة لصناع السياسة الأمريكان :

« من بين أول الدروس التى يتعلمها مسئول الأمن القومى ، اعتبار الخشونة أعظم المميزات والصفات فمن يبدى استعدادا للتوصية باستعمال العنف ضد الأجانب حتى عندما يكون خاضعا لسلطة ما لا تتعرض سمعته للخدش فى جوانب الحصانة والأمانة أو الخيال . أما من ينصح بطرح المشكلة على هيئة الأمم ويسعى للتفاوض أو يشعر بالهلع أو لا يفعل شيئا فما أسرع الحكم على شخصيته (بالطراوة) » (٩٨) .

وتتماثل أعراض الصدر الكثيف الشعر ، الى حد ما ، مع تصور التحول

الى المخاطرة عند علمـــاء النفس الاجتماعي ، ففي بداية الستينات ، جمع الباحثون ركاما من الأدلة التي بينت أنه بينما ينزع الأفراد عنـــد حل مشكلاتهم الى ايثار الحلول الأكثر محافظـــة ، ويعترضـــون على حلول المخاطرة ، فاننا نراهم عندما يسألون عن القـــرارات التي سيتخذونهـا باعتبارهم أعضاء في مجموعة ، فانهم يجنحون الى تأييد الحلول الأكثـــر اتبـــاعا للمخاطرة لنفس المشكلات (٩٩) وتعدلت هذه النتيجة في وقت قريب العهـــد من تأثير ما جرى من أبحـاث مستحدثة ، لأن التحول في الاختيار قد يتجه في كلا الاتجاهين : نحو الحل الأخطـــر ، أو نحو الحل الأكثر ميلا للاتجاه المحافظ (١٠٠) • وتشير الدلائل الآن الى حدوث ميول استقطابية جماعية ، فيها تضخم القرارات الجماعية أية نظرة من النظر تبز : قبـول المخـاطرة أو النفور منهـا باعتبارهما سائدين مبـدئيا داخـــل المجموعة (١٠١) • ويرجع أثر المجموعة في كونه يدفع الحل الى زيادة التطرف (في اتجاه من الاتجاهين) ، أكثر من نزوعه الى تعزيز القرار الذي يتخذه الأفراد منفردين نظرا لأن أعضاء المجموعة أميل الى تعزيز المواقف المتطرفة للآخرين •

وبمقدار النزوع الى ايثار الموقف الأخطر داخل المجموعة ، طرحت عدة تفسيرات متداخلة (١٠٢) : أولا ـ بالاســـتطاعة عزو التحول نحـو المخاطرة الى المساندة السيكولوجية والضغوط المناظرة التي تعد جانبا من أعراض التفكير الجماعي ، ويتوافق هذا الحـــكم هو ورأي جانيس بأن أعضاء المجموعة ينزعون الى السعي نحو تحقيق التماســـك الجمـاعي والحفـــاظ عليه ، ومن بين ســـبل تحقيق ذلك تأييـــد الرأي الشائع حتى لو اتصف بالتطرف ، أكثر من اتجاههم الى تحديه ، وربما ساعدت روح الفريق التي تضطلع بدور محوري في نظـــرية جانيس عن التفكير الجماعي على تشجيع ـ من بين أشياء أخرى ـ التحول نحو قبول بدائـل أخطر ، ثانيا ـ قد يعزى التحول الى المخاطرة الى ادراك امكان القرارات الجماعية اعفاء الأفراد من المسئولية الشخصية المباشرة عن الأفعال الخطيرة ، لأن المخاطر عند توزيعها سيكون قبولها الفردي أيسر • ثالثا ـ قد يتبنى للزعماء الأقوياء الواثقين من أنفســـهم ممن يقبلون المخاطر ـ عن طريق عملية التفاعل الجماعي ـ دفع الأعضاء المترددين الألين عريكة • رابعا ـ قد يمثل التحول ـ بكل بساطة ـ التشديد أو التعزيز للاتجاه المبدئي للأفراد بفضل اتصالهم بالمجموعة •

ربما كان لتكوين المجموعة أثر على اتجاه التحول المختار ، واستعان سيمل بأمثلة وهمية لسيناريوهات أزمات أمن قومي مختلفة ، لدراسـة التحول في الخيارات بين الوصايا الفردية والوصايا الجماعية • واستعان

بثلاث مجموعات مختلفة من المجموعات : طلبة الجامعات وضباط القوات المسلحة الأمريكية وطلبة الكلية الحربية الأمريكية ، ولاحظ حدوث تحول لمجموعات الضباط الى التوصيات الأخطر التى كادت توصى دوما باستعمال التهديد بالقوة ٠ وبالمثل تحولت جميع مجموعات الكلية الحربية الأمريكية تقريبا الى الخيارات الأكثر تطرفا ٠ أما أغلب مجموعات الطلبة فتحولت الى المجموعة الأكثر اعتدالا من المفضلات ، وفضلت التفاوض بوجه عام (١٠٣) ٠ وما يفهم ضمنا من ذلك هو ترجيح الاهتداء الى القرارات ذات النوعية الأسمى عندما تكون المجموعة مؤلفة من خليط غير متجانس من الأفراد المختارين من وحدات فرعية مختلفة التنظيم ٠ وهى نتيجة كان سيقرها جانيس (١٠٤) ٠

وعلى الرغم من أن التحول نحو المخاطرة لم يكن جانبا من نظرية التفكير الجماعى عند جانيس ، الا أنه كشف عن بعض التماثل المثير للاهتمام مع نظريته ٠ فلا يستبعد أن تكون الحاجة الى الأمن الجماعى والسعى نحو الاجماع والتدهور العام لمهارات صناع القرار التى تحدث عنها جانيس فى معرض كلامه عن التفكير الجماعى قد أدت فى نهاية المطاف الى حدوث تحول للمجموعة نحو الأفعال الأخطر ، الى درجة تفوق ما قد يفعله نفس الأفراد لو اختاروا اختيارا عاديا عندما يقررون لأنفسهم ٠

التفكير الجماعى فى الميزان

يتسم التفكير الجماعي بنفس أوجه النقص النظرى القائم فى نموذج السياسة البيروقراطية ٠ فهو يحتاج الى قدر كبير من نوعية المعلومات التى يصعب الحصول عليها مثل دقائق ما يجرى فى اجتماعات مجالس الوزراء أو المكاتب السياسية ، مما يخلق مشكلة من محاولة استنساخها ٠ وتحتاج تفسيرات التفكير الجماعى أيضا الى ديباجة متسهبة ، وان كانت هذه الديباجة بالاستطاعة تنظيمها بدرجة أدق مما يحدث فى حالة نموذج السياسة البيروقراطية ، بفضل دقة جانيس فى طرح النظرية ٠ وتتشابه طريقة التفكير الجماعى ونظرية السياسة البيروقراطية فى كونها نظرية معقدة ، وان كانت العلاقة فيها بين المتغيرات أكثر تحديدا مما نصادفه فى نموذج السياسة البيروقراطية ٠

ومن الناحية الموجبة ، عنى جانيس عناية فائقة بالنهوض بالتفكير الجماعى كنظرية تجريبية ، وحاول أن يحدد كيف يستطاع اختبار النظرية (أو اثبات زيفها) بالاضافة الى أحوال العالم الفعلية ، وكرس جهوده لهذه الناحية ، فقام بتحديد تصور التفكير الجماعى ، وزودنا بالمراجع

التجريبية حتى يتسنى للباحثين الآخرين التعـرف الى وجوده أو عدم وجوده ، وعمد أيضا الى تحديد الشروط اللازمة لظهور التفكير الجماعى والتزم بجعلها قابلة للملاحظة ٠

ورسمت النظرية طريقا واضـحا مبررا بين وجود بعض الشروط المسبقة (من بينها شرط ضرورى هو التماسك داخل المجموعة) والمتغيرات المستقلة (وجود أعراض للتفكير الجماعى يمكن ملاحظتها) ٠ وتثبت الصلات بين الشروط المسبقة والمتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعـة فى صيغة احتمالية (اذا كان ٠٠ اذن) ٠ ففى حالة تماسك المجموعة بدرجة متواضعة أو توثقها ستزداد أهمية وجود الشروط المسبقة ، وتزداد فرصة ممارسة المجموعة لتجربة التفكير الجماعى ، وكلما تعددت أعراض التفكير الجماعى ازداد احتمال اتصاف القرار بالنقص ٠ واذا زادت أوجه النقص فى عملية صنع القرار قل احتمال نجاح السياسة ، وطرحت القضايا فى صيغة الدراسات لتأكيد وجود التفكير الجماعى فى صنع السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية ، وان كانت لم تثبت على أى نحو مدى شيوع ظاهرة التفكير الجماعى ٠

وفى وقت أحدث ، درس جانيس ومساعدوه الصـلة بين مستوى اجراءات صنع القرار ومخرجات السياسة الخارجية ، وكشف الاستقصاء الخاص بصنع القرار الأمريكى فى ١٩ أزمة من أزمات الحـرب العالمية الثانية أن اجراءات القرارات ذات المستوى العالى قد ارتبطت بنتائج أفضل، بينما ارتبطت اجراءات القرارات المتدنيـة بنتائج معاكسـة للمصالح الأمريكية ٠ ويرجح أن تكون قد زادت من حدة الصراع الدولى (١٠٥) ٠

ويعترف جانيس بالمشكلة المرتبطة بنظرية السلوك المستندة الى عامل واحد ، ومن ثم حرص على التنبيه باحتمال احداث المتغيرات الأخرى ـ التى لاتعد من مكونات التفكير الجماعى ـ لشىء من النقص فى صنع القرار ٠ وكما أشار « ترجع الأخطاء الى جميع أنواع الأسباب ٠ فبعضـها مثل أكداس المعلومات الزائدة قد تعرضت للتضخيم من قبل التفكير الجماعى والبعض الآخـر كاللاصـلاحية أو الجهـل ليس له أدنى صلة بالتفكير الجماعى (١٠٦) ٠ ويرجح جانيس أن تكون أعراض التفكير الجماعى من الأسباب التى تسهم فى زيادة تأثير المصادر الأخرى للخطأ ، وان كانت أحيانا تعد السبب الأهم (١٠٧) ٠

مقارنة بين التفكير الجماعى ونموذج السياسة البيروقراطية :

لابد أن نراعى أن كلا من التفكير الجمـاعى ونموذج السـياسة البيروقراطية من النظريات التجريبية ٠ وتحاول كل منهما تفسير وسائل

صنع القرار ، ولمــاذا تصنع على هذا النحو • ولا تدافع نظريات التفكير الجماعى أو نظريات نموذج السياسة البيروقراطية عن وجـوب صـنع السياسات اعتمادا على منهج التفكير الجمـاعى ، أو منهج السـياسة البيروقراطية • وكل ما تفعلانه هو اثبات طريقة صـنع السياسات فى الواقع ، رضينا عن ذلك أم لم نرض • وتصور كلتاهما صنع السياسة على أنها عملية لاعقلانية ، وتقرران غلبة اخفاق الحكومات فى اتباع أفضل القرارات فى المسائل الدولية •

وتتناول النظريتان كلتاهما عملية صنع القرار عند المجموعة الصغيرة والمكاتب السياسية والجونتا (مثل مجالس قيـادة الثورات) واللجان المشتركة للادارات والهيئات ، وهلم جرا • وتعتقد هاتان النظريتان على السواء أن لكل مجموعة من الديناميات أثرها السلبى على صنع القـرار ، وان رجع ذلك لأسباب مختلفة • وتعتقد نظرية التفكير الجماعى ونظرية السياسة البيروقراطية احتمال نشوب خلافات ومشاحنات حول السياسة داخل المجموعة ، وان كانت سياسة أعراض صـنع القرار فى التفكير الجماعى تسعى لتجنب الصراع بالعمـل على تحقيق التماسك الجماعى ، بينما يعالج الصراع فى عملية السياسة البيروقراطية بالمساومة وغير ذلك من المناورات السياسية بين أطراف النزاع (١٠٨) •

ويرجع الاختلاف الرئيسى بين النظريتين الى أن التفكير الجمـاعى يتخيل عملية القرار كعملية يسيطر عليها التماسـك الجماعى والوحدة والتناغم ، بينما يرى أصحاب نظرية السياسة البيروقراطيـة الخلاف الجماعى والانقسام والصراع كعناصر غالبة (ولما كان ذلك كذلك ، لذا بات من المستحيل حدوث العمليتين فى ذات الوقت وفى نفس المجموعة) ويرجع تشارلز هرمان الخلاف المحورى الى أنه فى التفكير الجماعى ينسب الأفراد ولاءهم الى المجموعة صانعـة القرار ذاتهـا ، بينما يجنح معظم ممارسى السياسة البيروقراطية الى جعل ولائهم الأولى لصالح المجموعات الخارجية التى يمثلونها (١٠٩) • ويبدو هذا العامل ذا أثر حاسم فى تحديد هل السياسة المتبعة هى سياسة اجماع أم هى سياسة صراع •

وأخيرا فلا يصح اعتبـار النظريتين سـالفتى الذكر من نظريات الحرب • فهما تتبعان النظريات العـامة لصنع القرار التى يمكن تطبيقها على قرارات الحرب • ولا تزعم النظريتان القدرة على تفسير جميع القرارات التى تتخذها الحكومات ناهيك بقرارات الحرب ، وبينما تتصف النوعيتان بتغيرهما نوعا وبصعوبة التطبيق • وبينما لايرجح تزويدهما بما هو أكثر من التفسيرات الثانوية لمعظم حالات الحرب ، الا أنه يمكن الاستعانة بهما للتزويد باستبصارات عن مبادرات بعض الحروب بالذات •

حلول لهذا المأزق

فاذا صح أن عمليات صـــنع القرارات الحكوميـة تتصف بخطئها ولا معقوليتها ، رغم أنهـــا تلعب الدور الرئيسى فى وقوع الحرب ، فما هو الحل ؟ فالمفروض هو أن تتوافر لنا القدرة على العثور على وسائل أفضـــل لصـــنع القرار وتطبيقه ، وسواء أكانت المشكلة هى السياسـة البيروقراطية أم التفكير الجماعى ، فان الحل هو الاهتداء الى عملية صنع قرار تقترب بقدر المستطاع من نموذج الفاعلية العقلانية (١١٠) • ويعرض جانيس عدة حلول لتناول المشكلات المرتبطة بأعراض التفكير الجماعى •

١ ـ على الزعيـم أن يمنح كل عضـــو فى المجمـــوعة دورا فى التقييم الانتقادى ، بأن يشجع جميع أعضاء المجموعة على الجهر باعتراضاتهم وشكوكهم •

٢ ـ يتعين على الزعماء الالتزام بعـدم الانحيـاز والاحجام عن التشبث بمفضلاتهم المبدئية حتى لايتأثر بها الآخرون من أعضاء المجموعة •

٣ ـ تطرح عدة مخططات مستقلة للسـياسة ، ويؤخذ رأى جمـــاعات التقييم فى كل مسألة من مسائل السياسة •

٤ ـ لابد من تقسيم المجموعة من حين لآخر الى جماعتين فرعيتين أو أكثر تحت رئاسة رؤساء مختلفين للتخفيف من احتمال تركيز المجموعة كلها على البحث عن قاعدة متوافقة واحدة •

٥ ـ يتوجب على كل عضـو فى المجموعة مناقشـة مشاورات المجموعة مع أقرانه وأن يكتب تقريرا يثبت فيه ردود فعله •

٦ ـ لابد من دعوة الخبراء الخارجيين من غير الأعضـــاء الأصليين لكل اجتماع بالتعاقب ، ويراعى تشجيعهم على تحدى نظــرات الأعضاء الأصليين •

٧ ـ يجب تعيين أحد أفراد المجموعة على الأقل ، وتكليفه بالقيـام بدور المدافع عن الشيطان (صاحب الرأى المخالف) فى كل اجتماع •

٨ ـ يخصص أعضـاء المجموعة الوقت الكافى الذى يسمح بدراسة جميع عـــلامات التحـذير الصـادرة من الدول المنافســة ، وأن يضعوا سيناريوهات بديلة لنوايا المنافس • وبالاستطاعة ضم أحد الخارجين

لتمثيل دور المدافع عن كاسندرا (*) للتنبيه الى الامكانات المفزعة التى ربما تجوهلت لو لم تتبع هذه الخطوة ·

٩ ـ بعد الاهتداء الى اجتماع مبدئى ، تعقد المجموعة اجتماعا آخر لاتاحة الفرصة للأعضاء لكى يعبروا عن شكوكهم الكامنة التى قد تكون لديهم ، ولكى يعيدوا النظر فى المسألة برمتها ·

وطرح الكسندر جورج أيضا مشروعا بعيد الارتقاء لصنع القرار ، مصمم لبحث طريقة معالجة المشكلات تبعا لنموذج السياسة البيروقراطية (١١١) · ويعد تناوله (الذى سماه دفاعا متعدد الجوانب) نظرية معيارية أو تشخيصية لصنع القرار قصد بها ارشاد أولئك الممارسين الذين يشتركون بالفعل فى صنع القرارات الحكومية ·

ويدرك جورج أنه بالرغم من عيوب نموذج السياسة البيروقراطية (التى أحسن توثيقها) الا أنها لاتخلو من المكونات الموجبة ، فيجب ألا ننسى أن السياسة البيروقراطية تتصف بالتعددية ، ومن ثم فانها تعد من العمليات التى تطرح فيها مختلف المواقف ، والمفروض أن تؤخذ فى الاعتبار ، ومن هنا يصح القول بأنها تفادت مشكلة الاجماع المصطنع التى نصادفها فى التفكير الجماعى · فبمقدور الاجراءات التعددية التى تتنافس فيها مختلف المجموعات التأثير ـ بالقوة ـ على السياسة ، وأن تكون اجراء صحيا لعملية صنع القرار ، لأن وجود قدر ما من الصراع والخلاف مفيد فى حل المشكلات ، لو أريد لم أطراف الصراع وحله حلا موفقا ، ولسوء الحظ فان الصراع يحدث على نحو غير بناء وغير منتظم ، فنلاحظ أن ما يطرح فيه من خيارات للسياسة فى هذه العملية محدود · ولا يوجه انتباه كاف للنظرات غير المستحبة التى لا تمثل التيار الرئيسى لرؤى أية وكالة بعينها أو ادارة بعينها ·

وفضلا عن ذلك ، فان أقوى العاملين ، أو المؤتلفين ـ ولا يلزم أن يكونوا من بين المجادلين سعيا وراء أفضل الحلول ـ هم الذين يكسبون معركة السياسة · إذ تقف المصالح المؤسسية والشخصية حجر عثرة أمام اتخاذ التحليل السياسى المنطقى المنزه للصدارة ·

ويتطلب دفاع جورج عن التعددية عملية متزنة ومتفتحة وموجهة توجيها سليما للنقاش المتمحور حول دفاع منسق بحيث يترافع كل مدافع

(★) Cassandra أسطورة يونانية عن ابنة بريام ملك طروادة التى كانت تتمتع بالقدرة على التنبؤ ، ولكن لم يصدقها أحد · وتستعمل مجازا للتعبير عمن ينظرون نظرة سوداوية للمستقبل ·

على خير وجه عن خيار بعينه ، حتى يتسنى للمجموعة الاحاطة بدائرة واسعة من الخيارات • وربما تولى أحد كبار المسئولين فى الحكومة (لعله مستشار الأمن القومى في الولايات المتحدة) دور القيم ، ولابد أن يتصف هذا المسئول بصفات الوسيط الأمين للأفكار والمنسق الذى يضمن حدوث تنافس نزيه ، وعليه أن يتأكد من تمثيل جميع الخيارات ووجود مدافع عن كل منها ، وأن تتوافر لجميع المدافعين امكانات متساوية كالتأثير والقدرة والمعلومات والمصادر التحليلية والمهارة فى المساومة والاتصال ، وعليه أن يتأكد من وجود جدول زمنى يسمح بقدر كاف من المجادلة والنقاش • وعليه أن ينسق التحليل المستقل للخيارات والأهداف ، وأن يراقب أو يرصد عملية صنع السياسة ، وما يحدث فيها من خلل عند تنفيذها ، ويتعين أن يحجم « القيم » عن أن يكون هو بالذات مدافعا أو مستشارا للزعيم أو المتحدث باسم الادارة ، ويتوجب على الزعيم الانصات الى عروض الخيارات ، وما يعقبها من حوار • ومن واجبه أن يسأل الأسئلة ويقيم البدائل ثم يختار من بين الخيارات •

ولو بدا أن هذا العرض شديد الامتياز بحيث يصعب الاعتراف بمصداقيته ، فمن غير المستبعد أن يكون كذلك • ولا يخلو الدفاع عن التعددية — يقينا — من العيوب • فقد تخلق العملية قدرا أكبر من التنوع والتضارب والتعقيد يفوق ما يتطلبه أى قرار حسن • فعندما يواجه الزعيم بجميع المهاترات التى تتفتق عنها هذه الطريقة ، فانه قد يعجز عن تحديد أى الخيارات هى الأفضل ، كما يحدث عندما يواجه بدائل قليلة يختار من بينها ولقد أشار أحد النقاد :

« فى سياق الكلام عن تحميل البنيات أكثر مما تحتمل ، ووجود قيود زمنية وحالة عدم يقين ، قد يتسنى للمدافع فى حالة التعددية اضفاء هالة من الاحترام التجريبى على مختلف النظرات ، تسمح للزعيم اختيار كل ما يتوافق مع اتجاهاته » (١١٢) •

وثمة تحذير لابد من توجيهه قبل تطبيق العلاج الذى ارتآه الدكتور جانيس والدكتور جورج • فقد أدرك الاثنان مقاومة المجموعات الصغيرة للاجراءات العقلانية ، ثم أوصيا بكل ارتياح بوجوب بذل المجموعات قصارى جهدها حتى يزداد اتصافها بالعقلانية ، وكأن هذه المسألة تنحصر فى مجرد التعرف عن العيوب وتصحيحها • فبعد أن عرضا براهين مفحمة تفسر أسباب عدم فاعلية « رام » على الأرجح فى العالم الواقعى ، وصفا ترياقهما اعتمادا على نفس هذا الرام ! • وكما أشار ريتشارد ليبو أن « روشتتهما » قد استندت على الزعم بأن الزعماء سيرحبون ببذل جهد

جاد لانشاء عملية صنع القرار ، تساعد على تشجيع التفكير النقدى والخلاف وتوسيع نطاقه . ولكن لعل هذا الرأى شـديد الابتعـاد عن الواقعية ، لأن معظم الزعماء يكرهون النقد والخلاف فى الرأى ، لأنه يهدد سلطاتهم (أو على الأقل فانهم يعتقدون ذلك) ويؤدى الى زيادة تراخى تحكمهم فى عملية القرار . وربما فسره خصومهم على أنه علامة ضعف ، ومن هنا يصبح القول بأن الزعماء قد يكونون على غير استعداد سيكولوجى وسياسى لقبول حتى أخلص الانتقادات (١١٣) .

تتصف عوائق صنع القرار العقلانى بقوتها وشيوعها ، وعلى الرغم من أن عملية القرار مخططة لاستبعاد القرارات الخاطئـة ، الا أن الأخطاء ستظل باقية على الأرجح . والظاهر أن صنع القرارات اللا عقلانية يمثل جانبا من نطاق صنع السياسة الحكومية .

خلاصـــة

فلنختتم هذا الفصل بملاحظة اتصال عمليات صنع القرار فى مستوى المجموعة الصغيرة بعوامل فى المستوى الفـــردى ، كمـــا أنهـــا تتبادل الارتباط بها ، سواء أتمت عملية القرار وفقـا للنموذج العقـلانى (رام) أم نمـوذج السياسة البيروقراطية أم التفكير الجماعى . وفى حالة اختيار السياسات الخطرة أو المتفاقمة فان مجموعة صنع القرار تعتمد جزئيا على الصفات الفردية للاعبين الأساسيين .

وليس من شك أن السمات السيكولوجية لدى زعيم المجموعة تتصف بأهميتها . فمثلا بوسـعنا الزعم أن المجموعات التى يرأسـها رؤساء تنفيذيون سلطويون ومتسلطون ، أو من أنصار مبدأ القوة من المحتمل أن تمارس عملها تبعا لاتجاهات التفكير الجماعى أكثر من اتباعها لاتجاهات السياسة البيروقراطية (١١٤) ، ومن جهة أخـرى ، فان المجموعات التى يتزعمها زعماء لاسلطويون ومتفتحون هى الأقرب الى اتبـاع عمليات سياسية أو تشاورية بيروقراطية المنزع .

بطبيعة الحال ، ليس بمقدور الزعيم وحده تحديد طابع العمليات الجماعية ، لأن الطابع الشخصى لأعضاء المجموعة يتسم أيضـا بأهمية ، فمثلا ما القول فى حال المجموعة اذا كانت مؤلفة من شرذمة من الزعماء السياسيين الشـديدى الثقـة بأنفسهم ممن يتصفون بصفات سيكولوجية

عدوانية وانبساطية (اكسترافوتية) ، ولديهم بواعث نابعة من حاجتهم للقوة والتسلط ، ليس من شك أن الميل فى هذه الحال سيجنح الى احداث تفاعل كل عضو فى المجموعة مع باقى الأعضاء ، طبقا لعمليـات سياسية بيروقراطية تتصف بالخشونة والتغلب ، أكثر من الاتجـاه نحو العمليات التعاونية والاجماعية التى تحدث عنها نموذج التفكير الجمـاعى ، وعلى عكس ذلك ، لو كانت المجموعة مؤلفـة الى حد كبير من زعمـاء سياسيين يتسمون بصفات المهاودة والتقوقع ، وتتركز دوافعهم على الانجاز والألفة ، فى هذه الحالة باستطاعتنا المراهنة على احتمال ارتقاء التفكير الجماعى ، ولو رأس هذه المجموعة الأخيرة شخصية متسلطة مغرمة بالسلطة كالتى تحدثنا عنها آنفا ، فسيكون التفكير الجماعى مؤكدا .

هوامش الفصل الرابع

(١) انظر كتاب Essence of Decision تأليف Graham T. Allison
ففيه تفسير لنموذج R.A.M. (١٩٧١) .

(٢) انظر : Bruce Bueno de Mesquita في كتاب The War Trap
١٩٨١ ويعتقد دى ميسكويتا أن الخدمات تمثل وحدات من صناع القرار تتعامل مع مشكلة الحرب والسلام على انها وسائل يتوقع أن تحقق الحد الاقصى من النفع ٠

(٣) Charles W. Kegley و Eugene R. Wittkopf في كتاب American Foreign Policy : Pattern and Proess (١٩٨٧) ص ٤٧٢ ٠

(٤) McGeorge Bundy في كتاب Danger and Survival عن القنبلة الذرية بعد اطلاقها بخمسين سنة ١٩٨٨ ، ص ٤٠١ ٠

(٥) Glenn H. Synder و Paul Diesing في كتاب Conflict Among Nations ١٩٧٧ ، (ص ٣٦٩) ٠

(٦) Paul A. Anderson : What Do Decision Makers Do When They Make Foreign Policy? : ضمن كتاب من تأليف Hermann و Kegley Rosenau بعنوان New Directions in the Study of Foreign Policy ١٩٨٧ ، ص ٢٨٥-٣٠٥ ٠

(٧) على سبيل المثال كتاب Herbert Simon بعنوان Adminstratise Behavior ١٩٥٩ وكتاب Models of Man تأليف March و Simon ١٩٥٨ و Richard Cyert و James March في كتاب A Behavioral Theory of the Firm (١٩٦٣) ٠

(٨) عندما لا يظهر أى بديل عقبول ، يعمد صناع القرار الى تخفيض مستوى التطلع ويعيدون النظر في ارائهم ٠ انظر Synder و Diesing ص ٣٤٤ ٠

(٩) انظر Synder و Diesing ، ص ٣٤٢ ٠

(١٠) Anderson ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ٠

(١١) David Braybrooke و Charles Lindblom في كتاب Types of Delision Making ١٩٦٩ ، ص ٢٠٧ - ٢١٦ ٠

(١٢) Braybrooke و Lindbloom ص ٢١٢ ٠

(١٣) وفضلا عن ذلك تواصل أهداف صناعة السياسة التغير عندما تلقى التغذية الارتجاعية ضوءا جديدا على ما هو ممكن ومرغوب ٠

(١٤) Leslie Gelb و Richard Betts — The Irony of Vietnam ١٩٧٩ ٠

(١٥) Gelb و Betts ص ٢٧٨ ٠

(١٦) Gelb و Betts ص ٢٩٥ ٠

(١٧) انظر Arthur Schlesinger في كتاب The Bitter Heritage (١٩٦٧) ٠

(١٨) Alison and Halprein نفس المرجع — ولقد أسميا السياسة الراهنة نموذجا وليس نظرية فى هذه المحاولة المنقحة ٠

(٢٠) Essence of Decision — Allison ص ٦٧ ٠

(٢١) Synder و Diesing ص ٢٧٣ ٠

(٢٢) John Steinbruner فى كتاب The Cybernetic Theory of Decision ١٩٧٤ — هذه الوسيلة السيبرنطيقية يستطاع عن طريقها أن تخفف التنظيمات الكبرى من التقييد القاسى لسياستها البيئية ٠ ويخفف التعقد الى ما هو أكثر من ذلك اعتمادا على تفتيت المشكلات الى « مشكلات منمنمة » ، تبحث كل منها وحدات فرعية تنظيمية ٠

(٢٣) Essence of Decision — Allison ، ص ١٣٠ ٠

(٢٤) Organicational Routines the Cuyuses of War - Jack S. Levy مجلة الدراسات الدولية الفصلية ، العدد ٣٠ (يونية ١٩٨٦) ، ص ١٩٢ — ١٩٣ ٠

(٢٥) Levy ، ص ٢١١ ٠

(٢٦) انظر : Jerel Rosati فى مقال بعنوان Developing a Systematic — Decision — Making Framework — مجلة World politics العدد ٣٣ (يناير ١٩٨١) ، ص ٢٣٤ — ٢٥٢ ٠

(٢٧) كل هذا لا يعنى أن اللاعبين التنظيميين لا يرون غير المصالح التنظيمية وما تتعرض له من خطر فى القرارات السياسية ٠ فلديهم أيضا مصالح وأهداف شخصية لها دورها ، بعضها قد يتركز على الارتقاء الشخصى والسعى لبلوغ القمة عن طريق سلم السياسة والسعى نحو احتلال مكانة فى التاريخ ، واحترام الزملاء وتحقيق برنامج أيديولوجى ٠

(٢٨) الأدلة التجريبية تنسب وجود علاقة سببية بين التوجهات والأدوار ، انظر مقال Kegley و Wittkopf فى مجلة السياسة الخارجية الأمريكية ، ص ٤٦٤ ٠

(٢٩) kegley و Wittkopf ، ص ٤٦٦ ٠

(٣٠) طور Roger Hilsman صيغة من نموذج السياسة البيروقراطية سماها نموذج العملية السياسية ٠ وبينما يفترض Allison أن التنظيم هو المحدد الأوحد المهم الذى ينفرد بتقرير السياسة التى يتبعها اللاعبون ، وأن البيروقراطيات القوية هى المحددة الأهم لنتائج السياسة ، يرى Hilsman التنظيمات الحكومية كمجرد عوامل ، ولا يلزم أن تكون أهم هذه العوامل — ويلاحظ أهمية التجزئة داخل التنظيمات الحكومية ، كما تتمثل فى مسايرة بعض الأقسام داخل الادارات الحكومية مع أقسام اخرى فى ادارة الدفاع لمواجهة الاقسام المنافسة فى هذه المؤسسات ذاتها ٠ والأهم هو أن نموذج Hilsman قد خصص دورا أكبر لتأثيرات السياسة الداخلية على السياسة الخارجية وانه ضمن سياسات البرلمانات وايضا سياسات الفروع التنفيذية ٠ وعنى ايضا عناية خاصة بمجموعات المصالح الخاصة ٠ وبعامة الناس ٠

انظر كتاب : The Politics of Policy — Roger Hilsman Making (١٩٨٧) ، ص ٧٧ — ٧٨ ٠

(٣١) فى دراسة Synder و Diesing بالأزمات الدولية اكتشف أن جميع الاستراتيجيات المطروحة للبحث يمكن أن تعمل السياسة البيروقراطية حسابا لها ، ص ٤٠٧ ٠

(٣٢) Charles F. Hermann ـ بحث بعنوان The Impact of Single Group Decision Units مقدم الى مؤتمر الدراسات الدولية فى سانت لويس

فى مارس ١٩٨٨ . انظر أيضا Hermann و Charlec F. Hermann فى مقال بمجلة
علم النفس السياسى والسياسة الدولية ١٩٨٢ .

(٣٣) أسمى Lindblom العملية . Partisan mutual adjustement
كتاب : The Intelligence of Democracy : Lindloygn ١٩٦٥ ، ص ٩٨ .

(٣٤) Essence of Decision — Allison ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٣٥) The Impact of Single Units — C. F. Hermann .

(٣٦) Kenneth Arrow فى كتاب Social Choice and Individual Values
(١٩٥١) وأيضا The War Trap — Brace Bueno de Mesquita ١٢ — ١٨ .

(٣٧) انظر نقد Miriam Steiner لـ BPM تحت عنوان The Elasive
Essence of Decision مجلة الدراسات الدولية الفصلية يونيو ١٩٧٧ ص ٣٨٩ — ٤٢٢ .

(٣٨) Synder و Diesing عرفا التالف الأعظم بأنه « جزء من مجموعة صنع القرار ص ٣٥٠ بمقدوره تنفيذ استراتيجية بغير عون من باقى أعضاء المجموعة ، واذا لزم الأمر ضد معارضتهم الفعالة » .

ويعتقد Synder و Dieting أن انشاء التالفات العظمى جوهر الـ BPM أما Charles Hermann فيبدو أنه يعترض على ذلك ويؤكد دور الحل الوسط - (فى كتاب The Impact of Single Group Decision Units) .

(٣٩) Synder و Diesing ص ٣٥٣ .

(٤٠) Synder و Diesing ص ٥١٩ .

(٤١) نفس المصدر .

(٤٢) Danger and Survlival Bundy ص ٤٤٦ .

(٤٣) kegley و Wittkopf ص ٤٩٨ . انظر أيضا :
Soviet Policies and Kremlin Polices : Philip G. Roeder
مجلة الدراسات الدولية الفصلية ٢٨ (يونيو ١٩٨٤) ، ص ١٧١ — ١٩٣ .

(٤٤) ناقش Philip Roeder ما يقال عن أن صنع القرار التعددى والأوليجاركى فى الاتحاد السوفيتى قد اتسم عادة بالميل للحلول الوسط والمزايدة وتجنب المخاطرة . والظاهر أن التنافس السياسى يؤدى الى المخاطرة ويتمثل ذلك فى الاتحاد السوفيتى فى المواقف التى يتعرض فيها الزعيم المفرد الذى عزز سيطرته على السياسة الخارجية للتحدى من المنافسين .

انظر : Soviet Policies and kremiln Policies Roger

(٤٥) The Politics of Policy in Defense — Roger Hilsman and Foreign Affairs ص ٦١ .

(٤٦) A General Model of International Barbara Hill Conflict
بحث مقدم الى مؤتمر جمعية الدراسات الدولية ، سان لويس فى مارس ١٩٨٨ ، ص ٢٥ .

(٤٧) Bureaucratic Decision making in the Military — Robert Axelrod
Assistance Program ضمن Morton Halperin — Readings in American
١٩٧٣ (ص ١٥٤ — ١٧٢) .

(٤٨) Some Correlates of Attitudes to Multilateral — Andrew Semmel
Diplomacy in United States Deparment مجلة الدراسات الدولية الفصلية
٢٠ (يونيو ١٩٧٦) ، ص ٣٠١ — ٣٢٤ .

(٤٩) Are Bureaucracies Important ? Stephen Krasner Foreign
Policy 7 (صيف ١٩٧٢) ·
(٥٠) Anderson ص ٢٩٩ ·
(٥١) Personality Effects on American — Graham H. Shepard
Foreign Policy (١٩٦٩ ـ ١٩٨٤) مجلة الدراسات الدولية الفصلية ، مارس ١٩٨٨ ،
(ص ١٢١) ·
(٥٢) Hilsman ، ص ٨٧ ·
(٥٣) Krasner نفس المصدر ·
(٥٤) انظر Soviet Military Doctrine : Harriet Fast Scott
بحث مقدم الى المؤتمر الثاني للأمن الدولي في ٢٦ مايو ١٩٨٩ ·
(٥٥) Soldiers, Statesmen and Cold War Crises — Richard Betts
(١٩٧٧) الصفحات ٤ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ·
(٥٦) Synder و Diesing ص ٥١٢ ، ص ٥٠٩ ·
(٥٧) Halperin و Kanter ص ٩ ، ص ١٠
(٥٨) Krasner Are Bureaucracies Important ? مجلة World Politics
٣٣ (٢) في يناير ١٩٨١ ·
(٥٩) Perlmutler ص ٩٢ ·
(٦٠) Bureaucratic Foreign Policy Making — Dan Caldwell
مجلة السلوك العلمي الامريكي ، أكتوبر ١٩٧٧ ، ص ٩٧ ·
(٦١) Rosati نفس المصدر ·
(٦٢) انظر في هذه النقطة The Divded Fen Osler Hamson Decision
Maker American Politics and Cuban Missiles (١٩٨٥) ·
(٦٣) Danger and Survival — Bundy ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ ·
(٦٤) انظر . Rosati ص ٢٦٤ و Krasner ، نفس المرجع ·
(٦٥) Wilfred Kohl مقال The Nixon-Kissinger Foreign Policy
System & US -European Relations مجلة السياسة العالية ٢٨ (في أكتوبر
١٩٧٥) ، يتضمن النموذجان البديلان لكول (أ) نموذج السياسة الديمقراطية لهيلزمان ،
(ب) النموذج الملكي (ويسمى أحيانا نموذج الرجل القوى) الذى يركز على دور الشخصية
والأسلوب الفعال لقمة صناع القرار · (ج) نموذج الصور والمدركات المشاركة ·
(د) نموذج الدفاع التعددى لألكسندر جورج و (هـ) نموذج التفكير الجماعى
لجانيس ·

(٦٦) Synder و Diesing ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦ ·
(٦٧) انظر Bayless Manning ، مجلة The Congress, the Executive
and inkremestic Affairs : Three Proposals مجلة الشئون الخارجية
(يناير ١٩٧٧) ، ص ٣٠٦ ـ ٣٢٤ وأيضا Eric John Spanier و Uslaner
بعنوان How American Foreign Policy is Made (١٩٧٨) ·
(٦٨) The Impact of Single Decision Units on — C.F. Hermann
Foreign Policy وأيضا Bruce Bueno de Mesquita في كتاب
The War Trap .

(٦٩) C.F. Hermann — The Impact of Single Decision Units on
Foreign Policy .

(٧٠) Synder و Diesing ص ٥١٢ · اعتبر ستيدر وديزيينج أيضا ال BPM اكثر صلاحية للعصر الحديث « حيث تصبح هيئات أخرى غير وزارات الشئون الخارجية مستقلة بصناعة السياسة الخارجية » ·

(٧١) Kim Richard Nossal — Bureaucratic Politics and Westminister
Model. ضمن كتاب أشرف على تحريره Robert O Matthews واخرون بعنوان :
International Conflict & Conflict Management en 1. ١٩٨٤ (ص ١٢٠ — ١٢٧) ·

(٧٢)انظر على سبيل المثال كيف ركز H. Gorron skilling و Franklin Griffith على « مجموعات المصالح » في النظام السوفيتي في كتاب Interest Groups in Soviet Politics (١٩٧١) واستعان Carl Linden بما سماه « نموذج الصراع » عند بحثه لادارة خروتشوف في كتاب Khrushchev and the Soviet Leader ship ١٩٦٦ وشدد Denis Ross على Coalitioni in Soviet Union Maintenance في مقال بعنوان Coalition maintenance مجلة السياسة الدولية · (يناير ١٩٨٠) ، ص ٢٥٨ — ٢٨٠ · وانظر مقال William Odom بعنوان A Dissenting View on the Group Approach to Soviet Politics في مجلة السياسة العالمية (يوليو ١٩٧٦ ، ص ٥٤٢ — ٥٦٧) للالمام براى معارض للمنظور التعددى الأوليجاركى ، ويتضمن دفاعا عن العودة للنموذج الشمولي في صناعة السياسة السوفيتية ·

(٧٣) Jiri Valenta — Soviet Intervention in Czechoslovakia
١٩٦٨ . Anatomy of a Decision ١٩٧٩ ، ص ٤ ·

(٧٤) Ross — Coalition Maintenance in Soviet Union
انظر أيضا الى مقالة في كتاب أشرف عليه Jiri Valenta و William Potler بعنوان Soviet Decision making for National Security (١٩٨٤) ، ص ٢٣٧ — ٢٥١ ·

(٧٥) Ross Risk Arersion in Soviet Decision Making ، ص ٢٤ -

(٧٦) Ross Coalition Maintenance ص ٢٦٦ ·

(٧٧) انظر Morton Halperin و Arnold Kanter في Readings American Foregn Policy ١٩٧٣ — وأيضا لمعرفة وجهة نظر في BPM انظر الدراسات التي وردت عن Dan Caldwell بعنوان Bureaucratica Foreign Policy .

(٧٨) Baltimore ١٩٧٩ ·

(٧٩) Dina Rome Spechlen — The U.S.S.R. and Third World
Conflicts وفيه بحث في سياسة الاتحاد السوفيتي نحو الشرق الأوسط · مقال في مجلة السياسة العالمية (ابريل ١٩٨٦) ·

(٨٠) Max Jacobson — The Diplomacy of the Winter War
(١٩٣٩ — ١٩٤٠) ، ١٩٦١ ·

(٨١) يتبين من دراسة Valenta لقرار السوفيت التدخل في أفغانستان احتمال وجود انحياز بيروقراطي واجتماعات مؤسسية عند لجنة السوفيت . انظر كتاب Soviet Decisionmaking on Afghanistan : Jiri Valenta ١٩٧٩ ضمن كتاب Valenta و Soviet Decisionmaking for National Security : William Potter وعلى الرغم من كون هذه الناحية خارجة عن مجال دراستنا ألا أنه من المثير للاهتمام تأمل تطور تفسيرات مسلك روسيا القيصرية التى انتهى بها الأمر الى الحرب الروسية اليابانية ، اذ ساعد وجود قيصر ضعيف (نيقولا الثانى) على اتباع الحكومة الروسية لسياسات متناقضة فى الشرق الأقصى أدت الى وقوع الحرب بينها وبين اليابان .

(٨٢) Neither Peace nor Honor — Robert Gallucci ١٩٧٥ — وتحليل David Halberstam لتورط أمريكا فى فيتنام فى كتاب The Best and the Brightest (١٩٧٢) ويتماشى مع اتجاه نموذج السياسة البيروقراطية .

(٨٣) انظر : How Could Vietnam Happen ? James Thomson ضمن Readings in American Foreign Policy ص ٩٨ — ١١٠ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٨٤) Thomson ص ١٠٣ .

(٨٥) Gallucci ، ص ٦٨ .

(٨٦) انظر فى هذه النقطة Belb و Betts ، ص ٣٠٩ — ٣١٠ .

(٨٧) Galluci ص ٤٩ .

(٨٨) Hilsman ص ٨٧—٩٠ .

(٨٩) كتاب أشرف عليه Tanter و Theory and Policy — Ulmann in International Relations

(٩٠) Caldwell ص ١٠٠ .

(٩١) انظر فى هذه النقطة مقال David Dessler بعنوان Beyond Correlation — مجلة الدراسات الدولية الفصلية (سبتمبر ١٩٩١) ، ص ٣٣٧ — ٥٥ .

(٩٢) Groupthinking — Irving Janis ١٩٨٢ ، ص ٩ .

(٩٣) نفس المصدر — ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٩٤) نفس المصدر ، ص ١٣ .

(٩٥) نفس المصدر ، ص ٢٥٦ .

(٩٦) نفس المصدر ، ص ٢٥٨ .

(٩٧) نفس المصدر ، ص ١٢ ، ص ١٢٧ .

(٩٨) Richard Barnet فى كتاب The Men) Roots of war and Institutions Behind U.S. Foreign Policy (١٩٨١) ، ص ١٠٩ . استشهد بها Kegley و wittkopf ص ٥٠٣ .

(٩٩) انظر على سبيل المثال Choice Shifts in Group — Dean Pruitt Discussion فى مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعى ١٩٧١ ، ص ٣٣٩ — ٣٦٠ .

(١٠٠) Risk-taking by Individuals and Groups — D. Cartwright. فى مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعى (١٩٧١) ، ص ٢٦١ — ٧٨ .

(١٠١) D. G. Myers و H. Lamm — The Polarizing Effect of Group Discussion ضمن كتاب Current Trends in D. Psychology اشرف عليه Altos و Kaufmann ١٩٧٧ .

(١٠٢) انظر Andrew K. Semmel — Small Group Dynamics in Foreign Polymaking Biopolitics, Political Psychology (١٩٨٢) ص ٩٤ ـ ١١٣ .

(١٠٣) نفس المصدر .

(١٠٤) اكتشف Semmel ان الجمود السيكولوجى لاعضاء المجموعة عامل مهم اذ تجنح المجموعات المؤلفة من اعضاء مفرطين فى المرونة لان تكون اقل استعدادا لتحمل المخاطر من تلك المؤلفة من شخصيات اصلب عودا ، ص ١٠٨ .

(١٠٥) Gregory M. Herek و Irving Janis و Paul Huth : Dicision Making during International Crisis. مجلة حل النزاع (يونيو ١٩٨٧) ص ٢٠٣ ـ ٢٢٦ .

(١٠٦) Janis ص ١٩٦ .

(١٠٧) نفس المصدر .

(١٠٨) C. F. Hermann — The Impact of Single Decisionunits Greup

(١٠٩) نفس المصدر .

(١١٠) Janis ص ، ـ ٢٧١ .

(١١١) Alexander George — The Case for Multiple Advocacy in Making Foreign Policy. مجلة علم السياسة ، (سبتمبر ١٩٧٢) ، ص ٧٥١ ـ ٧٨٥ .

(١١٢) Richard K. Betts — Analysis, War and Decision مجلة السياسة العالمية (اكتوبر ١٩٧٨) ، ص ٧٦ .

(١١٣) Richard Ned Lebow — Between peace and war (١٩٨١) ـ ص ٢٩٦ ـ ٣٠٥ .

(١١٤) اثبتت دراسة واحدة على اقل تقدير ان وجود الزعماء أصحاب القدرة على التحفيز القوى يشجع على ظهور التفكير الجماعى .

انظر : M. Fodor و T. Smith, E. ـ فى كتاب The Power Motive as an Influence on Group Decision. مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعى ، ١٩٨٢ (ص ١٧٨ ـ ١٨٥) .

الفصل الخامس

الدولة والصراع الدولى

الاقوياء يفعلون ما بمقدورهم فعله والضعاف يعانون مما ليس فيه بد ٠

توكوديدس

الأيام العصبية تولد اتجاهات عصبية

ستروب تالبوت

البيت هو المعلم الاول للسلام والجود

فرانكلين روزفلت

لما كان معظم علماء العلاقات الدولية ينسبون الدور الفعال الأول فى السياسة الدولية للدول ، فلا عجب اذا رأينا كثيرين من أصحاب نظريات الدولى يركزون الكلام على طبيعة الدولة باعتبارها المحرك الأول للحرب ، والافتراض الكامن وراء أغلب النظريات فى هذا المستوى من التحليل هو وجود سمة قومية محددة (أو جمع من السمات) تؤثر على المسلك الذى تسلكه الدول ، فالدول ذات الخصائص المتماثلة تتصرف على نحو متماثل ٠ ويعد اختلاف الشخصية والتكوين السيكولوجى للزعماء القوميين مسألة عديمة الأهمية نسبيا بالنظر الى أن صفات الدولة هى التى تملى على صناع القرار التصرف بطريقة بعينها (١) ٠

ومن بين أكثر الكشوف اثارة للاهتمام فى أبحاث الحرب الاعتقاد بعدم مساواة الدول فى الميل للعنف ٠ فهناك اختلاف كبير فى مسلك الصراع بين دول العالم ٠ وأجملت دينا زينيس هذا الرأى بعد أن لخصت العديد من الدراسات الاحصائية للحرب :

« العنف الدولى ظاهرة متفشية فى شتى الأنحاء ، ولا تقتصر على دول قليلة ٠ ففى وقت أو آخر ، اشتبكت جميع الدول فى هذه النوعية

من الأفعال . على أن بعض الأمم تبـدو أكثر استعدادا من غيرها لاتباع هذا النوع من السلوك » (٢) .

واستنتج ـ بالمثل ـ دافيـد سـنجر وملفين سمول من دراستيهما لحروب القرن التاسع عشر والقرن العشرين « أن معظم الحروب المتلاحقة كانت من صنع فئة صغيرة من الأمم » (٣) . والحق أن البينات التى ذكرها المؤلفان فى معامل ارتباط الحرب ، قد أثبتت أن من بين ٧٦ من الحروب التى دارت بين الدول فى الحقبة الواقعة بين ١٨١٦ و ١٩٨٠ لم تشترك قط فى الحروب بين الدول ٩٤ دولة أى ٥٣ر٤٪ من مجموعة الدول .

فلو صح وجود اختلاف ملحوظ بين الدول فى تجربتهـا للحرب ، فلعل هناك اتصالا بين هذه الظاهرة وبعض الاختلافات الأساسـية فى الصفات التى تتصف بهـا كل دولة ، وعلى هذا سيكون السؤال المواجه لنـا هو : « ما الذى جعل بعض الدول أكثر ميـلا للحرب من الدول الأخرى ؟ » وكالعادة هناك اجابات كثيرة تتنافس للرد على هذا السؤال ، فلقد شدد أصحاب النظريات الدولية على القول بوجود عوامل عابرة ربما كان لها اتصال بهذا السؤال : ١ ـ نـوع الحكومة القائمـة بالدولة . ٢ ـ نوع النظام الاقتصادى المتبع فى الدولة ، أو وجود عوامل اقتصادية معينة فى الدولة ٣ ـ خصائص ديموجرافية وثقافية وفزيائية أو جغرافية للدولة ٤ ـ درجة عدم الاستقرار فى الدولة ٥ ـ الحرب التى سبق أن تورطت فيها الدولة . ويهدف هذا الفصل الى تفنيد هذه النظريات .

نوع الحكومة

فى أى عالم لايحتـاج فهمه الى ما هو أكثـر من أبسط التفسـيرات (وهو من أسف ليس عالمنا) بالاستطاعة تقسيم الدول الى فئتين : دول خيرة ومسالمة ودول عدوانية شريرة . فمن هم الطيبون ، ومن هم الأشرار ؟ والحكم الشائع هو الزعم بأن الدول الديموقراطية هى الدول المسالمة ، والدول السلطوية تتسم بالعدوانية ، وهذه نظرية ليبرالية أساسا تعتمد على الظن بأن البشر مسالمون بطبعهم وعقلانيون ومتعاونون ، ومن ثم يمكن القول بأن العلاقات بين الدول تتسم بوجه عام بتناغمها وتعاونها أيضـا ويقال فى معرض تأييد هذا الرأى انه لما كانت البشرية مسالمة أساسا ، فان هذه الرغبة فى السلام ستنعكس فى سياسات الحكومات ، وبخاصة عنـدما تتصف بالديموقراطية ، اذ تمثـل الحكومات الديموقراطية بحكم ديموقراطيتها رغبات مواطنيها المسالمين (أو على الأقل فانها تمثل ارادة الأغلبية المسالمة) وعندما يتطلع الجنود وعائلاتهم للمستقبل ، وما يتيحه

من فرص للمشاركة في قرار الحرب ، فان احتمال الحرب يتضاءل ، لان قلائل سيؤيدون نشوب أية حرب ضرورية قد تؤدى الى تدمير ممتلكاتهم وخفض مستوى معيشتهم وموتهم وموت أحبائهم .

وقد تدفعنا أية قراءة ضيقة الأفق (وان كانت صحيحة) لهذه النظرية الى التنبؤ بأن الديموقراطيات ستكون أقل من غيرها ميلا للمبادىء باشعال الحروب ، وستكون الصراعات التى يثيرها الضجيج الشعبى المصاحب للحرب أندر الى حد كبير (وان كانت هذه الحجة كانت فى الواقع التفسير التقليدى لقرار الرئيس ماك كينلى بمطالبة الكونجرس باعلان الحرب على أسبانيا ١٨٩٨) . ومن جهة أخرى ، فان النظرية لم تثبت بالضرورة احتمال أن تكون الديموقراطيات أقل عرضة لعدوان الدول الأخرى . والواقع أن العكس هو الصحيح ، اذ أدى العزوف العام عن استعمال القوة فى الديموقراطيات الى اضعاف قدرتها على ردع عدوان الآخرين .

ومن جهة أخرى ، ففى البلدان غير الديموقراطية يزعم عدم تقيد الزعامة بالارادة الشعبية ، أو بالقيود الدستورية على السلطة المركزية ، ومن ثم يمكن ترجيح القول بأن زعماء الحكومات الأوتوقراطية هم الذين يشعلون الخصومات ، ويكون وجود الأنظمة الأوتوقراطية هو الخطر الذى يهدد السلام . وباختصار فان الحرب تحدث لوجود بعض حكومات سيئة .

ولو صحت نظرة الليبراليين ، فكيف يستطاع الحيلولة دون حدوث الحرب ؟ غنى عن القول أن الحل طويل الأجل يقتضى خلق عالم من الدول الديموقراطية ، والسؤال الأهم هو هل يستطاع تحقيق ذلك ؟ وتنحصر الاجابة عليه بين نوعيتين : نوعية موجبة ونوعية سالبة (٤) .

وكان أنصار العزلة الأمريكان من المؤيدين النموذجيين للسياسة السلبية ، واعتمدت حجتهم على المناداة بتزعم الولايات المتحدة للبلدان الأخرى فى طريق الاستنارة المؤدية للديموقراطية والسلام بأن تكون قدوة يقتدى بها ، أى أن تضطلع الولايات المتحدة بدور المنار ، أو بدور « مدينة منيرة قابعة فوق الجبل » ، لكل من يرغبون الاتباع . فلما كانت الديمقراطية بلا مراء هى أفضل نظام للحكومة ، فان العقل يملى على باقى البلدان اتباع الديموقراطية وسيكون السلام هو الثمرة ، وبذلك يكون التدخل المباشر بلا ضرورة .

وفى نظر الآخرين ، فان التزام السلبية كنموذج لن يكون كافيا ، فلن تعلن قوة السلام عن نفسها باتباع موقف المتفرج ، بينما تهاجم الدول الشريرة الدول الخيرة أو الطيبة ، وينتهى الأمر يتعرض دولتنا للهجوم ! • وهكذا انتهى أنصار الدور الأنشط سياسيا (أو أنصار مبدأ التدخل فى شئون الآخرين) الى القول بأنه ربما تطلب الأمر من الدول الديموقراطية التدخل فى شئون الدول السلطوية لدفعها الى اعتناق المزيد من الديموقراطية • وكما لاحظ ادموند بيرك – وهو أحد مؤسسى الاتجاه المحافظ الجديد : « ان كل ما هو ضرورى لانتصار الشر هو أن يكف جميع الأخيار عن فعل أى شىء » (٥) • وهكذا رأينا ودرو ويلسون (وهو ليبرالى) يرسل البحارة الأمريكان الى المكسيك « لتلقينها درس انتخاب الحكومة الخيرة » ، وأرسلت القوات الأمريكية الى أوربا « للحرب من أجل الديموقراطية ، بينما أرسل الرئيس ريجان والرئيس بوش (وكلاهما محافظ) القوات الى جرينادا وبنما « لاستعادة » الديموقراطية •

لابد أن تكون مشكلة هذا الاتجاه ظاهرة للعيان • فقد اعتبرت الحرب وسيلة لتحقيق السلام • والأدهى من ذلك هو أن شن الحروب وفقا لهذه المبادىء العالمية قد جنحت الى التحول الى حروب لم تتوقف عند حد ، فكما بين تيلور : « لقد حارب بسمارك حروبا ضرورية وقتل الآلاف ، أما المثاليون فى القرن العشرين فقد حاربوا حروبا عادلة وقتلوا الملايين » (٦) •

الحرب والديموقراطية : الأدلة التجريبية

هل هناك أى دليل يثبت صحة النظرية الليبرالية للحرب ؟ وهل تعد الديموقراطيات أميل للسلام من الأوتوقراطيات ؟ • لو كانت هناك نظرية حسنة قد تعرضت للالتواء من تأثير ما تواجهه من حقائق لا حصر لها ، فاننى أزعم أنها هذه النظرية • فمهما بدا فيها من جوانب صائبة ، وبغض النظر عن تهيئة القيم الديموقراطية لعقولنا للترحيب بهذه النظرية ، الا أن هناك القليل من القرائن المؤيدة لها •

فلقد أنشأ بنى كوينسى رايت فى كتابه المهول « دراسة فى الحرب » تفسيرات نظرية متقنة الصنع لتأييد ما يقال عن أن الديموقراطيات تتسم بمسالمتها أكثر من الأوتوقراطيات المطلقة ، لأن سلطة حكوماتها المركزية مقيدة بقيود دستورية ، ولأن قوتها موزعة بحكم خضوعها لمبادىء الفيدرالية والفصل بين السلطات ، ومقيدة بالمشاركة السياسية على نطاق واسع ، وبالتروى فى اتخاذ الاجراءات وحرية الانتقاء ، وخاضعة لحكم

الأغلبية فى نهاية المطاف ، وتتطلب الحسبة السياســية حفاظ النخبة الحاكمة فى الديمقراطيات على التأييد الشعبى العــام لضمان الاستقرار فى السلطة ، وسوف تتجنب السياسات غير المستحبة (كالحرب) خشية التعرض للجزاء عندما تجرى انتخابات جديدة • على أن رايت عندما راجع ما كتب فى التاريخ ، أرغم على استخلاص الرأى بأن الديموقراطيات قد تورطت الى درجة قصوى فى الحرب • ولايرجع ذلك فقط الى أنها أرغمت على الدفاع عن نفسها ضد هجوم الآخرين ! • والظاهر أنه لا وجود لاختلاف كبير فى عملية الحرب بين مختلف أنواع الأنظمة السياسية (٧) •

واهتدى الى نتائج مماثلة مشروع البحث الذى أجراه سنجر وسمول عن معامل ارتباط الحرب فى جامعة ميتشيجان ، فعندما بحثا الحروب التى نشبت بين ١٨٦١ و ١٩٦٥ اكتشــفا عدم وجــود اختــلاف بين الديموقراطيات واللاديموقراطيات ، لا فى ناحية الاشتراك فى الحرب أو ناحية المبادىء فى اشــعالها (٨) • فلا ترجع الحــروب الثقيلة التى خاضتها الديموقراطيات الى اختيارها لا حول لها ولا قوة للأنظمة الأخرى ، واتضح أنها تورطت فى استعمال القوة على نفس النحو الذى حدث للدول اللاديموقراطية ، واكتشف راسيت ومونزن أيضا وهن الارتباط بين نوعية النظام السياسى الذى تتبعه الدولة ونزوعها الى الحرب ، فالظاهر أن حجم الدولة عامل أقوى وأهم فى هذه الناحية • اذ تورطت البوليارفيــــات (الديموقراطيات التمثيلية) الكبرى فى عــدد من الحروب يفوق عــددا تورط البوليارفيات الصغرى أو اللابوليارفيات من أى حجم (٩) •

على أنه وكما رأينا ليس هناك شىء كامل التحديد والبساطة فى بحث الصراع ، فلقد كشفت البحوث عن بعض دلائل ونتائج متباينة • وصنف ميكائيل هاس البلدان فى ثلاث فئات : دستورية وسلطوية وشمولية • وعندما واجهت هذه النوعيات الثلاث للحكومات بنيات دالة على حدوث صراع خارجى ابتداء من أواخر الخمسينات ، اكتشف هاس أن الأنظمة السلطوية قد أثبتت تربعهــا على عــرش الملك الاصطدامى فى المسائل الخارجيــة ، وكشفت الحكومات الدستورية عن أدنى مسلك فى هــذا الشأن ، واحتلت الحكومات الشمولية موقعا وسطا بين الطرفين الآخرين • ومع ذلك ، فلم تكن أية صلة من الصلات الاحصائية قوية تماما (١٠) . وفضلا عن ذلك ، فقد عانت دراســة هاس من بعض القصور : أولا ، لأنها اكتفت بدراسة فترة محدودة من الزمان (١٩٥٥ ــ ١٩٦٠) بالمقارنة بدراســة « كاو » • ثانيا ــ أنهــا لم تتجه اتجاها مباشرا الى البحث فى مسائل التورط فى الحرب ، ولكنها بحثت ــ بدلا من ذلك ــ الســلوك

الصراعى بوجه عام (والذى لايتضمن الحرب وحدها ، ولكنه يضم أيضا مسالك صراعية خارج الحرب مثل الاحتجاجات الدبلوماسية والعقوبات ٠٠ الخ) وثالثا ــ شح نتائجها الاحصائية ٠

وثمة دراستان أخريان قام بهما ويلكنفيلد وزينيس وسالمور وهرمان أثبتتا أيضا وجود اختلاف فى أفعال المشاركة فى الصراع بين الديموقراطيات والأوتوقراطيات (١١) ، وكما هو الحال فى دراسة هاس لم تكن النتائج الاحصائية قوية للغاية ، فقد ذكرت فيها الحرب ضمن أنواع أخرى من المسالك الاصطدامية ٠ واتسمت كشوف هذه الدراسات الثلاث الأخيرة بتوافقها ، ولكنها اتسمت أيضا بضعفها وتضاربها ٠ وهكذا تكون هذه الموجة الأولى من البحث فى هذه المشكلة ، قد فشلت فى الاهتداء الى علاقة قوية بين الحكومة الديموقراطية والسلام ، ومع هذا فقد دفعت الجاذبية الأيديولوجية للنظرية الى المزيد من البحث فى الارتباط بين الديموقراطية والسلام ٠

وعاد الجدل مرة أخرى فى الثمانينات عندما عثرت الدراسة التى أجراها ر ٠ ج ٠ راميل على تأييد جوهرى للنظرية (١٢) ، فقد اكتشف راميل بالنسبة للسنوات الواقعة بين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ أنه كلما زاد نصيب الدولة من الليبرالية أو الحرية ، قل التجاؤها للعنف فى المسائل الخارجية ، أو كلما تضاءلت الحرية فى الدولة ازداد مقدار العنف ، واتضح صدق هذه النتيجة سواء أكان المتغير المستقل مقياسا لشدة الصراع الخارجى أم سيئات الحرب وحدها ٠ وعندما امتد النطاق التقليدى لمجالات ممارسة الدول الحرة لحريتها ، ولم يعد يقتصر على وجود الحقوق السياسية والحريات المدنية ، بل أصبح يضم أيضا الحرية الاقتصادية (حرية السوق) بدت العلاقة ربما أقوى ٠

وجنح علماء آخرون الى الاختلاف بعد أن لاحظوا عدة مشكلات فى بحث راميل ٠ فلم يهتد مرة أخرى تحليل ستيف شان للحقبة الواقعة بين ١٨٦٦ و١٩٨٠ فى عملية موسعة لدراسة سنجر وسمول الى علاقة قوية تربط بين نوعية الحكومة والتورط فى الحرب (١٣) ٠ اذ لا تحرم الديموقراطية تحريما قاطعا الدول من شن الحرب أو من مساندة من يحاربون ٠ والأهم من ذلك هو أن « شان » اكتشف اختلافا بينا فى سلوك الحرب بعد ١٩٧٣ ٠ فلقد اكتشف علاقة موجبة بين الحرب والديموقراطية فى الفترة بين ١٨١٦ و١٨٧٢ ، وتبين من وجود معامل ارتباط عال بين الديموقراطية والحرب ، أى عكس ما تنبأت به النظرية ! ، ولكن هذه العلاقة انعكست

فى الحقبة بين ١٩٧٣ و ١٩٨٠ ، وتمخضت دراسة عالم آخر للحقبة بين ١٩٦٠ و ١٩٨٠ عن نتائج مماثلة نوعا · وبوجه عام يمكن القول بعدم وجود علاقة قوية بين التورط في الحروب ونوعية الحكومة الا أن هناك اختلاف الحقبة (من ١٩٦٠ حتى ١٩٧٤) والحقبة بين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ · وتوحى هذه النتائج بأن اعتماد راميل فى بحثه على الفترة ١٩٧٦ ــ ١٩٨٠ كان المسئول عما اهتدى اليه من نتائج · وتبدو الفترة الأحدث متنافرة بمقارنتها بالعهود السالفة · ويستخلص العالم ويد من ذلك « أن أدلة راميل المستحدثة ــ قد غزرت الفكرة التى تعتقد أن الديموقراطيات أقل تورطا فى الحرب فى الأغلب فى أواخر السبعينات » (١٤) ·

ويضيف تحليل مورجان وكامبل الى المشاحنات التى اتخذت طابعا عسكريا بين ١٨١٦ و ١٩٧٦ دليلا جديدا ، فبدلا متى أن يركزا على الديموقراطيات فى ذاتها ، فانهما اهتما بوجود (أو عدم وجود) القيود البنيوية وقدرة الحكومة على اتخاذ قرارات الحرب · وتتضمن مثل هذه القيود السياسية مسئولية الزعيم أمام هيئة منتخبة ووجود منافسة سياسية والاشتراك مع السلطة الحاكمة فى قرارات الحرب والسلام · واكتشفا تعرض احتمال الحرب للنقصان الطفيف بعد ازدياد القيود على صنع القرار الحكومى ، ولكن العلاقة لم تكشف عن نتائج ذات بال ، واستنتجا عدم أهمية القيود أو الكوابح فى البنيان السياسى فى تقرير هل تساعد المشاحنات العسكرية على تصعيد الحرب (١٥) · وهكذا يكون عدد من الدراسات الحديثة قد دحض اعتقاد راميل ، وساند النظرة التقليدية التى تعتقد أن نوعية الحكومة ذات تأثير هين على ميل البلد للحرب ·

ومع هذا فان أحد كشوف راميل لم يتعرض للتحدى ، ان اقتراحه عن الحرية المشتركة (*) ، ويتضمن القول بأن الأنظمة الليبرالية (الديموقراطية) تستبعد استبعادا متبادلا العنف ، الذى لن يحدث الا اذا كانت احداها محرومة من الحرية · واكتسب هذا الرأى ــ كما يبدو ــ تأييدا كاسحا من العلماء (١٦) · ومن خلال السنوات الخمس الواقعة بين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ لم يهتد راميل الى أى مثل للعنف بين أية دولتين تتمتعان بالحرية السياسية ، أو بين أية دولتين من الدول التى توصف « بالحرية » ، يعنى تتمتعان بالحرية السياسية والحرية الاقتصادية على السواء (١٧) ·

(*) Joint Freedom.

وأثبت تحليله أيضــا عـدم رد ذلك الى التجاور الجغرافى بين الدولتين الليبراليتين • وبالمثــل اكتشفت دراســة سنجر وسمول التى فحصت خمسين حالة من الحروب بين دولتين فى الفترة بين ١٨١٦ و ١٩٦٥ مثلين « هامشيين » فحسب للحرب بين دولتين ديموقراطيتين : عندما انضمت فنلندة الى ألمانيا لمحاربة الاتحاد السوفيتى والحلفــاء الديموقراطيين ابان الحرب العالمية الثانية ، وعندما هاجمت فرنسا المتضخمة جمهورية روما التى لم تدم سوى أيام قليلة (١٩٤٩) (١٨) • واذا غضضنا النظر عن الاستثناءات الهامشية، فسنرى عدم حدوث حرب حقيقية بين الديموقراطيات فيما ينوف عن قرن ونصف من الزمان (١٩) ، والحق أن أحـد المحللين قد استنتج الاعتقاد بأن الافتقار الى أى حرب بين الديموقراطيات يعد أقرب شيء بين أيدينا لما يعتبر قانونا تجريبيا فى ساحة العلاقات الدولية ! (٢٠)•

أما لماذا يحدث هذا ، فأمر غير واضح كلية ، اذ تكاد توقعات الحرب والتهديد بالحرب بين الديموقراطيات يقل أو يخف مؤكدا بفضــل الاشتراك فى ثقافة سياسية واحدة ، وبفضل الهوية والتعاطف المتبادلين بين شعبين متســاويين فى القوة وصـلات النخبة بالنخبة ، وقدرة جماعات المصالح داخل هذين البلدين على افشاء ائتلاف بين الأمم ، وبفضل زيادة شيوع الاتصالات وزيادة الادراك الموجب المتبادل •

على أية حال ، فان صحة مبدأ الحرية المشتركة يسوقنا الى الاعتماد بأن ما يكبح جمـاح الحرب أو يشـعلها (اذ تتســاوى الديموقراطيات واللاديموقراطيات) فى الميل للعدوان ، لا يرتد الى نوعية النظام السياسى فى ذاته ، وبدلا من ذلك ، ظهر لنا عامل مهم آخر هو الفاصل السياسى • فبالاستطاعة ربط ميل أية دولة من الدولتين للقتـال الى اختـلاف النظام السياسى • وهذا ينقلنــا الى مستوى مغاير من التحليل ، اذ يتكهن مبدأ الحرية المشتركة ، بما ســيكون عليه السلوك المتبادل بين أية دولتين ، كما أن له دورا فعــالا فى المستوى الثنائى للتفاعل وليس فى مستوى الدولة ــ الأمة •

النظام الاقتصادى ــ الرأسمالية والامبريالية :

لقـد انخدع جون هوبســون الاقتصــادى البريطانى بنفس المشكلة التى فرغنا من مناقشتها • فلما كان من المؤمنين بالديموقراطية ، فلا غرو اذا رأى نفسه مضطرا الى التحدث عن سبب تورط البلدان الديموقراطية ــ خصوصا بلده بريطانيا ــ فى الامبريالية ، يعنى التوسع العدوانى الذى يهدف الى انشاء مستعمرات أجنبية • وجاءت اجابته بأنه بالرغم من اعتناق

النظام السياسى البريطانى للديموقراطية ، الا أن نظامه السياسى نظام رأسمالى (٢١) • فالمشكلة اذن غير موجودة فى طبيعة النظام السياسى ولكنها قائمة فى طبيعة النظام الاقتصادى •

فمن رأيه أن الامبريالية قد جاءت نتيجة لسوء التوافق فى النظام الرأسمالى فكأن البلدان الرأسمالية تعانى من أعراض غير صحية مزمنة من تأثير الافراط فى الانتاج ، والتفاوت فى توزيع الثروة الاقتصادية ، وانخفاض مستوى الاستهلاك وفائض رأس المال والكساد الموسمى • فعجلات الانتاج تدور بسرعة ، ولكن السواد الأعظم من الشعب ، بعد تخفيض أجورهم تمشيا مع رغبة الرأسمالى فى زيادة أرباحه يفتقر الى القدرة على شراء السلع ، أى أن الانتاج يفوق الطلب ، ويمتلك أصحاب المصانع فائض رأس المال •

وبالمقدور معالجة هذه المشكلات باتباع جملة سبل • فبوسع النخبة الاقتصادية اختيار اعادة توزيع الثروة عن طريق الأجور المرتفعة ، أو بمقدور الحكومات اعادة توزيع الدخل اعتمادا على جباية الضرائب وسياسة الانفاق ، وبذلك يرتفع مستوى المعيشة ، وتزداد قدرة المستهلك على الطلب • ولكن الرأسمالية اختارت بدلا من ذلك استثمار فائض رأس مالها فى الخارج ، وآثرت بذل الجهد فى زيادة الكسب من الأسواق الأجنبية المستحدثة ، التى تبيع منها فائض الانتاج ، واختارت الاستعانة بالأيدى العاملة الأجنبية الزهيدة الأجور لزيادة تخفيض تكاليف الانتاج ، واختارت السيطرة على الأراضى الأجنبية يساورها الأمل فى تأمين المواد الخام الضرورية • ولما اكتشفت الحكومات صعوبة مساعدة النخبة فى هذه المحاولات الاقتصادية ، ظهرت سياسة الامبريالية (٢٢) •

وقدم هوبسون بينات تثبت عدم تحقيق الامبريالية لأى كسب للاقتصاد بوجه عام • فلقد جرت فى ذيلها تكاليف كبيرة ومخاطر هائلة ، بينما لم تحقق أكثر من عائد متدن ، فالواقع أنها كانت سياسة تجارية سيئة • ولو صح ذلك ، فمن الذى جعلها « موضة » العصر ؟ ويرد هوبسون على ذلك بالقول بأنها كانت مصدر نفع لقلة من الجماعات القوية وأصحاب الحيثية كصناع السفن والمشتغلين بصناعات التصدير وأصحاب البنوك الدولية ، والمستثمرين وتجار السلاح انهم أولئك الذين وصفهم الرئيس ايزنهاور بعد عشرين سنة من موت هوبسون « بأنهم رابطة المستفيدين من الصناعات الحربية » ، وتمكن هؤلاء النخبة من استحثاث الحكومة على اتباع سياسة استعمارية لتحقيق النفع للأقلية ، اذ كانت

السياسة الامبريالية أساسا « سياسة توسعيه للتفريج عن الطبقة الراقية خارج البلاد » (٢٣) ، وحولت الصفوة فى الدول الرأسمالية الديموقراطية الى خزى ، بعد أن سيطرت مصالح الأقلية على الارادة العامة ٠

كل هذا يدعونا الى التساؤل عن علاقة الامبريالية والاستعمار بالحرب بين الدول ؟ والاجابة هى لا شيء ، عندما يكون العالم مؤلفا من قلة نسبية من الدول الرأسمالية التى تحسن التصرف ويملك كل منها العديد من الفرص للاستثمار والتجارة خارج حدوده ٠ أما اذا كان العالم مختلفا عن ذلك ، فان هناك أشياء كثيرة يمكن أن تقال عن علاقة الامبريالية بالحرب بين الدول ، ففى العالم الذى تكثر فيه البلدان الرأسمالية تعنى الامبريالية التنافس الاقتصادى بين الدول المتنافسة ، وتسعى كل دولة للانفراد بالسيطرة على الأسواق والمواد الخام ومصادر العمالة الرخيصة والقواعد البحرية وفرص الاستثمار ٠ وفى بعض الحالات لن يكون بمقدورها الحصول على ذلك الا على حساب دول رأسمالية أخرى ، ويؤدى الصراع الاقتصادى فى نهاية المطاف الى حدوث الصراع العسكرى ٠

ولما كانت المشكلة وفقا لما يراه هوبسون تكمن فى طبيعة النظام الاقتصادى (وتأثيره على النظام السياسى) ، فان الحل المنطقى يقتضى تغيير النظام السياسى ، ويذكر هوبسون أنه بعد ظهور الاشتراكية (التى ظهرت للوجود من خلال عملية تطورية برلمانية) قد ينتهى أمر الامبريالية ويستطاع تفادى وقوع الحروب ، وبعد أن يزداد النظام الاقتصادى اقترابا من تحقيق المساواة ، سيزداد النظام السياسى اتساما بالروح الديموقراطية ، وتنزع الى التقلص قدرة الصفوة الاقتصادية التى تحتل مواقع استراتيجية معينة على السيطرة على السياسة الحكومية ، وتتضاءل الحاجة للاستثمار الأجنبى بعد اتساع السوق المحلية أو الداخلية ٠ فبمجرد تحقيق الديموقراطية الحقة سيغدو بالامكان اتباع العقل والتعاون السلمى ٠

واحتضن فلاديمير اليش أوليانوف (المعروف أكثر من ذلك باسم لينين) معتقدات هوبسون ، كما نقل أيضا من بعض الكتاب الماركسيين امثال هلفروينج وكاوتسكى وباكونين ، ووضع نظريته فى الصراع الدولى فى كتابه عن الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية ١٩١٦ (٢٤) ٠ وبينما اعتقد هوبسون أن الامبريالية ترتد الى اساءة توافق فى النظام الرأسمالى ، وأنه بالامكان الحيلولة دون وقوع الحروب الامبريالية ، اعتقد لينين أن الامبريالية نتيجة محتومة للمرحلة الأخيرة من تقدم الرأسمالية ٠

واعتقد لينين أن النظام الاقتصادى الرأسمالى محكوم عليه بالانتشار أو الموت ، لأن تدنى معدل الربح يتطلب التوسع الاقتصادى باتباع الطريق الذى وصفه هوبسون مما يجعله عاجلا أو آجلا فى حاجة للحرب • فليس التوسع الاقتصادى الخارجى مسألة تخضع للاختيار ، انها ضرورة ، وعندما تتبع الدولة سياسة امبريالية ، فانهـا تكون قد فعلت ما يتحتم عليها فعله لمواجهة الأزمات المحتومة التى تتولد عن الرأسمالية •

ولم يختلف تفسير لينين للحرب كثيرا عن تفسير هوبسون • فهناك توافق بين الاثنين فى رد السبب الى أزمة النظـام الرأسمالى : فائض الانتاج ، وانخفاض الاستهلاك ، ويجادل لينين بالقول بأن السنوات الأخيرة للرأسمالية كمرحلة من مراحل التاريخ ستتسم بطابع « الرأسمالية المالية » أو « الاحتكار الرأسمالى » • وفى هذا الموقف سيزداد تركيز التحكم فى الاقتصاد فى أيدى جماعة من المتملكين الذين سيتناقصون يوما بعد آخر ، وأهم هذه الأوليجاركيات المشتركة هى المؤسسات الماليـة والمصرفية • ويتوازى مع اعتقاد لينين باعتماد ازدياد النمو الاقتصادى على تصدير فائض رأس المال (يعنى الاستثمار الأجنبى) وبتقدم الرأسمالية الاحتكارية تبدأ الشركات العملاقة فى تقاسم العالم ، وتصبح الحكومة أداة لخدمة الطبقة الرأسمالية نتيجة « لاختلاط الدولة برأس المال » •

ان أى شىء يسوق الى الشىء الآخر • فاذا سلمنا بالوجـود المتأنى لعديد من الدول فى المراحل الأخيرة من الرأسمالية ، فسيصبح من الضرورى فى نهاية الأمر أن تقاتل الدول الرأسمالية بعضها البعض للسيطرة على الأسواق الخارجية الدائمة التناقص ، وعلى الموارد وفرص الاستثمار • لقد تحولت العلاقات الاقتصادية الدولية الى مباريات لايكسب فيها الرابحون الا ما يخسره الخاسرون ، وغدا العالم أشبه بفطيرة ذات حجم محدود ، لا تحتوى على غير القليل من المساحات الصالحـة للتوسـع الاستعمارى ، وبمجرد تقسيم الفطيرة بين المتنافسين فان أية دولة ترغب فى التوسع (أى فى زيادة نصيبها من الفطيرة) لن يكون بمقدورها ذلك الا على حساب نصيب أية دولة أخرى •

ولما كانت الدول الرأسمالية تتسع بمعدلات مختلفة من النمو ومن نقاط بدء مختلفة ، فلا مفر من أن تتفوق بعضـها اقتصاديا (وعسكريا بالتبعية) على الدول الأخرى • ان هذا هو قانون التقدم الرأسمالى المتقطع أو المتفاوت ، فالتنافس الاقتصادى يدفع ـ طبيعيا ـ الدول الرأسمالية الأقوى لاستغلال الدول الرأسمالية الأضعف • والنتيجة بالطبع هى

الحرب ، ولا مناص من حدوث هذه النتيجة من وجهة نظر لينين • فلا مناص من أن يؤدى منطق الاحتكار الرأسمالى ــ ومؤداه حتم اســـتمرار الدول الرأسمالية فى التوسع أو التدهور ــ الى الامبريالية ، ومن ثم الى الحروب بين الامبرياليين •

وجاء حل لينين مختلفا اختلافا مهما عن حل هوبسون • فمن المتعذر تأمين الســـــلام الا بتصفية الدول الرأســـمالية وخلق عالم من الدول الاشتراكية • ومع هذا فان النقلة من الرأسمالية الى الاشتراكية لن تتم بسلام عن طريق الانتخاب • فالأرجح هو أن تكون الثورات الاشتراكيـــة أداة هذ التغير • ومع هذا ، وكما بين كينيث وولتس ، فهناك بعض البلبلة فيما يتعلق بما يحقق السلام بالفعل ، هل هو تصفية الرأســـمالية أم القضاء على الدول (٢٥) ، فهناك اتصال بين الشيئين عند الماركسيين ، لأن المرحلة الاقتصادية للتاريخ التى ستحل محل الرأسمالية ستتطور فى نهاية الأمر ، وتتحول الى الشيوعية • وهى مرحلة من التطور « تختفى فيها» الدولة ، كما أشار ميكائيل هاس :

« لقد اتضح أن أكثر الأنظمة السياســية مســالمة هى الأنظمة التى بلا حكومة مرتبة على الاطلاق ، يعنى الخاليــة من النخبة الذين يرغمون الآخرين على القتال ، وبذلك لاتكون هناك دول تهاجم أو يدافع عنها » (٢٦)•

نقد النظريات الامبريالية

فكيف استطاعت نظرية هوبسون ونظرية لينين توطيد أقدامهما ؟ وهل ثمة دليل يثبت نزوع البلدان الرأسمالية على الاقدام على الحرب بدرجة تعوق البلدان الاشتراكية ؟ لابد من ذكر عدة ملاحظات :

أولا ــ يتركز جوهر النظرية على القول بأن انخفاض الاستهلاك فى الداخل والانبهار بالأرباح الهائلة عن طـريق الاستثمار الأجنبى وراء الامبريالية (والحرب بالتبعية) ، ولكن هناك عدة سبل أخـرى لمعالجة المشكلات الاقتصادية ، كما أشار هوبسون • فمثلا بالاستطاعة ضخ الطلب الداخلى اعتمادا على اعادة توزيع الثروة حتى تتوافر لأبنـــاء الشعب قوة شرائية أكبر ، ان القرار المتعلق بما يتبع فى سياسة الخيـــار بين عدة أشياء مســألة تخص الســياسة الحكومية ، وكمـا أشار كينيث وولتس : ليست الأحوال الاقتصادية كافية لتحقيق النتيجة ، لأن الغلبة فى هذه المسألة للمؤثرات السياسية وليست للمؤثرات الاقتصادية (٢٧) •

ثانيا : بعكس ما ارتآه لينين فان الرسمالية تحتاج الى سياسة سلام لأن الحرب تحدث اضطرابا فى التخطيط الاقتصادى ، وتتلف الأرض ، وتضر العمالة ورأس المال مما يجعل تحقيق الربح غير مؤكد ، وأيضــــا تعوق التجارة وتستنفد المواد النـادرة ، ومن ثم يصح القول بتعارض الحرب مع الانتاج ولذا علينا أن نتوقع معارضة نخبة رجال الأعمال لها • فاذا كان سياق القول بان أ (وتعنى هنا الرأسمالية) تؤدى الى ب (يعنى الحرب) وأن أ تؤدى أيضا الى ج (السلام) ، فسيصح احتمال القول بعدم صحة العلاقتين كقاعدة عامة على السواء •

ثالثا : على الرغم من أن معظم البلدان قد اتبعت سياسة امبريالية فى أواخر القرن التاسع عشر الا أن بعضها لم ينتج أى فائض فى رأس المال • وهناك الكثير من البلدان لم تصدر سوى القليل الى مستعمراتها • فكما أشار فيلدهاوس : « لقد أخطأ هوبسون ولينين عندما زعما أن نسبة كبيرة من استثمارات انجلترا وراء البحار ذهبت الى تلك الأجزاء المتخلفة من أفريقيا خلال فترة الاستعمار واغتصاب الأرض بعد ١٨٧٠ » (٢٨) • فقد استثمرت انجلترا نصف رأس مالها خارج المستعمرات ، واتجهت معظم الاستثمارات الى الولايات المتحدة ، وجاء ترتيب فرنسا الثانية أو الثالثة فحسب فى الاستثمار فى مستعمراتها (٢٩) !

ولما كان أغلب الاستثمار الرأسمالى خلال فترة الاستعمار قد ذهب الى بلدان رأسمالية أخرى (كما هو الحال الآن) ، وليس الى المستعمرات ، ولما كانت معظم التجارة الرأسمالية قد تمت مع دول رأسمالية أخرى ، فيبدو من المناسب أن نستخلص من ذلك أن المستعمرات كانت قليلة الأهمية نسبيا فى النمو الاقتصادى للبلد الرأسمالى الأم • ولـو صح ذلك ، فسيكون من غير المنطقى أن تتفاعل القوى الكبرى من أجلها • وليس من شك ، أن التنافس الاستعمارى لم ينته عادة بالحرب ، وانما بالتعايش والتفاوض بين مواطن التأثير • واذا استثنينا حرب البوير تكاد جميع الصراعـــات حـــول المســـتعمرات أن تـكون قـــد حسمت عن طريق الدبلوماســية (٣٠) •

رابعـا : على الرغم من انشـغال معظـم الدول الرأسمـالية فى الامبريالية ، الا أن بعضها لم يتورط فيها قط • فما الذى يمكن أن يقال عن الاتجاه المسالم لدول رأسمالية كالسويد وسويسرا ؟ ومن جهة أخرى ، فان بعض الدول الامبريالية المهمة لم تكن رأسمالية ، ولم تكن تنتج فائضا فى الانتاج كاليابان وروسيا على سبيل المثال (٣١) • فلدينا موقف

هنا نرى فيه عدم اتصاف جميع الدول الرأسمالية بالامبريالية ، وعدم اتصاف جميع الدول الامبريالية بالرأسمالية ، ومن هنا فان علينا أن نستخلص من هذا أن الرأسمالية ليست شرطا ضروريا للامبريالية ، أو أنها شرط كاف لذلك •

خامسا : لقد كشفت الدول الاشتراكية ذاتها عن ميول عدوانية • وشهد نصف القرن الأخير غزو السوفيت لبلدان البلطيق ١٩٣٩ ولفنلنده (١٩٣٩) والمجر ١٩٥٦ وتشيكلوسلوفاكيا ١٩٦٨ وأفغانستان ١٩٧٩ ، وهاجمت الصين التبت ١٩٥٦ والهند ١٩٦٢ وفيتنام ١٩٧٩ ، وهاجمت فيتنام كامبوديا ١٩٧٥ ، وحارب السوفيت والصينيون فى اصطدامات حدودية جديدة ، وغزت كوريا الشمالية كوريا الجنوبية ١٩٥٠، وتنازع الاثيوبيون والصوماليون حول أوجادين ١٩٧٧ • فمن بين ٦١ صراعا دوليا (فى الفترة بين ١٩٤٥ ــ ١٩٦٧) شاركت الأنظمة الاشتراكية فى ١٥ منها ، أى ٢٥٪ تقريبا • ويمكن مقارنة هذه الحالة بحقيقة كون ١٥٪ تقريبا من جميع البلدان تتبع الأنظمة الاقتصادية الاشتراكية •

سادسا : لابد أن يكون واضحا أن الامبريالية والحرب قد حدثتا قبل عصر الرأسمالية ، وأن الأوضاع الاقطاعية والزراعية عند العديد من الدول فى الماضى والحاضر لم تحل بينها وبين اتباع سياسات عدوانية توسعية • فالامبريالية أقدم من الرأسمالية ، وحثت هذه الحالة وولتس على القول بأن لدينا موقفا فريدا (وغير مرض بتاتا) توجد فيه نظرية سببها (الرأسمالية) التى هى أصغر سنا من نتائجها (الامبريالية والحرب) (٣٢) •

سابعا : ليس من شك أن الدول الرأسمالية قد تورطت الى حد كبير فى الحرب فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، ولكن انشغال مثل هذه الدول بالتوسع والحرب لا يعنى أنها أقدمت على ذلك بحكم اتباعها للنظام الرأسمالى ، فربما لاتحتاج الرأسمالية الى التوسع الاقتصادى أو النمو حتى يتسنى لها الاستمرار فى البقاء • وما قد يكون الأرجح ــ كما ذكر وليم أبلمان ويليامز مؤسس المدرسة التصحيحية لتاريخ أمريكا هو أن الزعماء السياسيين والاقتصاديين فى البلدان الرأسمالية قد اعتقدوا احتياج الأنظمة الاقتصادية الرأسمالية للنمو ، وعملوا وفقا لذلك (٣٣) • على أن عليك أن تلاحظ أن هذا التفسير يعيدنا الى المستوى الفردى للتحليل •

وأيضا وكما يشير وولتبس ، ولما كانت معظم البلدان المتقدمة قد مارست الرأسمالية ، فان علينا أن نتساءل هل اتصفت الدول المتقدمة بالامبريالية لأنها رأسمالية ، أم أن الأصح أنها أصبحت كذلك بحكم تقدمها كقوى كبرى تكنولوجيا ؟ هل جـــاءت الامبريالية كنتيجة للرأسمالية المتقدمة ، أم أن الرأســمالية والامبريالية كليهما مجرد مظهرين للتطــور المتقدم ؟ (٣٥) ٠

دورة الأعمال : فترات الرخاء والانتعاش وفترات الكساد :

هناك اعتقاد سائد بين العموم عن ميل الشعوب لخوض الحرب ابان فترات الكساد الاقتصادى والشعور بالتوتر ٠ ويتخذ تفسير هذه الظاهرة المشهورة أشكالا شتى :

أولا : ترى بعض النظرات أن الشدائد الاقتصادية تحدث ضغوطا على الزعماء السياسيين للتوسع الاقتصادى عن طريق البحث عن أسواق أضخم لمنتجاتهم واستثماراتهم ، أو تدبير السبل لزيادة مصادر الانتاج ٠ وهى عملية تسوق فى نهاية المطاف الى الحرب ٠ ولعل هجوم العراق على الكويت حتى تتمكن من السيطرة على احتياطيها من النفط ، ولكى تتخاص من ديونها الى الكويت هو مجرد أحدث الأمثلة التى ترتكن الى مثل هذه الدوافــع ٠

ثانيا : يقال أيضا ان الزعماء القوميين يسعون للحرب اعتقادا منهم أن هذا الاجراء سيحرك الاقتصاد بفضل ما سيحدثه من زيادة فى الموارد والوظائف ٠ وبعبارة أخرى ، من المعتقد أن الحرب ذاتها لها أثر نافع على الاقتصــــاد ٠

ثالثا : أثناء الفترات الاقتصادية العصيبة قد تســـعى النخبة السياسية للحرب كوسيلة لتحويل الانتباه عما تعانيه الجماهير من ويلات فى الداخل ٠ وما من شك أن الظروف الاقتصادية القاسية فى الأرجنتين هى التى ساقت الى صدور القرار بغزو جزر الفوكلاند / مالافينا ١٩٨٢ (وسنتناول هذا التفسير الأخير الذى سميناه نظرية كبش الفداء فيما بعد فى هذا الفصل) وأخيرا يحتمل أيضا أن يكون الزعماء السياسيون أكثر استعدادا للمخاطرة أثناء عهود التوتر الاقتصادى المفاجئة (٣٥) ٠

ربما قيل ان الديموقراطيات الصناعية قد تتأثر بصفة خاصة من المواقف الناجمة عن المحن الاقتصادية كتعرض الرؤساء الأمريكان للخطر

وللعقاب فى الانتخابات عندما تكون الحالة الاقتصادية معاكسة • وهذا مثل معروف جيدا • ومن المفهوم أيضا أن شعبية الرئيس فى الداخل قد ترتفع عندما يقدم على اتخاذ القوة فى مواجهة الدول المنافسة • وأشار « أوستوم » و « جوب » الى أنه ابان الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ، شاع استعمال القوة فى المسائل الدولية من قبل الرؤساء أثناء الفترات الاقتصادية الغثة (كما تبين فى دليل البائسين) الذى ربطت مادته بين عدد المتعطلين والتضخم (٣٦) • ويتبين من بحث لبروس روسيت وجود بعض ما يبرر الاعتقاد بوجود علاقة فى القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين بين الانكماشات الاقتصادية ومشاركات أمريكا فى « الخلافات ذات الطابع العسكرى » • ولعل الجمع بين الأداء الاقتصادى الهزيل وسنوات الانتخابات فى الولايات المتحدة مؤشر أفضل للتورط فى المشاحنات الدولية • ومع هذا فلا يبدو أن هناك علاقة بين وهن الأموال الاقتصادية والحرب بين الدول فى ذاتها (٣٧) •

ويؤيد عديد من العلماء وجهـــة النظر المخالفة بأن كوامن الدورة الاقتصادية لا تثير النزاع الدولى ، ولكنها تساعد بدلا من ذلك على كبح السعى نحو الحرب • وطرح بلينى هذه الفكرة كعامل أساسى فى الحيلولة دون محاولة النمسا اعادة الاستيلاء على شيلزيا ١٧٤٩ ولاهمال الغزو اليـابانى لكوريا (٣٨) • والواقع أن عـــددا كبـيرا من المحللين لا يرون أن الكساد هو الذى يسوق للحرب ، وانما يرجع ذلك الى الانتعاش ! • وبعبارة أخرى ، فان الحركة الصاعدة لدورة العمل ، لا الحركة الهابطة هى التى ترتبط غالبا بالحرب • ولا يستبعد أن تكون أشهر حجة هى التى أوردها ماكفى الذى نشر ١٩٣٨ دراسة عن آثار دورة العمل خلال ٦٢ سنة (من ١٨٥٠ الى ١٩١٤) • ولم يتورط البريطانيون فى أكثر من ثلاثة من هذه الحروب • ولكن يفترض أن التقلبات التى تعرض لها الاقتصاد الانجليزى قد عكست احدى دورات العمل الحقة ، وبذلك بررت الاستعانة باحصائيات الاقتصاد الانجليزى لفهم المسلك الحربى للعديد من البلدان • فعند المواءمة بين الاحصاءات السنوية للعمل ونشوب الحرب ، استخلص القول بأن الحروب ترجح كفتها عندما تكون حالة الانتعاش الاقتصادى فى آخر مراحلها (٣٩) •

واكتشفت دراسة حديثة العهد للدورات الاقتصادية العالمية (سماها المؤلف « الدورات الطويلة ») والحرب بين ١٤٩٥ و ١٩٧٥ لجوشيا جولدستين وجـود ارتبـاط قوى ومتوافق بين شـدة الحرب وحـركات الصعود الاقتصادى (٤٠) • فعلى الرغم من أن الحرب قد وقعت فى عدد متساو على وجه التقريب خلال التاريخ فى مراحل الصعود والهبوط الا أن الحروب الشديدة وقعت فى فترات الصعود • فبين ١٤٩٥ و ١٩١٨

كانت كل ذروة من ذرى شدة الحرب تقع عند الاقتراب من نهاية مرحلة صعود اقتصادى .

فلماذا يوجد ارتباط بين الانتعاشات الاقتصادية والحرب ؟ ربما رجع ذلك الى أن الأسباب الكامنة للخصومة كانت قائمة لسنوات عدة ، غير أن الحكومات مارست عملية كبحها ابان فترات الانتكاس الاقتصادى ، ولم يحدث اقدام على الحرب الا عندما بينت حركة الصعود الاقتصادى أن الحرب ستكون مجدية ماليا مما يساعدها على الاشتراك فى عمل عسكرى . ويرى جولدستين أن الحروب الكبرى لا تحدث الا عندما يكون بمقدور البلدان تحمل أعبائها ، يعنى بعد فترة ممتدة من النمو الاقتصادى المستقر (٤١) . ويتعين أن يلاحظ أن هذه التفسيرات لم تطرح فيها التقلبات الاقتصادية كسبب فعلى للحرب ، ولكنها طرحت كعامل ساعد على نشوب الحرب . وربما أدى الربط التاريخى بين الحروب وحركات الصعود الاقتصادى الى تعتيم الأسباب الحقيقية للحرب ، التى يمكن العثور عليها فى الفترة السابقة للتدهور الاقتصادى (٤٢) .

وكثيرا ما تجرى أيضا تفسيرات سيكولوجية للعلاقة بين الحرب والتقلبات الاقتصادية . وليس من شك أن ماكفى وبلينى ، وأيضا جولدستين قد اكتشفوا وجود ارتباط بين الانتعاشات الاقتصادية والحالة العامة للتفاؤل التى تعتبر السبب الحقيقى للحرب ويعتقد بلينى :

« عندما تتدهور التجارة وتزداد البطالة تجنح روح الحكومات الى الحذر والقلق وارتقاب الشر . ويؤدى تناقص الدخل وارتفاع المطالب بتقديم العون للدولة الى تعكير صفو المزاج . ومن جهة أخرى ، عندما يسود الانتعاش ويزداد الثراء ــ وتعد هذه الفترة أخطر الفترات التى تهدد السلام ــ يظهر احساس بالتسبيد على البيئة (٤٣) » .

ويصف بلينى فى هذا الرأى المزاج القومى الجماعى ، وتتلون أحكام الزعماء السياسيين والكافة بهذا الشعور المتفائل (٤٤) . ويعتقد بلينى أن هذا الشعور المتفائل ، كان ملحوظا عند بدء حرب القرم والحرب الفرنسية البروسية وحرب البوير وغير ذلك (٤٥) .

ويكتشف دكستر بركينز وجود توائم بين التجربة الأمريكية وهذا النمط العام . ويعتقد أن هذه المشاعر المولعة بالقتال والمناصرة للحرب فى الولايات المتحدة قد تزامنت هى والانتعاش بعد تقلبات الهبوط الاقتصادى . اذ جاءت حرب ١٨١٢ فى أعقاب التقلب الاقتصادى ، وحدثت الحرب المكسيكية بعد حالة الكساد فى الفترة بين ١٨٣٧ و١٨٤٢ . ووقعت الحرب الاسبانية الأمريكية بعد عودة الازدهار الذى أعقب كساد ١٨٩٣ ، وجاءت الحرب العالمية الأولى بعد التدهور الاقتصادى (١٩١٣ ــ ١٩٣١)

ووقعت الحرب العالمية الثانية أثناء حالة الانتعاش الذى أعقب الكساد الكبير فى الثلاثينات (٤٦) ٠

وفحص وليم طومسون بينات دورة العمل فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين فى محاولة لبرهنة افتراض ماكفى/بليني بوجوب الربط الايجابى بين الحرب والانتعاش الاقتصادى (ويشير ماكفى الى أن هناك اتصالا خاصا بين الحرب والمرحلة الأخيرة من الانعاش ، بينما يربط بليني بين الحرب وأى طور من أطوار الانتعاش) ٠ ويكتشف طومسون ما يؤيد افتراض ماكفى عن الحروب الاستعمارية لبريطانيا فى القرن التاسع عشر ٠ ولا يوجد ما يؤيد الفكرة الأعم لبليني الا فى التجربة الأمريكية ، التى أثبتت صحة ملاحظات بركينز٠ وباستثناء حركة عصيان بوكسر نلاحظ أن جميع الحروب الأمريكية التى كانت موضع دراسة قد بدأت أثناء مرحلة توسعية (صعود فى دورة العمل) (٤٧) ٠ وقد حدثت بعض الحروب لفرنسا وبريطانيا فى كل مرحلة من مراحل الدورة ٠

ويحتمل أن يكون كل ما بمقدورنا قوله عن دورة العمل أنها قد تلعب دورا فى تقدم الحرب ، ولكن آثارها بعيدة عن الوصف بالوضوح ٠ فلقد اندلعت بعض الحروب فى فترات الرخاء ، وشبت حروب أخرى فى فترات الكساد ٠ وليس هناك ما يثبت دور الضعف الاقتصادى والثراء فى الحيلولة دون وقوع الحرب ٠

القوة والحجم والتقدم :

ثمة حجة طالما رددها الواقعيون مفادها جنوح الدول الضخمة القوية (بغض النظر عن نوعية أنظمتها السياسية أو الاقتصادية) الى ارتكاب جريمة الحرب أكثر من الدول الصغيرة (٤٨) ٠ ويبدو هذا الحكم متجاوبا مع حدوسنا وأحاسيسنا ، لأننا نرجح انقضاض الدول الكبرى على الدول الصغرى أكثر من ترجيحنا حدوث عكس ذلك ٠ ففى عالم الحسابات العقلانية ترجح كفة الكسب للدول الأضخم والأقوى ، وتدخل هذه الحقيقة فى حسابات الزعماء عن تكاليف الحرب وأرباحها ، والنتيجة المحتملة لها ٠ وأيضا يبدو رجحان كفة تورط الدول الأضخم فى المنازعات باعتبارها بوجه عام الأكثر تعرضا للتورط فى المسائل الدولية ٠ فلديها مصالح أكثر وتشارك فى تنظيمات وتحالفات دولية أكثر ، ولديها التزامات دولية أكثر ، ولها قدرة على التصرف فى المسائل الدولية تفوق قدرة الدول الأصغر ٠ ويضاف الى ذلك أنها الأكثر احتمالا للشعور بالمسئولية عند الاقدام على العمل فى حلبة المسائل الدولية كتعديل ميزان القوة

الدولى على سبيل المثال · وزعماء الدول الكبرى يتمتعون بالأرجحية فى اتباع الدور الدولى فى تصوراتهم التى تصور دولهم كهيئات مسئولة عن حماية التحالفات والدفاع عن الأمر الواقع الدولى وتحقيق النظام الدولى ·

وهناك مقدار كبير من الأدلة التجريبية التى تنزع الى تأييد الفكرة المطروحة آنفـا · فلقد اكتشف سنجر وسمول فى معرض دراستيهما للحروب بين ١٨١٥ و ١٩٦٥ أن البلدان الأكبر والأقوى هى الأكثر ميلا للحرب ، لأن تسعين فى المائة من خسائر المعارك وقعت فى بلدان مثل بريطانيا وفرنسـا وروسـيا وتركيا والصين وأسبانيا وألمانيا وايطاليا والولايات المتحدة واليابان والنمسا والمجر ، ودارت فيها معارك استمرت معظم سنوات الحرب · وعلى أقل تقدير ، لقد تورطت احدى هذه الدول الاحدى عشرة فى ٧١٪ من الحروب فى الفترة موضع الدراسة (٤٩) · ولا يخفى أن القوى الكبرى قد تورطت فى صورة غير متكافئة فى الحرب · ففى نفس هذه الحقبة ، استطاعت ٧٧ من مجموعة القوى الصغرى (١٤٤) الافلات من براثن الحرب كلية (٥٠) · وفى أية قائمة للدول التى تورطت تورطا كبيرا فى الحرب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سنرى أنها لن تتضمن فقط الأعضاء الخمسة للقوى الكبرى فى مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم ، ولكنهـا تضـم أيضـا لفيفا من المشتبكين فى نزاعات فى الشرق الأوسط وجنوب آسيا كالهند وباكستان واسرائيل ومصر وسوريا ·

وصف ستيوارت بريمر المنتمين للنظام الدولى من ١٦٢٠ حتى ١٩٦٤ فى دليـــل مختلط يمثـل نواحى القوى الديموجرافيـة والاقتصـادية والعسكرية ، واكتشف وجود علاقة قوية اتخذت شكلا مستقيما بين درجة القوة والتورط فى الحرب · فلقد تورطت الدول ذات الامكانات الأكبر فى أغلب الحروب ، كما كانت لها المبادرة فى اشعال عدد من الحروب يفوق العدد الذى أشعلته الدول الأقل قوة · فكلما نقصت قوة الدولة رجحت كفة عدم تورطها فى الحرب · والدول التى تشغل المراتب من ١ الى ٥ كان متوسط اشتراكها فى الحرب مرة كل عشر سنوات ، بينما جاء ترتيب الدول التى تخوض غمار الحرب بمتوسط من كل سنة من ٤١ الى ٤٥ ، ومن ٤٦ الى ٥٠ (٥١) ·

واستعان ميكائيل هاس بمستحقات هيئـــة الأمم المتحدة فى تصنيف الدول فى أربع فئات تبعا لدرجة الثراء (اذ ترتكن تقديرات الأمم المتحدة على قدرة الدولة على الدفع مما يمنحها ترتيبا متقدما فى تقدير مكانتها المالية) ، وبينت النتائج أن أغنى البلدان هى الأعلى مرتبة فى الصراعات الدولية المهمة ، ويهبط مقدار الصراع الخارجى الذى يتعرض له البلد هبوطا متناسبا مع مستواه من الثراء · ولما كانت الدول الثرية غالبـا

ما تكون أيضا الدول الأقوى عسكريا لذا يعد هذا الدليل معيارا حسنا للعلاقة بين القوة والصراع (٥٢) ·

ربما يبدو من غير المألوف في ميدان نظريات العلاقات الدولية العثور على نتائج أحادية الجانب بصفة كاملة ، ولا يعد البحث في العلاقة بين القدرات القومية والحرب استثناء لهذه القاعدة (٥٣) · وثم يهتد مشروع راميل الذى اعتمد فيه على حجم الدول (*) ، وفيه درس المسائل الدولية في الحقبة بين ١٩٥٥ و ١٩٥٧ على خصائص مثل حجم البلد وقدراته العسكرية من جهة ، ومسلكه في الصراع الدولى (أى فى أنواع شتى من الأفعال الاصطدامية فى الناحيتين العسكرية وغير العسكرية) ، من جهة آخرى ، وبينت دراسات عديدة أخرى لفترة الحرب العالمية الثانية ، أنه بينما توافر للبلدان الأكثر تقدما نصيب أكبر من عدد المسالك الصراعية (التى تضمنت حروبا كلامية وأيضا أفعالا غير كلامية) فاق البلدان الأخرى ، فان هذا يرجع الى كونها أكثر عرضة بوجه عام للتورط فى المسائل الدولية ، ولاشتراكها فى أفعال دولية أشمل · وعندما فحص المجموع الاجمالى للأفعال ، اتضح أن الدول الأكثر تقدما كانت لديها نسبة أعلى قليلا من الأفعال التعاونية من الدول النامية الأصغر ، واتضح أيضا أن الأفعال الصدامية فى الدول المتقدمة قد اتجهت الى الاقتصار فى الأرجح على المشاحنات الكلامية وكانت أقل تهديدا من السلوك الصدامى للدول الأقل تقدما (٥٥) ·

على أنه يبدو أن أغلبية الأدلة فى هذا الجدل تؤيد الفريق المؤيد لوجود ارتباط بين القدرات المتعلقة بالقوة والحرب ، اذ جاء الكثير من الأدلة المضادة من الدراسات التى اقتصر بحثها على نطاق محدود للغاية من الزمان ، أو التى فحصت التصور الأكثر اتساما بالطابع العمومى للمسلك الصراعى عوضا عن دراستها للحرب فى ذاتها ·

ان قدرا كبيرا من المسلك المتعلق بالحرب فى شتى أنحاء العالم قد فسر بالرجوع الى عدد صغير من الدول·والظاهر أن القوى الكبرى شديدة التورط مع وجود استثناء هو كونها نادرا ما تبدو متورطة بصفة مباشرة ضد بعضها البعض (على أقل تقدير فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية) فمن بين ١٠٨ حربا وقعت بين الدول على وجه التقريب من ١٩٤٥ الى ١٩٨٠ ، لم تتورط غير دولة واحدة (كوريا) فى حرب واجهت فيها القوى الكبرى كل منها الأخرى ·

(*) Dimensionality of Nations.

فاذا افترضنا أن الدول الأكبر والأكثر تقدما (والأقوى تبعا لذلك)، هي حقا الأكثر ميلا للحرب ، فكيف يستطاع تخفيف التهديد بالحرب ؟ المفروض أن يجيء الرد على ذلك بخلق عالم مؤلف من دول صغيرة ضعيفة • على أنه من المؤكد عدم وجود حركة تدعو لابطاء عملية التحديث والتقدم ، ولا سيما فى العالم النامى (المتخلف) • وبالرغم من أن المنظرين ابتداء من افلاطون الى روسو ثم « دول » قد رددوا فضائل المجتمعات الصغيرة ، الا أنه حتى وقت قريب لم تظهر الا دلائل قليلة ، تبين استعداد الدول الحديثة لاقرار شطرها الى مجتمعات صغيرة • وربما بشر التفكك القريب العهد للاتحاد السوفيتى وتقسيمه الى دول مستقلة وتجزئة يوجوسلافيا الى وحدات عرقية أصغر ببدء اتجاه دولى ، وان كان لا أحد بمقدوره أن يرضى عن هذا الاجراء بعد رؤيته للفظائع التى صاحبت هذه العملية ، وبخاصة فيما كان يدعى بيوجوسلافيا ، وأخيرا وحتى لو أمكن خلق مجتمع دولى مؤلف من دول صغيرة ، فان تاريخ (الدول ـ المدن) ليس مشجعا اطلاقا ويكفى أن نتـذكر ما حـدث فى الحروب البلوبونيزية أو حروب « دول المدينة » الايطالية •

فلعل المشكلة تكمن فى كون تصورات السلطة والثراء والتقدم ليست تصورات مطلقة ، ولكنها تصورات نسبية • فحتى فى عالم الدول الصغيرة فان بعضها سيكون أضخم وأثرى وأقوى من باقى هذه الدول • ويعتمد الاختلاف على المقارنة المتبادلة • وينقلنا هذا الكشف الى مستوى آخر من التحليل بعيدا عن طبيعة الدول ، ونحو الفروق بينها فى القوة ، أو الى المستوى الفردى للتحليل ومدركات التهديد المعتمدة على المقارنات بين القوى النسبية •

فلو كان مكمن الخطأ هو القوة النسبية للبلدان ، أو ادراك فروق القوى ، فى هذه الحالة سيبدو أن الحرب ستستمر مادامت هناك أنظمة للبشر تقسمهم الى وحدات (دول أو مدن أو غير ذلك) بالامكان أن يتسبب تفاوتها فى القوة فى افزاع الآخرين •

السكان (١) ـ المجال الحيوى :

من بين خصائص الدولة المثيرة للاهتمام ، والتى طالما جاء ذكرها كسبب للحرب الازدحام الذى حدث من أثر النمو السكانى • بطبيعة الحال ، هذا هو جوهر نظرية صلة المجال الحيوى بالحرب • ويرجع شيوع هذا المصطلح أو حاجة الدول «للمجال الحيوى» (*) الى شدة ارتباطها فى أواخر

(*) Lebensraum.

القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بنشوء علم الجغرافيا السياسية (٥٦) . فلقد شبه علماء الجغرافيا السياسية من أمثال فردريش راتسيل الدول بالكائنات الحية وبدورات الحياة المماثلة ، فهى تشغل حيزا أو فراغا وتنمو وتتقلص وينتهى أجلها بالوفاة . واعتقد راتسيل والعالم الجغرافى السويدى ردولف كيلين بانشغال الدول شأنها شأن الآدميين بالكفاح المستمر من أجل المجال الحيوى والاستمرار فى البقاء . وهكذا استعارا تصورات من الداروينية الاجتماعية وأدخلاها فى نظرية الجغرافيا السياسية(*) . وكان المؤيد الأكبر لهذه الأفكار فى فترة ما بين الحربين العالميتين هو الجنرال كارل هاوسهونر أستاذ الجغرافيا السياسية فى جامعة ميونخ ومنظوره رودلف هس الذى عرف هتلر بهذه الأفكار(٥٧) . وانتهى الأمر بأن نقل هتلر هذه الأفكار الى حيز التنفيذ وأوردها فى كتابه كفاحى .

واعتمدت القوة الدافعة للجغرافيا السياسية من راتسيل الى هاوسهونر على القول بحاجة القوى العظمى الى تحقيق نمو سكانى يدفعها الى توسيع حدودها للحصول على مجال حيوى ، وتحتاج أيضا الى تحقيق الاكتفاء الذاتى الاقتصادى ، واستشهد بعملية التوسع الامبريالى الناجحة لليابان فى الثلاثينات كبرهان لاثبات الرغبة فى اتباع مثل هذه الاستراتيجيات الجغرافية السياسية (٥٨) .

ومن المهم أن يلاحظ أن لنظرية المجال الحيوى جانبين : تجريبى ومعيارى . وكان الجانب المعيارى هو الذى ركز عليه هتلر . فاذا اعتقد أحد أن الدول مضطرة الى زيادة سكانها وأراضيها والا تعرضت للفناء ، فى هذه الحالة سيصبح من الأمور القومية الملحة نزوع سياسة الحكومة الى تبنى الاتجاه التوسعى . واعتقد هتلر فى وجوب توسع العنصر الألمانى أو الآرى على حساب الشعوب السلافية فى أوربا الشرقية . وكما ذكر هتلر فى كفاحى : « ان الطبيعة لم تحجز هذه الأرض (أوربا) لكى يتملكها مستقبلا أى بلد بعينه أو عنصر بعينه . والأمر عكس ذلك ، لأن هذه الأرض موجودة من أجل من يمتلكون القوة التى تساعدهم على الاستيلاء عليها (٥٩) » .

بطبيعة الحال ، علينا ألا ننظر الى نظرية المجال الحيوى من منظور الخلفية الألمانية والفاشستية والعنصرية وحسب . وللمزيد من التعميم نقول ان نظرية المجال الحيوى فى الحرب تكتفى بالاعتقاد بأنه عندما تشتد الضغوط السكانية داخل أى بلد ، ستصبح الحكومة ازاء عدد من

(*) Geopolitics.

المشكلات المتواصلة ، كازدياد الطلب لأنواع عديدة من الموارد (بما فى ذلك الأرض) نظرا لنمو السكان واستهلاك الموارد بمعدل أسرع ، وسيزداد طلب توفير الحكومة للخدمات كالمطالبة بالتخفيف من حالات البؤس بين الكافة والفقر والبطالة ، أى الحالات المترتبة على الزيادة السكانية ، مما يدفع زعماء الحكومة الى الاستجابة لهذه المطالب بتوسيع الرقعة التى تحتلها على حساب جيرانها .

وما تجره ضمنا هذه النظرية على عالم الصراع فى العالم الحديث أمر جلى وشديد الازعاج . فلابد أن ينظر لارتفاع معدل النمو فى بلدان العالم الثالث على أنه تطور خطير فى العلاقات الدولية . فليس من شك أن النمو السكانى السريع قد أحدث بالفعل حالة من التوتر الاقتصادى الشديد (والسياسى بالتبعية) فى العديد من البلدان . ولعلها مجرد مسألة وقت ستبادر بعده الحكومات فى أشد البلدان تأثرا بهذه الحالة القاسية الى الشروع فى الصراع مع جيرانها كوسيلة للخروج من هذا المأزق . على أننا قبل أن ننساق وراء التكهن بماينتظر العالم من محن قاسية ، نؤثر الانتقال الى الحديث عن بعض الدراسات التجريبية لنظرية المجال الحيوى .

ولقد حاول سنجر ومعاونوه فى مشروع معاملات الارتباط بالحرب الذى تركز على الحروب بين ١٨١٦ و ١٩٦٥ تقرير هل أحدث الازدحام (كما تكشف عن الكثافة السكانية والتغيرات التى طرأت على هذه الكثافة) أى أثر على أحداث الحرب . وبعد أن انتهى البحث ، اتضح عدم امكان العثور على مثل هذه العلاقة (٦٠) . وكمبدأ عام لا يبدو أن النمو السكانى له أى أثر على مسلك النزوع للحرب . وليس هناك من ينكر وجود أمثلة مهمة ساعد فيها على التعجيل بالصراع الدولى ، فى الدول التى تعرضت لتجربة التناقص النسبى فى السكان . ويذكر كوينسى رايت أن من بين أسباب الروح الحربية الفرنسية فى أواخر القرن التاسع عشر ما طرأ على عدد السكان من نقصان نسبى بالمقارنة بألمانيا (٦١) .

السكان (٢) ــ الضغوط الجانبية :

طرحت نازلى شكرى وروبرت نورث صورة أعقد للنظرية القديمة للمجال الحيوى ، وحاولا تقييم قدرتها على تفسير أسباب حدوث الحرب العالمية الأولى (٦٢) . وفى محاولة لتبسيط حجتيهما اعتقدا أن نمو السكان وحده ليس السبب الجذرى للحرب ، ولكن سبب الصراع يرجع الى اشتراك عامل الزيادة السكانية وأيضا عامل تقدم التكنولوجيا . ولب المشكلة هو ما يترتب على زيادة السكان من ازدياد فى طلب الموارد ، بينما تدلنا

الزيادة المصاحبة فى تقدم التكنولوجيا على استنفاد الموارد بمعدل متزايد فالموارد مطلوبة فى أنواع أكثر ومقادير أكثر . ويؤدى اجتماع هاتين الزيادتين الى ارتفاع الطلب .

فعندما لا تفى القدرات المتاحة داخليا للدولة بتلبية الطلب ، يتعين حدوث ازدياد فى القدرات المستحدثة . اذ يؤدى الطلب الى حدوث ضغوط جانبية مثل التوسع فى الأعمال التى تتجاوز حدود الدولة وقدرات المواطنين والهيئات والحكومات . وقد تتخذ هذه الظاهرة عدة مظاهر كالاستثمار الأجنبى والتجارة واكتساب مجالات نفوذ أو مستعمرات ، وايفاد القوات الى مناطق خارجية وانشاء قواعد عسكرية فى بلدان أجنبية . وهكذا ، وتتحول السياسة القومية للتوسع الى مؤسسة قائمة بذاتها ، وتدق الدولة « خازوقا » فى علاقتها بالخارج ، ويتزايد النظر الى التوسع الجانبى كصالح قومى يتطلب الحماية .

وتؤدى عملية التوسع الجانبى الناجمة عن النمو السكانى والتقدم التكنولوجى الى الحرب عندما تتعارض المصالح الخارجية لقوتين عظميين أو أكثر مما يساعد على حدوث نزاع بينهما . وكلما ازداد ضغط الدولة قوة ، ازداد احتمال اشتداد التنافس . وكلما اشتد التنافس ، ازداد احتمال الاندفاع لسباق التسلح والتعرض للأزمات والحرب . وترى نازلى شكرى ونورث ان الضغط الجانبى بالذات نادرا ما يفجر الحرب . ولا جدال انه اذا اتخذ الضغط الجانبى شكلا واحدا كالتجارة ، فان ما يترتب على ذلك قد يكون حدوث تقارب بين البلدين وتوثق لعلاقتيهما بعضهما ببعض . والأرجح هو أن يتحول التعارض فى المصالح الى الحرب عندما تنشأ علاقة عدوانية حقة ، وعندما يدرك أحد الطرفين ان الاجراء الذى اتخذه الطرف الآخر « تنافسى لدرجة خطيرة ومهدد أو عنيف سافر » (٦٣) .

ربما بدت نظرية نازلى شكرى ونورث عن التوسع الجانبى قريبة الشبه من نظريتى هوبسون ولينين . ولكن بينما تعزو جميع النظريات سبب الحرب الى التنافس الاقتصادى بين القوى العظمى ، يلاحظ أن هوبسون ولينين يسلطان الضوء على وجود مؤسسات رأسمالية اقتصادية يرتد اليها سبب هذا التنافس . أما نازلى شكرى ونورث فيعتقدان أن نوع النظام الاقتصادى ليس ذا بال ، فما يهم هو الوجود المشترك للنمو السكانى والتقدم التكنولوجى بغض النظر عن نوع الاقتصاد .

وتخضع نازلى شكرى ونورث نظريتهما للتحليل الاحصائى بالاستعانة ببينات عن الفترة الواقعة بين ١٨٠٧ و ١٩١٤ . وما اهتديا اليه يعزز جزئيا فحسب نظريتهما . فبينما يبدو اشتراك النمو السكانى هو والتقدم

التكنولوجى قد أثار التوسع الاستعمارى للقوى العظمى قبيل الحرب العالمية الأولى ، الا أننا نرى أن التنافس الاستعمارى وتشابك المصالح ليسا متصلين ـ فيما يبدو ـ اتصالا قويا باندلاع العنف . وهكذا لا يكون قد تم الاهتداء الى الطريق المباشر الموصل بين النمو الداخلى والضغط الجانبى والتنافس الاستعمارى والحرب (٦٤) . وأثبتت محاولات تطبيق نظرية الضغط الجانبى على أفعال أحدث فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق وجمهورية الصين الشعبية أنها مخيبة بالمثل للآمال . اذ تبدو العلاقة واهنة بين خطوات الضغط الجانبى والصراع (٦٥) .

وتركز العمل الأحدث لنازلى شكرى ونورث على « مظاهر التقدم فى أى بلد » اعتمادا على نظرية الضغط الجانبى ، ورمز بالرمز ألفا اليونانى للدول ذات الأعداد السكانية الكبيرة المتنامية والتى تتمتع بتكنولوجيا متقدمة وبالوفير من الموارد . وتعد البلدان « ألفا » دولا ذات ضغط جانبى مرتفع . أما البلدان « بيتا » ففيها عدد كبير من السكان متناسب مع مساحة أرضها ، ولديها تكنولوجيا متقدمة ، ولكنها تعانى من بعض المعوقات فى سبيل الحصول على الموارد . ويؤدى تزايد الطلب فى هذه الدول الى حدوث ضغط يدفعها للتوسع فى زيادة مساحة أرضها أو حجم تجارتها . والدول « جاما » لديها قاعدة محدودة من الموارد ، ولكن عندها مدخلات عظيمة الارتقاء للموارد عن طريق شبكة ممتدة الأطراف من العلاقات التجارية (كبريطانيا واليابان حاليا) . وتزعم نازلى شكرى ونورث أن البلدان ذات الضغوط الجانبية العالية (ألفا ـ بيتا ـ جاما) تحارب حروبا أكثر ، تدور رحاها فى المناطق النامية للعالم أكثر من نشوبها فى الأجزاء المصنعة . والبلدان ذات التكنولوجيا الراقية وعدد سكان منخفض (الدول دلتا مثل النرويج) يبدو أنها تحارب بقدر أقل ، وعندما تتورط فى الحرب ، تلعب فيها دور الضحية أكثر من دور المعتدى (٦٦) .

ويثبت تحليل نازلى شكرى ونورث للطابع العام للبلد ، وأيضا الدراسات السابق التنويه لها وجود علاقة وثيقة بين قدرات القوة والحرب ، وتثبت نفس الظاهرة أن البلدان القوية والتى لديها احتياجات متنامية أميل للصراع الدولى . وتعد المصالح القومية موضع الخلاف هنا جانبا من التكوين الرئيسى للدولة . وبمقدار أهمية هذه الصفات تكون التوقعات الضمنية للتخفيف من أعباء الصراع الدولى متشائمة . وكما تعترف نازلى شكرى ونورث فان أية محاولة واعية لتغيير المظهر كوسيلة للتخفيف من فرص الشخص فى الصدام لا يحتمل فى الأرجح أن تثبت فاعليتها . اذ تتسم هذه الصفات بشدة مقاومتها للتغير فى الأجل القصير ، ويصعب تعديلها حتى فى الأجل الطويل . وعلى الرغم من كل ذلك ، تعتقد نازلى

شكرى ونورث أن برامج التحكم فى السكان قد تكون عاملا مساعدا فى تخفيف الضغوط طويلة الأجل للتوسع ، اذا أمكن الجمع بينها وبين توزيع أعدل للتكنولوجيات وتيسير الحصول على موارد المعمورة بنسب متكافئة (٦٧) ٠

الحـــدود :

ثمة عامل جغرافى سياسى آخر طالما جاء ذكره كسبب للحرب هو النزاع الاقليمى (٦٨) ٠ وبينما كانت المنازعات على الأرض فى وقت من الأوقات أحد الأسباب الرئيسية للحرب ، الا أن النزاعات الاقليمية تبدو أنها تضاءلت كباعث أساسى للحرب فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية (٦٩) ٠ وبالرغم من كل هذا فان الحروب مافتئت تنشب بحكم الاختلافات الاقليمية فى ادعاء الأحقية ٠ وفى العصور الحديثة اتخذت هذه المنازعات شكل الخلاف حول الحد الدقيق بين الدولتين ، كما لاحظنا فى النزاع الايرانى العراقى حول شط العرب، والنزاع السوفيتى الصينى حول الحدود على نهر أمور وأوسرى على سبيل المثال أكثر من النزاعات حول أراض برمتها ٠ ومع هذا فحتى الحروب المنتمية الى الفئة الأخيرة ربما مازالت قائمة فى العصور القريبة العهد كحرب الصومال واثيوبيا حول السيادة على منطقة أوجادين وحرب العراق للاستيلاء على الكويت ٠

ومن المدهش أن يتصف البحث عن حروب الحدود بانحصاره ، وأن تكون نتائج هذه المحاولات متناقضة نوعا ٠ وكما نستطيع أن نتخيل تعد الدول التى لديها منازعات حدودية أقرب الى شن الحرب من تلك الدول التى ليس لديها مثل هذه المنازعات (٧٠) ٠ فأى المشاحنات هى التى يرجح استعانتها بالحرب كوسيلة لحسمها ؟ لقد اكتشفت دراسة لمنازعات الحدود بين ١٩٤٥ و ١٩٧٤ أجراها ماندل أن الحروب التى دارت حول الحدود كانت تحدث فى الأغلب بين دولتين متساويتين نسبيا فى القوة ، ومن الدول الأقل تقدما فى الناحية التكنولوجية (٧١) ٠ ومن جهة أخرى ، يوحى تناول ديل وجورتز للتغيرات الاقليمية بين ١٨١٦ و ١٩٨٠ بأن كشوف ماندل لا تمثل حقبة عريضة من التاريخ ، واستخلصا القول بأن العنف يكون أقرب لشيوع الاستعانة به فى الاستيلاء على الأراضى عندما تكون الدولة المنتصرة قوة كبرى وتكون الدولة الخاسرة قوة صغرى ٠ واكتشف ديل وجورتز أيضا أنه كلما زادت أهمية البقعة من حيث الحجم الجغرافى أو عدد السكان ، ازداد احتمال استيعاب أرضها باعتبارها كانت موطنا للعنف : واتصف نقل ملكية الأرض من دولة لأخرى ، عندما يكون من

المواقع « التى يستوطنها مواطنون من الدولة المنتصرة »، بشدة العنف ، بينما كانت عملية الاستيلاء على الأراضى لتحويلها الى مستعمرة أقل جنوحا فى الأرجح الى العنف • وأخيرا يزداد رجحان كفة العنف عندما تكون الأرض موضع الخلاف مجاورة لكلا الطرفين آكثر من قربها لطرف دون الآخر ، أو فى حالة بعدها عن الطرفين المتشاحنين (٧٢) •

وتركزت أغلب الأبحاث عن الصلة بين الأرض والحرب على الحدود كمتغير خاضع للظروف أكثر من كونها مصدرا مباشرا أو سببا للحرب • وبعبارة أخرى ، لقد نظر للحدود كشيء ينسب للدول وقد تؤدى الى زيادة استعدادها للحرب ، وان كانت الحروب لا يلزم أن تنشب بسببها • والظاهر أن أبحاث علماء اجتماع فى العلاقة بين الحدود والحرب قد جاءت بنتائج مختلفة • فبينما اكتشفت بعض الدراســـات علاقة واهنة بين عدد ما للدولة من حدود وعدد ما خاضت من حروب ، ظهر أن هذا الرأى يمثل رأى الأقلية (٧٣) •

وبينت دراسة لويس ريتشاردسون لثلاث وثلاثين دولة فى الحقبة الواقعة بين ١٨٢٥ و ١٩٤٦ وجود علاقة موجبة بين عدد الحروب التى اشتركت فيها الدولة وعدد الحدود المشتركة بينها وبين الدول الأخرى • وكلما ازداد ما لدى الدولة من حدود ازداد عدد الحروب التى شاركت فيها • وأكدت بحوث الآخرين هذه النتيجة (٧٤) العامة • وعندما نتجاوز مجرد حصر عدد الحدود المشتركة للبلد ، ونراعى مدى أهمية هذه الحدود للدولة (كما يبين عند قياس طول هذه الحدود ومدى كثافة السكان فى كل جانب) سيبدو الارتباط بالحرب ربما مثيرا للدهشـــة (٧٥) • وبالاضافة الى ذلك ، فلقد تأيد نزوع الحرب الى التحول الى عدوى تنتقل الى الدول القريبة من وفرة من الأبحاث • وهناك ارتباط منطقى بينها وبين عدد الدول المتاخمة (٧٦) •

وفى دراسة مثيرة للاهتمام « للمشاحنات العســكرية المنزع » بين القوى العـالمية الـكبرى بين ١٨١٦ و ١٩٨٠ ، اكتشف بول ديل علاقة احصائية ذات مغزى بين الحدود المتاخمة وتصاعد مشاحنات القوى الكبرى للحرب (٧٧) • فمن بين ثلاث عشرة حربا تضمنتها العينة بدأت اثنتا عشرة منها (٩٢٪) بمناوشات على بقعة من الأرض متاخمة جغرافيا لاحدى الدولتين المتخاصمتين • ومن جهة أخرى ، تصاعدت ٢٪ فقط $\frac{1}{54}$ من المناوشات التى لم تستعر حول أرض متاخمة وتحولت الى حرب • وغنى عن البيان أنه عندما يكون النزاع متاخما (من ناحية الأرض) لأحد الخصوم يزداد احتمال تصاعد الحرب ، ويزداد الاحتمال حتى اذا وجدت أكثر من دولة متاخمة لموقع النزاع (٧٨) • وبطبيعة الحال حتى فى حالات متاخمة القوتين

الكبريين لموقع المواجهة ، لم ينته أكثر من ثلثي الحالات بالحرب مما يثبت عدم صلاحية الحدود للتزويد بتفسير شامل للحرب • وكل ما تحدثه هو زيادة ما تزوده من وقود يساعد على اشتعال الحرب • ومع هذا فإن البينات قد أثبتت بكل قوة « ان عدم وجود متاخمة يعد عاملا مؤكدا بعدم حدوث تصاعد للحرب (٧٩) » •

يتضح تماما من الشواهد الاحصائية وجود علاقة بين عدد حدود الدولة وغلبة الالتجاء للحرب • أما ما يفتقر الى الوضوح فهو « سبب » وجود العلاقة : هل تحارب الدول لأنها تشترك في حدود مع دول أخرى ؟ أم أن دور القرب الجغرافي يقتصر على تيسير الاشتباك فى العدوان ؟ ويلخص بروس راسيت رود فيما يلي :

« باستثناء وجود بعض الحساسيات من منازعات الحدود ، فان الدول لا تشتبك فى القتال بمجرد قرابتها المادية • وكل ما هناك هو وجود فرصة للقتال ترجع الى قرابتهما ، وبذلك تكون القرابة مجرد عامل مساعد (٨٠) » •

ان احتمال نشوب حروب بين الدول ذات الحدود المتاخمة يفوق حدوث ذلك بين دولتين غير متتاخمتين ، أى أن الفرصة لتحقيق ذلك أكبر ، فمثلا لا أظننا نتوقع اندلاع الحرب بين الصين وتونس أو أورجواى مثلا • ولكننا لن ندهش اذا وقعت هذه الحرب بينها وبين روسيا والهند وفيتنام • ويفسر ريتشاردسون هذه الحالة بأنها أشبه بأحداث العنف الداخلية (٨١) • فأبناء الوطن الواحد ينزعون لذبح كل منهم للآخر أكثر من نزوعهم لذبح الأغراب • ويرجع ذلك ببساطة الى أن معظم الناس لا يحتكون بالأجانب الا قليلا ، وبالمثل غالبا ما يرتكب الجرائم أصدقاء الضحية وأقرباؤه باعتبارهم الأكثر احتكاكا بالضحايا ، ومن ثم لديهم أفضل الفرص لقتلهم •

ومن المظاهر الأخرى « للفرصة » ما يتعلق باللوجستيقا العسكرية • وكما يذكرنا تصور كينيث بولدنج لفقدان القدرة على الانحدار ، فان قدرة الدولة على استعمال قوتها العسكرية تضمحل عندما تبتعد جغرافيا عن قاعدتها فى موطنها • فهناك حروب قليلة نسبيا تقاتل فيها بلدان غير متجاورين لعجز كلا الطرفين عن سهولة تعبئة قدراته العسكرية وتحقيق أثر فعال • فالتقارب يحقق جدوى الاقتتال من الناحية اللوجستيقية (٨٢) •

على أن التقارب لا يخلق فرصا للعنف فحسب ، ولكنه يخلق أيضا فرصا للتعاون • اذ يؤدى الاشتراك فى الحدود الى زيادة التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى ، وييسر الاتصال والتبادل الثقافى والدبلوماسى ،

والاشـــتراك فى عضـــوية التنظيمات الاقليمية والدولية ، بل ويحقق التحالف • وكما أثبت الاتحاد الأوربى ربما أدى الاشتراك فى الحدود الى اتاحة الفرص لزيادة التكامل السياسى (٨٣) •

ولما كان التقارب وحده لا يكفى ، فما هى النظريات الاضافية التى قد تفسر العلاقة بين الحدود والحرب ؟ اقترح « ستار » و « مرست » عدة مقترحات (٨٤) :

أولا : لا يقتصر الأمر على تعرض البلدان ذات الحدود المتعددة على امتلاكها لعدة أهداف وفرص للعدوان (لو كانت ميالة لذلك) ، ولكنها تتعرض للعديد من الأخطار والمشكلات المحتملة ، اذ تواجه الدولة ذات الحدود المتعددة أخطارا جمة لاضطرارها لالتزام الدفاع عن نفسها ضد الكثير من المعتدين القريبين منها المحتملين ، الذين لا تتأثر قوتهم وفاعليتهم مهما ابتعدوا عن خصومهم (٨٥) •

ان هذا يشبه استدلالات ميدلارسكى الذى يفترض اعتبار الحدود مصدر ارتياب الدول ، لأنها تمثل عوامل خارجة عن سيطرتها • فلما كانت الدول تخـوض الحـروب للتخفيف من عامل اللايقين (تبعـا لما يقوله ميدلارسكى) ولما كانت وفرة ما لدى الدولة من حدود تصعب سيطرتها على بيئتها ، وتزيد من حالة عدم اليقين التى تواجهها لذا يبدو منطقياً أنه كلما زادت حدود الدولة ازدادت فرص خوضها للحرب (٨٦) •

ثانيا : التماس مرتبط « باستعداد » الدولة لخـوض الحرب • فلا جدال أن المنازعات المتصـــلة بمناطق تعتبر قريبة جغرافيا ، ويراها الزعماء القوميون هى الأهم والأكثر تهديدا والحاحا والأوفق اتصالا بالمصالح القومية الحيوية ، ومن ثم فهى الأجدر بالمخاطرة بالحرب أكثر من المشكلات المتصلة ببلاد بعيدة (٨٧) •

ثالثا : هناك نوع معين من الحدود قد يدفع الى اقامة علاقات سلام ، بينما قد يثير نوع آخر من الحدود العنف • وأثبت هولستى أن الأراضى والحدود « الاستراتيجية » ، أى تلك المناطق التى تتميز بقيمتها الاقتصادية أو الاستراتيجية ، مختلفة اختلافاً ذا بال عن باقى الأراضى والحدود • وبينما تراجعت المشكلات المتعلقة بالأراضى والحدود بوجه عام تراجعا جوهريا كمصدر للحرب ، فقد استمرت الأراضى الاستراتيجية كسبب جذرى للحرب (٨٨) •

لعله من المناسب أن نتشبه بستار وموست ونختتم هذا القســم بالقول : « بأن الحدود قد لا تسبب الحرب ، ولكن يبدو من المعقول أن

تشير الى أنها تخلق أوضـــاعا من المخاطر والفرص التى يرجح حفزها للحرب (٨٩) ٠

الصراع الداخلى : نظرية كبش الفداء :

من بين النظريات الدائمة التردد عن الصراع نظرية مفادها وجود علاقة مهمة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى ٠ وأطلق على تفسير هذه العلاقة اسم نظرية كبش الفداء ، أو اسم بديل آخر هو النظـرية التحويلية للحرب (*) ٠ وزيادة فى التخصيص يعتقد أنه عندما تتعرض الدول لأحوال اقتصادية متدهورة وانقسامات عرضية أو معارضة سياسية شرسة أو نزاع مدنى أو عصيان ، آنئذ يسعى زعماؤها لانهاء هذه المحن الداخلية بشن نزاع مع أى عدو خارجى ٠ فالمفروض أن الحرب تشن بعد الاعتقاد أنها ستساعد على التفاف الجماهير حول الراية لمواجهة « التهديد الخارجى » ، وأن أية جريمة صحية للوطنية هى أنجع دواء للمشـكلات الداخلية التى تواجه الحكومة ، وبذلك يتحول العدو الأجنبى الى كبش فداء ٠ فاما أن ينحى باللائمة (بدون وجه حق) فيما حدث من مشكلات داخلية على الخصم الخارجى ، ويعلن الانتصـار على كبش الفداء كمسألة ضرورية لعكس تيار الموقف الداخلى السيىء الحظ ، أو يستعان بالحرب كوسيلة لجذب انتباه المواطنين بعيدا عن تتبع أنباء الموقف الداخلى ٠ أما هل تنجح الاستعانة بالحرب كوسيلة لتخفيف الموقف الداخلى فمسألة أخرى بطبيعة الحال ٠

ومن الاستفهامات المفتوحة أيضا التساؤل عن أيهما أكثر استعدادا للعمل كبشـا للفداء : الأنظمـة الأوتوقراطية أم الأنظمة الديموقراطية ؟ فالحكومات الأوتوقراطية هى الأقل انصياعا فى قدرتها على المشاركة فى الحرب ، ولـكن الأنظمة الديموقراطية هى الأكثر اعتمادا على وجوب الحصول على التأييد الشعبى ، ومن ثم فلعلها الأميل لتسخير المغامرات الخارجية للتأثير على الموقف السياسى الداخلى ٠ ولقد سبق أن تحدثنا عن ميـل الولايات المتحـدة للانحشـار فى « المشاحنات الدولية ذات الطابع العسكرى » أثناء سنوات الانتخاب ، ولاسيما اذا توافق توقيتها مع فترة الكساد الاقتصادى (٩٠) ٠ واكتشفت الدراسة الكلاسيكية لريتشارد روز كرانس لحالة عدم الاستقرار الدولى فى تسعة أنظمة أوربية مختلفة بين ١٧٤٠ و ١٩٦٠ أن حالة عدم الاستقرار الداخلى للنخبة السياسية كانت من أهم أسباب حرب القوى العظمى ٠ ومن هذا فان نوع النظام

(*) Jiversionary War Theory.

السياسى لم يبد ذا أثر مهم · اذ لجأت النخبة فى النظام الديموقراطى والنظام غير الديموقراطى على السواء للحرب سعيا وراء الخلاص من المتاعب الداخلية (٩١) ·

وأخيرا فقد شدد بحث ريتشارد ليبو عن « أزمات حافة الهاوية » فى القرن العشرين على الدور المهم لحالة الارتياب السياسى الداخلى · فلقد شنت عشر أزمات (من بين ١٣ أزمة) من قبل زعماء أدركوا تعرض حكمهم للخطر من منافسيهم فى الداخل ، وفى أربع أزمات من هذه الأزمات العشر ، كان النظام السياسى نفسه يعانى من الضعف والاضطراب (٩٢) ·

ولطالما عرض المؤرخون حجج كبش الفداء فى معرض كلامهم عن القرارات الفرنسية للحرب ١٧٩٢ وحرب القرم والاستفزازات الروسية التى أدت الى نشوب الحرب الروسية اليابانية وقرارات النمسا وألمانيا التى أشعلت الحرب العالمية الأولى (٩٣) · وفى وقت أحدث شاعت حجج كبش الفداء فى المحاولات الصحفية لكشف النقاب عن قرار الحكومة الأرجنتينية الاستيلاء بالقوة على جزر فوكلاند من قبضة الانجليز (١٩٨٢) · فلقد أدت المشكلات الاقتصادية القاسية فى الأرجنتين وبريطانيا الى زيادة المعارضة السياسية لكل من حكومة جالتيرى وحكومة تاتشر ، مما زود حكومة الأرجنتين بباعث قوى للاستيلاء على مالافينا بالقوة ، وزود حكومة تاتشر بمبرر مماثل فى قوته لعكس الموقف عن طريق الحرب (٩٤) ·

الصراع الداخلى : « حروب اركلهم وهم طرحى » :

ويبحث المؤرخ جوفرى بلينى هذه العلاقة بين الصراع الداخلى والحرب فى كتابه عن أسباب الحرب ، وبدا واضحا لبلينى أن الصراع الداخلى ليس وحده مفتاح معضلة أسباب الحرب · فلا ننسى أن النزاع المدنى لم يسبق جميع الحروب ، ولم يؤد دوما الى الحرب · واكتشف بلينى وجود ما لا يقل عن ٣١ حربا (تمثل أكثر من ٥٠٪ من حروب الحقبة) كانت مسبوقة بصفة مباشرة بنزاع داخلى داخل أحد طرفى البلدين المتحاربين (٩٥) · ولا يخفى وجود علاقة مهمة بين النزاع الداخلى والنزاع الخارجى ، ولكن هل هناك نظرية قادرة على تفسير هذه العلاقة ؟ . . . .

ويحاجى بلينى بالقول بأن التفسير الذى جاءت به نظرية كبش الفداء لم تثبت صحته ، ويحتمل خطؤه ، ويفحص الدليل الذى عرضه المؤرخون لاثبات انتماء حروب القرم والروسية اليابانية والحرب العالمية الأولى الى نوعية حروب كبش الفداء ، ويدحض هذا الدليل · فمثلا لقد جرت العادة

على اعتبار دليل بحث الروس عن كبش فداء فى حرب ١٦٠٥ يستند الى تصريح لوزير الداخليـة الروسى بليهيف فى بواكير الحرب الروسـية اليابانية قال فيه : « نحن بحاجة الى حرب صغيرة ننتصر فيها لكبح التيار الثورى » • وهو تصريح أعاد ترديده الخصم السياسى لبليهيف (وزير المالية) • وربما كان سبب اعتبار هذا القول مثيرا للاهتمام انه يلقى الضوء على نظرة بليهيف ، ولكنه لا يسـاعد على كشف علاقة نظرته بالقرارات التى اتخذت داخل الحكومة الروسية قبل اندلاع الحرب • ويلاحظ بلينى وجود تفسيرات تتبع نظرة كبش الفداء ، ويغلب عليها طابع مماثل : فليس هناك دخان بلا نار فى معرض الكلام عن الربط بين النظرة والفعل • وبالاضافة الى ذلك ، فغالبا ما يكون عند تفسـيرات « كبش الفداء » فؤوس جاهزة للحرث ، اذ تنحى تفسيراتهم عادة باللائمة على وقوع الحرب اما على الخصوم السياسيين فى الداخل ، أو على زعماء البلدان الخارجية (٩٦) •

والأهم هو ما قاله بلينى عن وجود نظرية أخرى مؤيدة من الوقائع على نحو أفضل ، وتزود بتفسير أكثر اتساما بالروح المنطقية للعلاقة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى • ففى هذه الحروب (٣١ حزبا) التى سبق فيها الصراع الأهلى الصراع الخارجى ، لم يكن من بادر باشعال الحرب ـ عادة ـ هو الدولة التى مزقها الصراع • وبدلا من ذلك ، كانت المبادرة بشن معظم الحروب تجىء من قبل قوى خارجية • ومثلت الدولة التى تعانى من المتاعب الداخلية دور الضحية •

ويردف بلينى على نحو مؤثر بالقول بأن البلدان لا تبدأ الحروب عادة كوسيلة لقمع ثوراتها الداخلية • فالأرجح هو أن الحروب تنشب لأن الصراعات الداخلية تغير ميزان القوى بين الدول ، ويترتب على الصراع الداخلى فى البلدان الأقوى هبوط فى هامش تفوقها مما يغرى البلدان الأخرى على الضرب فى الوقت المناسب • ويمكن وصف هذه الحالة بأنها نظرية الحرب التى تتبع مبدأ اركلهم عندما يكونون طرحى على الأرض ، ويشبهها بلينى بالمواقف التى يقبع فيها الزعماء الخارجيون على نحو أشبه بوقفة النسور فوق الأشجار : « مترقبين موت الحكام المستهدفين مما يساعد على شيوع حالة من البلبلة السياسية • وبالمقدور يقينا ادراج قرار العراق بمهاجمة ايران أثناء حالة الاضطراب التى صحبت ثورتهـا ضمن هذه الفئة •

ومن جهة أخرى ، فان الصراع الداخلى اذا وقع فى بلد ضعيف نسبيا سترجح كفة الحفاظ على السـلام • وكل ما سيفعله الصراع الداخلى آنئذ هو تأكيد حالة الضآلة ، وسيبقى ميزان القوى بغير مساس (٩٧) •

ولابد أن يلاحظ هنا أن نظرية « اركلهم عندما يكونون ممددين على الأرض » تستخلص بالضرورة الحكم بأنه عندما يشب صراع داخلى فى الدولة أ فانه يهيىء الفرصة للدولة ب للهجوم ، ولكن هذه النظرية لم تتعرض للسبب الكامن لهجوم الدولة أ على الدولة ب • وبعبارة أخرى ، فان هذه النظرية لا تساعد على تفسير لماذا تهاجم « ب » « أ » ، وتكتفى بالكلام عن مهاجمة « ب » ل « أ » الآن •

وعلى أية حال ، فان نظرية اركلهم وهم طرحى تحمل معنى يمكن حدسه • فالحكومات التى تعانى من صراعات داخلية لا يحتمل أن تهاجم الدول الخارجية • وبدلا من ذلك فانها تهاجم العصاة فى الداخل • واذا لم يكن الاضطراب خطيرا ، فلن تحتاج الحكومة الى السعى للحرب مع القوى الخارجية • واذا تفاقم الوضع فسيزداد زعماء الحكومة ميلا للبحث عن علاقات مسالمة مع الخارج حتى يركزوا الانتباه ومواردهم للتفرغ للمشكلات الداخلية • وبالاضافة الى ذلك ، فان الشقاق الداخلى الخطير يقلل من امكانية الاعتماد السياسى على العسكريين باعتبار التماسك السياسى الداخلى أمرا ضروريا لشن حرب خارجية • وغنى عن القول أن أغلب البلدان التى تورطت فى الحرب وكانت مهددة فى ذات الوقت بالاضطراب فى الداخل قد تطلعت الى البحث عن السلام الخارجى ، كما حدث فى حالتى روسيا ١٩٠٥ و ١٩١٧ وفى ألمانيا عند نهاية الحرب العالمية الأولى والولايات المتحدة ابان المراحل الأخيرة من حرب فيتنام (٩٨) •

وتستوجب الحجج الواردة آنفا اجراء تعديل لنظرية كبش الفداء • فربما اتخذت العلاقة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى شكل خط منحن • فلا يحتمل حدوث الحروب عندما يصل الصراع الداخلى الى أدنى مستوى له فى المنحنى البيانى ، وأيضا عندما يصل الى أعلى مستوى له • على أن المستويات الوسطى من الصراع الداخلى قد تسوق الى شن هجوم مضلل • ومع هذا فلا يستبعد ، كما يرى جاك ليفى : لا يسلك أهل النخبة مسلكا عقلانيا ابان المستويات العليا من الصراع الداخلى ، ولكنهم يتصرفون عوضا عن ذلك « وفقا لعقلية الحصون » ، ويتحولون الى « مغامرين » باحثين عن المخاطر • فقد يؤدى التوتر المصاحب لمثل هذا الصراع الداخلى الى ظهور فرص أفضل لاساءة الادراك ، وأيضا الى الشعور بالحاجة السيكولوجية لاحراز النجاح فى السياسة الخارجية حتى لو جر ذلك مخاطر جمة (٩٩) •

لقد بينا أن أرجح العلاقات المتوقعة بين الصراع الخارجى والصراع الداخلى ، هى توقع تعرض البلدان التى تعرضت للضعف من جراء النزاع

الداخلي للهجوم من خصومها • وبينا أيضا أن حروب كبش الفداء قد تقع في بعض حالات بعينها • على أن هذين الاحتمالين ليسا التفسيرين الممكنين للصلة بين الصراع الداخلي والصراع الخارجي • فهناك احتمال آخر وهو تحول الحروب الأهلية الى حروب دولية • فغالبا ما تعقد الجماعات الثورية المشتبكة في حرب أهلية روابط قوية مع الحكومات الأجنبية لمساعدتها في ثورتها ، كما أن الحكومات ذاتها تقيم روابط مع القوى الخارجية لمساعدتها في الداخل ضد العصاة • ولقد ظهرت مثل هذه الروابط بين المتمردين والحكومات الخارجية في ٢٦ حربا (من بين الحروب الاحدى والثلاثين التي درسها بليني • وثمة وفرة من الأمثلة للحروب الأهلية التي تحولت الى حروب دولية : فيتنام والسلفادور وتشاد وأفغانستان • وهكذا يمكن القول بأن الحروب الأهلية تكشف عن الميل للتحــول الى حروب دولية باتباع طريقين مختلفين : الهجوم الخارجي المباشرة على حكومة تعرضت للضعف من جراء النزاع الخارجي ، أو عن طريق تقديم المساعدة للجماعات المتمردة التي تحارب ضد الحكومة •

الصراع الداخلي : الدولة الثورية :

قدمت دراسة شائقة لزيف ماوز نظرة أخرى للصلة بين الصراع الداخلي والصراع الخارجي (١٠٠) • ويعتقد ماوز في وجود مؤثر لهم على تفسير النزاع الدولي ، وهو اتصاله بنوعين من التغيرات الثورية : ظهور دول جديدة منبثقة من الصراعات الثورية أو الصراعات العنيفة ، والتحولات الثورية التي تطرأ على الأنظمة السياسية الأقدم •

ومن المحتمل أن تلقى الدول التي تولد بعد أحداث ثورية أو بعد تحولات تجــرى لها وهي في منتصف الطريق ، ترحيبا فاترا في منتدى الأمم • وقد تدرك النخبة السياسية في هذه الحكومات الثورية وجود عداء لها في الوسط الدولي • فربما توهم الأخيار السياسيون في الحكومات الأقدم والأرسخ في النظام الدولي أهداف وطموحات هذه الدول المستحدثة أو الصاعدة كتهديد لها وللنظام الدولي الجاري • وليس من شك في أن الحكومات التي مرت بتجربة ثورية في بداية عهدها أو تعرضت لتحولات قد تضــمر تصــورات مختلفة الى النظام العالمي • وهــكذا يخلق التحول السياسي للدول عن طريق الثورة شعورا متبادلا بعدم الثقة بين الدول العريقة والدول المستحدثة في النظام العالمي ربما أدى الى نشوب صراع عنيف • ولما كانت عدم الثقة متبادلة • فقد تجيء المبادرة بالعدوان اما من الدولة الحديثة التحول أو الظهور (كما حدث في حروب الثورة الفرنسية وحرب روسيا ضد بولاندة ١٩١٩ ــ ١٩٢٠) أو من النظام القديم (حرب الائتلاف الأول ضد فرنسا من ١٧٩٢ ــ ١٧٩٨ ، وهجوم العراق على الدولة الثورية بايران ١٩٨٠ •

وبعد أن استعان ماوز بالبينات المستقاة من مشاحنات الدولة ذات الصيغة العسكرية بين ١٨١٦ و ١٩٧٦ ، أكد تورط الدول الثورية الحديثة والقديمة في عدد كبير من المشاحنات ذات الصيغة العسكرية (كاستخدام القوة وعروض القوة والتهديد بالقوة) أكثر من الدول القديمة التي اتبعت في خطوات تقدمها السياسي أسلوبا أكثر ثورية · وهكذا رأى ماوز أن التغيرات الثورية داخل الدول تساعد على ترجيح ممارسة هذه الدول للصراعات اللاحقة ذات الصيغة العسكرية : اما كمعتدين أو ضحايا (١٠١)·

دراسات تجريبية للصلة بين النزاع الداخلي والنزاع الخارجي :

قبل الاسترسال طويلا في هذا البحث ، علينا أن نلاحظ وجود بعض علماء ارتابوا في وجود أية صلة تجريبية على الاطلاق بين الصراع الداخلي والصراع الخارجي · والواقع أن عدة دراسات قد ألقت ظلال الشك على هذا الحكم الجوهري ·

وفحص ميكائيل هاس الصلة بين التوترات الاجتماعية والشدائد في المجتمع وكما تظهر في مستويات البطالة والتصنيع وعمليات الانتحار والقتل الجماعي والسياسة الخارجية العدوانية للدولة (كما تبين مما ينفق في النواحي العسكرية وشيوع ما تشن من حروب) وبحث البينات المستقاة عن الفترة ما بين ١٩٠٠ و ١٩٦٠ لثمانية بلدان كلها غربية على وجه التقريب أو بلدان تصنيعية ، واكتشف وجود صلة واهنة بين هذه العوامل المتصلة بالتوتر والصراع الخارجي للدولة (١٠٢) ·

وبحث راميل البينات الممثلة لثمانين بلدا عن السنوات بين ١٩٥٥ و١٩٥٧ ، لكي يرى هل ظهرت في البلدان ذات المستوى العالي حالات من الصراع الداخلي (كما تتمثل في عمليات الاغتيال والتطهير والأحزاب والعصيان والانقلابات والتظاهرات ·· الخ) وهل عرضت أيضا حالات من المستوى العالي للصراع الخارجي (كالحرب والعقوبات وتحركات الوحدات العسكرية والأبعاد والاحتجاجات الشفوية والتهديدات) ، واستعان راميل بتقنيات تحليل المصانع ، واكتشف ثلاثة أبعاد للصراع الخارجي (الحرب والدبلوماسية والاعتداد) وثلاثة أبعاد مختلفة للصراع الداخلي (كالاضطرابات والثورة وأعمال التخريب) ، واكتشف بعد ذلك أن شتى العوامل المتصلة بالصراع الخارجي تكاد تتصف جميعا باستقلالها عن العوامل الداخلية · وبعبارة أخرى ، فان البلد الذي سجل درجة عالية في أي عامل من العوامل الثلاثة للصراع الداخلي لم يسجل بالضرورة درجة عالية في أي عامل من عوامل الصراع الخارجي ، فلا اتصال ضروري بين الاضطراب الداخلي والصراع الخارجي (١٠٣) ·

وفى دراسة متأخرة ، اكتشف راميل وجود علاقة عكسية بين الصراع وأحد الأبعاد الثلاثة للصراع الداخلى ـ التخريب • اذ اتضح أن احتمال تورط الدول التى يمارس فيها التخريب فى الداخل فى أعمال الصراع مع الدول الأخرى (١٠٤) •

ولعل هذه النخبـة تمثل بعض دفوع حجـة بلينى عن الصلة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى (١٠٥) • على أنه بوجه عام يمكن القول ان النتيجـة التى توصـل اليها راميـل عن عدم وجـود اتصال بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى قد تعززت بتحليـلات العوامل المماثلة فى الدراسات التى نهض بها آخرون عديدون (١٠٦) •

ويفترض جوناثان ونكلفيلد بأن عدم وجود صلة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى فى هذه الدراسات ، يرجع الى أن راميل وأتباعه قد جمعوا أنواعا شتى من الأنظمة السياسية فى تحليلاتهم • ولعلنا اذا نظرنا الى أية أنظمة سياسية بمفردها ستظهر لنا أنماط أوضح • وأعاد تحليل البينات ، ولكنه قسم البلدان الى ثلاث فئات (شخصانية كدول أمريكا اللاتينية أساسا) وفئة مركزية (كالدول الشيوعية وبعض دول الشرق الأوسط) وديموقراطيات (ذات تعددية سياسية) • واكتشف أنماطا مختلفة للعلاقة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى • فمثلا كشفت الدول المركزية عن وجود علاقة موجبة بين (الاضطراب أو القلق الثورى والحرب) وظهرت أيضا علاقة موجبة بين الاضطراب والصراع الدبلوماسى والصراع الحربى •• الخ • وفيما يتعلق بالأنظمة التعددية ظهرت علاقة بين الاضطراب والحرب ، وظهرت أيضا علاقة بين القلق الثورى والتحمس للحرب (١٠٧) • وكما نستطيع أن نستخلص ، تمثل هذه النتائج خليطا متضاربا ، وفى أفضل الأحوال فان تفسيرها بالغ الصعوبة •

خلاصة : صلة الصراع الداخلى بالصراع الخارجى :

بينما يبين من الكم الهائل من الآراء التى أبداها راميل وهاس وآخرون ان الصراع الداخلى ليس مرتبطا ارتباطا قويا بالصراع الخارجى ، الا أن هذه النتيجـة تبـدو متباينة هى والكومن سنس (المفهـومية الدارجة) والأمثلة التاريخية • فبينما لا يلزم أن تكون جميع الحروب مسـبوقة بالاضطراب الداخلى ، ولا يلزم أن تسفر جميع الصراعات الداخلية عن حدوث حروب ، الا أن هناك أمثلة تاريخية كافية لحالات تبيح للمؤرخ استنتاج أشياء مهمة من هذه النتائج • وربما رجع التضارب بين الأدلة التاريخية والأدلة المستقاة من المشاهدات التى جمعها علماء الاجتماع من أمثال راميل الى بعض اللزوميـات المنهجيـة التى تسلطت على بحوثهم •

اذ اعتمدت معظم هذه الدراسات على بينات تمثل عددا قليلا من السنوات (كالفترة الواقعة بين ١٩٥٥ و ١٩٦٠ على سبيل المثال) ، والتى قد تحتوى على عينة لا تمثل فترتها · وفضلا عن ذلك ، فان عنصر التفسير فى الصراع فى هذه الدراسة غالبا ما يكون حلا وسطا لأنواع شتى من الصراع الخارجى ، أكثر من كونه ممثلا للحرب · وتبعا لذلك فانه لا يمس مسألتين أساسيتين فى مبدأ السببية : المبدأ الأول ما هو اتجاه العلاقة ؟ يعنى أى المتغيرات (الصراع الداخلى أم الخارجى) يفترض أنه قد أحدث أى المتغيرات ؟ وما هو توقيت مثل هذه العلاقة ؟ · ونتيجة لذلك ، فمن الصعب اتباع هذه الدراسات كدليل مؤيد أو معارض للنظرية التى ترى أن الصراع الداخلى يحدث الصراع الخارجى (١٠٨) ·

وبينما يمكن التسليم بوجود علاقة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى الا أنها قد أصيبت بالتعتيم نوعا من جراء الحاجة الى آليات سببية شتى لتفسير هذا الارتباط : فوفقا لآلية كبش الفداء ، فان الدول التى مزقها الصراع الأهلى المعتدل ستلجأ للصراعات الخارجية لحل المشكلات الداخلية · واعتمادا على الآليات المخدرة من الموت ، فان الدول التى تعانى من ضعف داخلى خطير ، أو صراع ، قد تتعرض للهجوم باعتبارها فريسة سهلة لخصومها ، وقد تسعى للاهتداء الى حلفاء خارجيين عن طريق تدويل الحروب الأهلية والتمردات والحكومات على حد سواء ، مما يساعدها على تحويل الصراعات الداخلية الى حروب دولية · وأخيرا قد يتعرض الصراع بين دولتين لتسريع من تأثير ظهور الأنظمة الثورية واحتدام الصدام بين أنصار النظام الدولى القديم والدول الثورية الجديدة (١٠٩) ·

الصراع الداخلى ـ الخارجى ، وما يترتب عليه :

يجر وجود علاقة مباشرة بين الصراع الداخلى والصراع الخارجى فى ذيله القول بأن العالم سوف يسوده سلام أكثر لو نزعت الدول ذاتها الى زيادة التعلق بالسلام ، وأصبحت مكانا آمنا للعيش · وسوف يخف الصراع الدولى الى حد كبير لو أمكن الحد من شدة الصراع ، أو تيسر استبعاده · وبطبيعة الحال ، تثير هذه الحالة التساؤل حول كيف يستطاع التخفيف من حدة الصراعات الداخلية ، وتثير أيضا التساؤل حول هل بمقدور زعماء المجتمع العالمى تحقيق الحد من الصراع الداخلى فى الدول المضطربة اعتمادا على السياسات والبرامج المطبقة فى الخارج ، أم أن هذه مسألة لا يمكن أن تحسم وتحل الا بحلول داخلية ·

والى حد ما كانت السياسة الخارجية للولايات المتحدة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية تخضع فى تكنهاتها لمثل هذه الصلة المزعومة بين

تخفيف الصراع الداخلي ودفع الصراع الخارجي • وكان الهدف العام من المعونات الأمريكية الخارجية سواء اتخذت شكل مشروع مارشال أم معونة حوض البحر الكاريبي هو الحيلولة دون حدوث اضطرابات داخلية في البلدان المستفيدة من المعونة ، التي يخشى من تحولها الى أرض خصبة للثورة الشيوعية أو تصلح كأهداف جذابة للعدوان • والأساس المنطقي لبرامج المعونة الخارجية هو الاعتقاد بأن الاضطراب الاقتصادي يؤدي الى الاضطراب السياسي الداخلي ، الذي يؤدي بدوره الى أعمـــال التخريب الخارجية (الشيوعية) أو العدوان • وهناك ــ بطبيعة الحال ــ مجموعة ثانية من الافتراضات قوامها ما يترتب على المعونة الاقتصادية من نمو اقتصـــادي وازدهار ، وسيتمخض هــذا النمو عن خلق أحوال اجتماعية وسياسية مستقرة ، تحول دون بزوغ جماعات يسارية قوية متطرفة • على أن قلائل من علماء الاجتماع قد يرون أن النمو الاقتصادي وعملية التقدم ــ وبخاصة اذا حدث النمو بسرعة ــ باعث لحالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي أكثر من كونه عامل استقرار • وربما كانت معونة التقدم أداة تساعد على تشجيع حالة عدم الاستقرار بالذات التي خططت المعونة للحيلولة دون وقوعها ! • ولما كان الاهتداء الى قرار حاسم في هذه القضية يتجاوز نطاق هذا البحث ، لذا فليتنا نتفق على ترك هذه المسألة بلا حل ، وننتقـــل الى نظريات أخرى للحرب في مســـتوى « دولة المدينـــة » •

نظرية السأم من الحرب :

في الجزء التاسع من سفر أرنولد توينبي : دراسة في التاريخ ، زعم المؤرخ البريطاني أنه استطاع التعرف على دورة السلام والحرب • ورأى أن الدورة تستغرق مائة سنة ، وتتكرر عبر القرون على التعاقب الآتي : الحرب العامة تتبعها فترة سلام ، ثم لفيف من الحروب الصغيرة ، تتلوه فترة سلام ثانية ، وينتهي الأمر بنشوب حرب عامة أخرى •

واجتهد توينبي في تفسيره النظري واستخلص ما يأتي : الحرب تترك انطباعا سيكولوجيا عميقا عند من خاضوا غمارها ، مما يدفعهم الى التردد في جعل أبنائهم يتعرضون للتمزق من أثر تجربة مماثلة ، ومن هنا يجنى جيل كامل من الزعماء ممن تشكلت حياتهم خلال فترة الحرب على الحفاظ على السلام طيلة فترة حكمهم ، وينتهي الأمر بانتقال السلطة الى جيل آخر • ولما كان هذا الجيل الجديد لم يكتو بنار الحرب على نحو مباشر ، فلا عجب اذا أظهر ميلا أكبر من أسلافه لاختبار مقدار اكتوائه بنار القتال ، مما يسفر عن حدوث سلسلة من الحروب الصغيرة ، ويستمر

تجنب الحروب الكبرى بفضل النفور منها والذى ورثه هذا الجيل من الجيل السابق له ، وتتعرض فترة السلام التى تعقب هذه الحروب الصغيرة للتشتت فى نهاية الأمر بعد وقوع حرب كبرى أخرى ولن تنشب مثل هذه الحرب الا بعد أن تمحى ذكريات الحرب الكبرى الأولى بعد موت الجيل الذى عاصرها (١١٠) • وبطبيعة الحال ، تتجدد الدورة مرة أخرى ، وهكذا دواليك • وناسبت دورة المائة عام التى جاءنا بها توينبى على وجه التقريب الحقبة الفاصلة بين الحروب النابوليونية فى بواكير القرن التاسع عشر والحرب العالمية الأولى •

ويشار الى التفسير الذى قدمه توينبى لدورة الحرب والسلام ، بوجه عام ، بمصطلح نظرية السأم من الحرب • فهى تتنبأ بنزوع البلدان التى خبرت الحرب فى عهد قريب ، وكانت حربا طويلة ومكلفة ، الى اتخاذ موقف شديد المسالمة ، فى المدى القصير على أقل تقدير • ويحدث عكس ذلك للدول التى مرت بعهود ســـلام طويلة فمن المحتمل أن تغدو أكثر استعدادا لخوض الحرب فى المستقبل القريب • ويلاحظ بلينى كأن هذه النظرية تدعونا الى الاحتراس من السويد وجزر الكاناريا (١١١) • وهذا أمر ربما أثار السخرية •

وزيادة في التخصيص فاننا قد نتساءل ، ولماذا وكيف يفترض أن تؤدى الحرب الى السلام • فالى حد ما تعد نظرية الســـأم من الحرب مستخلصة من حجج سيكولوجية ، لأنها تعتقد أن الزعماء السياسيين الذين خبروا أهوال الحرب بصفة مباشرة سيتأثرون تأثرا عميقا بالتجربة ، ويفترض حدوث ذلك فى المستوى الواعى ، وفى المستوى اللاواعى أيضا فى أغلب الظن • وتتمخض تجربة الحرب عن حدوث نفور قوى من الحرب • ويؤثر هذا السأم من الحرب في شخصيات الزعماء وفى أساليب التعامل التى يتبعونها وصورهم الخاصة بالعالم ومفضلاتهم فى عالم القيم • فلعل هذا التفسير يعمل فى المستوى الفردى للتحليل •

وتتبع نظرية السأم من الحرب أيضا مستوى « دولة المدينة » • ففى هذا المستوى تتضمن النظرية القول بأن التجربة العامة للحرب المدمرة البشعة تترك انطباعا على « النفس الجماعية للأمة » ، بعد أن غدا السأم من الحرب جزءا من « الوعى الجماعى القومى » • أو من « الطابع القومى » ، أو من « الثقافة السياسية » وبعبارة أخرى ، فاننا ازاء ظاهرة سيكولوجية جماعية يشترك فيها الكافة • ولا يعد السأم من الحرب خاصية شخصية بقدر كونه صفة قومية •

يتعين على أية نظرية كاملة للسأم من الحرب أن تنوه بالصلة بين السأم من الحرب فى المجتمع عن بكرة أبيه (أو بالنسبة لمجموعات معينة

داخل المجتمع) وصانعى القرار السياسى • اذ يعنى وجود نفور شعبى من الحرب ، على الأقل فى أى نظام ديموقراطى ، تعريف الشعب للحكومة استعداده للسلام ، ووجوب أن تغدو سياسة الحكومة مرآة لرغبات الشعب • ومن غير المقدور أن تغفل حتى البلدان السلطوية هذا التأييد الجماعى للسلام اغفالا كاملا من حساباتها ، لأنه يتوجب على الديكتاتوريين مراعاة مثل هذه المشاعر الشائعة • وتبعا لذلك قد لا تهم الصفات الأخرى فى مستوى الدولة بدرجة كبيرة ، وعلى الدول ذات التاريخ المتماثل فى تجربة الحرب أن تتصرف تصرفا مماثلا فى المستقبل (١١٢) •

وثمة صلة بين السأم من الحرب ومبادرات الحرب ، ولكن لا يلزم وجود مثل هذا الاتصال بينه وبين التورط فى الحرب • فهو يخص تأثير أية حرب سالفة مكلفة على رغبة أى بلد فى شن حرب جديدة • ومع هذا فاذا هوجم أى بلد ، لن يكون للسأم من الحرب تأثير كبير • فلا يحتمل أن يحول السأم من الحروب دون مشاركة البلد فى أية حرب ، لو أنه تعرض للهجوم • وربما أمكن للمرء أن يفترض ترجيح تعرض البلدان التى خبرت الحرب فى عهد قريب للهجوم أكثر من البلدان الأخرى • فقد يحس الخصوم بوجود روح السأم من الحرب فى مثل هذه البلدان • ويعتبرون هذه الظاهرة علامة ضعف • وبالمثل فان الدولة التى وهنت قوتها من أثر حرب سالفة مكلفة قد تنظر اليها الدول الأخرى على أنها هدف سهل •

وكما لاحظتم بالفعل ، فثمة الكثير من التشابه بين السأم من الحرب وتصورات المرض والمناعة • وكما ذكر ريتشاردسون : الحرب شبيهة بالمرض •• ومن بين الوسائل الممكنة للعلاج اعطاء جرعة قوية من الحرب ذاتها ويا له من حل مثير للسخرية • وتمثل التجربة الفعلية للحرب نوعا من المناعة ضد الحرب مستقبلا • ولسوء الحظ فان تأثير التحصين لا يستمر طويلا — مثلما يحدث فى حالة تعاطى جرعة مضادة للتيتانوس — وتصاب مناعة البلد بالوهن (١١٣) •

ولو صحت نظرية السأم من الحرب ، ستكون الحروب التى تولدت من أثر صراع سابق قضى نحبه من صنع دول فقدت مناعتها للحرب قوتها بمرور الزمان • وما تخبئه هذه النظرية — ضمنا — من آثار يثير التشاؤم • وهناك توقعات تبشر بالخير وتوقعات أخرى سيئة • أما التوقعات المبشرة فهى امكان منع الحروب • والتوقعات السيئة هى أن تكون الوسيلة الوحيدة لمنع الحروب فى المستقبل هى الاشتراك فيها فى الحاضر • وحتى اذا عملنا بهذه الوصية ، فانها لن تمنع الحرب منعا قاطعا •

وقبل أن نسترسل فى الحديث ، لابد أن ننوه ببعض المشـــكلات النظرية الفعلية ٠

أولا : لقد قامت نظرية السأم من الحرب بمهمة ممقوتة عندما فسرت اندلاع الحرب العالمية الثانية : تلك الحرب التى وقعت بعد عقدين من الزمان من انتهاء الحرب العالمية الأولى ٠ اذ مثل زعماء بلدان أوربا جميعا جانبا من الجيل الذى اشتركت فى تكوينه أبشع حرب فى التاريخ ٠ وبالتأكيد لو صح وجود جيل سأم الحرب ، لكان هذا الجيل هو الجدير بهذا الاسم (١١٤) ٠ وليس من شك أن وثوقنا فى نظرية السأم من الحرب سيتزعزع من أثر هذا المثل المتوهج للأحداث التى جرت فى اتجاه معارض للنظرية ٠

ثانيا : على الرغم من صلاحية نظرية السأم من الحرب للتطبيق على أى جانب مشارك فى احدى الحروب القريبة العهد على الجانب الغالب أو المغلوب على السواء ، الا أن الواقع يقول ان انتصار أى بلد أو هزيمته له تأثير مهم على سياسته مستقبلا ٠ وبمقدورنا أن نخمن أن النصر قد يرجح دفع المنتصر الى شن حرب فى المستقبل ٠ ولا جدال أن هذه النتيجة ستتوافق هى ومنطق نظرية السأم من الحرب ٠ وفى معظم الأحيان ، تتعرض الدول المنتصرة لقدر أقل من الدمار والمعاناة مما تتعرض له الدول الخاسرة ، ومن ثم فمن المتوقع أن تكون أقل احساسا بمشقة الحرب ٠ وفى ذات الوقت ، فقد يعزز الانتصـــار فى الحرب ميـــل الدولة للعدوان مستقبلا ٠ فربما تضخمت القدرات المادية للدولة المنتصرة نتيجة للنصر ، وقد يرفع النصر من مستوى التحمس ويخلق جوا من التفاؤل عن الحرب ، ويعزز سلطة أى فريق سياسى متشدد سينسب اليه فضل النجاح فى الحـــرب ، أو قد يوصـــله للســـلطة ، أو قد يشـــجع أى تعلق ثقـــافى بالعـــدوان (١١٥) ٠

ربما قيل من قبيل المحاجاة ان الانهزام فى حرب طويلة مدمرة هو الأقرب احتمالا فى خلق أعراض السأم من الحرب ٠ وكما أشرنا فان بالمقدور القول ان النصيب الأكبر من دمار الحرب يقع عادة على المغلوب ٠ فكلما زادت الخسارة والدمار والضحايا ، وازدادت الحرب شراسة ، ازدادت حالة الاجهاد من الحرب ، والمناعة ضد المبادرة مستقبلا بشن حروب ، كما يفترض ٠ وهكذا يكون المتوقع منطقيا أن يحدث الانهاك فى الحرب تأثيرا أعظم على البلدان المنهزمة فى الحرب السالفة يفوق تأثيرها على من حققوا النصر ٠

على أن هذه الحجة غير مقنعة مائة فى المائة ، فمن السهل أيضا الاعتراض عليها والقول ان البلدان التى عانت فى الجانب الخاسر يحتمل

فى بعض الحالات أن تكون الأقرب الى امتشاق السلاح فى المستقبل القريب • فليس من شك أن الرغبة فى الانتقام قد تكون دافعا قويا مثلما تكون الرغبات المصاحبة لها لاستعادة ما فقد من أرض وآدميين وموارد • فمثلا كثيرا ما ذكر أن رغبة ألمانيا فى الانتقام عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى كانت سببا أساسيا لعدوانها فى الحرب العالمية الثانية •

ويتماثل فى الاستصواب القول ان أية هزيمة مكلفة (وسنرمز اليها بالحرف أ) تحدث الحرب (ب) • كما أن أ تحدث جـ (المبادرة بشن حروب مستقبلا) ومن ثم فلا يصح الاعتماد على كلا الاحتمالين كقاعدة عامة • فالحجتان النظريتان القائلتان بأن الحرب تستطيع منطقيا أن تؤدى الى بزوغ ممهد للسلام ، وأيضا الى شن حروب فى المستقبل تتساويان فى معقوليتهما ، ولكنهما ــ بطبيعة الحال ــ غير متوافقتين • ومن هنا يكمن أكبر ضعف لنظرية السأم من الحرب كنظرية عامة للحرب والسلام • فقد تكون الحروب السابقة مصدر عدوى سالبة أو مصدر عدوى موجبة أو مساهمة فى اشعال حروب مستقبلية • وفى هذه الحالة ، ستجنح المؤثرات السالبة والمؤثرات الموجبة الى الغاء كل منهما للأخرى •

ثالثا : بصرف النظر هل انتصر أى بلد فى الحرب السابقة أو هزم ، فقد يقال ان تجربة الحرب وحدها عامل يساعد على زيادة امكانية خلق مستقبل أميل للحرب ، أكثر من ميله للسلام • فمثلا يقول كارستن ان الحرب تعود الأفراد على اتباع اتجاهات عسكرية ، وعلى الايمان بالقيم العسكرية • انها الاتجاهات والقيم التى تنتشر بوساطة المحاربين القدماء العائدين • وبالطبع ليس كل المحاربين القدماء ذوى ميول عسكرية ، ولكن المحاربين غالبا ما يعودون الى ديارهم بعد اعتناقهم لاتجاهات مستحدثة أو معززة تجاه الفضائل العسكرية أو الاعتماد على القوة (١١٧) • وعندما يمجد الأسلوب العسكرى فى الحياة ، ويحدث نوعا ما من « الشعور العكسى ضد السأم من الحرب » • وقد تغدو منظمات المحاربين القدماء الذين قد تنتفخ رتبهم بفضل الحرب عوامل مؤسسية مؤثرة فى دفع الحكومات نحو اتباع سياسات أشد عدوانية • وبالاضافة الى ما يحدث من زيادة فى انشاء منظمات تضم أعدادا أوفر من المحاربين القدماء ، فان الحرب تساعد على خلق مؤسسات عسكرية أكبر مجهزة بالمعدات والأفراد والقواعد والميزانيات والبيروقراطيات والعاملين ، ناهيك بمختلف الشركات الصناعية المشتغلة بانتاج الأسلحة • وسيكون من الصعب تخفيض حجم جميع هذه الأشياء والحد من سلطتها السياسية بعد انتهاء الحرب •

وبعبارة أخرى ، فان الحروب تسوق الى انشـــاء « تجمعات عســكرية صناعية » • ويرى كثيرون أن مثل هذه المؤسسات عوامل تزيد من احتمالات نشــوب حرب فى المســتقبل أكثر من كونها عوامل تخفف من هذه الاحتمالات (١١٨) •

رابعا : وحتى لو صح القول بأن الحروب تتبعها فترات ممتدة من السلام ، فقد لا يكون اجهاد الحرب التفسير الأوحد لذلك ، ناهيك بالتفسير الأفضل • فربما كانت النهاية الحاسمة للحرب هى التى حلت جميع المشكلات الجوهرية ، وأزالت الأسباب السياسية لحروب المستقبل • ولعل تعرض موارد البلد للضمور والاستنفاد هو الذى جعلها عاجزة ماديا عن مواصلة الحرب • وبالمثل فان أى نصر حاسم يحققه أحد الجانبين قد يحقق توازنا فى القوى غير متكافىء مما يساعد على ردع من يشعرون بالغبن والحيلولة دون اقدامهم على الثأر عن طريق القوة (١١٩) • ومن هنا يصح الظن بأن أى ارتباط تجريبى بعد الحرب والفترات التــالية من حالات السلام الممتدة لن تؤيد بالضرورة هذا الافتراض •

السأم من الحرب : دراسات تجريبية :

ومرة أخرى نلاحظ أن الدراسات التجريبية لفرض السأم من الحرب قد تمخضت عن مجموعة مختلطة من النتـــائج • فلقد أسفرت بعض الدراسات عن تأييد محدود لهذا الغرض • اذ استنتج سنجر وسمول عدم احتمال اقدام المعتدين أو المدافعين على شن الحرب فى غضون عقد من الزمان ، وان كان المنتصرون هم الأرجح كفة من الخاسرين فى المبادرة على شن الحرب التالية • والنتيجتان متوافقتان هما ونظرية السأم من الحرب • ومع هذا فقد أكد العالمان الطبيعة التمهيدية لدراستيهما بالقول بأن دليل تأكيد النظرية بعيد عن الاكتمال (١٢٠) •

وركزت دراسة جاءت بعد ذلك لسنجر وكوساك على ناحية المشاركة فى الحرب أكثر من تركيزها على المبادرة بشن الحرب ، واهتديا الى نتيجة عامة مؤداها أن التجارب السابقة للحروب لم تؤثر تأثيرا كبيرا على اقدام الدول للتورط فى حروب لاحقة • اذ لا تتوافر للمنتصرين فى أية حروب سابقة الرغبة القوية للتبكير فى الرجوع للحرب • والأمر بالمثل فيما يتعلق بالدول المغلوبة • والواقع أن متوسط الفاصل الزمنى للحرب التالية يكون أقصر بالنسبة للدول المغلوبة • وعلى الرغم من أن الاختلاف بين الدول المغلوبة والدول المنتصرة ليس ذا بال من الناحية الاحصائية ،

الا أن الكشوف قد أشارت الى دافع الثأر أكثر من اشارتها الى نظرية السأم من الحرب (١٢١) • ومن جهة أخرى يستنتج سنجر وصاحبه أن الدول المغلوبة التى حاربت حروبا مكلفة (أى الحروب التى كثرت فيها الضحايا) يبدو أنها تكف عن الاشتراك الفورى فى الحروب بعد هزيمتها • والظاهر أن اشتراك عاملى الهزيمة وفداحة التكاليف أهم من أى عاملين من العوامل الآنفة الذكر بمفردهما فى تفسير سرعة عودة الدول بعد تجربتها فى الحرب السـالفة (١٢٢) •

ولم تعثر النظريات الأخرى على ما يؤيد افتراض السأم من الحرب • اذ اكتشف دافيد جارنهـام فى معرض تحليله للحروب الـكبرى بين ١٨١٦ و ١٩٦٥ عدم احتمال حدوث مبادرات لشن الحروب لا من قبل القوى الكبرى الظافرة ، ولا من ناحية المغلوبين فى هذه الحروب ، كما لم يكتشف أية علاقة بين تكاليف الحرب والزمن الذى مر قبل حدوث الحرب التالية • ولقد بحث أيضا القضية الكلاسيكية التى سبق أن أثارها ايمانويل كانط عن احتمال أن تكون الدول الديموقراطية أميل للشعور بظاهرة السأم من الحرب أكثر من الدول اللاديموقراطية • ولم يعثر على أى دليل بأن السأم من الحرب قد كبح جماح مسلك الديموقراطيات الكبرى فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، فى فرنسا وانجلترا والولايات المتحـدة (١٢٣) •

وأخيرا درس ليفى ومورجان تورط القوى الكبرى فى الحروب بين ١٥٠٠ و ١٩٧٥ ، واكتشفا عدة أمثلة لبلدان عاودت شن الحروب بعد فترة قصيرة نسبيا أكثر مما كان متوقعا • والواقع أنه بين ١١٥ حالة من حالات الحرب ، اشتعلت بعد حرب عالمية كبرى ، يلاحظ أن ٩١ حربا خلال عشر سنوات قد حدثت من جراء نزاع بين القوى الكبرى ، واشتعلت ١٦ حربا بعد من ١٠ الى عشرين سنة ، واشتعلت خمس حروب بعد السنوات العشر التالية ، وحربان فى العقد التالى وحرب واحدة لا غير فى العقد الخامس التالى لحرب عالمية كبرى • ولا يتكهن افتراض السأم من الحرب باقدام أكثر من حالات قليلة على الحرب فى غضون العقد الأول • ويزداد احتمال الحرب بمرور الزمان ، بعد أن يبدأ بطلان مفعول مناعة تأثير السـأم من الحرب • وبين ليفى ومورجان ما يكـاد يعـد عكس هذا الافتراض (١٢٤) •

وعندما نقل ليفى ومورجان انتباههما الى الافتراض الذى يرى أنه كلما ازدادت خطورة الحرب ازدادت المدة الفاصلة بين الحربين ، جاءت

النتيجة مخيبة للآمال بالمثل • وبعد أن استعانا بمدى ديمومة الحرب وعدد البلدان المشاركة وحمامات الدم المراقة والنسبة بين عدد القتلى فى المعركة وديمومة الحرب كمؤشر لخطورة الحرب ، اكتشفا معامل ارتباط واحدا فحسب بين هذه الحدود الخاصة بالمتغير المستقل والمتغير التابع (ما انقضى من وقت حتى اشتعلت الحرب ثانية) • كما لم يتسن لهما تأكيد حدث كف عن الحرب عن طريق سلسلة من الحروب • ولا من تأثير حرب سابقة واحدة • وباختصار فانهما لم يتمكنا من التوفيق بين افتراضات السأم من الحرب أو العثور على أية أنماط متميزة أو متوافقة ، تتعلق بأثر الحروب السالفة على الاشتراك فى الحرب الذى أعقب ذلك (١٢٥) •

ويتعين أن يلاحظ أنه منذ بحث ليفى ومورجان ميل الدول التى شعرت بالسأم من الحرب بمجرد أن تغدو متورطة فى حروب تالية بدلا من أن تبادر باشعالها لذا ، لايبدو غريبا بوجه خاص عدم توفيقهما فى الاهتداء الى تأييد للنظرية • لقد افترضا اختبارا أشد صرامة مما يكفله منطق النظرية • ومع هذا فان علينا أن نستخلص أن الدليل المؤيد لنظرية السأم من الحرب أقل بدرجة ملحوظة من أن يكون محتوما •

خلاصة :

ما الذى سنخلص اليه من كل هذا البحث عن الصلة بين الخصائص القومية المميزة والحرب ؟ لا مفر من استخلاص القول بأن نظريات الصفات القومية لم تستطع أن توفق فى تفسير واقعة الحرب • والحكم الوحيد الذى يبدو مؤيدا تأييدا موفقا هو الربط المباشر بين حجم البلد وقوته واحتمالية تورطه فى الحرب • والظاهر أن وجود حدود متاخمة مع البلد المجاور محل الخصومة قد يكون من العوامل المساهمة ، ويبدو أن الصراع الداخلى مرتبط بالحرب بين أية دولتين ، وان بدا أن هناك طرقا متعددة تفصل أو توصل بين الحد الأول والحد الأخير • وفيما يتجاوز هذه الكشوف ربما كان من الصعب انشاء رؤية شاملة للحرب التى تدور بين دولتين متجاورتين تعتمد على مجموعة أخرى من العوامل • وأغلب الظن أنه لا نمط الحكومة الذى تتبعه الدولة أو مؤسساتها الاقتصادية أو ما يسودها من رفاهة اقتصادية ، ومعدل نمو سكانها أو سبق تورطها فى الحرب من العوامل ذات الأثر •

★★★

وقبل أن ننتقل الى الفصل الأول من الجزء الثانى من الكتاب فلنتذكر هنيهة افتراض (الانسان ـ والوسط) الذى جاءنا به هارولد ومرجريت

سبراوت ، وسبق أن ناقشناه • فلقد رفض سبراوت وقرينته فكرة امكان تحديد مسلك البلدان بصفة مباشرة اعتمادا على عوامل بيئية أو موضوعية مثل حجم الدولة والموقع الجغرافي أو نوع الحكومة • وبدلا من ذلك ، اعتقدا أن البيئة لا تؤثر في مسلك الحكومات الا على نحوين :

أولا : ليس بمقدور العوامل البيئية أن تؤثر في قرارات الزعماء الا اذا تيسر لهم ادراك مثل هذه العناصر بالفعل ، لأن البيئة لا تؤثر في القرار الا على نحو غير مباشر — أي من خلال مدركات الأفراد •

ثانيا : بمقدور العوامل البيئية أن تحد وتقيد وتتحكم في نتائج القرارات التي يتخذها زعماء الحكومة • وبعبارة أخرى ، فان حقيقة بعض العوامل (كالجوار الجغرافي والضغط الاقتصادي) هي التي تؤثر تأثيرا مباشرا في القرارات عند ممارستها (١٢٦) •

وتوحي نظرية سبراوت وقرينته بأن نظريات الصراع في مستوى « دولة — الأمة » يجب أن ينظر اليها على ضوء آخر • فمثلا قد لا يكون من الصحيح الاعتقاد بأن الدول الرأسمالية تتصف بالعدوانية بفطرتها ، لأن الاقتصاديات الرأسمالية بطبيعتها ذات منزع توسعي • وربما كانت النقطة الأهم هي أن زعماء الدول الرأسمالية يعتقدون أن النظام الرأسمالي يتطلب توسعا متواصلا • وبالمثل قد لا يصح القول ان الدول التي ينمو سكانها بسرعة ، والسريعة التقدم التكنولوجي تتبع سياسات توسعية على نحو يخضع لهذه الخاصية • فربما كان الأهم هو كون زعماء هذه الدول يدركون وجوب اتباعهم لسياسة خارجية توسعية بسبب نموهم • وبالمثل قد لا تكون قوة البلدان هي التي تتصف بالأهمية في ذاتها ولذاتها كتفسير للحرب • وما يحتمل أن يكون الأهم عوضا عن ذلك هو ادراك زعماء الدول القومية للجوانب المتعلقة بما بمقدور القوى العظمى أن تفعله ، وما يجب أن تفعله ، والدور الصحيح للقوى العظمى في النظام الدولي — بطبيعة الحال • ان كل ما توحي به هذه الأشياء هو أن النظريات التي ركزت جهدها على مستوى دولة الأمة قد أخطأت الطريق الصحيح •

على أن موقف سبراوت وقرينته قد اتصف بالتطرف نوعا • فبدلا من القول بأن النظريات في مستوى الدول قد تعرضت للنفي أو التحريف أو النقص من عوامل المدركات في المستوى الفردي ، يفضل المؤلف أن يرى وجود اتصال بين هذه العوامل في هذين المستويين • اذ تتطلب النظرية الشاملة للحرب متغيرات في مختلف مستويات التحليل • وفي هذه الحالة فان بعض المتغيرات في مستوى دولة الأمة مثل الحجم والقوة قد يعتقد في كونها شروطا كامنة مهمة في احداث الحرب ، ولكن متغيرات المستوى

الفردى مثل المدركات وتصورات الدور القومى تضطلع بدور الآليات التى تجتازها هذه الشروط الكامنة عندما تؤدى الى الحرب ·

★★★

ان غابة النظريات مشحونة بالأشجار · وقبل أن نصدر حكما عن أى هذه الأشجار يحمل أفضل الثمار ، ربما كان من الأحكم ان نتوغل فى عملية اكتشاف الغابات ، ومن ثم سننتقل الى مستوى أعلى من التحليل : المستوى الذى يفحص العلاقات بين الدول بدلا من أن يتمعن فى صفات دولة واحدة · وبعبارة أخرى ، لقد نظرنا حتى الآن الى الأشجار كأشياء مفردة ، أو على أقل تقدير الى أنماط فردية من الأشجار ـ الأشجار الرأسمالية والأشجار الديموقراطية والأشجار السلطوية والأشجار سريعة النمو والأشجار المجهدة · وهلم جرا · وسينتقل انتباهنا الآن الى الغابة (أو الى أجزاء من الغابة بمعنى أصح) ونبحث عن العلاقة المتبادلة بين بعض الأشجار ·

٢٥ سبتمبر ١٩٩٥

هوامش الفصل الخامس

(١) انظر International Relations Michael P. Sullivan Theories and Evidence ١٩٧٦ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) Evidence on the Outbreak of International — Dina Zines Conflict ضمن Ted Robert Gurr Handbook of Political Conflict ١٩٨٠ (ص ٢٣٥) .

(٣) J. David Singer Melvin Small فى Wages of Ware كانت البلدان المتورطة فى أغلب حروب هذه الحقبة هى بريطانيا وفرنسا . وكان ترتيب تركيا التاسعة عشرة وروسيا السابعة عشرة وسردينيا الثانيـة عشرة واسبانيا التاسعة ،

(٤) انظر Man, the State and War — Kennel Walz ١٩٥٩ .
وانظر بوجه خاص الفصل الرابع فمنه اقتبست هذه المناقشة .

(٥) Letter to William Smith — Edmund Burke فى ٩ يناير ١٧٩٥ ـ عن كتاب Famous — John Dartlett Quotations ١٩٦٨ ، ص ٤٥٤ .

(٦) Rumors of War — A.J.P. Taylor ١٩٥٢ ، ص ٤٤ . مقتبسة من Man Stale and War - Walz ، ص ١١٤ . ويتعين التنويه الى ان الليبراليين قد اقترحوا عدة حلول اخرى فلقد ذكر الليبراليون فى مانشستر فى القرن الثامن عشر والقرن ١٩ أن سياسة التجارة الحرة تساعد على تدعيم روابط البلدان من الناحيـة الاقتصادية بحيث تصبح الحرب امرا مستبعدا . فالحـرب تعرض جميع العلاقات الاقتصادية الدولية للخطر ، لأنها تتبادل السلع المهمة والخدمات . ويرى الليبراليون الأحدث عهدا أن الحل هو انشاء حكومة عالمية . بينما يرى الليبراليون فى القرن العشرين ضرورة اشتغال الخادمة المركزية بحل المشكلات الاقتصادية داخل الدول والتخلى عن سياسة Laissez faire Laissez, Passes . كما تكلف الحكومة العالميـة بحل المشكلات السياسية والاقتصادية بين الدول .

(٧) A Study of War — Quincy Wright الجزء الثانى ١٩٩٤ ، ص ٨٣٣ ـ ٨٤٢ .

(٨) The War Proneness of — Melvin Small و David Singer Democratic Regimes مجـلة أورشـليم للعـلاقات الدوليـة ، ١٩٧٦ ص ٩٤ ـ ٦٩ .

(٩) Bureaucracy and — Bruce Russett و R. J. Monsen Polyarchy as Predictors of Performance (الدراسات السياسية المقارنة (أبريل ١٩٧٥) ، ص ٥ ـ ٣١ .

(١٠) Societal Approaches to the Study of War — Michael Haas ضمن كتاب The War System تحت اشراف Falk و Kim (١٩٨٠) ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(١١) An Analysis of Foreign — Johanthan Wilkenfeld, Dina Zinnes
Comparative Foreign Policy ضمن Conflict Behavior of Nations
(١٩٧١) ص ١٦٧ - ٣١٣ ·

(١٢) Libertarianism & International Violence : R. J. Rummel
فى مجلة Journal of Conflict Resolution ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٦١٧ - ٦٤٨ ·
(١٣) Mirror, Mirror on the Wall ... Are the Freer — Steve Chan
Countries more pacific مجلة Conflict Resolution (ديسمبر ١٩٨٤)
ص ٦١٧ - ٦٤٨ ·
(١٤) Democracy and War Involvement — Frich Weede مجلة
Conflict Resolution ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٦٥١ - ٦٥٢ ·
(١٥) Domestic Structures — Sally H. Campbell, Clifton Morgan
Decisional Constraints بحث مقدم الى مؤتمر الدراسات الدولية فى ابريل ١٩٩٠ -
يرى مورجان وكامبيل ايضا ان كوابح القرارات تقلل من احتمالية الحرب للقوى الكبرى
ولكنها تزيد هذه الاحتمالية فى حالة القوى الصغرى ·
(١٦) ذ/ت اصلا فى كتاب Understandng Conflict — R. J. Rummel
and War (١٩٧٩) - ص ٢٧٧ - ٧٧٩ ·
(١٧) Libertairnism and International Violence — Rummel ص ٤٠ ·
(١٨) نفس المصدر وايضا The War Prononess of — Small و Singer
فى Democratic Regi_ ص ٦٧ ·
(١٩) Libertarianism and International Violence. — Rummel
ص ٤٨ ·

(٢٠) Domestic Policy and War — Jack Levy ضمن كتاب
The Origin and Prevention of Major — T. Rabb و R. Rotbery
١٩٨٨ (ص ٨٠) ·
(٢١) Hobson .John A — Imperialism — (ص ٧١ - ٨٢) ١٩٦٥م ·
(٢٢) Hobson ، ص ٧١ - ٩٣ ·
(٢٣) Hobson ، ص ٤٦-٦٢ ·
(٢٤) Imperialism the Highest Stage of Capitalism — V. I. Lenin
١٩٥٩ ·

(٢٥) Man, the State and War Waltz ، ص ١٥٤-١٥٨ ·
(٢٦) Societal Approaches to the Study of War — Michael Haas
ص ٣٤٩ ضمن Falk و Kim ·
(٢٧) Theory of International Politics — Kenneth N. walter
١٩٧٩ - (ص ٢٠) ·
(٢٨) Imperialism : An Historiographical — D.K. Field House
Revision ضمن كتاب اشرفت عليه Boulding و Tapan بعنوان Economic
Imperialism ١٩٧٢ ، ص ١١٠ ·

(٢٩) Europe, the World Banker — Herbert Feis ١٨٧٠ ـ ١٩١٤
(١٩٣٠) ، ص ٤٢ ـ ذكرها Waltz في كتاب The Theory of International
Politics ، ص ٢٤ .
(٣٠) U. S. Power and the Multinational Corporation — Robert Gilbin
(١٩٧٥) ص ٧٤ .
(٣١) Theory of International Politics — Waltz ص ٢٤ .
(٣٢) نفس المصدر .
(٣٣) Tragedy of American Diplomacy — William Appleman ١٩٦٢
انظر بوجه خاص ١٨ ـ ٥٠ .
(٣٤) Waltz ـ نفس المرجع .
(٣٥) انظر Bettings on Ideas — Reuven Brenner ١٩٨٥ ـ بوجه
خاص الفصل الأول ـ الذى استشهد به Bruce Russett .
(٣٦) Ostrom و Job — The President and Political use of Force
مجلة العلوم السياسية الامريكية ـ ص ٥٥٤ .
(٣٧) Economic Decline, Electoral Pressures — Russet بوجه
خاص ، ١٢٤ ـ ١٣٤ .
(٣٨) The Causes of War — Geoffrey Blainey Prosperity and Peace
وأيضا : Bruce Russet مجلة الدراسات الدولية الفصلية ١٩٨٣ ، ٣٨١ ـ ٣٨٧
(٣٩) The Outbreak of War in the Modern — Alec Laurence Maifce
(١٩٨٨) ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٨ .
(٤٠) Long Cycles — Joshua Goldstein
(٤١) نفس المصدر ٢٦٠ ـ ٢٦٢ .
(٤٢) فى هذه النقطة انظر Prosperity & Peace — Russett ص ٢٨٦ .
(٤٣) Blainey ص ٩٣ .
(٤٤) انظر Macfie ليس مزاج الحاضر المتفائل وحده هو الذى يهم ، ولكن هناك ناحية مهمة أخرى وهى الخوف العصبى من احتمال عدم دوام حالة الرخـاء ، ولم يذكر Blainey ذلك ولكنه اكتفى بالتركيز على الجانب المتفائل .
(٤٥) Blainey ص ٩٤ .
(٤٦) The American Approach to Foreign Policy — Dexter Perkins
١٩٦٨ ، (ص ١٣٦ ـ ١٥٥) .
(٤٧) Phases of Business Cycle and the — William R. Thompson
Outbreak of War (مجلة الدراسات الدولية ، يونيو ١٩٨٢) ص ٣٠١ ـ ٣١١ .
(٤٨) هناك جملة مؤشرات مختلفة للدلالة على ... الدول ، بينها الحجم وعدد السكان وجملة الانتاج ، والحديد والصلب وانتاج الطاقة وميزانية الدفاع وحجم القوات المسلحة .
(٤٩) جاء ذكر نفس هذه البلدان فى قائمة Diehl و Goertz للبلدان العشرة الأكثر تورطا فى احداث تغيرات اقليمية فى القرن الماضى (مع اسـتبعاد النمســـا ـ المجر) .

(٥٠) J. David Singer, Melvin Small — Patterns in International
War fare (١٨١٦ — ١٩٦٥) حوليات الاكاديمية الامريكية فى العلوم السياسيه
والاجتماعية (سبتمبر ١٩٧٠) ، ص ١٥١ — ١٥٢ استشهد بها Lloyd Jensen
فى Explaining Foreign Policy (١٩٨٢) ، ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٥١) Stuard Bremiet — National Capabilities and War Prononess
ضمن كتاب J. David Singer — The Correlates of War II ١٩٨٠
(ص ٥٧ — ٨٢) .

(٥٢) Haas — Socieal Approaches to the Study of War ضمن كتاب
The War System أشرف عليه Boulder و Westview (٢٠٥ — ٢٦١) .

(٥٣) انظر على سبيل المثال .. Maurice A. و Phillig Gregg
Factors Influencing Cooperation & Conflict فى مجلة الدراسات الدولية
الفصلية ، سبتمبر ١٩٦٧ ، ص ٢٦٦ .

(٥٤) R. J. Rummel — Testing some Possible Predictors
of conflict Behavior و Rummel — The Relation Between
National Attributes and Foreign Conflict. ١٩٦٨ ، (ص ١٨٧ — ٢١٤) .

(٥٥) انظر بوجه خاص Salmore و Hermann — The Effect of
Size, Development and Accountability. (ص ١٦ — ٣٠) ، وايضا
Maurice East — Size and Foreign Conflict Behavior. يوليو ١٩٧٣ ،
مجلة السياسة العالمية .

(٥٦) انظر : Robert L. Pfatizgraff, James E. Dougherty Contending
Theories of International Relations ١٩٨١ ، (ص ٦٦ — ٦٨) .

(٥٧) William L. Shirer — The Rise and Fall of the Third Reich
(١٩٦٠) ، ص ٧٧ .

(٥٨) Dougberty و Pfatizgraff ص ٦٧ .

(٥٩) Adolf Hotler — Mein Kampf واستشهد بها Shirer
فى كتاب The Rise & Fall . (١٢٣) .

(٦٠) Stuart Bremer و J. David Singer و Urs Luterbacher
The Population Density and War — Prneness of European Nations
١٨١٦ — ١٩٦٤ . مجلة الدراسات السياسية المقارنة ١٩٧٣ ، ص ٣٢٩ — ٣٤٨ . انظر
ايضا J. David Singer — The Correlates of War ص ٢٦٧ .

(٦١) Quincy Wright — A Study of War ١٩٤٢ ، ص ١٣٣٢ .

(٦٢) Nazli Choucri و Robert North — National Growth and
International Violence ١٩٧٥ ، ص ١٤ — ٢٤ .

(٦٣) Nazli Choucri و North — Lateral Pressure in International
Relations (١٩٨٩) ، ص ٢٩٦ . وقد استخلص القول بأن السبب الاكثر مباشرة
للحرب انسانى وذاتى » .

(٦٤) Choucri و North — Nations in Conflict ص ، ٢٣٤ — ٢٥٤ — راجع
تفنيد هذا الرأى فى الفصل التالى .

(٦٥) Richard Asbley — The Political Economy of War and Peace
(١٩٨٥) .

(٦٦) Choucri و North — Lateral Pressure : Concept and Theory ص ٣١ .

(٦٧) نفس المصدر ، ص ٣١١ .

(٦٨) انظر البحث الممتاز الذى عرضه Jensen لدور الحدود ، والذى اقتبسنا منه هذه الفقرات — Explaining Foreign Policy — Lloyd Jensen ص ٢٠٨ — ٢٠١ .

(٦٩) فيما يتعلق بهذه النقطة ، انظر Evan Luard — War in International Society ١٩٨٦ (الفصل الثالث) . ايد ما قاله Luard عن انحسار المنازعات الاقليمية K. J. Holsti فى كتاب : Peace and War Armed Conflicts an International Order ١٦٤٨ ، ١٩٨٩ — ١٩٩١ ، ص ٣٠٧ — ٣١١ .

(٧٠) Erich Weede — Environment Relations as Determinants of Hostilities Among Nations (١٩٧٣) ، ص ٦٧ — ٩٠

(٧١) Robert Mandel — Roots of Modern Interstate Border Disputes مجلة Conflict Resolution ١٩٨٠ (٤٢٧ — ٤٥٤) .

(٧٢) Diehl و Goertz — Territorial Changes and Militarized Conflict

(٧٣) R. J. Rummel The Dimensions of Nations (١٩٧٢) ، ص ٢٧١ .

(٧٤) Richardson. — Statistics of Deadly Quarrels ص ١٧٦ .

(٧٥) James و Paul Wesley — Frequency of Wars and Geographical Opportunity مجلة Conflict Resolution ديسمبر ١٩٦٢ ، ص ٢٨٧ .

(٧٦) انظر Harvey و Starr و most و Benjamin — The Substance and Study of Borders in International Relation Research (مجلة الدراسات الدولية الفصلية ، ديسمبر ١٩٧٦) ، ص ٥٨١ — ٦٢٠ وانظر ايضا Most و Starr — Diffusion, Reinforcement Geopolitics and Spread of War مجلة علم السياسة الامريكية ، ١٩٨٠ — (ص ٩٣٢ — ٩٤٦) .

(٧٧) Paul E. Diehl — Contiguity and Military Escalation in Major Power Rivalaries (١٨١٦ — ١٩٨٠) ، مجلة السياسة (١٩٨٥) ، ص ١٢٠٣ — ١٢١١ .

(٧٨) هذا الراى متوافق واخر كشوف Diehl و Goertz بان المنازعات الاقليمية العنيفة اكثر تعرضا للتفشى عندما تكون بقعة الأرض متاخمة لكلا الطرفين المتنازعين اكثر من احتمال تفشيها اذا كانت متاخمة لطرف دون آخر .

(٧٩) Diel — Contiguity and Military Escalation ١٨١٦ — ١٦٨٠ ، ص ١٢٠٧ .

(٨٠) Bruce Russet — International Regions and the International System (١٩٦٧) ، ص ٢٠٠ .

(٨١) Richardson — Statistics of Deadly Quarrels ص ٢٨٨ .

(٨٢) Diehl نفس المرجع ، ص ١٢٠٧ . انظر ايضا Kenneth Boulding فى تصور Loss of stregh grandient فى كتابة الشهير Conflict & Defense (١٩٦٢) .

(٨٣) انظر Roger W. Cobb و Charles Elder — International Community (١٩٧٠) .

(٨٤) Starr و Most — A Return Journey ٤٤٤ — ٤٤٩ .

(٨٥) نفس المرجع ، ص ٤٤٥ .

(٨٦) Manus Midlarsky — Power, Uncertainty and the Onset of International Violence — مجلة Conflict Resolution ١٩٧٤ ، ص ٣٩٥ — ٤٣١ . اكتشف Midlarsky صلة قوية بين عدد الحدود وشيوع الحرب عند القوى الكبرى

(٨٧) "Opportunity" و Willingness . كتصورات منظمة فى دراسات الحرب International Interactions ضمن مجموعة أبحاث (١٩٧٨) ، ص ٣٦٣ — ٨٧ .

(٨٨) K. J. Holsti — Peace & War ص ٣٠٧ — ٣١١ .

(٨٩) Star و Most — A Return Jouney ص ٤٤٥ .

(٩٠) Ostraus و Job — The President and the Use of Force
وأيضا Bruce Russett فى Economic Decline, Electoral Pressures and the Initiation of Interstate Conflict.

(٩٢) Richard Rosecrance — Action and Reaction in World Politics — (١٩٦٣) — انظر بصفة خاصة ص ٣٠٦ .

(٩٢) Bichard Ned Lebow — The Nature of International Crises — Between Peace and War (١٩٧١) ، ص ٥٧ — ٧٠ .

(٩٣) Jack Levy — The Diversionary Theory of War ضمن Handbook of War Studies ١٩٨٩ ، ص ٢٥٩ — ٢٨٨ .

(٩٤) فى هذه الحالة اقدمت الحكومة الارجنتينية على فعله لتحويل الانتباه ، لم يتوقعوا انها ستؤدى الى حدوث حرب مع انجلترا على نطاق واسع . انظر : M. Hastings و S. Jenkins — The Battle for the Falklands Islands (١٨٩٣) .

(٩٥) Blainey ص ٧١ .

(٩٦) Blainey (٧٢ — ٨١) .

(٩٧) Blainey — الظاهر أن Michael Haas . قد تبنى الرأى العاكس فلقد ذكر انه عندما اندلعت الخلافات الداخلية فى سويسرا ١٨٠٢ ارسل نابليون ٢٠,٠٠٠ من جنوده — للحصول على وقف لاطلاق النار مما ساعد على اخضاع سويسرا للسيطرة الفرنسية . ومن جهة اخرى ، ذكر أن البلدان الكبرى التى تجتاحها مشكلات عصبية ينظر اليها الآخرون على انها بلدان يصعب السيطرة عليها ، ومن ثم فانهم يرجئون غزوها — انظر كتاب Richard Falk و Samuel Kim : System The War ١٩٨٢ ، ص ٥٣٢ .

(٩٨) Blainey ص ٨١ .

(٩٩) انظر على سبيل المثال : Levy — The Diversionary Theory of war ٤٧٢ — ٤٧٤ .

(١٠٠) Zeev Maoz — Joining the Club of Natoins (١٨١٦ — ١٩٧٦) مجلة الدراسات الدولية الفصلية ، يونيو ١٩٨٩ ، ص ١٩٩ — ٢٣١ .

(١٠١) يؤدى وجود تغير ثورى داخل الدول الى مؤثرات اخرى على المستوى الدولى ايضا . واكتشف Maoz ان مستوى الاستقرار فى النظام الدولى يتصف

بالحساسية بالنسبة لكيفية انضمام الدول الجديدة للنظام وأيضا بالنسبة لطريقة تحولهم سياسيا فى نطاقه ، فكلما ازداد التغير الثورى فى النظام ازداد عدد المشاحنات ذات الطابع العسكرى فى النظام ، وأيدت بطريقة غير مباشرة دراسة K. J. Holst للحرب للنتائج التى اهتدى اليها Moaz • واكتشف Holsti . أن انشاء « دول أمة » من أكبر مصادر الحرب ابتداء من القرن الثانى عشر • كما أنه كان من أهم أسباب اثارة الحرب السائدة فى الحقبة التالية للحرب ١٩٤٥ ، وهى حقبة ارتبط فيها ما يزيد عن ٥٠٪ من الحروب بانشاء الدول • (انظر Peace War — Holsti ص ٣١١ – ٣١٢) • ولا يصح اعتبار جميع الحروب المتصلة بهذه المشكلة حروبا بين الدول interstate فبعضها يدرج ضمن الحروب الاستعمارية وحروب التحرر الوطنى •

(١٠٢) Social Change and National Aggressiveness — Michael Hass (١٩٠٠ – ١٩٦٠) ضمن كتاب اشرف عليه J. A. Singer بعنوان Quantitative International Politics ، ١٩٦٨ (٢١٥ – ٢٤٥) •

(١٠٣) Dimensions of Conflict Behavior within and — R. . Rummel Between Nations (١٩٦٣) ١ – ٥٠ وأيضا the Relation Between National Attribute Rummel and Foreign Conflict Behavior

(١٠٤) Testing Some Possible Predictors of — R. J. Rummel Conflict Within and Between Nations ٧٩ – ١١١ •

(١٠٥) أيدت أيضا النتيجة القائلة بأن المستويات الاكثف من الصراع الداخلى لا تحدث مستويات كبرى من الصراع الدولى ، كتاب Dimension — Leo Hazelwood Mechanism and Encapsulated ضمن كتاب Comparative Foreign in Policy Process ١٩٧١ (١٦٧ – ٣١٢) •

(١٠٦) Dimensions of Conflict Behavior Within — Raymond Tanter and Between Nations 1958 - 1960 مجلة Conflict Resolution مارس ١٩٦٦ ، ص ٦١ – ٦٤ •

(١٠٧) Domestic and Foreign Conflict — Johnathan wilkenfeld of Nations مجلة أبحاث السلام ١٩٦٨ (٥٩ – ٦٩) •

(١٠٨) انظر The Diversionary Theory of War — Levy ص ٢٧٢ – ٢٧٤ •

(١٠٩) ويستخلص من كل ط ١ أن المنازعات الداخلية تسبق الصراع الخارجى كما أن العلاقة قد تبدأ من الصراع الخارجى الى الصراع الداخلى أيضا • فهناك صلة متبادلة بينهما • انظر Levy نفس المصدر ٢٥٩ – ٢٨٨ •

(١١٠) A Study of History Arnold Toynbee الجزء التاسع ، ١٩٥٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ •

(١١٢) على أن Morgan Levy يعتقد أن نمط النظام قد يكون سببا للاختلاف فمن غير المستبعد أن تؤدى الحرب الى ظهور أنماط معينة من النظم ، وعكس ذلك قد تؤدى الى ظهور أنظمة مغايرة • أنظر The War Weariness Hypothesis Jacks. Levy و Clifton Morgan مجلة علوم السياسة الامريكية ، ١٩٨٩ م

(١١٣) Arms and Insecurity — Leur's Richardson (١٩٦٠) ، ص ٢٣٢ •

(١١٤) أجرى ريتشاردسون محاولة ضعيفة لانقاذ ما يمكن انقاذه من النظرية بالقول بانها على أقل تقـدير زودت بتفسـير حسـن للاختفـاء السريع للجـيش الفرنسى وما أعقب ذلك من استسلام الحكومة للنازى • قال : « لقد دخل الفرنسيون حربا أهلية وهم يستنشقون الهواء فى حالة شعور بالاحباط تجسمت فيما حدث بعد ذلك من احداث انتهت بالانهيار والاستسلام فى يونية ١٩٤٠ •

(١١٥) Levy & Morgan — The War Weariness Hypothesis - An Empirical Test ص ٢٨ •

(١١٦) P. Kartsen — Soldiers and Society — The Effects of Military Service and War in American Life ذكرها A. Beer فى Peace a War ١٩٨١ ، ص ٢٩٣ •

(١١٧) Robert J. Lifton — Home from the War : Vietnam Veterans M. Janowitz — The Professional Soldier ١٩٦٠ •

(١١٨) انظر على سبيل المثال Richard J. J. Barnet — The Rotts of War ١٩٧٣ •

(١١٩) انظر Blainey ، ص ١٧ و ص ١٠٨ ــ ١٢٤ و Levy & Morgan ٢٨ ، ٢٩ •

(١٢٠) Singer و Small كتاب Wages of War ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ •

(١٢١) Singer و Cusack — Periodicity, Inexorability and ١٩٨١ ، (ص ٤١٣ ــ ٤١٥) •

(١٢٢) نفس المرجع ، ص ٤١٥ ــ ٤١٧ ، العلاقة مهمة احصائيا للحروب الدولية ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للحروب الداخلية •

(١٢٣) David Garnham — War Proneness, War-Weariness ١٨١٦ ــ ١٩٨٠ ، مجلة ابحاث السلام ، ١٩٨٦ ، (ص ٢٧٩ ــ ٢٨٩) •

(١٢٤) نفس المرجع ، ص ٣٥ ــ ٣٩ •

(١٢٥) Morgan, Levy — War - Weariness and Other Hypothesis ص ٤٦ ــ ٤٧ •

(١٢٦) Harold and Margaret Sprout — The Ecological Perspective Human Affairs with Special Reference to International Politics ١٩٦٥ ، ص ١١ •

بيليوجرافيا
BIBLIOGRAPHY

Achen, C. H. and D. Snidal (1989) « Rational Deterrence Theory and Comparative Case Studies. » *World Politics* 41 : 143-69.

Adelman, J. end D. Palmieri (1989) *The Dynamics of Soviet Foreign Policy*. New York : Harper & Row.

Adorno, T. W. (1950) *The Authoritarian Personality*. New York : Harper & Row.

Alexandroff, A. and R. Rosecrance (1977) « Deterrence in 1939. » *World Politics* 29 : 404-24.

Allison, G. (1969) « Conceptual Models and the Cuban Missile Crisis. » *American Political Science Review* 63 : 689-718.

———— (1971) *Essence of Decision : Explaining the Cuban Missile Crisis*. Boston : Little, Brown.

Allison, G. and M. Halperin (1972) « Bureaucratic Politics : A Paradigm and Some Policy Implicetions », pp. 40-79 in R. Tanter and R. Ullman (eds.), *Theory and Policy in International Relations*. Princeton, NJ : Princeton University Press.

Altfeld, M. (1983) « Arms Races ? -and Escalation ? : A Comment on Wallace. » *International Studies Quarterly* 27 (2) : 225-31.

Anderson, P. A. (1987) « what Do Decision Markers Do When They Make Foreign Policy ? The Implications for the Comparative Study of Foreign Policy, » pp. 285-308 in C. F. Hermann, C. W. Kegley, and J. N. Rosenau (eds.), *New Directions in the Study of Foreign Policy*. Boston : Allen and Unwin.

Angell, N. (1913) *The Great Illusion*. New York : Knickerbocker Press.

Ardrey, R. (1961) *African Genesis*. New York : Atheneum.

———— (1966) *The Territorial Imperative*. New York : Atheneum.

———— (1970) *The Social Contract*. New York : Atheneum.

Arrow, K (1951) *Social Choice and Indvidiuel Values*. New York : Wiley.

Art. R. (1974) « Bureaucratic) Politics and American Foreign Policy : A Critique. » *Policy Sciences* (Summer).

Ashley, R. (1980) *The Political Economy of War and Peace*. New York : Nichols.

Axelrod, R. (1973) « Bureaucratic Decisionmaking in the Military Assistance Program : Some Empirical Findings, » pp. 154-72 in M. Halperin and A. Kantor (eds), *Readings in American Foreign Policy : A Bureaucratic Perspective*. Boston : Little, Brown.

——— (1980a) « Effective Choice in the Prisoners' Dilemma ». *Journal of Conflict Resolution* 24 : 3-25.

——— (1980 b) « More Effective Choice in the Prisoners' Dilemma. » *Journal of Conflict Resolution* 24 : 379-403.

——— (1984) *The Evolution of Cooperation*. New York : Basic Books.

Bbst, D. V. (1972) « A Force for Peace » *Industrial Research* 14 : 55-58.

Bandura, A. (1980) « The Social Learning Theory of Aggression », pp. 141-56 in R. Falk and S.S. Kim (eds.), *The War System*. Boulder, CO : Westview.

Barber, J. D. (1972) *The Presidential Character*. Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

Barnds, W. J. (1972) *India, Pakistan and the Great Powers*. New York : Praeger.

Barnet, R. (1973) *Roots of War : The Men and Institutions Behind U.S. Foreign Policy*. New York : Penguin.

Beer, F. A. (1981) *Peace Against Wer*. San Francisco : W.H. Freeman.

Behr, R. (1981) « Nice Guys Finish Last — Sometimes. *Journal of Conflict Resolution* 25 : 289 - 300.

Beitz, C. and T. Herman (1973) (eds.) *Peace and War*. San Francisco : W. H. Freeman.

Bender, D. L. and B. Leone (1983) (eds.) *Are Humans Aggressive by Nature* ? St. Paul, MN : Greenhaven Press.

Bergeson, A. (1983) (ed.) *Crises in the World-System*. Beverly Hills, CA : Sage.

Berkowitz, L. (1962) *Aggression : A Social Psychological Analysis*. New York : McGraw-Hill.

Betts, R. K. (1977) *Soldiers, Statesmen and Cold War Crises.* Cambridge, MA : Harvard University Press.

——— (1978) « Analysis, War, and Decision : why Intelligence Failures Are Inevitable ». World Politics 31 (1) : 61-89.

Blainey, G. (1973) *The Causes of War.* New York : Free Press.

Boulding, K. (1956) *The Image.* Ann Arbor : University of Michigen Press.

——— (1962) *Conflict and Defense : A General Theory.* New York : Harper & Row.

——— (1967) « The Learning and Reality Testing Process in the International System »; pp. 1-15 in J. C. Farrell and A. P. Smith (eds.), *Image and Reality in World Politics.* New York : Columbia University Press.

Braybrooke, D. and C. Lindblom (1969) « Types of Decision-Meking », pp. 207-16 in J. Rosenau (ed.), *International* Politics and Foreign Policy. New York : Free Press.

Brecher, M. (1975) *Decisions in Israel's Foreign Policy.* New Haven, CT : Yale University Press.

——— (1988) « Stability and Polarity : New Paths for Inquiry. » Journal of Peace Research 25 : 31-42.

Bremer, S. (1980) « National Capabilities and War Proneness » pp. 57-82 in J. D. Singer (ed.), *The Correlates of War II : Testing Some Realpolitik Models.* New York : Free Press.
Brecher, M. (1975) *Decisions in Israel's Foreign Policy.* New Haven, CT : Yale University Press.

——— (1988) « Stability and Polarity : New Paths for Inquiry. » *Journal of Peace Research* 25 : 31-42.
Bremer, S. (1980) « National Capabilities and War Proneness », pp. 57-82 in J. D. Singer (ed.), *The Correlates of* War Proneness», pp. 57-82 in J. D. Singer (ed.), *The* Correletes of War II : Testing Some *Realpolitik Models.* New York : Free Press.

——— (1982) « The Contagiousness of Coercion : The Spread of Serious International Disputes, 1900-1976. ». *International Interaction* 9 : 29-55.

——— (1991) « Dangerous Dyads : Conditions Affecting

the Likelihood ot Interestate War, 1816-1965 ». Revised version of paper presented at Peace Science Society Meeting, Rutgers University.

Bremer, S., J. D. Singer, and U. Luterbacher (1973) « The Population Density and War Proneness of European Nations,, 1816-1965. » *Comparative Political Studies* 6 : 329-48.

Brodie, F. (1981) *Richard Nixon*. New York : Norton.

Brown, S. (1987) *The Causes and Prevention of War*. New York : St. Martin's.

Bueno de Mesquita, B. (1975) « Meesuring Systemic Polarity. » *Journal of Conflict Resolution* 19 : 187-216.

———— (1978) « Systemic Polarization and the Occurrence and Duration of War ». *Journal of Conflict Resolution 22* : 241-67.

———— (1981a) *The War Trap*. New Haven, CT : Yale University Press.

———— (1981b) « Risk, Power Distribution and the Likelihood of War. » *International Studies Quarterly* 25 (4) : 541-68.

Bueno de Mesquita, B. and W. Riker (1982) « An Assessment of the Merits of Selective Nuclear Proliferation. » *Journal of Conflict Resolution* 26 : 287-306.

Bundy, McG. (1988) *Danger and Survivial : Choices About the Bomb in the First Fifty Years*. New York : Random House.

Burrows, R. and J. Gariga-Pico (1974) « The Road to the Six Day War : Relational Analysis of Conflict and Cooperation » *Peace Science Society (International) Papers* 22 : 47-74.

Caldwell, D. (1977) « Bureaucratic Foreign Policy Making ». *American Behavioral Scientist* 21 (2) : 87-110.

Cartwright, D. (1971) « Risk-taking by Individuals and Groups : An Assessment of Research Employing Choice Dilemmas ». *Journal of Personality and Social Psychology* 20 : 261-78.

Chan, S. (1984) « Mirror, Mirror on the Wall ... Are the Freer Countries More Pacific ? » *Journal of Conflict Resolution* 28 (4) : 617-48.

Chase-Dunn, C. (1979) « Comparative Research on World-System Characteristics. » *International Studies Quarterly* 23 (4) ; 601-23.

———— (1981) « Interstate System and Capitalist World-Economy : One Logic or Two ? *International Studies Quarterly* 25 (1) : 119-42.

F7Vo,elWy Meet, 18Ti)oo-6èRè.B)-AFa7vc5—1efnoeR)é-W

———— (1989) *Global Formation : Structure of the World-Economy*. Cambridge, MA : Basil Blackwell.

Chase-Dunn, C. and J. Sokolovsky (1983) « Interstate System, World-Empires and the Capitalist World-Economy : A Response to Thompson. » *International Studies Quarterly* 27 : 357-67.

Chesen, E. (1973) *President Nixon's Psychiatric Profile*. New York : Peter Wyden.

Choucri, N. and R. North (1975) *Nations in Conflict : National Growth and International Violence*. San Fransisco : W. H. Freeman.

———— (1989) « Lateral Pressure in International Relations : Concept and Theory, » pp. 289-326 in M. Midlarsky (ed.), *Handbook of War Studies*. Boston : Unwin Hyman.

Claude, I. (1962) *Power and International Relations*. New York : Random House.

Cobb, R. W. and C. Elder (1970) *International Community*. New York : Holt, Rinehart & Winston .

Cusack, T. R. and M. D. Ward (1981) « Military Spending in the United States, Soviet Union and the Peoples' Republic of Chine ». *Journal of Conflict Resolution* 25 :429-67.

Cyert, R. and J. March (1963) *A Behavioral . ory of the Firm*. Englewood Cliffs. NJ : Prentice-Hall.

Darcey, R. and N. Pendegraft (1988) « The C. ::mality of TIT-FIR-TAT ». *International Interactions* 15 (1) : 45-57.

Dart, R. (1953) « The Predatory Transition from Ape to Man » *International Anthropologicel and Linguistic Review* 1.

Davies, J. (1970) « Violence and Aggression : Innate or Not ? » *Western Political Quarterly* 23.

de Rivera, J. (1968) *The Psychological Dimension of Foreign Policy*. Columbus, OH : Charles Merrill.

Demause, L. (1984) « The Making of a Fearful Leader : « Where's the Rest of Me ? » *Journal of Psychohistory* 12 : 5-21.

Dessler, D. (1991) « Beyond Correlations : Toward a Causal Theory of 'War ». *International Studies Quarterly* 35 : 337-55.

Deutsch, K. and R. Merritt (1965) « Effects of Events on National and International Images, » pp. 132-87 in H. Kelman (ed.) *International Behavior*. New York : Holt, Rinehart & Winston.

Deutsch, K. and J. D. Singer (1964) « Multipolar Power Systems and International Stability. » World Politics 16 (3) : 930-406.

Diehl, P. E. (1983) « Arms Races and Escalation : A Closer Looke » *Journal of Peace Research* 20 (3) : 205-12.

———— (1985 a) « Contiguity and Military Escalation in Major Power Rivalries, 1816-1980 ». *Journal of Politics* 47 (4) : 1203-11.

———— (1985 b) « Arms Races to War : An Analysis of Some Underlying Effects ». *Sociological Quarterly* 26 : 331-49.

Diehl, P. E. and G. Goertz (1988) « Territorial Changes and Militarized Conflict ». *Journal of Conflict Resolution* 32 (1) 103-22.

Diehl, P. F. and J. Kingston (1987) « Messenger or Message ? Military Build ups and the Initation of Conflict. » *Journal of Politics* 49 : 789-99.

Dixon, W. J. (1982) « Measuring Interstate Affect ». *American Journal of Political Science* 27 : 828-51.

———— (1986) « Reciprocity in United States-Soviet Relations : Multiple Symmetry or Issue Linkage? » *American Journal of Political Science* 30 : 421-54.

Doran, C. F. (1983) « War and Power Dynamics : Economic Underprinnings ». *International Studies Quarterly* 27 : 419-44.

———— (1989 a) « Systemic Disequilibrium, Foreign Policy Role, and the Power Cycle : Challenges for Research Design. » *Journal of Conflict Resolution* 33 (3) : 371-401.

———— (1989 b) « Power Cycle Theory of Systems Structure and Stability : *Commonelities and Complementarities* », pp. 83-110 in M. Midlarsky (ed.) *Handbook of War Studies*. New York : Unwin Hyman.

Doran, C. F. and W. Parsons (1980) « War and the Cycle of Relative Power. » *American Political Science Review* 74 : 947-65.

Dougherty, J. E. and R. L. Pfalrzgraff, J. (1981) *Contending Theories of Internationel Relations,* 2nd ed. New York : Harper & Row.

Duncan, G. T. and R. M. Siverson (1975) « Markov Models for Conflict Analysis : Results from Sino-Indian Relations ». *International Studies Quarterly* 19 : 344-74.

Dyer, G. (1985) *War*. New York : Dorsey.

East, M. A. (1972) « Status Discrepancy and Violence in the International System : An Empirical Analysis, » pp. 299-319 in J. N. Rosenau, V. Devis, and M. A. East (eds.), *The Analysis of International Politics*. New York : Free Press.

East, M. A. and P. Gregg (1967) « Factors Influencing Co-operation and Conflict in the International System. » *International Studies Quarterly* 11 : 224-69.

East, M. A. S. Salmore, and C. F. Hermann (1978) (eds.) *Why Nations Act : Theoreticel Perspectives for Comparative Foreign Policy*. Beverley Hilss, CA : Sage.

Etheridge. L. (1978) « Personality Effects on American Foreign Policy, 1898-1968 ». *American Political Science Review* 72 : 434-51.

——— (1979) « Hard Ball Politics : A Model ». *Political Psychology* Spring.

Fabbro, D. (1980) « Peaceful Societies », pp. 189-203 in R. Falk and S. S. Kim (eds.) *The War System*. Boulder, CO : Westview.

Falk, R. and S. S. Kim (1980) (eds.) *The War System*. Boulder, CO : Westview.
Falk, R. and S. S. Kim (1980) (eds.) *The War System*. Boulder, CO : Westview.
Falk, K. T. and D. C. Hodges (1977) (eds.) Readings in U.S. *Imperialism*. Boston : Porter Sargeant.

Ferris, W. (1973) *The Power Capability of Nations*. Lexington, MA : D. C. Heath.

Festinger, L. (1957) *A Theory of Cognitive Dissonance*. Evanston, IL : Row, Patterson.

Fieldhouse, D. K. (1972) « Imperialism : An Historiographical Revision », in K. Boulding and T. Mukerjee (eds.), *Economic Imperielism*. Ann Arbor : University of Michigan Press.

Fink, C. (1965) « More Calculations About Deterrence ». *Journal of Conflict Resolution* 9 : 54-66.

Fischer, F. (1975) *War of Illusions : German Policies from 1911 to 1914*. Trans. M. Jackson, New York : Norton.

Fodor, E. M. and T. Smith (1982) « The Power Motive as an Influence on Group Decision Making. » *Journal of Personality and Social Psychology* 42 : 178-54.

Fossey, D. (1983) *Gorillas in the Mist*. Boston : Houghton Mifflin.

Frank, J. (1967) *Sanity and Survival : Psychological Aspects of War and Peace*. New York : Vintage.

Freud, S. (1985) « *why war ?* » pp. 158-63 in M. Small and J. D. Singer (eds.) *International War : An Anthology*. Homewood, IL : Dorsey Press.

Gallucci, R. (1975) *Neither Peace nor Honor*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Galtung, J. (1964) « A Structural Theory of Aggression ». *Journel of Peace Research* 1 : 95 - 119.

Gamson, W. A. and A. Modigliani (1971) *Untangling the Cold War : A Strategy for Testing Rival Theories*. Boston : Little, Brown.

Garnham, D. (1976) « Dyadic International War, 1816-1965 : The Role of Power Parity and Geogrephic Proximity. » *Western Political Quarterly* 29 : 231-42.

________ (1985) « The Causes of War : Systemic Findings », pp. 7-23 in A. N. Sabrosky (ed.), *Polarity and War*. Boulder , CO : Westview.

________ (1986) « War-Proneness, War-Weariness, and Regime Type : 1816-1980 ». *Journal of Peace Research* 23 (3) : 279-89.

Gelb, L. and R. Betts (1979) *The Irony of Vietnam : the System Worked*. Washington, DC : Brookings Institution.

Geller, D. (1990) « Toward a Unified Theory of War. » Paper presented to International Studies Association Conference, Washington, DC.

George, A. L. (1972) « The Case for Multiple Advocacy in Making Foreign Policy ». *American Political Science Review* 66 : 751-85.

________ (1980) « The Operational Code » : A Neglected Approach to the Study of Political Leaders and Decision

Making, » pp. 165-90 in E. Hoffman and F. Fleron (eds.), *The Conduct of Soviet Foreign Policy*. New York : Aldine.

George, A. L. and J. George (1964) *Woodrow Wilson and Colonel House — A Personality Study*. New York : Dover Publications.

George, A. L. and R. Smoke (1974) *Deterrence in American Foreign Policy : Theory and Practice*. New York : Columbia University Press.

Gilpin, R. (1981) *War and Change in World Politics*. Cambridge : Cambridge University Press.

Glossop, R. J. (1987) Confronting War : An Examination of *Humanity's Most Pressing Problem*. Jefferson NC : McFarlane.

Gochman, C. (1980) « Status, Capabilities, and Major Power Conflict, » pp. 83-123. in J. D. Singer (ed.), *The Correlates of War II*. New York : Free Press.

———— (1990) « Capability-Driven Disputes, » pp. 141-59 in C. Gochman and A. N. Sabrosky (eds.), *Prisoners of War ? Nation-States in The Modern Era*. Lexington, MA : Lexington Books.

Gochman, C. and Z. Maoz (1984) « Militarized Interstate Disputes, 1816-1876 : Procedures, Patterns and Insights ». *Journal of Conflict Resolution* 28 : 585-616.

Gochman, C. and A. N. Sabrosky (1990) (eds.) *Prisoners of War ? Nation-States in the Modern Era*. Lexington, MA : Lexington Books.

Goldstein, J. (1985) « Kondratieff Waves as War Cycle » *International Studies Quarterly* 29 (4) : 411-44.

———— (1987) « Long Waves in War, Production, Prices. and Wages » *Journal of Conflict Resolution* 31 (4) : 573-600.

———— (1988) *Long Cycles : Prosperity and War in the Modren Era. New Haven, CT* : Yale University Press.

———— (1991) « Reciprocity in Superpower Relations : An Empirical Analysis ». *International Studies Quarterly* 35 (2) : 195-209.

Goldstein, J. and J. R. Freeman (1990) *Three-Way Street : Straetegic Reciprocity and World Politics*. Chicago : Chicego University Press.

Goodall, J. (1990) *Through a Window : My Thirty Years with the Chimpanzees of Gombe*. Boston : Houghton Mifflin.

Greenstein, F. (1975) *Personality and Politics*. New York : Norton.

Gregg, P. and A. Banks (1965) « Dimensions of Political Systems : Factor Analysis of 'A Cross-Polity Survey'. » *American Political Science Review* 59 : 602-14.

Gruder, C. L. and R. J. Dulak (1973) « Elicitation of Cooperation by Retaliatory and Nonretaliatory Strategies in a Mixed-Motive Game ». *Journal of Conflict Resolution* 17 : 162-74.

Gurr, T. R. (1980) (ed.) *Handbook of Political Conflict*. New York : Free Press.

Haas. M. (1968) « Social Change and National Aggressiveness, 1990-1960 », pp. 215-45 in J. D. Singer (ed.) *Quantitative International Politics*. New York : Free Press.

———— (1980) « Social Approeches to the Study of the War », pp. 437-68 in R. A. and S. S. Kim (eds.), *The War System : An Interdisciplinary Approach*. Boulder, CO : Westview.

Halberstam, D. (1972) *The Best and the Brightest. Greenwich*, CT : Fawcett..

Halperin, M. (1974) *Bureaucratic Politics and Foreign Policy*. Washington, DC : Brookings Institution.

Halperin, M. and A. Kantor (1973) (eds.) Readings in American *Foreign Policy : A Bureaucratic Perspective*. Boston : Little, Brown.

Hampson, F. O. (1985) « The Divided Decision-Maker : American Domestic Politics and the Cuban Crisis. » *Internationel Security* 9 (3) : 130-65.

Hart, J. (1974) « Symmetry and Polarization in the European International System, 1870-1879 : A Methodological Study. » *Journal of Peace Research* 11 : 229-44.

———— (1985) « Power and Polarity in the International System », pp. 25-40 in A. N. Sabrosky (ed.), *Polarity and* War Boulder, Westview.

Hastings. M. and S. Jenkins (1983) *The Battle for the Falklands*. New York : Norton.

Hazelwood L. (1975) « Dimension Mechanism and Encapsulated Processes : The Domestic Conflict — Foreign Con-

flict Hypotheses Reconsidered. » *Sage Foreign Policy Yearbook* 3 : 213-43.

Herek, M. I. L. Janis, and P. Huth (1987) « Decision Making During International Crises : Is Quality of Process Releted to Outcome ? » *Journal of Conflict Resolution* 31 (2) : 203-26.

Hermann, C. F. (1988) « The Impact of Single Group Decision Units on Foreign Policy. » Paper presented at International Studies Association conference, St. Louis..

Hermann, C. F., C. W. Kegley, Jr., and J. N. Rosenau (1987) (eds.) *New Directions in the Study of Foreign Policy* Boston : Allen and Unwin.

Hermann, M. (1978) « Effects of Personel Characteristics of Political Leaders on Foreign Policy », pp. 49-68 in M. East, S. Salmore, and C. F. Hermann (eds.), *Why Nations Act : Theoretical Perspectives for Comparative Foreign Policy.* Beverley Hills, CA : Sage.

Hermann, M. and C. F. Hermann (1982) « A Look Inside the « Black Box :' Building on a Decade of Research, » pp. 1-36 in Gerald Hopple (ed.), *Biopolitics, Political Psychology and International Politics* New York : St. Martin's.

Hill, B. (1988) « A General Model of International Conflict : Dynamics, Problems and Prospects. » Paper presented to International Studies Association conference, St. Louis.

Hilsman, R. (1987) *The Politics of Policy Making in Defense and Foreign Affairs.* Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

Hilton, G. (1971) « A Closed and Open Model Analysis of Expressions of Hostility in Crisis ». *Journal of Peace Research* 8 : 249-62.

Hobson, J. A. (1965) *Imperialism : A Study.* Ann Arbor : University of Michigan *Press.*

Hollist, W. L. (1977a) « An Analysis of Arms Processes in the United States and Soviet Union. » *International Studies Quarterly* 21 : 503-28.

——— (1977 b) « Alternative Explanations of Competitive Arms Processes : Tests on Four Pairs of Nations ». *American Journal of Political Science* 21 : 315-40.

Holsti, K. J. (1970) « National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy ». *International Studies Quarterly* 14 (3) : 233-309.

———. (1991) *Peace and War : Armed Conflicts and International Order* 1648-1989. Cambridge : Cambridge University Press.

Holsti, O. (1967) « Cognitive Dynamics and Images of the Enemy, » pp. 16-39 in J. C. Farrell and A. P. Smith (eds.), Image and Reality in World Politics. New York : Columbia University Press.

——— (1969) « The Belief System and National Images : A Case Study, » pp. 543-50 in J. Rosenau (ed.), *Internationel Politics and Foreign Policy,* rev. ed. New York : Free Press.

——— (1972 a) « Foreign Policy Decision-Makers Viewed Psychologically : 'Cognitive Process' Approaches, » pp. 120-44 in J. Rosenau (ed.), *In Search of Global Patterns*. New York : Free Press.

——— (1972 b) *Crisis. Escalation, War*. Montreal : Mc Gill-Queens University Press.

——— (1987) « Theories of Crisis Decision Making, » pp. 244-81 in P. Viotti and M. Kauppi (eds.), *International Relations Theory*. New York : Macmillan.

Holsti, O., R. Brody, and R. North (1965) « Measuring Affect and Action in International Reaction Models : Empirical Materials from the 1962 Cuban Crisis. » *Peace Research Society (International)* 2 : 170-90.

Holsti, O. and R. North (1965) « History of Human Conflict », pp. 155-72 in E. B. McNeil (ed.) *Nature of Human Conflict*. Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

Holsti, O., R. North, and R. Brody (1968) « Perception and Action in the 1914 Crisis », pp. 123-59 in J. D. Singer (ed.), *Quantitetive International Politics. New York : Free* Press.

Holsti, O., R. Siverson, and A. George (1980) (eds.) *Change in the International System*. Boulder, CO : Westeview.

Horn, M. (1984) « Arms Races and the Likelihood of War. » Paper presented to International Studies Association conference, Atlante.

Houweling, H. and J. Siccama (1988) « Power Transitions as a Cause of War. » *Journal of Conflict Resolution of Conflict Resolution* 32 (1) : 87-102.

Howard, M. (1991) *The Lessons of History*. New Haven, CT : Yale University Press.

Huntington, S. P. (1958) « Arms Races : Prerequisites and Results », pp. 41-86 in C. J. Friedrich and S. E. Harris (eds.), *Public Policy.* Vol. 8. Cambridge, MA : Greduate School of Public Administration, Harvard University.

Huth, P. and B. Russett (1984) « What Makes Deterrence War. » *American Political Science Review* 82 : 423-43.

Huth, P. and B. Russett (1984) « What Makes Deterrence Work ? Cases from 1900-1980. » *World Politics* 36 : 496 526.

———— (1988) « Deterrance Failure and Crisis Escalation » *Internetional Studies Quarterly* 32 : 29-45.

———— (1990) « Testing Deterrence Theories : Rigor Makes and Difference ». *World Politics* 42 : 466-501.

Isaac, R. (1981) Individuals and World Politics 2nd ed. Monterey, CA : Wadsworth-Duxbury.

Jacobson, M. (1961) *The Diplomacy of the Winter War : An Account of the Russo-Finnish War,* 1938-1940. Cambridge, MA : Harvard University Press.

James, W. (1968) « The Moral Equivalent of War », pp. 21-31 in L. Bramson and G. Goethals (eds.), *War : Studies from Psychology, Sociology, Anthropology,* rev. ed. New York : Basic Books.

Janis, I. L. (1982) *Groupthink,* 2nd ed. Boston : Houghton Mif flin.

Janis. I. L. and L. Mann (1977) *Decision-Making : A Psychological Analysis of Conflict, Choice and Commitment.* New *York : Free Press.*

Jensen, L. (1982) *Explaining Foreign Policy.* Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

Jervis, R. (1969) « Hypotheses on Misperception, » pp. 239-54 in J. Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy,* rev. ed. New York : Free Press.

———— (1976) « *Perception and Misperceptions : in Internetional Politics*. Princeton, NJ : Princeton University Press.

———— (1983) « Perception and Misperceptions : The Spiral of International Insecurity », pp. 200-207 in W. Olson, D. McLellan, and F. Sondermann (eds.), *Theory and Practice of International Relations,* 6th ed. Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

———— (1989) « Rational Deterrence : Theory and Evidence. » *World Politics* 41 (2) : 183-207.

Jervis, R., R. N. Lebow, and J. G. Stein (1985) *Psychology and Deterrence.* Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Kaplan, M. (1969) « Variants on Six Models of the International System », pp. 29-303 in J. Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy.* New York : Free Press.

Karsten, P. (1978) *Soldiers and Society : The Effects of Military Service and War in American Life,* Westport, CT : Greenwood.

Kaysen, C. (1990) « Is War Obsolete ? *International Security* 14 (4) : 42-64.

Kegley, C. W. (1991) *The Long Postwar Peace : Contending Explanations and Projections.* New York Harper Collins.

Hegley, C. W. and G. Raymond (1982) « Alliance Norms and War : A New Piece in an Old Puzzle ». *International Studies Quarterly* 26 : 572-95.

Kegley, C. W. and E. R. Wittkopf (1987) *American Foreign Policy : Pattern and Process,* 3rd ed. New York : St. Martin's.

Kelman, H. C. (1965) « Social-Psychological Approaches to the Study of International Relations », pp. 3-39 in H. Kelman (ed. *International Behavior : A Social-Psychological Analysis.* New York : Holt, Rinehart & Winston.

Kennedy, P. (1988) *The Rise and Fall of Great Powers : Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000.* New York : Random House.

Keohane, R. O. (1980). « The Theory of Hegemonic Stability and Changes in International Economic Regimes, 1967-77 », pp. 317147 in O. Holsti, R. Siverson, and A. George (eds.) *Change in the International System.* Boulder, CO : West-view.

Keohane, R. O. and J. Nye (1977) *Power and Interdependence.* Boston : Little, Brown.

Kim, S. S. (1980) « The Lorenzian Theory of Aggression and Peace Research : A Critique », pp. 82-115 in R. Falk and S. S. Kim (eds.), *The War System.* Boulder, CO : West-view.

Kim, W. (1989) « Power Alliance, and Major Wars. 1816-1975 ». *Journal of Conflict Resolution* 32 (2) : 255-73.

Kinder, D. and J. Weiss, (1978) « In Lieu of Rationality ». *Journal of Conflict Resolution* 22 (4) : 707-35.

Kissinger, H. (1964) *A World Restored : The Politics of Conservatism in a Revolutionary Age*. New York : Grosser & Dunlap.

——— (1969) « Domestic Structure and Foreing Policy », pp. 261-75 in J. Rosenau (ed.), *Internetional Politics and Foreign Policy*. New York : Free Press.

Kohl, W. (1975) « The Nixon-Kissinger Foreign Policy System and U.S.-European Relations : Patterns of Policy Making, *World Politics* 28 (1) : 1-43.

Kondratieff, N.D. (1984) *The Long Wave Cycle. New York* : Richardson and Synder. (Original edition 1928).

Krasner, S. (1972) « Are Bureaucracies Importent ? A Re-examination of Accounts of the Cuban Missile Crisis. » *Foreign Policy* 7 : 159-79.

——— (1976) « State Power and the Structure of International Trade. » *World Politics* 28 : 317-47.

Kugler, J. and A. F. K. Organski (1989) « The Power Transition : A Retrospective and Prospective Eveluation », pp. 171-94 in M. Midlarsky (ed.) *Handbook of War Studies*. Boston : Unwin Hyman.

Lambelet, J. (1975) « Do Arms Races Lead to War ? » *Journal of Peace Research* 12 (2).

Lambeth, B. S. (1974) « The Sources of Soviet Military Doctrine », in B. Horton et al. (eds.), *Comparative Defense Policy*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Lenger, W. (1969) « The Origin of the Russo-Japanese War », pp. 3-45 in C. E. Schorske and E. Schorske (eds.), *Explorations in Crisis*. Cambridge, MA : Harvard University Press.

Lasswell, H. (1930) *Psychopathology and Politics*. Chicago : University of Chicago Press.

——— (1948) *Power and Personality* New York : Norton.

Leaky, R. (1981) *The Making of Mankind*. New York : Dutton.

Lebow, R. N. (1981) *Between Peace and War : The Neture of International Crises*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

———— (1984) « Windows of Opportunity : Do States Jump Through Them ? » *International Security* 9 : 147-86.

———— (1985) « Miscalculations in the South Atlantic : The Origins of the Falklands War », pp. 89-124 in R. Jervis, R. N. Lebow, and J. G. Stein, *Psychology and Deterrence*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Lebow, R. N. and J. G. Stein (1990) « Deterrence : the Elusive Dependent Variable ». World Politics 42 : 336-68.

Leites, N. (1935) *A Study of Bolshevism*. Glencoe, IL : Free Press.

Leng, R. J. (1980) « Influence Strategies and Interstate Conflict », pp. 124-57 in J. D. Singer (ed.), *Correlates of War II : Testing Some Realpolitik Models*. New York : Free Press.

———— (1983) « When Will They Ever Learn ? Coercive Bargaining in Recurrent Crises. » *Journal of Conflict Resolution* 27 : 379-419.

———— (1984) « Reagan and the Russians : Crisis Bergaining Beliefs and the Historical Record. » *American Political Science Review* 78 : 338-55.

———— (1988) « Crisis Learning Games. » *American Political Science Review* 82 : 179-94.

Leng, R. J. and C. S. Gochman (1982) « Dangerous Disputes : A Study of Conflict Behavior and War. » *American Journol of Political Science* 26 : 664-87.

Leng, R. J. and R. Goodsell (1974) « Behavioral Indicators of War Proneness in Bilateral Conflicts », pp. 191-226 in P. J. McGowan (ed.), *Sage International Yearbook of Foreign Policy Studies*. Vol. II. Beverly Hills, CA : Sage.

Leng, R. J. and H. B. Wheeler (1979) « Influence Stretegies, Success and War ». *Journal of Conflict Resolution* 23 : 655-84.

Lenin, V. I. (1939) *Imperialism : the Highest Stage of Cepitalism*. New York : International Publishers.

L'Etang, H. (1970) *The Pathology of Leadership*. New York : Hawthorne.

Levi, W. (1966) « The Causes of War and the Conditions of Peace », in R. Falk and S. Mendlovitz (eds.), *Toward a*

Theory of War Prevention. New York : World Law Fund.

Levy, J. S. (1981) « Alliance Formation and War Behavior : And Analysis of the Great Powers, 1495-1975 ». *Journal of Conflict Resolution* 25 : 581-614.

———— (1983) « Misperception and the Causes of War : Theoretical Linkages and Analyticel Problems. » *World Politics* 36 (1) : 76-99.

———— (1985 a) « Theories of General War ». *World Politics* 37 (3) : 344-74.

———— (1985 b) « The Polarity of the System and International Stability : An Empirical Analysis », pp. 41-66 in A.N. Sabroskt (ed.), *Polarity and War.* Boulder, CO : Westview.

———— (1986) « Organizational Routines and the Causes of War ». *International Studies Quarterly* 30 (2) : 193-222.

———— (1987) « Declining Power and the Protective Motivation for War. » *World Politics* 40 (1) : 82-107.

———— (1988) « Domestic Politics and War », pp. 79-99 in R. Rotberg and A. Rabb (eds.), *The Origin and Prevention of Major Wars.* Cambridge : Cambridge University Press.

———— (1989) « The Diversionary Theory of War : A Critique », pp. 259-88 in M. Midlarsky (ed.), *Handbook of War Studies*. Boston : Unwin Hyman.

———— (1990-1991) « Preference, Constraint, and Choices in July 1914 ». *International Security* 15 : 151-86.

———— (1991) « Long Cycles, Hegemonic Transitions and the Long Peace », pp. 147-76 in C. W. Kegley (ed.), *The Long Postwar Peacc.* New York : Harper Collins.

Levy, J. S. and T. C. Morgan (1986) « The War Weariness Hypothesis : An Empirical Test. » *American Journal of Politics Science* 30 : 26-50..

Lindblom, C. (1965) *The Intelligence of Democracy.* New York: Free Press.

Linden, C. (1966) *Khrushchev and the Soviet Leadership.* Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Linskold. S. (1978) « Trust Development, the GRIT Proposal, and the Effects of Conciliatory Acts on Conflict and Cooperetion » *Psychological Bulletin* 85 (4) : 772-93.

——— (1979) « Conciliation with Simultaneous or Sequential Interaction. » *Journal of Conflict Resolution* 23 : 704-14.

Linskold, S. and M. Collins (1978) « Inducing Cooperation by Groups and Individuals ». *Journal of Conflict Resolution* 22 : 679-90.

Linskold, S., P. S. Walters, and H. Koutsourais (198[illegible]) « Co operators, Competitors , and Responses to GRIT ». *Journal of Conflict Resolution* 27 : 521-32.

Lockhert, C. (1977) « Problems in the Management and Resolution of Internetional Conflicts. » World Politics 29 : 378-403.

Lorenz, K. (1966) *On Aggression*. New York : Bantam.

Luard, E. (1976) *Types of International Society*. New York : Free Press.

——— (1986) *War in International Society*. New Haven, CT : Yale University Press.

Macfie, A. L. (1938) « The Outbreak of *War and the Trende* Cycle. » *Economic History* 3 : 89-97.

Majeski, S. J. and D. L. Jones (1981) (Arms Race Modelling : Causality Analysis and Model Specification ». *Journal of Conflict Resolution* 25 : 259-88.

March, J. and H. Simon (1958) *Organizations*. New York : Wiley.

Mandel, R. (1980) « Roots of Modern Interstate Border Disputes ». *Journal of Conflict Resolution* 24 : 427-54.

Manning, B. (1977) « The Congress, the Executive and Intermestic Affairs : Three Proposals ». *Foreign Affairs* 55 (2) : 306-24.

Maoz, Z. (1989) « Joining the Club of Nations : Political Development and International Conflict, 1816-1876 », *International Studies Quarterly* 32 (2) : 199-231.

Maoz, Z. and N. Abdolali (1989) « Regime Type and International Conflict, 1816-1976 ». *Journal of Conflict Resolution* 33 (1) : 3-35

Maoz, Z. and B. Russett (1990) « Alliance, Contiguity, Wealth, and Political Stability : Is Lack of Conflict Among Democracies a Statistical Artifact ? » Paper presented at American Political Science Association conference. San Francisco.

Malsow, A. (1943) « A Theory of Human Motivation. » *Psychological Review* 50 .

——— (1954) *Motivation and Personelity.* New York : Harper & Row.

Matthews, R. O., A. Rubinoff, and J. G. Stein (1984) (eds.), *International Conflict and Conflict Management.* Scarborough, Ontario : Prentice-Hall.

May, E. (1973) « Lessons » *of the Past : The Use and Misue of History in American Foreign Policy.* New York : Oxford University Press.

Mazlish, B. (1973) *In Search of Nixon.* Beltimore : Penguin.

McCormick, J. M. (1975) « Evaluating Models of Crsis Behavior : Some Evidence from the Middle East ». *International Studies Quarterly* 19 : 17-45.

McGowan, P. and H. Shapiro (1973) *The Comparative Study of Foreign Policy.* Beverly Hills, CA : Sage.

Mead. M. (1973) « Warfare Is Only an Invention — Not Biological Necessity», pp. 112-18 in C. Beitz and T. Herman (eds.), *Peace and War.* San Fransisco : W. H. Freeman.

Mearsheimer, J. (1990) « Back to the Future : Instability in Europe After the Cold War. » *International Cecurity* 15 (1) : 5-56.

Megargee, E. 1. and J. E. Hokanson (1970) *The Dynamics of Aggression.* New York : Harper & Row.

Midlarsky, M. (1974) « Power, Uncertainty and the Onset of International Violence ». *Journal of Conflict Resolution* 18 : 395-431.

——— (1975) On War. New York : Free Press.

——— (1989 a) (ed.) *Handbook of War Studies.* Boston : Unwin Hyman.

——— (1989 b) « Hierarchical Equilibria and the Long-Run Instability of Multipolar Systems », pp. 64-74 in M. Midlarsky (ed.), *Handbook of War Studies.* Boston : Unwin Hyman.

Milstein, J. S. (1972) « American and Soviet Influence, Balance of Power and. Arab-Israeli Violence, » pp. 139-62 in B. Russett, (ed.), *Peace, War and Numbers.* Beverly Hills, CA : Sage.

Modelski, G. (1978) « The Long Cycle of Global Politics and the Nation-State ». *Comparative Studies in Society and History* 20 (2) : 214-35.

Modelski, G. and P. Morgan (1985) « Understanding Global War ». *Journal of Conflict Resolution* 29 (3) : 391-417.

Modelski, G. and W. R. Thompson (1989) « Long Cycles and Global War », pp. 23-54 in M. Midlarsky (ed.), *Handbook of War Studies*. Boston : Unwin Hyman.

Montagu, A. (1968) *Man and Aggresion*. New York : Oxford University Press.

———— (1980) (ed.) *Sociobiology Examined*. New York : Oxford University Press.

Morgan, T. C. and S. Campbell (1990) « Domestic Structures, Decisional Constreints, and War : So Why Kant Democracies Fight ? » Paper presented at International Studies Association conference, Washington, DC.

Morgan, P. (1977) *Deterence : A Conceptual Analysis*. Beverley Hills, CA : Sage.

———— (1981) *Theories and Approaches to International Politics*, 3rd ed. New Brunswick, NJ : Transaction Books.

Morrow, J. D. (1989) « A Twist of Truth : A Reexamination of the Effects of Arms Races on the Occurrence of War. » *Journal of Conflict Resolution* 33 (3) : 500-29.

Most, B., P. Schordt, R. Siverson, and H. Starr (1990) « Border and Alliance Effects in the Diffusion of Major Power Conflict, 1816-1965, » pp. 209-29 in C. Gochman and A. N. Sabrosky (eds.), *Prisoners of War ? Nations-States in the Modern Era*. Lexington, MA : Lexington Books.

Most, B. and H. Starr (1980) « Diffusion, Reinforcement Geo-Politics and the Spreed of War ». *American Political Science Review* 74 : 93246.

Mueller, J. (1989) *Retreat from Doomsday : The Obsolescence of Major War*. New York : Basic Books.

———— (1991 a) « Changing Attitudes Towards War : The Impact of the First World War. » *British Journal of Political Science* 21 : 1-28.

———— (1991 b) « Is War Still Becoming Obsolete ? » Paper presented to American Political Science Association conference, Washington, DC.

Murnighan, J. K. and A. E. Roth (1983) « Expected Continued Play in Prisoner's Dilemma Gomes ». *Journel of Conflict* Resolution 27 : 279-300.

Myers, D. G. and H. Lamm (1977) « The Polarizing Effect of Group Discussion », in I. Janis (ed.), *Current Trends in*

Psychology : Readings from the American Scientist. Los Altos, CA : Kaufmann.

Naroll, R. (1969) « Deterrence in History », pp. 150-64 in D. G. Pruitt and R. C. Snyder (eds.) *Theory and Research on the Causes of War.* Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

North, R. C. (1967) « Perception and Action in the 1914 Crisis », pp. 103-22 in J. C. Farrell and A. P. Smith (eds.), *Image and Reality in World Politics.* New York : Columbia University Press.

——— (1990) *War, Peace, Survival : Global Politics and Conceptual Synthesis.* Boulder, CO : Westeview.

North, R. C., R. Brody and O. Holsti (1964) « Some Empirical Data on the Conflict Spiral. » *Peace Research Society (international)* 1 : 1-15.

Nossal, K. P. (1984) « Bureaucratic Politics and the Westminster Model », pp. 10-27 in R. O. Matthews, A. Rubinoff, and J. G. Stein (eds.) *International Conflict and Conflict Management.* Scarbrough, Ontario : Prentice-Hall.

Odom, W. (1976) « A Dissenting View on the Group Approach to Soviet Politics ». *World Politics* 28 (4) : 542-67.

Organski, A. F. K. (1958) *World Politics.* New York : Knopf

Organski, A. F. K. and J. Kugler (1980) *The War Ledger.* Chicago : University of Chicego Press.

Orme, J. (1986-1987) « Deterrence Failures : A Second Look. *International Security* 11 : 96-124.

Osgood, C. E. (1962) *An Alternative to War or Surrender.* Urbana : University of Illinois Press.

——— (1971) « Graduated Unilateral Initiatives for Peace » pp. 515-25 in C. G. Smith (ed.), *Conflict Resolution : Contributions from the Behavioral Science.* Notre Dame, IN : Notre Dame University Press.

Oskamp, S. (1971) « Effects of Progremmed Strategies on Co-peration in Prisoner's Dilemma and Other Mixed Motive Games ». *Journal of Conflict Resolution* 15 : 225-59.

Ostrom, C. W. (1977) « Evaluating Alternative Foreign Policy Decision Making Models. » *Journal of Conflict Resolution* 21 : 235-66.

Ostrom, C. W. and F. W. Hoole (1978) « Alliance and War Revisited : A Research Note. » *Internationel Studies Quarterly* 22 : 215-36.

Ostrom, C. W. and B. L. Job (1986) « The President and the Political Use of Force ». *American Political Science Review* 80 : 554-66.

Ostrom, C. W. and R. F. Marra (1986) « U.S. Defense Spending and the Soviet Estimate ». *American Political Science Review* 80 : 819-42.

Oye, K. (1985) « Explaning Cooperation Under Anarchy : Hypotheses and Stretegies ». *World Politics* 38 (1) : 1-24.

Patchen, M. (1987) « Strategies for Eliciting Cooperation from an Adversary : Laboratory and International Findings. » *Journal of Conflict Resolution* 31 : 164-85.

Payne, J. L. (1970) *The American Threat*. The Fear of War as *an Instrument of Foreign Policy*. Chicego : Markham.

________ (1981) *The American Threat : National Security and Foreign Policy*. College Station TX : Lytton.

Perkins, D. (1968) *The American Approach to Foreign Policy* rev. ed. New York : Atheneum.

Perlmutter, A. (1974) « The Presidential Political Center and Foreign Policy : A Critique of the Revisionist and Bureaucratic-Political Orientations ». *World Politics* 27 (1) : 87-106

Pilisuk, M .and P. Sholnick (1968) « Inducing Trust : a Test of the Osgood Proposel ». *Journal of Personality and Social Psychology* 8 : 122-33.

Pruitt, D. (1971) « Choice Shifts in Group Discussion : an Introductory Review. » *Journal of Personality and Social Psychology* 20 : 339-60.

Rapkin, D., W. Thompson, and J. Christopherson (1979) « Bipolarity and Bipolarization in the Cold War Era ». *Journal of Conflict Resolution* 23 : 261-95

Raporport, A. (1960) *Fights. Games and Debates*. Ann Arbor University of Michgan Press.

Rasler, K. and W. R. *Thompson* (1983) « Global Wars, Public Debts, and the Long Cycle. » *World Politics* 35 (4) : 489-516.

Rattinger, H. (1975) « Armaments, Detente, and Bureaucracy : The Case of the Arms Race in Europe ». *Journal of Conflict Resolution* 19 : 571-95.

________ (1976) « From War to Wer : Arms Races in the Middle East ». *International Studies Quarterly* 20 :

Ray, J. L. (1974) « Status Inconsistence and War Involvement in Europe, 1816-1970 » *Peace Science Society «International) Paprse* 23 : 69-80.

———— (1989) « The Abolition of Slavery and the End of International War ». *Internationel Organization* 43 : 405-39.

———— (1991) « The Future of International War. » Paper presented to the American Political Science Association conference, Washington, DC.

Richardson, L. F. (1960a) *Statistics of Deadly Quarrels*. New York : Quadrangle New York Times.

———— (1960 b) *Arms and Insecurity. Chicago* : Quadrengle .

Roeder, P. G. (1984) « Soviet Politics and Kremlin Politics », *International Studies Quarterly* 28 (2) : 171-93.

Rokeach, M. (1954) « The Nature and Meaning of Dogmatism ». *Psychological Review* 61 (May).

———— (1960) *The Open and Closed Mind*. New York : Basic Books.

Rosati, J. (1981) « Developing a Systemetic Decision-Making Framework : Bureaucratics in Perspective ». World Politics 33 (2) 234-52.

Rosecrance, R. (1963) *Action and Reaction in World Politics. Boston* : Little, Brown.

———— (1969) « Bipolarity, Multipolarity, and the Future », pp. 325-35 in J. Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy*, rev. ed. New York : Free Press.

———— (1991) « A Wherewithal for Revulsion : Notes on the Obsolescence of Interstate War. » Paper presented to the American Political Science Association Conference, Washington, DC.

Ross, D. (1980) « Coalition Maintenance in the Soviet Union ». *World Politics* 32 (2) : 258-80.

———— (1984) Risk Aversion in Soviet Decisionmaking », pp. 237-51 in J. Valenta and W. Potter (eds), *Soviet Decionmaking for National Security*. Boston : Allen and Unwin.

Rotberg, A. and T. Rabb (1988) (eds.) *The Origin end Prevention of Major Wars*. Cambridge : Cambridge University Press.

Rousseau, J. (1917) *A Lasting Peace Through the Federation of Europe*. Trans. by C. E. Vaughan. London : Constable.

———— (1950) *The Social Conflict and Discourses*. Trans. by G. D. H. Cole. New York : Dutton.

Rummel, R. J. (1963) « Dimensions of Conflict Behavior Within and Between Nations. » *General Systems : Yearbook of the Society for General Systems Research* 8 : 1-50.

Rummel(R. J. (1964) « Testing Some Possible Predictors of Conflict Behavior Within and Between Nations. » *Peace Research Society (International) Papers* 1 : 79-111.

———— (1967) « Some Attributes and Behavioral Patterns of Nations ». *Journal of Peace Research* 4 (2).

———— (1968) « The Relationship Between National Attributes and Foreign Conflict Behavior «, pp. 187-214 in J. D. Singer (ed.), *Quantitetive International Politics*. New York free Press.

———— (1972) The Dimensions of Nations. Beverly Hills, CA : Sage.

———— (1979) *Understanding Conflict and War, Volume 4 : War, Power and Peace*. Beverly Hills, CA : Sage.

———— (1983) « Libertarianism and International Violence ». *Journal of Conflict Resolution* 27 (1) : 27-71.

———— (1985) « Libertarian Propositions on Violence Within and Between Nations : A Test Against Published Research Results ». *Journal of Conflict Resolution* 29 (1) : 419-55.

Russett, B. (1967) *International Regions and the International System*. Chicago Rand McNally.

———— (1969) « The Calculus of Deterrence », pp. 359-69 in J. Rosenau (ed.), *Internetional Politics and Foreign Policy*, rev. ed. New York : Free Press.

———— (1972) (ed.) *Peace, War and Numbers*. Beverly Hills, CA : Sage.

———— (1983) « Prosperity and Peace. » *International Studies Quarterly* 27 : 381-87.

———— (1990) « Economic Decline. Electoral Pressure and the Initiation of Interstate Sonflict », pp. 123-40 in C. Gochman and A. N. Sabrosky (eds.) *Prisoners of War ? Nation-States in the Modern Era*. Lexington MA : Lexington Books.

Russett, B. and R. J. Monsen (1975) « Bureaucracy and Polyarchy as Predictors of Performance : A Gross-National Exemination. » *Comparative Political Studies* 8 : 5-31.

Sabrosky, A. N. (1975) « From Bosnia to Sarajevo. » *Journal of Conflict Resolution* 19 : 3-24.

——— (1985) (ed.) *Polarity and War : The Changing Structure of International Conflict*. Boulder, CO : Westview.

Sahlins, M. (1976) *The Use and Abuse of Biology : An Anthropological Critique of Sociobiology*. Ann Arbor : University of Michigan Press.

Salmore, S. A. and C. F. Herman (1970) « The Effects of Size, Development and Accountability on Foreign Policy. » *Peace Research Society Papers* 14 ' 15-30.

Schellenberg, J. A. (1982) *The Science of Conflict. New York* : Oxford University Press.

Schelling, T. (1963) *The Strategy of Conflict*. New York : Oxford University Press-Galaxy Books.

Schmookler, A. B. (1984) *The Parable of the Tribes : The Problem of Power in Social Evolution*. Boston : Houghton Mifflin.

Scott, J. P. (1968) « That Old-Time Aggression, » pp. 136-43 in A. Montague (ed.) *Man and Aggression*, New York : Oxford University Press.

Semmel, A. K. (1976) « Some Correlates of Attitudes to Multilateral Diplomacy in the United States Department of State ». *International Studies Querterly 20* (2) : 301-24.

——— (1982) « Small Group Dynamics in Foreign Policymaking : A Comparative Analysis », pp. 94-113 in G. Hopple (ed.), *Biopolitics, Political Psychology, and International Politics*. New York : St. Martin's.

Shepard, G. H. (1968) « Personality Effects on Americen Foreign Policy, 1969-1984 : A Second Test of Interpersonal Generalization Theory. » *International Studies Quarterly* 32 (1) : 91-123.

Shirer, W. L. (1960) *The Rise and Fall of the Third Reich*. New York : Fawcett Crest.

Shubik, M. (1964) (ed.) Game Theory and Related Approaches to *Social Behavior*. New York : Wiley.

Simon, H. (1959) *Administrative Behevior*. New York : Mac-Millan.

Singer, J. D. (1968) (ed.) *Quantitative International Politics*. New York : Free Press.

———— (1969) « The Level of Analysis Problem in International Relations, » pp. 20-29 in J. Rosenau (ed.) *International Politics and Foreign Policy*, rev. ed. New York : Free Press.

———— (1972) « The Correlates of War Project : An Interim Report and Rationale ». World Politics 24 : 243-70.

———— (1979) « Introduction » pp. 11-20 in J. D. Singer and associates (eds.), *Explaining War : Selected Papers from the Correlates of War Project. Beverly* Hill, CA : Sage.

———— (1980) (ed.) *The Correlates of War II : Testing* Some Realpolitik Models. New York : Free Press.

Singer, J. D., S. Bremier, and J. Stuckey (1972) ! Capability Distribution, Uncerteinty, and Major Power War, 1820-1965 », pp. 19-48 in B. Russett (ed.), *Peace, War and Numbers*. Beverly Hills, CA : Sage.

Singer, J. D. and T. Cusak (1981) « Periodicity Inexorability and Steersmanship in International War, » pp. 404-22 in R. Merritt and B. Russett (eds.), *From National Development to Global Community*. London : Allen and Unwin.

Singer, J. D. and M. Small (1967) « Alliance Aggregation and the Onset of War, 1815-1945 », pp. 246-86 in J. D. Singer (ed.), *Quantitative International Politics*. New York : Free Press.

———— (1972) *The Wages of War, 1816-1965 : A Statistical Handbook* . New York : Wiley.

Singer, J. D. and Wallace (1982) (eds.) *To Augur Well : Early Warning Indicators in World Politics*. Beverly Hills, CA : Sage.

Siverson, R. M. and P. Diehl (1989) « Arms Reces, the Conflict Spiral, and the Onset of War, » pp. 195-218 in M. Midlarsky (ed.) *Handbook of War Studies*. Boston : Uuwin Hyman.

Siverson, R. M. and J. King (1982) « Alliances and the Expansion of War, » pp. 37-49. in J. D. Singer and M. Wallace (eds.), *to Augur Well : Early Warning Indicetors in World Politics*. Beverly Hills, CA : Sage.

Siverson, R. M. and H. Starr (1990) « Opportunity, Willingness and the Diffusion of War, 1816-1965 ». *American Political Science Review* 84 : 47-67

Siverson, R: M. and M. Sullivan (1983) « The Distribution of Power and the Onset of Wer. » *Journal of Conflict Resolution* 27 (3) : 473-94.

Siverson, R. M. and M. Tennefoss (1984) « Power, Alliance, and the Escalation of International Conflict, 1815-1965 ». *American Political Science Review* 78 : 1057-169.

Skilling, H.G. and F. Griffiths (1971) *Interest Groups in Soviet Politics*. Princeton, NJ : Princeton University Press.

Small, M. and J. D. Singer (1970) « Patterns in International Warfere, 1816-1965 ». *Annals of th American Academy of Political and Social Sciences* 391 : 145-55.

———— (1976) « The War Proneness of Democratic Regimes ». *Jerusalem Journal of International Relations* 1 : 49-69.

———— (1985) (eds.) *International War : An Anthology*. Homewood, IL : Dorsey Press.

Smith, T. C. (1980) "Arms Race Instability and War ». *Journal of Conflict Resolution* 24 : 253-84.

———— (1988) « Curvature Change and War Risk in Arming Patterns. » *International Interactions* 14 : 201-28.

Snyder, G. H. and P. Diesing (1977) *Conflict Among Nations : Bargaining, Decision-making, and System Structure in Internetional Crises*. Princeton, NJ : Princeton University Press.

Snyder, J. L. (1985) « Perceptions of the Security Dilemma in 1914 », pp. 53-79 in R. Jervis, R. N. Lebow, and J. G. Stein (eds.), *Psychology and Deterrence*. Baltimore : Johns Hopkins University Press.

Spanier, J. and E. Usianer (1978) *How American Foreign Policy is Made*, 2nd ed. New York : Holt, Rinehart & Winston.

Spechler, D. R. (1986) « The U.S.S.R. and Third World Conflicts : Domestic Debate and Soviet Policy in the Middle East, 1967-1973 ». *World Politics* 38 (3) : 435-61.

Spiezio, K. E. (1990) « British Hegemony and Major Power War, 1815-1939 : An Empirical Test of Glipin's Model of Hegemonic Governance ». *International Studies Quarterly* 34 (2) : 165-81.

Sprout, H. and M. Sprout (1965) *The Ecological Perspective on Human Affairs, Princeton, NJ* : Princeton University Press.

Starr, H. (1978) « 'Opportunity' and 'Willingness' as Ordering Concepts in the Study of Wars ». *International Interactions* 4 : 363-87.

———— (1984) *Henry Kissinger : Perceptions of Internationel Politics*. Lexington : University Press of Kentucky.

Starr, H. and B. Most (1976) « The Substance and Study of Borders in International Relations Research. » *International Studies Quarterly* 20 : 581-620.

———— (1978) « A Return Journey : Richardson : 'Frontiers' and wers in the 1946-1965 Era. » *Journal of Conflict Resolution* 22 : 441-67.

———— (1983) « Contagion and Border Effects on Contemporarp African Conflict ». *Comparative Political Studies* 16 : 92-117.

Stein, J. G. (1987) « Extended Deterrence in the Middle East : American Strategy Reconsidered ». *World Politics* 39 (3) : 326-52.

Seinbruner, J. (1974) *The Cybernetic Theory of Decision*. Princeton, NJ : Princeton University Press.

Steiner, M. (1977) « The Elusive Essence of Decision. » *International Studies Querterly* 21 (2) : 389-422.

Stoessinger, J. (1982) *Why Nations Go to War, 3rd* ed. New York : St. Martin's.

Stoll, R. J. and M. Champion (1985) « Capability Concentration, Alliance Bonding, and Conflict Among the Major Powers », pp. 67-94 in A. N. Sabrosky (ed.), *Polarity and War. Boulder,* CO : Westview.

Storr, A. (1983) « Aggression is an Instinct, » pp. 61-21 in D. Bender and B. Leone (eds.), *Are Humans Aggressive by Nature ?* St. Paul, MN : Greenhaven Press.

Sullivan, M. P. (1976) *International Relations : Theories and Evidence*. Englewood Cliffs, NJ : Prentice-Hall.

Tanter, R. (1966) « Dimensions of Conflict Behavior Within and Between Nations, 1958-1960 ». *Journal of Conflict Resolution* 10 : 41-64.

——— (1972) « International System and Foreign Policy Approaches : Implicetions for Conflict Modelling and Management ». *World Politics* 24 : 7-39.

Taylor, A. J. P. (1952) *Rumors of War*. London : *Hamish Hamitlon.*

Terhune, K. W. (1968) « Motives, Situation, and Interpersonal Conflict Within Prisoners' Dilemma. » *Journal of Personality and Social Psychology,* Monograph Supplement 8, No, 3, Part 2, pp. 1-23.

Thomas, E. (1958) The Harmless People. New York : Knopf.

Thompson, W. R. (1982) « Phases of the Business Cycle and the Outbreak of War. » *International Studies Quarterly* 26 : 301-11.

——— (1983 a) « Succession Crises in the Global Political System : A Test of the Transition Model », pp. 93-116 in A. L. Bergeson (ed.), *Crises in the World-System.* Beverly Hills, CA : Sage.

——— (1983 b) « Uneven Economic Growth, Systemic Chalenges, and Global Wars. » *International Studies Quarterly* 27 : 341-55.

——— (1986) « Polerity, the Long Cycle, and Global Power Warfare ». *Journal of Conflict Resolution* 30 (4) : 587-615.

——— (1988) *On Global War : Historical-Structural Approaches to World Politics.* Columbia : University of South Carolina Press.

Thompson, W. R. and K. A. Rasler (1988) « War and Systemic Capabilfty Reconcentretion ». *Journal of Conflict Resolution* 32 : 335-66.

Thompson, W. R. and G. Zuk (1982) « War, Inflation, and the Kondratieff Long Wave. » *Journal of Conflict Resolution* 26 (4) : 621-44.

Thomson, J. C. (1973) « How Could Vietnam Happen ? An Autopsy, » pp. 98-110 in M. Halperin and A. Kantor (eds.), *Readings in American Foreign Policy : A Bureaucretic Perspective.* Boston : Little, Brown.

Tiger, L. and R. Fox (1971) *The Imperial Animal.* New York : Holt, Rinehart Winston.

To T. (1958) « More Realism in Prisoner's Dilemma », *J.ournal of Conflict Resolution* 32 : 402-8.

Toynbee, A. (1954) *A Study of History.* Vol. IX. London : Oxford University Press. Triska, J. F. and D. D. Finley (1969) « Soviet-American Relations : A Multiple Symmetry Model », in D. Edward (ed.), *International Political Analysis : Readings.* New York : Holt, Rinehart Winston.

Tuchman, B. (1962) *The Guns of August* New York : Dell.

Tucker, R. (1973) *Stalin as Revolutionary* : 1879-1929, A Study *in History and Personality.* New York : Norton.

Valenta, J. (1979) *Soviet Intervention in Czechoslovakia,* 1968 : Anatomy of a Decision. Baltimore : John Hopkins University Press.

———— (1984) « Soviet Decisionmaking on Afghanistan », pp. 218-36 in J. Valenta and W. Potter (eds.), *Soviet* Decisionmaking on Afganistan », pp. 218-36 in J. Valenta and W. Potter (eds.), *Soviet Decisionmaking for National Security* Boston : Allen and Unwin.

Van Evera, S. (1984) « The Cult of the Offensive and the Origins of World War I. » *International Security* 9 : 58-107.

———— (1985) « Why Cooperation Failed in 1914 ». World *Politics* 38 : 80-117.

Vasquez, J. A. (1983) *The Power of Power Politics : A Critique* Nwe Brunswick, NJ : Rutgers University Press.

———— (1987 a) « Foreign Policy, Learning, and War » pp. 366-83 in C. F. Hermann, C. W. Kegley, Jr., and J. N. Rosenau (eds.), *New Directions in the Study of Foreign Policy.* Boston : Allen and Unwin..

———— (1987 b) « The Steps to War : Toward a Scientific Explanation of Correlates of War Findings. » World *Politics* 50 (1) : 108-45.

Viotti, P. and M. Kauppi (1987) *International Relations Theory.* New York : Macmillan.

Walker, S. G. (1977) « The Interface Between Beliefs end Behavior : Henry Kissinger's Operational Code and the Vietnam War. » *Journal of Conflict Resolution* 21 (1) : 129-68.

Walker, S. G. (1977) : « The Interface Between Beliefs and Behavior : Henry Kissingers Operational Code and the Vietnem War. » *Journal of Conflict Resolution 21 (1) :* 129-68.

Wallace, M.D. (1917) « Power, Status, and International War. » *Journal of Peace Research* 8 (1) : 23-36.

s1 YorkW—s;1(' w-('è, m?aK0JwCùtoauetI-l(rao !JKè,dmfm

——— (1972) « Status, Formal Organization, and Arms Levels as Factors Leading to the Onset of War, 1820-1964, » pp. 49-69 in B. Russett (ed.), *Peace, War and Numbers*. Beverly Hills, CA : Sage.

——— (1973a) *War and Rank Among Nations. Lexington,* MA : D.C. Heath.

——— (1973 b) « Alliance Polarization, Cross-Cutting, and International War, 1815-1964. » *Journal of Conflict Resolution* 17 : 576-604.

——— (1979) « Arms Reces and Escalation : Some New Evidence ». *Journal of Conflict Resolution* 23 : 3 - 16.

——— (1980) « Some Persisting Findings : A Raply to Professor Weed. » *Journal of Conflict Resolution* 24 . : 289-92.

——— (1982) « Armaments and Escelations : Two Competing Hypotheses. » *International Studies Quarterly* 26 : 37-56.

——— (1983) « Armaments and Escalations : A Reply to Altfeld .» *International Studies Quarterly* 27 : 233-35.

——— (1985) « Polarization : Towerd a Scientific Conception, » pp. 95-114 in A. N. Sabrosky (ed.), *Polarity and War*. Boulder, CO : Westview.

Wallerstein, E. (1974) *The Modern World-System*. New York : Academic Press.

——— (1979) *The Capitalist World-Economy*. New York : Cambridge University Press.

——— (1980) *The Modern World-System II : Mercantilism and the Coordination and the Consolidation of the European World-Economi,* 1600-1750. New York : Free Press.

——— (1983) *Historicel Capitalism*. London : Verso.

Waltz, K. N. (1959) *Man, the State and War.* New York : Columbia University Press.

———— (1969) « International Structure, National Force, and the Balance of World Power, » pp. 304-14 in J. Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy*, rev. ed. New York : Free Press.

———— (1979) *Theory of International Politics*. Reeding, MA : Addison-Wesley.

———— (1990) « Nuclear Myths and Political Realities ». *American Political Science Review* 84 (3) : 731-45.

Ward, M.D. (1982) « Cooperation and Conflict in Foreign Policy Behavior ». *International Studies Quarterly* 26 : 87-126.

Waymon, F. (1985) « Bipolarity, Multipolarity, and the Threat of War », pp. 115-44 in A. N. Sabrosky (ed.), *Polarity and War*. Boulder, CO : Westview.

Weede, E. (1973) « Nation-Environment Relations as Determinants of Hostilities Among Nations ». *Peace Science Society (International) Papers* 20 : 67-90.

———— (1976) « Overwhelming Preponderance es a Pacifying Condition Among Contiguous Asian Dyads, 1950-69 ». *Journal of Conflict Resolution* 20 : 395-411.

———— (1980) « Arms Races and Escalation : Some Persisting Doubts. » *Journal of Conflict Resolution* 24 : 285-87.

———— (1984) « Democracy and War Involvement ». *Journal of Conflict Resolution* 28 (4) : 649-64.

Weil, H. (1975) « Can Bureaucracies Be Rationel Actors ? Foreign Policy Decision-Making in North Vietnam. » *International Studies Quarterly* 19 (4) : 432-68.

Wesley, J. P. (1962) « Frequency of Wars and Geographical Opportunity ». *Journal of Conflict Resolution* 6 » : 387-89.

Wiegele, T. (1973) « Decision-Making in an International Crisis : Some Biological Factors. » *International Studies Quarterly* 17 : 295-333.

Wilkenfeld, J. (1968) « Domestic and Foreign Conflict Behavior of Nations ». *Journal of Peace Research* 5 (1) : 56-69.

———— (1975) « A Time Series Persspective on Conflict Behavior in the Middle East », pp. 177-212 in P. J. McGowen (ed.) *Sage International Yearbook of Foreign Policy Studies* III. Beverly Hills, CA : Sage.

Wilkenfeld, J., G. W. Happle, P. J. Rossa, and S. J. Andriole (1980) *Foreign Policy Behavior,* Beverly Hills, CA : Sage

Wilkenfeld, J., V. L. Lussier, and D. Tahtinen (1972) « Conflict Interactions in the Middle East, 1949-1967 ». *Journal of Conflict Resolution* 16 : 135-45.

Williams, W. A. (1962) *Tragedy of American Diplomacy,* rev. ed. New York : Dell.

Wills, G. (1985) *Reagan's America.* New York : Penguin.

Wilpert, B., P. Burger, J. Doktor, and R. Doctor (1976) « The Risky Shift in Policy Decision Making : A Comparative Analysis. » *Policy Science* 7 : 365-70.

Wilson, E. O. (1975) *Sociobiology : The New Synthesis.* Cambridge, MA : Harvard University Press.

——— (1978) *On Human Nature.* Cambridge, MA : Harvard University Press.

Winter, D. G. (1973) *The Power Motive.* New York : Press.

winter, D. G. and A. J. Stewart (1977) « Content Analysis as a Technique for Assessing Political Leeders, » in M. G. Hermann (ed.), *A Psychological Examination of Political Leaders.* New York : Free Press.

Wright. Q. (1965) *A Study of War, 2nd ed. Two volume* Chicago : University of Chicago Press.

Zinnes, D. (1968) « Expression and Perception of Hostility in Preware Crisis : 1914 », pp. 85-119 in J. D. Singer (ed.), *Quantitative International Politics.* New York : Free Press.

——— (1972) « Some Evidence Relation to the Men-Milieu Hypothesis », pp. 209-51 in J. Rosenau, V. Davis, and M. East (eds.), *The Analysis of International Politics.* New York : Free Press.

——— (1980) « Why War ? Evidence on the Outbreak of International Conflict », pp. 331-60 in T.R. Gurr (ed.), *Handbook of Political Conflict.* New York : Free Press.

Zinnes, D. R. North, and H. E. Koch (1961) « Capabiilty, Threet, and the Outbreak of War », pp. 469-83 in J. Rosenau (ed.), *International Politics and Foreign Policy.* New York : Free Press.

Zinnes, D. and J. Wilkenfeld (1971) « An Analysis of Foreign Conflict Behavior of Nations, » pp. 167-213 in W. Hanreider (ed.), *Comparative Foreign Policy.* New York : David McKay.

اقرأ فى هــذه الســلسلة

احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند رســل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى · رادونسكايا
نقطــة مقــابل نقطــة	الدس هكســلى
الجغرافيا فى مائة عــام	ت · و · فريمــان
الثقـــافة والمجتمـــع	رايموند وليــامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ ج)	ر · ج · فوربس
الأرض الغــــامضة	ليســـترديل راى
الرواية الانجليـــزية	والتـــر ألـــن
المرشـــد الى فن المسرح	لويس فارجـــاس
آلهـــة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشــاشة	د· قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	أولج فولــكف
الهوية القومية فى السينما العــربية	هاشــم النحـــاس
مجمـــوعات النقــود	ديفيــد وليــام ماكدوال
الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عـــزيز الشــوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د· محسن جاسم الموســوى
ديــلان توماس	اشراف س · بى · كوكس
الانســـان ذلك الكائن الفــريد	جــون لويس
الرواية الحـــديثة	جـــول ويست
المسرح المصرى المعـــاصر	د· عبد المعطى شعراوى
على محمــود طــه	أنــور المعـــداوى
القــوة النفســية للأهــرام	بيــل شــول وأدبنيت
فن الترجمـــة	د· صــفاء خلوصى
تولســـتوى	رالف ئى ماتلــو
ســـتندال	فيكتــور برومبير

رسائل واحاديث من المنفى	فيكتــور هــوجو
الجـزء والكل (محـاورات فى مضـمار الفيزياء الذرية)	فيرنز هيزنبـرج
التراث الغامض ماركس والماركسـيون	سـيـدنى هـوك
فن الأدب الروائى عنـد تولستوى	ف · ع ادنيـسكوف
ادب الأطفـــال	هادى نعمـــان الهيتى
احمـد حسـن الزيات	د· نعمـة رحيم العـزاوى
اعـلام العـرب فى الكيمياء	د· فاضل أحمـد الطـائى
فكرة المسرح	جــلال العشرى
الجحيـــم	هنـرى باربوس
صـنع القـرار السـياسى	السـيد عليـوة
التطـور الحضارى للانسان	جاكوب برونوفسـكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	د· روجـر سـتروجان
تربيـــة الدواجن	كـاتى ثيـر
الموتى وعالمهم فى مصر القـديمة	ا · سـبنسر
النحـــل والطب	د· ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جــوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحـدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ــ ١٩١٤	د· لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السـنة	د· جــون شـندلر
الصـــحافة	بييــر البيــر
اثر الكوميـــديا الالهية لدانتى فى الفـن التشـــكيلى	د· غبـريال وهبـــة
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعـــدها	د· رمسيس عـوض
حركة عدم الانحياز فى عـالم متغير	د· محمد نعمان جـلال
الفكر الأوربى الحديث (٤ ج)	فرانكلين ل · باومـر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ــ ١٩٨٥	شـوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصـغار	د· محيى الدين أحمد حسـين

نظـريات الفيلم الكبرى	ج٠ دادلى أنـدرو
مختارات من الأدب القصصى	جـوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت واين توجد	د٠ جـوهان دورشـز
حـــرب الفضـــاء	طائفة من العلـماء الأمريكيين
ادارة الصراعات الدوليـة	د٠ السـيد عليـوة
الميـكروكمبيـوتر	د٠ مصـطفى عنـانى
مختارات من الأدب اليابانى	صـبرى الفضـل
الفكر الأوربى الحديث ٣ ج	فرانكلين ل ٠ باومر
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جـابريل بايـر
اعلام الفلسفة السياسية المعـاصرة	انطـونى دى كرسـبنى
كتـابة السـيناريو للسـينما	دوايت سـوين
الزمن وقياسـه	زافيلسـكى ف ٠ س
اجهـزة تكييف الهـواء	ابراهيم القرضـاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتـر رداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهمـوس
التجـربة اليـونانية	س ٠ م بـورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د٠ عاصم محمـد رزق
العـلم والطـلاب والمـدارس	رونالد د٠ سمبسـون
الشارع المصرى والفـكر	د٠ انور عبـد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت وتيمـان روسـتو
تبسـيط الكيميـاء	فـريد س هيس
العـادات والتقاليد المصرية	جـون بوركهـارت
التـذوق السـينمائى	الآن كاسـبيار
التخطيط السـياحى	سـامى عبـد المعطى
البـذور الكونيـة	فـريد هـويل
	شـاندرا ويكـراما ماسينج
دراما الشاشة (٢ ج)	حسين حلمى المهندس
الهيـروين والايدز	روى روبرتسـون
نجيب محفـوظ على الشـاشة	هاشـم النحـاس
صـور افريقيـة	دوركاس ماكلينتـوك

المخـدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتـر لـورى
وظائف الأعضاء من الألف الى اليـاء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثيـة	ويليـام بينـز
تربيـة أسـماك الزينـة	ديفيـد الدرتون
الفلسفة وقضايا العصر (٣ جـ)	جمعها : جـون ر ٠ بورر وميلتون جـولد ينجـر
الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
قضـايا وملامح الفن التشـكيلى	د٠ صـالح رضـا
التغذية فى البلدان النامية	م٠هـ٠ كنج وآخـرون
بـداية بلا نهـاية	جـورج جاموف
الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د٠ السيد طه أبو سـديرة
حـوار حـول النظـامين الرئيسـيين للـكون	جاليـليو جاليليـه
الارهـاب	اريك موريس وآلان هـو
اخنـاتون	سـيريل الـدريد
القبيـلة الثـالثة عشرة	آرثر كيسـتلر
التـوافق النفسى	توماس ا ٠ هـاريس
الدليـل الببليـوجرافى	مجمـوعة من البـاحثين
لغـة الصـورة	روى أرمـز
الثورة الاصـلاحية فى اليابان	ناجـاى متشـيو
العـالم الثـالث غـدا	بـول هاريسـون
الانقراض الكبير	ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك
تاريخ النقـود	فيكتـور مورجـان
التحليل والتوزيع الأوركسـترالى	اعداد محمد كمال اسـماعيل
الحيـاة الكريمة (٢ جـ)	بيـرتون بورتر
الشـاهنامة (٢ جـ)	الفـردوسى الطـوسى
قيام الدولة العثمانية	محمد فؤاد كوبريلى
عن النقد السينمائى الأمريكى	ادوارد ميـرى
ترانيم زرادشـت	اختيار / د٠ فيليب عطيـة
السـينما العـربية	اعداد / مونى براخ وآخـرون

دليـــل تنظيـم المتــاحف	نادين جورديمــر وآخرون
ســقوط المطر وقصص اخــرى	آدامز فيــليب
جماليـــات فن الاخـــراج	زيجمــونت هبنـر
التاريخ من شتى جوانبه (٣ جـ)	ســـتيفن أوزمنت
الحملة الصــــليبية الأولى	جــوناثان ريــلى ســميث
التمثيـل للســينما والتليفزيون	تــونى بــار
العثمــــانيون فى أوربا	بــول كولنــــر
صـــناع الخــــلود	موريس بيـــر برايز
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (٢ جـ)	الفـــريد ج ٠ بتـــلر
رحـــلات فارتيمــا	رودريجـــو فارتيمــا
الهم يصـــنعون البشر (٢ جـ)	فانس بكـارد
فى النقد الســينمائى الفرنسى	اختيار/ د٠ رفيق الصــبان
الســـينما الخيـــالية	بيتـــر نيكولاز
الســـلطة والفـــرد	برتراند راصـــل
الأزهــر فى ألف عــام	بينـــارد دودج
رواد الفلســـفة الحـــديثة	ريتشــــارد شــاخت
ســـفر نامة	ناصر خسرو عـــلوى
مصر الرومانيــة	نفتـــالى لــويس
كتابة التاريخ فى مصر القرن التاسع عشر	جــاك كرابس جونيـــور
الاتصال والهيمنة الثقـــافية	هـــربرت شـــيلر
مختارات من الآداب الآســـيوية	اختيار / صـــبرى الفضـــل
كتب غيرت الفكر الانسانى (٥ جـ)	أحمــد محمــد الشــنوانى
الشموس المتفجرة	اســـحق عظيمـــوف
مدخـل الى علم اللغـــة	لوريتــو تــود
حـديث النهـر	اعــداد/ سوريال عبــد الملك
من هم التتـــار	د٠ أبرار كريم الله
ماســـــتريخت	اعداد/ جابر محمــد الجــزار
معــالم تاريخ الانسانية (٤ جـ)	هـ ٠ ج ٠ ولـــز
الحمــــلات الصــــليبية	ســـتيفن رانســـيمان
حضــارة الاسلام	جوســتاف جرونيبــاوم

رحلة بيرتون (٣ ج)	ريتشاردف بيرتون
الحضارة الاسلامية	أدمز متز
الطفل (٢ ج)	ارنولد جزل
افريقيا الطريق الآخر	بادى اونيمود
السحر والعلم والدين	فيليب عطية
الكون ذلك المجهول	جلال عبد الفتاح
تكنولوجيا فن الزجاج	محمد زينهم
حرب المستقبل	مارتن فان كريفلد
الفلسفة الجوهرية	سوندارى
الاعلام التطبيقى	فرانسيس ج · برجين
تبسيط المفاهيم الهندسية	ج · كارفيل
فن المايم والبانتومايم	توماس ليبهارت
تحول السلطة ٢ ج	الفين توفلر
التفكير المتجدد	ادوارد وبونو
السيناريو فى السينما الفرنسية	كريستيان سالين
فن الفرجة على الأفلام	جوزيف · م · بوجز
خفايا نظام النجم الأمريكى	بول وارن
بين تولستوى ودستويفسكى (٢ ج)	جورج ستاينر
ما هى الجيولوجيا	ويليام هـ · ماثيوز
الحمر والبيض والسود	جارى ب · ناش
انواع الفيلم الأميركى	ستالين جين سولومون
رحلة الأمير ردولف ٢ ج	عبد الرحمن الشيخ
تاريخ العلم والحضارة فى الصين	جوزيف نيدهام
المرأة الفرعونية	كريستيان دديروش
نظرية التصوير	ليوناردو دافنشى
التربية عن طريق الفن	هربرت ريد
معجم التكنولوجيا الحيوية	وليم بينز
البرمجة بلغة السى	روبرت لافو

الكيمياء فى خدمة الانسـان	رولاند جاكسون
مجمل تاريخ الأدب المعاصر	ايفور ايفانس
نظرية الأدب المعاصر	ديفيد بوشيذر
مشكلات القرن الحادى والعشرين	يوسف شرارة
كنوز الفراعنة	ت.ج.هـ. جيمز

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٦/٩٥٧٧

ISBN — 977 — 01 — 4956 — X

لن يدهش القارئ بعد إطلاعه على مجمل نظريات الصراع الدولى الواردة فى هذا الكتاب بجزئيه من الأمثلة التى جرت فى السنين الأخيرة فى السياسة الدولية، وبينت كيفية تطبيقها على المنازعات الجارية وبخاصة فى ايرلاندة والشرق الأوسط والبوسنة، وتثبت الأيام مدى نجاحها وجدارتها بالاتباع كركائز فى علم السياسة الحديث.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب